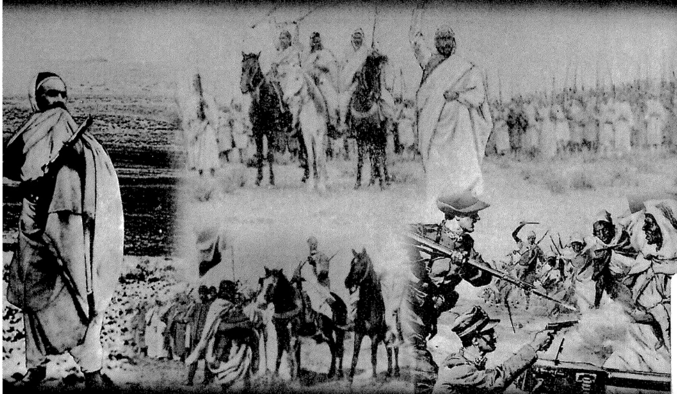
د. رفعت عبد العزيز سيد أحمد

د. محمد إمحمد الطوير

تاريخ الجهاد في ليبيا ضد الغزو الإيطالي

(١٩١١ - ١٩٣١ م)





sharif mahmoud

تاريخ الجهاد فى ليبيا
ضد الغزو الإيطالى



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

◆

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

4 ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس : 3448368 (00202)

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com
alhdara_alarabia@hotmail.com

تاريخ الجهاد فى ليبيا ضد الغزو الإيطالى

(1911 - 1931م)

تأليف

الدكتور

رفعت عبد العزيز سيد أحمد

قسم التاريخ - كلية التربية

جامعة الجبل الغربى

الدكتور

محمد إمحمد الطوير

قسم التاريخ - كلية التربية

جامعة السابع من أبريل



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

صدق الله العظيم

الإهداء

- إلى كل من روى بدمائه أرض الوطن الغالي..
  إلى كل شهيد..
- إلى المجاهدين الذين جاهدوا في سبيل الله والوطن دفاعًا عن الحق والشرف والعرض ضد قوى الاستعمار الإيطالي البغيض.

المقدمة

إنه من خلال تحليلنا لأوضاع المسرح السياسى العالمى للفترة التى سبقت الغزو الإيطالى لليبيا - الذى حدث فى أول أكتوبر 1911 يتضح لنا بجلاء إلى أى مدى تكالبت قوى الاستعمار الأوروبى المسيحي على الوطن العربي : مستفيدة فى ذلك من التدهور الذى انتاب الرجل المريض-وهو الدولة العثمانية- فأخذت تسلب منه الولايات العربية الخاضعة له ولاية بعد أخرى ، إلى أن سقطت الولاية المتبقية في الشمال الإفريقي، ألا وهي طرابلس الغرب .

وبعد حرب دامت عامًا كاملاً بين كل من الدولة العثمانية والمجاهدين الليبيين من جهة وإيطاليا من جهة أخرى تخلى الأتراك العثمانيون عن هذه الولاية العربية بموجب معاهدة أوشى لوزان (اكتوبر 1912 م) محققين بذلك مصالح إيطاليا فيها .

وكانت إيطاليا - وخاصة بعد هزيمتها فى معركة " عدوة " الشهيرة سنة 1896 بالحبشة- تعتبر أن المجال الحيوى لها لتحقيق أطماعها الاستعمارية أسوة بغيرها من الدول الأوربية فى الشمال الإفريقى ، ثم أصبح الهدف محددًا نحو ليبيا بالذات بعدما فقدت تونس التى سارعت فرنسا إلى احتلالها 1881 رغم أن الجالية الإيطالية بها كانت أكثر الجاليات .

ومنذ ذلك الحين والسياسة الإيطالية تمهد لإحتلال ليبيا بشتى الوسائل ، فأخذت تعمل على زيادة جاليتها فيها ، وبدأت بأساليب التسلل السلمى عن طريق إقامة المشروعات والمدارس ، والمستشفيات ، وفروع لمصرف روما فى كل من طرابلس وبنغازى وغيرها ، وإرسال البعثات العلمية والاستكشافية ، حتى حصلت على كثير من المعلومات المهمة التى تفيدها فى تحقيق عمليات الغزو الاستعمارى والاستيطانى . واعتقدت إيطاليا بأن الأراضي الشاسعة فى ليبيا سوف تحل مشاكل تزايد السكان فيها.، وتقضى على مشاكلها الاقتصادية والسياسية ، وركز الكتاب والصحفيون فى مقالاتهم على أن ليبيا تمثل الشاطئ الرابع لإيطاليا ، كما يؤكدون على حقهم التاريخى المزعوم فى ليبيا الرومانية .

واعتقدت إيطاليا الحديثة آن غزو ليبيا لن يكون أكثر من نزهة بحرية تستغرق 24 ساعة فقط، معتمدة فى ذلك على ما وصلها من معلومات عن سوء العلاقة بين الليبيين وحكامهم الأتراك العثمانيين الذين عرف عنهم الاستبداد وسوء المعاملة؛ مستندة إلى ضعف الحامية العثمانية فى ليبيا، وعجزها عن مواجهة أي جيش أوروبى حديث يملك أسلحة متطورة.

هذا غيرما وصلهم عن سوء الأحوال الاقتصادية والصحية والاجتماعية التى كان يعيش فيها الشعب الليبي .

ولكن معارك الجهاد الأولى من أمثلة معركة الهانى بمدينة طرابلس 26- 10 - 1911 ، قلّبت جميع مخططات إيطاليا رأسًا على عقب ، وفاجأت إيطاليا حكومة وشعبًا بما لم يكن أحد يتوقعه ، فلم تواجه إيطاليا - كما كانت تظن - الحامية العثمانية الضعيفة وحدها ، وإنما واجهت معها شعبًا مجاهدًا يقبل على الموت والشهادة وكأنه ذاهب إلى حفلة عرس ، وأدركت إيطاليا أن المغامرة التى أقدمت عليها سوف تكلفها تضحيات باهظة من الرجال والأموال، وأنه سوف يمر وقت طويل قبل أن تهدأ هذه الولاية.

ومن ناحية أخرى ، فلقد كان جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى مثار دهشة العالم أجمع ، كما أثار إعجاب الشعوب الإسلامية والعربية على وجه الخصوص، وبعث فيها روح الأمل والثقة بعد أن كان الاستعمار قد ران عليها لفترة طويلة ، كما كان قد أرهق نضالها ، وكاد اليأس أن يتسرب إلى أوصالها .

و صار العالم يتحدث فى صحفه ومؤتمراته عن بطولة الشعب العربى المسلم فى ليبيا ، واعترف العدو قبل الصديق بذلك فلقد عبر " جيوليتى " رئيس الوزراء الإيطالى وقت العدوان عن استيائه إلى وزير حربيته مندهشًا كيف أن ما يقرب من خمسة آلاف مسلم يهزمون أربعين ألفًا من الإيطاليين !! وكتب الجنرال "كابيلو" أحد القادة الإيطاليين فى ليبيا : أنه لأمر لايصدق ويثير الإعجاب فى نفس الوقت للشجاعة التى يبديها عشرون أو ثلاثون عربيًا عندما يهاجمون الخنادق ويموتون، وكثيرًا ما يتركون أحدهم بين الأسلاك الشائكة ومقصه فى يده، وقال الفيلد مارشال " فون دراكولتر" الألمانى المشرف على تدريب الجيش العثماني : إن الضمير العربى قد اكتسب سموًا بمقاومته .

ويقول "فرانشيسكو مالجيرى " صاحب كتاب الحرب الليبية : إن مقاومة عرب ليبيا كانت سببًا رئيسيًا فى إنتهاج الجنرال " كانيفا " الطريقة الانتظارية التسويفية وعجزه عن وقف الحرب الليبية بالقوة ، إن هذه المقاومة هى العمل الجديد المربك الذى فاجأ الرأى العام الإيطالى والحكومة والعسكريين .

ويمكن القول بأن: المشاكل المتعلقة بالحرب والصعوبات التى وجدتها إيطاليا فى الميدان الدبلوماسى ، والحملة العنيفة التى قامت بها الصحافة الأجنبية ضد إيطاليا تعود إلى الموقف المعادى الذى اتخذه العرب ضد الجيش الإيطالى .

وكانت الصحف الإيطالية بعد مرور ما يقرب من ستة شهور على الغزو قد امتلأت بالبيانات وشكاوى الجنود من وجودهم فى ليبيا ، وعن حالات الانتحار بين الجنود

والمظاهرات التى قاموا بها من أجل المطالبة بالانسحاب من ليبيا . وكانت المصادر الإيطالية قد ذكرت أرقامًا غير صحيحة عن عدد الضحايا الذين سقطوا فى المعارك والتى تبين لهم أنها أكثر من ذلك بكثير وكان قد أعلن عن سبعة آلاف من القتلى والجرحى الإيطاليين، بينما المصادر الروسية قد أعلنت أن العدد يصل إلى سبعين ألفًا .

وكان الليبيون قد واجهوا جحافل الغزو الإيطالي المدجج بالسلاح الحديث والطائرات التي ا ستعملت لأول مرة فى الحروب؛ وذلك بعد إنسحاب الأتراك العثمانيين من ليبيا سنة 1912م.

وبدأت الهجمات التى يقوم بها المجاهدون ترغم القوات الإيطالية على الانسحاب حتى اقتصر وجودهم على بعض المدن الساحلية خلف الأسلاك الشائكة، وتحت حماية بوارجهم الحربية فى البحر، واضطر الإيطاليون إلى مهادنة الليبيين بعد الهزيمة التى لحقت بهم فى القرضابية سنة 1915 .

وبوصول الفاشست إلى السلطة سنة 1922بدأت مرحلة ثالثة من الجهاد، وكانت الأخيرة والتي استمرت من 1922م إلى 1931 حينما سقط المعقل الأخير للمقاومة باستشهاد الشيخ عمرالمختار فى سبتمبر 1931م. وبعدها بأربعة شهور سقط خليفته يوسف المسمارى شهيدًا ، وبعدها بشهور أخرى قليلة تمكن خليفته عبد الحميد العبار من القفز من فوق الحدود المصرية حتى هدأت البلاد، وأعلن الوالى الإيطالى بدء إحتلالها. وهنا يثور التساؤل عن الكيفية التى استمر بها الجهاد طوال عشرين سنة.

ولسوف يدهش الإنسان للتكتيك البسيط الذى يقوم به جماعة صغيرة من المجاهدين ، حينما تهاجم طوابير ومصفحات العدو فتربكه؛ وتخرج بذلك من الحصار الذى فرضه عليها ، وينتصر بذلك المجاهد البسيط الذى لم يعد داخل جيوش منظمة، على القائد الذى يحمل على صدره العلامات والنياشين اللامعة. وإنه بدون تقدير المشاعر الدينية التى دخلت فى المقاومة- كما يقول إيفانس بريتشارد- وإعطائها حق قدرها سيكون من المستحيل على المرء أن يفهم : كيف استمرت هذه المقاومة لمثل هذه المدة الطويلة، وفى ظل ظروف غاية فى الصعوبة بل وطاغية كالتى عاشها الشعب الليبى ، وهو يقاوم دولة أوروبية عاتية أتت ببوارجها الحربية وطائراتها .

ولسوف يدهش الإنسان، كيف أن القبائل ذات التاريخ فى المنازعات القبلية الممزقة قد تجاوزت خلافاتها، وتعاونت ضد العدو الذى هاجم أرضها، وقطعان ماشيتها، وداس على مقدساتها. إن هذا الشعب العظيم يعطى بكفاحه المثل الأعلى على الكفاح للأمة العربية ، كلما أرادت أن تعيد إلى الذاكرة صفحة من صفحات تاريخها البطولى .

ويتضمن هذا الكتاب ثمانية فصول جاءت تحكى قصة الصراع ، حيث يتناول الفصل الأول:

التمهيد للغزو. ومعارك السنة الأولى، ودور الأتراك العثمانيين فيها، والذى ينتهى بمعاهدة الصلح التى عقدت بين الدولة العثمانية وإيطاليا فى 18 أكتوبر 1912 م ، ثم يأتى الفصل الثانى: لكى يستعرض المواجهة الليبية للعدو الإيطالى بعد أن سلم الأتراك العثمانيون البلاد للإيطاليين، وأشهر معاركها جندوبة فى 1913 بطرابلس، وسيدى كريم القرياع فى نفس العام بالمنطقة الشرقية من ليبيا، واشتعال المقاومة فى الجنوب بقيادة الشيخ محمد بن عبد الله البوسيفى الذى استشهد فى معركة "محروقة " . وشهدت معارك "القاهرة" بسبها و"وادى مرسيط " و "القرضابية " والتى قضت على الوجود الإيطالى بفزان .

ويأتى الفصل الثالث متضمناً: إتباع إيطاليا لسياسة المعاهدات والإتفاقيات التى عقدوها مع كل من طرابلس وبرقة، والقانون الأساسى الذى ترتب عليه إنشاء حكومة وطنية تحت اسم "حكومة الإصلاح المركزى " .

ويحتوى الفصل الرابع على: عودة الدولة العثمانية ببعض القيادات التركية والليبية لإعادة حكم طرابلس وبرقة؛ لتحقيق مصالحها فى ليبيا أثناء الحرب العالمية الأولى مستغلة ضعف إيطاليا فى ذلك الوقت؛ ويحدث نتيجة لذلك حرب "أحمد الشريف" بالصحراء الغربية لمصر ، وقيام الجمهورية الطرابلسية ، وعقد مؤتمر غريان نوفمبر 1920، ومؤتمر سرت 1922 الذى أقر بوحدة الجهاد ووحدة البلاد ، وخروج إدريس إلى مصر تاركًا الجهاد عندما علم بنزول الإيطاليين فى ميناء " قصر أحمد" بمصراتة في محاولة منه لإعادة الإحتلال، وهو ماتمت مناقشته في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

ويستعرض الفصل السادس: عمليات ومراحل إعادة إحتلال منطقة إجدابيا والواحات فى الفترة من 1923 إلى 1928 حيث نتعرف على معارك الجهاد الشهيرة من أمثال: بئر بلال وتاقرفت .

ويحتوى الفصل السابع على: معارك إعادة إحتلال فزان (1929) ثم إحتلال الكفرة فى (19 يناير 1931 م) . ويتضمن الفصل الثامن والأخير: معارك احتلال الجبل الأخضر (1924-1931) ومفاوضات سيدى رحومة (1928) واستئناف معارك الجبل الأخضر والقبض على الشيخ عمر المختار ومحاكمته وإعدامه فى (16 سبتمبر 1931). وينتهى الفصل باستعراض الكيفية التى واجه بها الشيخ عمر المختار جيش الجنرال " جراتسيانى" ، الذي وضع الأهالى فى المعتقلات الجماعية، واحاطهم بالأسلاك الشائكة التي امتدت على طول الحدود مع مصر.

كما يأتى فى نهاية الكتاب: جملة من الدروس المستفادة، والاستنتاجات التى توصل إليها المؤلفان من خلال تاريخ نضال الشعب الليبى ضد الغزو الإيطالى .

وهذا الكتاب هو عبارة عن جملة المحاضرات والبحوث التى قام المؤلفان بإلقائها أثناء

قيامهما بتدريس مادة " جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى " بأقسام التاريخ بكليات الآداب والعلوم بجامعة الفاتح والجبل الغربي والسابع من إبريل بالزاوية ، ونأمل أن ينتفع بها الجميع، وأن تكون إضافة جديدة للمكتبة الجامعية؛ تدفع للحوار والنقد البناء والإضافة المفيدة فى هذا المجال ، فنحن لاندعي الكمال فيما كتبنا ، كما لاندعي أنه أفضل مما كتب فى الجهاد الليبى من قبل.

والله نسأل أن تتم الفائدة فيه، وأن يكون عملاً علميًا ينتفع به،وعلى الله قصدالسبيل.

وما التوفيق إلا بالله ...

المؤلفان

د. رفعت عبد العزيز سيد أحمد

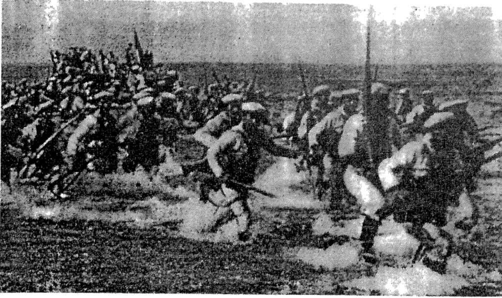
د. محمد إمحمد الطويـــــــر

يفرن والزاوية في 1998/1/22م

أولاً

الغزو الإيطالي لليبيا

1922-1911



نزول البحرية الإيطالية بميناء طرابلس 5 أكتوبر 1911



جنود المشاة الإيطاليين يستعدون للنزول

الفصل الاول

الغزو الإيطالي لليبيا

1912 - 1911

(*) التمهيد للغزو والظروف الدولية المحيطة به .

(*) القوات المشتركة في الغزو والوضع العسكرى في ليبيا .

(*) معارك الغزو في السنة الاولى ودور الاتراك فيهـــا .

(*) معاهدة الصلح بين تركيا وإيطاليا(أوشى لوزان 18 اكتوبر 1912).

التمهيد للغزو والظروف الدولية المحيطة به:

لقد كان الحلم الذى راود إيطاليا طوال سنوات الثلث الأخير من القرن التاسع عشر -بعد أن تمت وحدتها - هو أن تكون لها مستعمرات بالشمال الإفريقي؛ لتكون بمثابة الشاطئ الرابع لإيطاليا على البحر المتوسط .

ولقد كان المسافرون والرحالة الأوروبيون يعبّرون عن إنبهارهم بالثروة الكامنة فى المناطق الزراعية المهملة فى صحراء الشمال الإفريقي ، فعندما رأي أحد المكتشفين الألمان - والذى زار ليبيا عام 1879 - المنطقة الشديدة الخضرة شمال "توكرة" بالجبل الأخضر .. تذكّر إيطاليا واقترح عليها غزو ليبيا وإحتلالها . وبعد ذلك بخمس سنوات .. اقترح الرحالة والمكتشف الإيطالي " مانفريدوكانبيرو "، إقامة مستعمرات زراعيـة إيطالية فى منطقة برقة .. وقال:"إن المنطقة فيما بين طرابلس والخمس منطقةمثالية للمزارعين الإيطاليين"[1].

والحقيقة أن الأطماع الإيطالية فى ليبيا كثيرة ، وأولها : تلك التى تتعلق بالأهمية الإستراتيجية للشاطئ الإفريقي من حيث مواجهته للشواطئ الإيطالية .. وثانيها: الأطماع الاقتصادية والتى تكمن فى التصور الإيطالي لإمكانية الخروج من مشكلة الإنفجار السكانى فى إيطاليا عن طريق الهجرة إلى بلد آخر كليبيا؛ حيث تتوفر الأراضى الواسعة شبه الخالية من البشر ، وحيث يمكن للفلاحين الإيطاليين زراعتها ، وحيث يمكن بعد ذلك إقامة المستوطنات الإيطالية بها ، ونقل عشرات الإيطاليين بل الآلاف إليها .

أضف إلى ذلك أن عملية الاستعمار التى ستقوم بها إيطاليا سوف تزيل من نفوس الإيطاليين ذلك الضيق الذى كانوا يشعرون به نتيجة كونهم يعيشون وسط ممتلكات وقواعد بحرية لكل من فرنسا وإنجلترا ، وفى كل مكان حولهم[2] .

كما أنه لايجب أن يفوتنا أن نتذكر ما كانت تحلم به إيطاليا من خرافة استعادة مجدها التاريخى الذى عاشته أيام الدولة الرومانية، وبصفة عامة فلقد ساد الاعتقاد لدى الإيطاليين بأنه يمكنهم باحتلال ليبيا أن يتنفسوا بحرية فى البحر المتوسط .

---

(1) Claudio G.Segre . Fourth Shore . The Italian Colonisation of Libya : London 1952 , P.14

وأيضًا : وليم سى. اسيكو . اوروبا والغزو الإيطالي لليبيا ترجمة : د. ميلاد المقرحى ود. عقيل البربار ، منشورات مركز جهاد الليبيين . طرابلس سنة 1988.

(2) EVANS Pritchard . The Sanusi of Cyrenaica . Oxford at the Clarendon press 1968 :

الأوضاع الدولية وقت الغزو:

هذا. ولقد ساعدت الأوضاع الاستعمارية السائدة فى العالم آنذاك ، على أن تحقق إيطاليا حلمها والأطماع التى سيطرت عليها ؛ ذلك أن الدول الأوربية وقتها كانت قد أتمت توغلها فى قارة إفريقيا من كل الإتجاهات وكان ذلك التسابق الاستعمارى قد بدأ فور الإعلان الذى آذاعه المستشار الألمانى الشهير"بسمارك" فى أعقاب مؤتمر "برلين" الأول الذى عقد عام 1878 . ذلك الإعلان الذى وجه فيه إهتمام كل من "فرنسا" و "إيطاليا " نحو " تونس " تخلصًا من آحقاد الأولى ، ووضعًا للثانية فى مواجهة مع الأولى للحد من طموح التوسع الفرنسى[1].

ولقد بادرت فرنسا باحتلال تونس عام 1881م زاحفة إليها من الجزائر التى كانت قد استعمرتها قبل ذلك فى العام 1830 م ، بينما عجزت إيطاليا عن تنفيذ ذلك بسبب مشاكلها الداخلية ، التى منها الاضطرار إلى زيادة الضرائب من قبل الحكومة ،والذى تطلبه خطة إعادة البناء بعد حروب الوحدة الإيطالية ، وفوق ذلك كانت إيطاليا مازالت تعانى من المغامرة الخاسرة التى قامت بها فى محاولة التوسع الاستعمارى فى القرن الإفريقي ، والتى انتهت بالهزيمة الشنعاء على يد الأحباش فى موقعة " عدوة " الشهيرة عام 1896 م[2] وكانت إيطاليا قد دعيت من جانب إنجلترا لإقتسام ممتكلاتها فى وسط وشرق إفريقيا مع غيرها من الدول الأوربية فيما سمّى بالإمبراطورية المصرية حينذاك؛ لتضمن بريطانيا بذلك حسن الجوار فى المستعمرات المصرية السابقة؛ حيث كان نصيب إيطاليا بعض المستعمرات الصغيرة فى كل من مصوع وأرتريا والصومال والتى لم تشبع اطماعها الاستعمارية فى ذلك الوقت .

حينذاك لم ترحم الصحافة الإيطالية حكومة بلادها القائمة وقتها لعدم قدرتها على إحتلال تونس أولاً ، ولهزيمتها فى " عدوة " ثانيًا ، فلقد كتبت صحيفة جورنإلى دى إيطاليا (Gornali di ITALIA) عن الموقف شديد الحرج للحكومة، كما ارتفع صوت جريدة "البولو" IL POLO " تعلن فيه أن حالة بلادها لم تسمح لها بعد بإتخاذ سياسة استعمارية بصفة جدية كبقية الدول . وكان الهجوم على الحكومة الإيطالية الكائنة حينئذ- حكومة جيوليتى- قد زاد واشتد فى أعقاب قيام إنجلترا باحتلال مصر عام 1882م حينئذ اتهمت الحكومة بالتقاعس عن اتخاذ عمل شبيه بأي دولة أوربية[3] ولقد قام "جيولييتى" حينذاك بالرد على هذه الصحف مدعيًا بأن عدم إقدام إيطاليا على هذا العمل - وهو الاستيلاء على

---

(1) محمد فؤاد شكرى ، السنوسية دين ودولة ، دار الفكر العربى ، القاهرة 1948 - ص103 - 104 .

(2) جلال يحيى : استيلاء الايطاليين على ليبيا . رسالة ماجستير غير منشورة . مكتبة آداب الاسكندرية سنة 1954 . ص 29 .

(3) رفعت عبدالعزيز عشر سنوات فى الجهاد (1911 - 1921) رسالة ماجستير غير منشورة ص16)

الولاية العربية الباقية للدولة العثمانية على الشاطئ الإفريقي – هو الخوف من إحداث مشاكل أوربية وبصفة خاصة فى قضية البلقان.

ولكن التواطؤ الذى تم بين الدول الأوربية الاستعمارية، والمؤامرات التى حيكت بينها فى شكل تحالفات واتفاقات قد غيرت موقف إيطاليا وشجعتها على الإقدام على خطوة الغزو التى كانت تعجز عن الإتيان بها لولا ذلك التواطؤ، فلقد عقد الاتفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا عام 1904م وقد كانتا قبله عدوين لدودين، ثم الاتفاق الذى عقد بين فرنسا وألمانيا والذى منحت بمقتضاه الأخيرة جزءًا من إفريقيا الفرنسية (الكامرون) مقابل سكوت ألمانيا على اشتراك فرنسا وإسبانيا فى احتلال المغرب الأقصى، ثم الاتفاق بين فرنسا وإسبانيا على إعطاء فرنسا منطقة الريف المغربية ،وكانت فرنسا قد عقدت قبل ذلك كله اتفاقا مع إيطاليا عام 1902م[1] ثم أخيرًا ما توصلت إليه الدول الكبرى مجتمعة على حل مشكلة مصر، ومشكلة المغرب، والمشكلة العامة لإفريقيا المطلة على البحر المتوسط . وهذا ما شجّع كلا من " جيوليتى " ووزير خارجيته " سان جوليانو " للحصول على موافقة صريحة من قيصر روسيا اثناء زيارته لقلعة " راكوجينى" قرب تورين بإيطاليا على مطالب إيطاليا فى طرابلس ، مقابل تأييد إيطاليا لروسيا إذا[2] أثارت الأخيرة مسألة المضايق دوليًا ، وقبل أن نختم هذا الجزء الخاص بالتواطؤ الأوربى من أجل صالح إيطاليا ، فإننا نذكر بأن المعاهدة الثلاثية التى جددت عام 1902م بين كل من ألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا ، قد أضيف إليها وقتها نص صريح وواضح ، بعدم اهتمام ألمانيا والنمسا – ودون أي تحفظ – بما يمكن أن تقوم به إيطاليا بحل مشكلة "ليبيا ." ولذلك فإن هذه الدول وغيرها من الدول الأوربية سوف تعتذر رسميًا عن اتخاذ أي موقف تجاه الغزو الإيطالي، عندما تستغيث بها الدولة العثمانية على التهديد الذى أرسلته إيطاليا إلى الآستانة لغزو ليبيا [3].

محاولات التغلغل السلمى :

وقبل أن تقوم إيطاليا بغزو ليبيا عسكريًا ، حاولت أن تتغلغل فيها بالطرق السلمية والسياسية، وتم ذلك بعدة وسائل مختلفة : كان أولها محاولة زيادة الجالية الإيطالية فى ليبيا بالتهجير إليها ، وإقامة المشاريع الاقتصادية وشراء الأراضى ، ولقد أنشئ فى أبريل من عام 1907 م فروع لمصرف روما Banco di Roma فى طرابلس وبعض المدن الليبية الاخرى لخدمة المصالح الاقتصادية الإيطالية فى ليبيا – ومنذ ذلك الوقت أصبح المصرف وكالة تعمل

(1) جيوليتى، مذكرات، ترجمة التليسى" الشركة العامة للنشر – طرابلس سنة 1976 ، ص 180 .

(2) محمد فؤاد شكرى ، المرجع السابق – ص 105

(3) جيوليتى ، مرجع سابق ، ص181 .

على زيادة النفوذ الإيطالي في ليبيا[1] حتى أن إستثمارات البنك فى عام 1911 وقبل بداية الغزو قدرت بما بين خمسة وثلاثة ملايين دولار، وكانت إستثمارات البنك فى السفن التجارية لتنشيط الملاحة البحرية بين طرابلس والموانئ الاخرى في البحر المتوسط، ومصنع للحلفا فى طرابلس أيضًا والذى كان يعتبر من أكبر البنايات فى المنطقة وقتها، ومطحن فى بنغازى قدرت تكاليف إنشائه فى هذا الوقت بحوالي مليون ليرة إيطالية، وكذلك مصنع للصابون ومصنع للثلج علاوة على مشاريع أخرى، كما قام المصرف بإعداد خطة طموحة لعمل مجمع زراعى في بنغازى وشركات زراعية أخرى فى طرابلس ودرنة بالإضافة إلى مشاريع صناعية وتجارية ثانوية أخرى.

وعلى الرغم من إعلان إيطاليا عام 1905 م أن التوغل الاقتصادي يأتى في المرتبة الثانية بعد المصالح السياسية ، فإن المشاريع الاقتصادية كانت تزداد بثبات ، هذا إلى جانب إمتلاك إيطاليا لأهم المراكز الحساسة فى ليبيا كشركات البريد والبرق والهاتف ومصلحة الموانى والمنائر[2] ،ولقد كان ذلك ممكنًا ويسيرًا أيام حكم السلطان عبدالحميد ، إلا أن حكومة " الاتحاديين " التى وصلت إلى السلطة عام 1909 م كانت تتشدد إلى حدما تجاه المصالح الإيطالية فى ليبيا، وتفضل التعامل مع عناصر أخرى غير الإيطاليين مثل الألمان[3].

وفى مجال التغلغل السلمى لإيطاليا فى ليبيا لايفوتنا أن نذكر بما أنشأته من مدارس إيطالية كانت تضم فى عام 1910م حوالي 1770 طالبًا، وخدمات صحية، إلى جانب الخدمات التعليمية، وكانت موزعة على المدن الساحلية مثل: طرابلس وبنغازى ودرنة والخمس وغيرها .

ونظرًا لما حدث من بعض الأمور، فإن إيطاليا سوف لا تعتمد على أسلوب التغلغل السلمى وسوف تسرع بالإقدام على عملية الإستيلاء على ليبيا بالقوة، وكان أهم هذه الأمور أن المنظمة الإقليمية اليهودية قامت بإرسال بعثة إلى منطقة برقة؛ لدراسة خطة لأجل انشاء وطن قومى لليهود هناك يكون تحت حماية الدولة العثمانية[4]. ورغم أن المشروع لم يقدر له التنفيذ ، إلا أنه جعل إيطاليا تشعر بأن ليبيا أصبحت مطمعًا للآخرين ، وفى نفس العام حدث أن قتل اثنان من رجال الدين المسيحى من رعايا إيطاليا وهما : الأب المبشر "جوستينونو دى جاستون

---

(1) رفعت عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص 17 .

(2) محمد عبدالكريم الوافى ، الطريق إلى لوزان والخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الإيطالي لليبيا ، مكتبة الفرجانى، طرابلس ، 1972 افرنجى ص120 .

(3) وثيقة رقم (13) الوثائق الأمريكية . ترجمة شمس الدين عراب . م أولى مركز دراسة جهاد الليبيين 1989 ص 147 .
انريكو إنساباتو ، العلاقات العربية الايطالية ، ترجمة عمرو البارونى ، مركز الجهاد الليبي 1980ف ص 82 .
- Paolo Maltese , la terra promessà, Rome 1966.p.56

(4) مصطفى بعيو ، توطين اليهود فى ليبيا ،الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس سنة1975م، ص 78.

والأب " تيريزى " فى عام 1908 م وطال نظر قضيتهما أمام المحاكم العثمانية بشكل متعمد ضايق الحكومة الإيطالية، ورضيت فى النهاية بتسوية للموضوع على طريقة العفو والنسيان . وقامت وقتها صيحات فى الصحافة الإيطالية تعلن بأن أرواح الإيطاليين وممتلكاتهم فى ليبيا تتعرض للخطر الداهم . وإضافة إلى ذلك دأبت إيطاليا على إفتعال الأزمات ضد السلطات العثمانية مدعية فى ذلك قيامها بعرقلة المصالح الإيطالية فى ليبيا ، وبدأت تحرك الصحافة والرأي العام للمطالبة بالتدخل العسكرى السريع لإعادة الهيبة لإيطاليا[1].

الإنذار الإيطالي:

وفى السابع والعشرين من شهر سبتمبر عام 1911 فوجئت الآستانة بأن روما توجه لها إنذارًا – بعد صدور قرار من مجلس وزراء إيطاليا فى نفس اليوم ، ولقد صيغت لغة الإنذار بطريقة من شأنها ألا تفتح الطريق أمام أي تهرب ، ولاتدع سبيلاً للتذرع بقيام مناقشات طويلة كان الإيطاليون يحرصون على تجنبها ، إذ شكت الحكومة الإيطالية فى الإنذار من أن مصالح إيطاليا فى طرابلس[2] كانت تعانى منذ سنين من الإدارة التركية ، وادّعت بأن وصول السفن الحربية العثمانية إلى طرابلس سوف يترتب عليه نتائج خطيرة ، وزعمت بأن الجالية الإيطالية فى طرابلس فى خطر . كما تضمّن الإنذار ما يفيد بأن هدف إيطاليا هو احتلال منطقتى طرابلس وبرقة ، والأدهى من ذلك أنه طلب من الدولة العثمانية أن تعلن خلال أربع وعشرين ساعة عن عدم إعتراضها على هذه الخطوة[3] .

وفى اليوم التاسع والعشرين من سبتمبر (يومان بعد الإنذار) أرسلت الحكومة العثمانية ردها على الإنذار الإيطالي ، والذى اعتبرته "روما" غير كافٍ وغير مقنع لها، وأنه يعبر عن التهرب والمراوغة، مع أن هذا الرد يتضمن عرضًا للحكومة الملكية الإيطالية بمنح إيطاليا إمتيازات إقتصادية فى طرابلس وتسهيلات واسعة، ومنح إيطاليا– دون غيرها من الدول الأوربية–الأولوية فى المعاملات الاقتصادية ، كما تضمن الرد وعودًا بتدارك الأمر والحرص من جانب الدولة العثمانية على سلامة الرعايا الإيطاليين فى طرابلس وحماية مصالحهم بل والعمل بكل ما تشير به الحكومة الإيطالية. ولقد استشعرت الحكومة الإيطالية من صيغة الرد

---

(1) لوتروب ستودارد ، حاضر العالم الاسلامى ، ترجمة عجاج نويهض، ط4 ، دار الفكربيروت سنة 1932 م ج1،2 ، ص369.

وأيضًا محمد فؤاد شكري مرجع سابق ، ص 107 .

وأيضًا: سليم قبعين. تاريخ الحرب العثمانية الإيطالية، المطبعة الحجازية، القاهرة سنة 1912–ص18.

(2) كلمة (طرابلس) كانت تعنى وقتها" ليبيا" حسبما كان يطلق عليها .

(3) نص الانذار والتعليق عليه منشور فى مذكرات جيوليتى ، مرجع سابق ، ص75 .

وأيضًا الطاهر الزاوى : جهاد الأبطال، دار الفتح، بيروت، سنة 1961 ، ص 105.

على الإنذار الضعف والتخاذل ، والسلبية ، والعجز الشديد لدى الجانب التركى، وعدم القدرة على فعل أي شئ أو أي إجراء عسكرى ضد التهديد الإيطالي،وذلك ما شجع إيطاليا على إتخاذ قرارالحرب فى نفس اليوم الذى تسلمت فيه هذا الرد .

ولقد عبّر " جيوليتى " عن هذا المعنى فى مذكراته الشخصية بالقول :" إن الحكومة الإيطالية شعرت بعجز الدولة العثمانية ، وأنه لم يكن يوجد مايمنع الحكومة التركية فى حالة شعورها بنوايا الإيطاليين ، أن ترسل فصائل قوية من جيشها لدعم مقاومة الآتراك بواسطة الألغام والطوربيدات ، ولكنها تراخت فى اتخاذ آي قرار سوى إرسال السفينة "آدرنة" محملة بعشرة آلاف بندقية وبعض الذخائر والمدافع مع التموين والملابس[1] .

وكانت السفينة " أدرنة " قد وصلت يوم 26 سبتمبر وهو اليوم السابق ليوم الإنذار إلى ميناء طرابلس رافعة العلم الآلمانى عليها. وكانت تركيا قد أرسلت هذه الباخرة بعد آن علمت باستدعاء إيطاليا لجنود الاحتياط من مواليد 1888 م وكان القائم بأعمال السفارة الإيطالية فى إستانبول قد قدّم مذكرة إلى الباب العالى؛ أشار فيها إلى الأخطار التى تهدد الرعايا الإيطاليين فى طرابلس وحذر تركيا من أن إرسال السفن والمهمات الحربية لطرابلس فى هذه الظروف يعتبر عملا غير ودي[2] وكانت الباخرة "أدرنة" قد تحركت من إستانبول فى طريقها إلى طرابلس يوم 23 من سبتمبر 1911 م.

وكادت الباخرة التركية تقع فى أيدى الإيطاليين ، إلا أنها أفلتت منهم بأعجوبة ، فلقد كانت إيطاليا تراقب الشواطئ الليبية تمهيدًا للرسو عليها، وفى نفس الوقت كانت الدولة العثمانية تشعر بالأطماع الإيطالية فى ليبيا منذ مدة ، ورغم ذلك فإنها صدمت صدمة قوية حينما أعلنت إيطاليا الحرب عليها فى نفس اليوم الذى وصل فيه الرد التركى إليها، ذلك أن الدولة العثمانية كانت تأمل حتى آخر لحظة فى تجنب النزاع المسلح بمساعدة الدول الأوربية التى كتبت إليها تستلطفها فى التدخل لوقف إيطاليا عن القيام بالعدوان.ولكن هذه الدول جميعها ردت فى يوم 3 أكتوبر عام 1911 إفرنجي- فيما عدا ألمانيا - تعتذر عن التوسط فى المشكلة، واعتمادًا على ذلك لم تقم الدولة العثمانية بالإعداد لمقاومة الغزو الإيطالي بأي شكل من الأشكال .

وكانت وزارة الخارجية الإيطالية قد أعلنت لممثلى الصحف بعد ظهر يوم 29 من سبتمبر من نفس العام وهو نفس يوم تسلمها للرد التركى على الإنذار: " إن المذكرة التركية التى ترد على

---

(1) جيوليتى ، المرجع السابق ونفس الصفحة . - محمد عبدالكريم الوافي ، مرجع سابق، وتجد فيه الرد الرسمي للحكومة العثمانية على الإنذار الإيطالي ، صفحات (72، 73 ، 74).

(2) جلال يحى - مصدرسابق - ص43 .

الإنذار الإيطالي لم تورد قط الإجابة المحددة النهائية المطلوبة ، ولكنها كانت منحرفة ومسوفة؛ ولهذا السبب أعلنت حكومة ملك إيطاليا الحرب على تركيا "[1].

الوضع العسكرى فى طرابلس قبل الغزو:

لم تكن القوات التركية المتواجدة فى طرابلس تخضع لإشراف الجنرال "كوليتس" الذى عين فى استانبول لهذا الغرض منذ عام 1905 م ؛ ولذلك فإنها كانت منقطعة عن الجيش الأم فى الدولة العثمانية ، وبعيدة كل البعد عن الإعداد الجيد والنظام الحديث للجيوش ، فبدت عند الغزو وبحالتها المتخلفة وكأنها فرق منسية تمامًا.

وعندما أعلنت إيطاليا الحرب على ليبيا كانت ترابط فيها الفرقة الثانية والأربعين التى لايتجاوز عدد أفرادها أربعة آلاف جندى وضابط ، علمًا بأنه كان يوجد قبل ذلك فى ليبيا قوات عثمانية تتراوح أعدادها ما بين الخمسة عشر ألفًا والعشرين ألفًا ، وهذا التعداد قبيل الغزو وبشهور قليلة – ولكن " حقى باشا " رئيس الوزراء التركى حينذاك – والذى تشير أصابع الاتهام اليه – قام بإصدار التعليمات بنقل هذه القوات إلى اليمن[2] بدعوى القضاء على الحركة المناهضة للحكم التركى هناك ، مع أنه كان من الممكن أن يستعين بالقوات المتواجدة فى بيروت وهى كثيرة ، ولم يكتف " حقى باشا " بذلك؛ بل أصدر تكليفًا بسحب عدد كبير من البنادق وأمر بإرجاعها إلى الآستانة؛ بحجة إرسال سلاح حديث بدلاً منها، وجاء العدوان ولم يرسل شيئًا [3].

ولقد أتهم الرأي العام العثمانى وزارة (حقى باشا) بتعمدها الإهمال فى ولاية طرابلس الغرب ، مما ترتب عليه تركها خالية من وسائل الدفاع يسهل على الإيطاليين أصدقائه امتلاكها بدون عناء ، كما اقترح كثير من النواب محاكمته أمام الديوان العالى بتهمة الخيانة العظمى لنفس السبب : ولأنه ترك طرابلس خالية من والٍ يسوسها بعد سحب إبراهيم باشا منها ، بناء على توصية من إيطاليا ، وكذلك سحب قائدها العسكرى[4].

هذا ويتضمن الأرشيف الأمريكى البيان الذى ألقاه ناجى بك أمام مجلس المبعوثان التركى بشأن اتهام حقى باشا بإهمال طرابلس الغرب قبل الاعتداء عليها[5].

---

(1) أمين سعيد ، الدولة العربية المتحدة ، جـ3 مطابع الحلبى وشركاه بمصر سنة 1936 ص448 .

(2) محمد فؤاد شكرى . السنوسية دين ودولة ، مرجع سابق ، ص 110 .

(3) الطاهر الزاوى ، مرجع سابق ، ص140 . – فرانسيس ماكولا ، حرب إيطاليا من أجل الصحراء ، ترجمة عبد المولى صالح الحرير ، منشورات مركز جهاد الليبيين للبحوث التاريخية ، طرابلس ، 1991، ص: 78.

(4) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ص 448 .

(5) الأرشيف الأمريكى. سلسلة الوثائق التاريخية. (وثيقة 2 مرفق أ) ترجمة شمس الدين عرابى. منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى. طرابلس سنة 1989م صفحات 48، 49، 50.

ولقد أرسلت حكومة الآستانة – عند تسلمها الإنذار الإيطالي تستدعى الوالى المعزول (إبراهيم باشا) فكتب إليها يقول : " لقد أرسلت إليكم تقارير مفصلة، كشفت فيها الغطاء عن نوايا الإيطاليين ومطامعهم ونبهتكم إلى الخطر المحدق بتلك البلاد، فلم تأخذوا حذركم ، فذوقوا الجزاء " ولقد كان فى الآستانة يومئذ حسين بك كاظم سفير الدولة العثمانية فى روما ، فقال للصحفيين على إثر وصول الإنذار: إنه كان قد كتب إلى وزارة الخارجية منذ شهر يناير عام 1911 إفرنجى ينبهها إلى مايدبره الإيطاليون فى الخفاء ، وما يعدونه للغارة على طرابلس ، وقال:" ولما زرت وزارة الخارجية أخيرًا وجدت تقاريرى لاتزال مكدسة فى ملفاتها لم تفتح ولم ينظر فيها ، بل أهملت إهمالاً شديدًا " ، وبمثل ذلك جاهر الملحق العسكرى العثمانى فى روما[1] .

هذا بالإضافة إلى التقرير الذى رفعه كل من : " محمود ناجى بك" و"صادق بك " نائبا طرابلس الغرب فى مجلس النواب العثمانى (مجلس المبعوثان) إلى رئاسة ذلك المجلس يطلبان فيه محاكمة حقى باشا وزملائه الذين أهملوا الولاية ، ولقد تضمن هذا التقرير[2] الذى أحيل إلى لجنة خاصة حقائق كثيرة عن مظاهر الإهمال فى الولاية العثمانية (طرابلس الغرب) جاء فيه:

اولاً: كان الجيش العثمانى فى ليبيا يضم من 15 ألف إلى 20 ألف جندى وضابط، كما توجد فرق من الأهالي يتدربون على استعمال السلاح تصل أعدادهم إلى ما بين أربعين وخمسين ألفًا حتى صار فى إمكانهم معاونة الجيش النظامى ، وجاءت وزارة حقى وسيرت جزءًا كبيرًا من الجيش النظامى إلى اليمن، وأهمل تدريب الليبيين بعدها .

ثانيًا: طلب الأهالي الانتظام فى الجندية، ورغم اعتماد مجلس النواب للميزانية الخاصة بذلك إلاّ أن هذا المطلب لم ينفذ ، ولم يهمل أمر التجنيد فحسب بل أهمل أيضًا أمر استدعاء الاحتياط وأهمل تدريبه[3] .

ثالثًا: تم سحب الضباط الأتراك الملمين باللغة العربية، رغم العلم بما تدبره إيطاليا لليبيا.

رابعًا: وجود غلاء وجدب شديدين بالولاية رغم الكتابة إلى وزارة "حقى " التى لم تحرك ساكنا وتركت الناس يتضورون جوعًا ، فهاجر إلى تونس 200 ألف شخص[4] ولجأ

---

(1) ابو القاسم إبراهيم : حياة سليمان باشا البارونى، مكتبة الحلبى ، القاهرة ، 1936، ص 16 .

(2) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ج2، ص 448 .

(3) يذكر الأرشيف الأمريكى ان سكان طرابلس كانوا قد قاموا فور صدور الدستور بالمطالبة بالتنفيذ الفورى للتجنيد فى الولاية، ولم يُشرع فى ذلك إلا بعد أربعة أشهر وكان التنفيذ على نحو غير سليم، ولم يتم تجنيد سوى ثلاثة آلاف من بين (16) ألفا (الأرشيف الأمريكى. المرجع السابق ص50).

(4) محمود الشنيطى ، قضية ليبيا ، مكتبة النهضة المصرية ، 1951 ، ص 138 . ولقد ذكر أن عدد سكان ليبيا سنة1911 عند الغزو كان مليون و500 الف . وجاء ذلك أيضا على لسان جراتسيانى فى خطابه الذى ألقاه فى طرابلس فى نوفمبر 1930 وذ كر فيه أن الشعب الليبي قد نقص عدده على مدى عشرين عامًا طوال مدة الغزو حوالى 820، 928 بينهم شهداء الحرب ومن بينهم 250 ألف اضطروا إلى الهجرة خارج البلاد ، وأعتبر الباقون 570، 928 مفقودين .

أربعة آلاف إلى مركز الولاية لعلهم يجدون ما يسدون به رمقهم ، ومات من هذا العدد 514 خمسمائة وأربعة عشر فى أربعة شهور ، هذا بالإضافة إلى آنه كان قد عرض على مقام الصدارة خطيًا وتلغرافيًا فى أوائل شهر يوليو عام 1911 م لإعطاء الثمانية آلاف ليرة عثمانية الباقية من العشرة آلاف التى كانت قد خصصت لليبيا من طرف الحكومة،ووافق مجلس المبعوثان على صرفها، ولم تصرفها الحكومة . كما يضيف التقرير أن الستة آلاف كيلة شعير التى قررت الحكومة العثمانية توزيعها على الأهالي على سبيل القرض لغرض التقاوى والأكل، وتضمنت المادة القانونية لها وصودق عليها، لم ترسلها الحكومة حتى إعلان الحرب[1].

والخلاصة: إن الولاية العثمانية (طرابلس الغرب) قد جردت قبل الغزو الإيطالي من القوات النظامية، وترك أهلها فى حال لايمكنهم من الدفاع عن أنفسهم، كما تركوا عرضة للجوع ولجور عدو ظالم .

أمّا بالنسبة للأسطول التركى ، فإن قواه الأساسية كانت ترابط بالقرب من بيروت ، ولم تكن حالته تسمح بأن يقوم بتعويق الحملة الإيطالية وتحركها نحو طرابلس؛ لأنها كانت كبيرة إذ تتكون من أربعين ألف جندى بأسلحتهم ومعداتهم الحديثة، وطائراتهم التى كانت تستعمل لأول مرة، بالإضافة إلى الأساطيل التى كانت تحمل هذه الأعداد إلى طرابلس كما تحمل وسائل معاونة للحياة فى ليبيا من حفارات ضخمة لحفر الآبار، مصحوبة بالحفارين اللازمين لها، وغير ذلك من الفنيين فى سائر المجالات.

ويذكر " جيوليتى " إن أول قوة غازية من الإيطاليين تتحرك إلى طرابلس كانت تتألف من 34 ألف جندى ، و6300 دابة ، و1050 ناقلة جنود، و48 مدفعًا صحراويًا ، و 34 مدفعًا جبليًا، وأنه عندما أدركوا أن هذه القوات غير كافية أضافوا إليها 55 ألف جندى يمثلون فرقة منطاد ثابت مع طاقم طيران حتى أصبحت القوة التى وصلت إلى طرابلس 100 ألف جندى فى نهاية العام 1911 إفرنجى[2] ، كما تم إحصاء ما أنفقته الحكومة الإيطالية خلال ثلاثة عشر شهرًا - من بداية الغزو وحتى نهاية العام الحالى 1912 - حوالي 766 مليونًا من الجنيهات بواقع 58 مليونًا كل شهر ، أو مايقرب من مليونين فى كل يوم[3] هذا فى الوقت الذى كان فيه عدد

---

(1) الطاهر الزاوى . جهاد الليبيين فى ديار الهجرة . مكتبة الفرجانى ، طرابلس 1964، ص 40 .

- الأرشيف الأمريكى. م1 ج4 ترجمه من الفرنسية (شمس الدين عرابى) عريضة اتهام وزارة حقى باشا. الوثيقة رقم 2 المرفق (1). مركز دراسات جهاد الليبيين، طرابلس 1989 . صفحات 48، 49، 50.

(2) المصدر نفسه. وثيقة رقم 44 ص417

(3) مذكرات أنور باشا فى طرابلس الغرب ، تقديم وترجمة عبدالمولى صالح الحرير ومراجعة د. حبيب وداعة الحسناوى، طرابلس ، مركز البحوث ودراسات الجهاد الليبي 1979 ص190 .

قوات الأتراك العثمانيين فى كل من طرابلس وبنغازى فى أول مايو عام 1911 إفرنجى وحسب ما أورده جيوليتي - يصل إلى حوالي 4800 جندى ، 2000 بندقية ومدفعية قديمة وضعيفة غير مؤهلة لعرقلة الإنزال الإيطالي. وبصفة عامة فإن التحصينات الساحلية الليبية لم تكن بالكفاءة التى تمكنها من الصمود أمام المدفعية الإيطالية البحرية. والواقع: فإن عبء المقاومة قد نهض به منذ اللحظة الاولى أبناء البلاد الليبيون ، واستمروا فى النهوض به حتى نهاية الجهاد ، ولانرغب بذلك أن ننقص من إخلاص بعض الضباط الأتراك والجنود الذى شاركوا فى الجهاد حتى منتصف عام 1913 م .

والمعارك الكبرى التى وقعت فى الفترة الأولى من الجهاد فى كل من برقة وطرابلس - وقبل عقد معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية وإيطاليا - تقف شاهدة على ذلك، إذ أن معظمها كان بقيادة ضباط أتراك[1] .

ومن هذه المعارك : درنة والكويفية والهوارى (النخلتين او سوانى بن عبد الغنى) وسيدى عبدالله وقصر اللبن فى برقة فى عام 1911 / 1912 ومعارك الهانى والمرقب وعين زارة وابو كماش وسيدى على وغيرها من المعارك فى طرابلس .

بل إن بعض هذه القيادات التركية استمرت فى قيادة المقاومة حتى بعد معاهدة الصلح، كما حدث فى المعارك التى قادها أنور بك وعزيزبك المصرى[2].

لقد ساد فى الأيام الأولى من الحرب فى الأوساط السياسية التركية اعتقاد بعدم جدوى مقاومة الغزو الإيطالي للشمال الإفريقي ، فقد أعلن وزير الحربية التركى " محمود شوكت " فى الجلسة التى عقدها مجلس الوزراء التركى فى ليلة 30/29 سبتمبر عام 1911 إفرنجى آن تركيا فقدت طرابلس وبرقة وأنه لاجدوى من التضحية بالجنود الأتراك فى سبيل قضية خاسرة[3] . كما أعترف "سعيد باشا " - أثناء المناقشة التى حدثت فى البرلمان فى 19 أكتوبر 1911 بأن تركيا ليس لها من القوة ما يمكنها من الاحتفاظ بطرابلس وبرقة ، وأن المهمة الرئيسية تكمن فى تجنب خطر إثارة المسألة الشرقية بكل أبعادها ، وأن الإتحاديين الذين كانوا يخشون من أن تؤدى الحرب إلى تعميق أزمة الإمبراطورية العثمانية كانوا فى بداية الأمر مستعدين للتوصل مع إيطاليا إلى حل وسط على أساس أن تدفع لهم تعويضًا نقديًا

---

(1) خليفة محمد التليسى ، معجم معارك الجهاد الليبي من 1911 - 1931 ،دار الثقافة، بيروت ، من ص23-26 .

(2) مذكرات الضباط الأتراك ، مرجع سابق ، ص 199 .

وأيضًا: جون ريمون ، من داخل معسكرات الجهاد فى ليبيا ترجمة محمد عبدالكريم الوافي- طرابلس 1979 ، ص199.

(3) مذكرات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا مرجع سابق ،ص 199.

- مجيد خدورى . ليبيا الحديثة ودراسة تطورها . مؤسسة فرانكلين، سنة 1966، بيروت ، ص 21.

مقابل تخليهم عن طرابلس وبرقة.

وعلى هذا الأساس صدرت تعليمات إلى القوات العثمانية لتجنب الصدام المسلح مع القوات الإيطالية؛ فانسحبت إلى الدواخل بعد أن انضم إليها الشعب الليبي [1] ولقد كانت الدوائر السياسية الحاكمة فى إيطاليا تأمل فى استغلال التناقضات القائمة بين السلطات التركية والقبائل العربية لجذب هذه القبائل إلى جانبها ، وقد حاول سياسيو إيطاليا وقادة بنك روما إقامة علاقات مع قادة الحركة السنوسية فى برقة، ومع زعماء القبائل العربية . ولم يبخلوا بالنقود فى سبيل ذلك بل أرسلوا لهم الأسلحة قبل وصول الحملة[2] بل وصدرت تعليمات لوحدات الحملة الإيطالية بإحترام ممتلكات السنوسية، لأجل عدم إثارة التعصب الدينى، وأمرهم بإستخدام كل الوسائل لدفع السكان العرب للوقوف فى صف النظام الجديد أو على الأقل دفعهم للوقوف على الحياد ، ولقد كشف رئيس مكتب العلاقات الإيطالية فى مصر " انريكو أنساباتو " عن الكثير من المراسلات التى دارت بينه وبين زعيم السنوسيين فى برقة " أحمد الشريف "[3].

وقامت السلطات الإيطالية بمجرد احتلال مدينة طرابلس، والنقاط الساحلية الأخرى بإصدار بيانات مغرية، وعدت فيها بإحترام حياة السكان المحليين وممتلكاتهم ودينهم ، وبإلغاء التجنيد العسكرى والاتاوات وتحسين الأحوال الاقتصادية وما إلى ذلك ، وكان أحد هذه البيانات التى تبعث على السخرية والضحك ، ذلك البيان الذى أعلنه ملك إيطاليا يبشر فيه الليبيين بالحكم الجديد الذى سوف يوفر لهم " القابلات لكى تلد نساؤهم والحلاقين لكى يحلقوا شعورهم ..... وأنهم سوف يعيشون فى سعادة "[4].

ورغم كل ذلك فلقد قابل سكان طرابلس وبرقة المعتدين الإيطاليين بعداء شديد ، بإستثناء بعض الأعيان فى كل من طرابلس وبنغازى والذين انضموا للعدو المحتل الذى قام بإعمال السيوف والرصاص فى مواطنيهم العزل فكانت مذبحة المنشية [5] التى راح ضحيتها أربعة آلاف مدنى عزّل من السلاح، بالإضافة إلى هتك الأعراض ونهب الأموال من الشعب الليبي .

وهكذا أدى العدو الإيطالي إلى تفجر حركة التحرر الوطنى فى كل من طرابلس وبرقة، فجرت فى نهاية شهر سبتمبر 1911 مظاهرات سياسية عفوية، وتألفت وحدات نضالية مسلحة من المدنيين ، وكان تسجيل المتطوعين يجرى بمصاحبة مواكب تقرع فيها الدفوف

---

(1) مذكرات الضباط الأتراك ، نفس المرجع السابق ، ص 201 .

(2) ز.ب باخيموفيتش ، الحرب التركية الإيطالية (1911 – 1912) بنغازى ، 1977م ، ص 61 .

(3) انساباتو ، مرجع سابق ، ص 168 .

(4) منشور كانيفا لأهالى طرابلس الذى أعلنه فى 5 نوفمبر 1911 الأرشيف الأمريكى – م2 وثيقة رقم 8، ص145.

(5) محمد إبراهيم لطفى،تاريخ حرب طرابلس، مطبعة الأمير فاروق ، بنها –مصر ، ط1 سنة 1946، ص32 .

والصنوج وتغنى الأناشيد الوطنية[1].

وكان سكان طرابلس وبنغازى وغيرها من المدن الساحلية يجمعون التجهزات والذخائر التى كانت الوحدات التركية قد تركتها فى تراجعها، وكان قد عقد فى الخامس من أكتوبر عام 1911 بجامع القرمانللى (أحمد باشا) اجتماع كبير أبدى فيه المجتمعون استعدادهم للتضحية بحياتهم دفاعًا عن الوطن[2] .

ولقد حدثت فى الأيام الأولى للغزو إنتفاضات شعبية: فأقتحم فقراء المدينة وضواحيها ، الدوائر الحكومية وأخذوا يمزقون وثائق مؤسسات القضاء والضرائب ، وأطلقوا سراح المعتقلين فى السجون وحطموا المخازن والحوانيت ، وأخافت هذه الانتفاضة أعيان طرابلس وعلى رأسهم أنجال الأسرة القرمانلية فتوجهوا إلى قناصل الدول الأوربية وإلى القيادة الإيطالية يطالبونها بالتعجيل بإنزال قواتها إلى المدينة لإعادة النظام إليها ، وحدث نفس الشيء فى كل من بنغازى والخمس ودرنة وغيرها[3].

وكان الغزو قد بدأ فى اليوم الأول من أكتوبر عام 1911 م بتحرك الأسطول الحربى الإيطالي من ميناء نابلى صوب جنوب البحر المتسط يحمل المستعمرين الإيطاليين ، وسارت فى المقدمة أربعة سفن حربية قوية ، يحيط بها ستارمن الزوارق الحربية والمدمرات وقوات الطوربيد ، وكانت أقرب سفن عثمانية إلى الاسطول الإيطالي ، تلك المتواجدة على الساحل الألبانى والتى تتكون من أربعة طوربيدات وسفينتين مدرعتين فى الدردنيل، وأسطول ضعيف كان متجهًا من بيروت نحو غرب البحر المتوسط[4] .

وكان الإيطاليون واثقين من سيطرتهم على البحر، ولكنهم لم يتعرضوا للأسطول التركى الذى تأكد أنه متجه إلى الدردنيل ، فقد كان فى رأي القيادة الإيطالية أن التعرض لهذا الأسطول فى رحلته من بيروت للدردنيل – حيث التعاريج والمسالك الملتوية – ليس بالأمر السهل ، ثم أنه من الممكن – فى أثناء تورط القوات البحرية الإيطالية فى مثل هذه المطاردة – أن توجه ضربة خاطفة من الطرادات السريعة التى ترسو فى ميناء قريب من خطوط سير الحملة ، ومثل هذه الضربة ينتج عنها تفرق وسائل النقل الإيطالية ، وذلك يؤدى بطبيعة الحال إلى خسارة يكون لها أثر كبير على مستوى الرأي العام الإيطالي الذى وضع أعصابه موضع الإمتحان والتجربة بعد ستة عشر عامًا من الحرب فى الحبشة ، كما سيكون مثل هذا الحادث ذا تأثير سيء على السلم فى أوربا ، وربما يؤدى إلى إثارة "المسألة الشرقية" وهذا ما تريد

(1) ابو القاسم البارونى ، مرجع سابق ، ص 29.

(2) محمد فؤاد شكرى، مرجع سابق، ص116 أبو القاسم البارونى،مرجع سابق، ص30.

(3) ز.ب. باخيموفيتش ، مرجع سابق ، ص 63.

(4) جون ريمون ، من داخل معسكرات الجهاد فى ليبيا ، مرجع سبق ذكره.

إيطاليا تلافيه[1] . إذ أن إيطاليا تريد لعمليتها على ليبيا أن تكون محدودة ، وهو نفس الهدف الذى هيأت الرأي العام له فى أوربا والذى دعاها آن تؤكد مرارًا أمام الرأي العام الأوربى أنها لاتستهدف الدولة العثمانية بعمليتها على الشاطئ الإفريقي ، وإنما تستهدف الاستيلاء على ليبيا التى لها مصالح فيها. وإنه ليس بينها وبين الدولة العثمانية عداء[2] .

مقاومة الغزو خلال سنتى 1911 - 1912 إفرنجى

فى اليوم الثالث من أكتوبر عام 1911 توقف الأسطول الإيطالي أمام مدينة طرابلس ، وبدأ يقصف المدينة وحصونها العسكرية المتداعية طوال أيام 3 – 4 وفى يوم 5 نزلت قوة من البحارة الإيطاليين واحتلت المدينة .

وكانت الحامية التركية بقيادة " نشأت باشا " قد تخلت عن المدينة، وخرجت إلى الدواخل فى محاولة لإقامة جبهات فى المواقع الداخلية من البلاد بعد أن أقنعوا المواطنين الذين تجمعوا بأسلحتهم وأرادوا أن يدافعوا عن مدينتهم منذ اللحظة الأولى للإنزال بالتقهقر معهم . وكانت فرقة من الأسطول قد توجهت إلى" طبرق "وبدأت تضرب الحصون البسيطة بالمدينة يوم 4 اكتوبر واحتلتها – وكانت طبرق أول مدينة ليبية يتم احتلالها – وكان ذلك تنفيذًا لتعليمات السلطات الإيطالية التى كانت ترمى إلى السيطرة على المواقع القريبة من الحدود سواء كانت الشرقية مثل " طبرق " أو " الغربية مثل " زوارة " تجنبًا للمشاكل مع الدول الأوربية التى تحتل القطرين المجاورين[3].

ولقد ظلت الوحدات البحرية قائمة بطرابلس حتى نزول قوات الحملة بها يوم الحادى عشرمن أكتوبر بقيادة الجنرال " كانيفا "(*)، ولقد بادرت فور نزولها إلى احتلال آبار أبى مليانة لتأمين مصادر المياه لقواتها ، وضربت حصارًا حول المدينة يمتد من أبى" ستة " وشارع الشط حيث مبنى الإذاعة القديم ومستشفى الفاتح (إندير) حاليًا وتسير بمحاذاة الطريق الدائرى –المعروفة حاليًا باسم طريق الجلاء – عبر الهانى وسيدى المصرى وأبو مليانة – حتى تنتهى عند قرجى وباب قرقارش.

ولقد بدأ المجاهدون الطرابلسيون فى شن أولى هجماتهم على مواقع الغزاة فى يوم

(1) ايفانز بريتشارد ، سنوسيوبرقة ، ترجمة سالم عامر ، مكتبة الفرجانى ، طرابلس سنة 1971 ، ص 168. وأيضًا – جون رايت ، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور ، ترجمة عبد الحفيظ.الميار و أحمد اليازورى، الفرجانى ، طرابلس ، 1972، ص140 .

(2) إيفانس بريتشارد ، مرجع سابق ، ص 178 ، وأيضًا جوليتى ، مرجع سابق، 73 .

(3) –Aresy. Campagna di libia ministero della guerra. vol. L. (1922,1923,1924) Roma,PP.180
الأرشيف الأمريكى م1 مرجع سابق ص104 .

(*) صورة للإنزال البحرى الإيطالى بطرابلس (تجدها فى نهاية الكتاب).

الثالث والعشرين من شهر آكتوبر 1911 من الأمام ، بينما هاجم سكان المناطق الداخلية الواقعة داخل الجبهة المحتلة من الخلف، فكانت معركة الهانى شارع الشط والتى تعرض فيها العدو باعترافه إلى خسائر فادحة والتى جعلته يقوم بأعمال انتقامية كثيرة ضد الأهالي العزل من السلاح، حيث قتل أعدادا كبيرة وقبض على أعداد أخرى ووضعهم فى السجون. ولما ضاقت بهم أرسل عشرات منهم إلى السجون الإيطالية التى توجد فى الجزر المهجورة[1].

ولكن ذلك لم يحل دون قيام المجاهدين بهجوم جديد على مواقع العدو بعد هذه المعركة بثلاثة أيام ، ففى يوم 26 من نفس شهر اكتوبر 1911إفرنجى جرت معركة " الهانى – أبو مليانة" وهى من المعارك الكبرى فى تاريخ الجهاد، اضطرت القوات الإيطالية فى أعقابها إلى تضييق جبهتها، وخاصة عند المنطقة الشرقية (شارع الشط)(*) وظلت داخل هذا النطاق المحدود حتى يوم 26 نوفمبر عام 1911 حيث حاول الإيطاليون بعد وصول قوات إضافية اليهم آن يستعيدوا خطوطهم الدفاعية السابقة، ويوسعوا المجال أمام قواتهم التى ظلت فى حيز ضيق محدود منذ نزولها مدينة طرابلس ، فزحفت التشكيلات الإيطالية على تجمعات المجاهدين ، فحدثت المعركة الثالثة فى نفس الموقع (الهانى) الذى حدثت فيه المعركتان السابقتان (الهانى – شارع الشط) ، (الهانى – أبو مليانة) ولقد دارت معركة (الهانى – سيدى المصرى) وكانت معركة عنيفة لم تتمكن القوات الإيطالية أن تحقق من ورائها سوى استعادة خطوطها الدفاعية السابقة[2].

ويعلق القائد الإيطالي " آرسي" فى كتابه Campagna di Libia على هذه المعارك بقوله: "إن المعارك تدور كلها حول الهانى وخطوطنا تكون شبه مربع حول الجبل ، والعرب يحاولون الإحاطة بها وعددهم يصل إلى حوالي ثلاثة آلاف لاتفصلنا عنهم إلاّ ثلاثمائة ياردة، إنهم يهجمون ويرتدون ويكررون الهجوم من جديد وهكذا ، وفى كل مرة كانوا يركزون هجومهم على المناطق التى يعتقدون أنها ضعيفة فى خطوطنا، وما أن نصدهم حتى يعودوا بقوة أشد مرة ثانية . وكانت بنادقنا الرشاشة المغروسة من الهانى حتى شارع الشط تزرع رصاصها على المنطقة وتنشر الموت فيها ولكن العدو لم يتوقف قط ، فركّزت مدفعيتها على كل شيء واقف من حيطان وغيرها حتى تسويه بالأرض ، وتطايرت الجثث فى السماء ، ولكن نيران العرب

---

(1) خليفة التليسي ، مرجع سابق ، ص: 25 – الأرشيف الأمريكى م1 مرجع سابق ص106.

– ورد بجريدة الأهرام المصرية (28 نوفمبر سنة 2002 أنه تم العثور على خمس وثائق لم تنشر عن معركة الهانى والشط غطت جوانب متعددة من هذه الملحمة البطولية – مودعة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس.

(*) صور شمسية لمعركة شارع الشط.

(2) خليفة التليسي ، مرجع سابق ، ص: 29.

لم تتوقف[1].

وظلت القوات الإيطالية تحاول الخروج من الحصار المضروب حولها إلى أن وقعت معركة "عين زارة" فى 4 ديسمبر 1911 حيث أحبط المجاهدون محاولة القوات الإيطالية فى التوسع، وفى النهاية تمكن الإيطاليون فى يوم 13 ديسمبر 1911 من الخروج من الحصار المضروب عليهم، واحتلال تاجوراء، وكان أقصى اتساع نحو الشرق (حوالي 25 كم شرق طرابلس)[*] بينما لم تستطع أن توسع دائرة احتلالها نحو الغرب إلا بعد ثلاثة أشهر من النزول حيث حرصت على احتلال قرقارش، لتأمين استخراج الصخور لاستخدامها فى بناء منشآتهم العسكرية فشنت يوم 18 يناير عام 1912 هجومها على المجاهدين، وسيطرت على الموقف فى بداية الأمر ، إلاّ أن المجاهدين تغلّبوا عليهم إلى أن وصلتهم إمدادات كبيرة . وفى درنة تم الإنزال يوم 18 أكتوبر ، بعد أن قام الأسطول بقصف المدينة يوم 16 أكتوبر، ودمر حصونها وطلب استسلام الحامية التركية الصغيرة بها ، ولم يحتلها إلا بعد وصول قوات الحملة يوم 4 نوفمبر ، وكانت الحامية التركية والمجاهدون قد خرجوا من المدينة وتحصنوا بالمرتفعات الجبلية التى تشرف عليها وأجبروا الإيطاليين على الانحسار فى نطاق ضيق والقيام بأعمال دفاعية كبيرة لصد الهجمات المتتالية التى أخذوا يتعرضون لها .وقد كانت درنة مسرحًا للكثير من المعارك الهامة التى جرت قبل الصلح ومن أشهر هذه المعارك معركة سيدى عبدالله فى14 سبتمبر 1912 ومعركة قصر اللبن فى 17 سبتمبر عام 1912، وقد استمرت الحرب فى منطقة درنة حتى بعد إبرام الصلح بين تركيا وإيطاليا ، إذ رفض الضباط الأتراك الموجودون الأخذ بفكرة الصلح واستمروا فى القتال ، وأقنعوا السيد أحمد الشريف بتولى قيادة الجهاد فى هذه المرحلة ، وكانت درنة على أحسن الكفاءات العسكرية المخلصة ، كما كانت مركزًا للمعارك الهامة التى جرت بعد الصلح فى عام 1913 ومنها معارك " سيدى كريم القرباع " فى 16 مايو 1913 م ومعركة الطنجى فى 18 يونية[2] وكان الإيطاليون يعلقون أهمية كبيرة على إحتلال درنة منذ اليوم الأول للغزو؛ لأنها تعتبر مركز بحرى مهم، كما أنها بمثابة مفتاح الصعود إلى الجبل الأخضر والمناطق الشرقية بصفة عامة إلا أن المقاومة الليبية عاقتهم عن تحقيق ذلك[3] .

وفى يوم 18 أكتوبر وصلت الحملة إلى بنغازى وكانت بقيادة الجنرال " بريكولا " وأصلت الميناء بقذائف نيرانها عند موقع " جوليانا " الشاطئ الرملى ، ونزلت هناك فى اليوم التالي ، وقاومتها هجمات الليبيين عند نزولها ، ولم تمكنهم من توسيع رقعة احتلالهم ، فلم يحتل

---

(1) Arsy, Campagna. di Libia. vol. L. P.P. 134-140

(*) خريطة للجبهة الإيطالية بمدينة طرابلس كما تبدو يوم 26 نوفمبر 1911

(2) محمد فؤاد شكرى ، مرجع سابق ، ص150 .

(3) خليفة التليسي ، مرجع سابق ، ص: 27.

الغزاة سوى ثكنة البركة والمناطق المجاورة لها . وفى يوم 20 آكتوبر وبعد قصف شديد طوال الليل وعلى أضواء الأنوار الكاشفة - لإثارة الرعب لدى الأهالي - تمكنت القوات الإيطالية من دخول المدينة بعد انسحاب قوات المقاومة والتى كونت بعد انسحابها ما يشبه الطوق حول القوات الإيطالية والتى ظلت حبيسة هذا الطوق لعدة شهور[1] .

ومن آشهر المعارك التى دارت حول بنغازى "معركة الكويفية" (28 نوفمبر 1911) ومعركة الهوارى (12 مارس 1912) والمعركة الأخيرة تعرف فى المصادر الإيطالية باسم معركة النخلتين آو سوانى عبدالغنى ، ثم معركة بنينة التى جرت فى 13 آبريل 1913 بعد الصلح[2] .

آما بالنسبة لمدينة الخمس، فقد وصلتها القوات الحربية الإيطالية صباح يوم 17 آكتوبر 1911 وبعد آن طلبت استسلام الحامية التركية آعطتها مهلة حتى الواحدة ظهرًا . ثم باشرت قصف المدينة شرقًا وغربًا بقصد تفريق تجمعات المجاهدين الذين وفدوا من الدواخل ، وبعد القصف لم تستطع القوات الإيطالية النزول إلى الشاطئ إلا يوم 21 آكتوبر وهى مستمرة فى القصف من حين إلى آخر .

وكانت الحامية التركية قد اضطرت إلى الخروج من المدينة؛ حيث اتخذت مواقعها فى مرتفع " المرقب " حيث معركة " المرقب " الشهيرة يوم 23 من آكتوبر 1911 وتتابعت بعد ذلك المعارك حول المرقب مما اضطر القائد الإيطالي إلى طلب الدعم . فأبلغه القائد العام (كانيفا) بتعذر إرسال آي دعم: بسبب الموقف الحرج فى طرابلس، وعنف المقاومة التى يتعرض لها الإيطاليون هناك ، وخوّل له تقرير الانسحاب فى ساعة الخطر[3] . هذا ولقد شارك "الشيخ محمد فرحات الزاوى " وهو من قيادات منطقة الزاوية فى قيادة أولى المعارك التى جرت فى طرابلس وهى معركة " شارع الشط " التى سبق الكلام عنها، وكان قد نجح فى دعوة المجاهدين . وعمل على تجميع قواتهم معلنًا لهم أن الاستشهاد يكون أقرب من الحياة لعلمه بمدى قوة أسلحة العدو، ومقارنة ببساطة أسلحة المجاهدين؛ ودعاهم إلى الوقوف لصلاة الجنازة على أنفسهم قبل الانضمام فى صفوف الحرب عند اقترابهم من مواقع العدو فى الصباح الباكر من يوم 23 آكتوبر 1911 م[4].

وفى يوم 21 من مايو 1912 جرت معركة " لبدة " شرقى الخمس وبعد أقل من شهر (فى 12

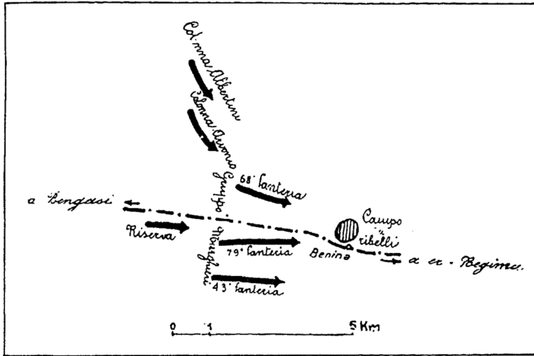
---

(1) خليفة التليسي ، مرجع سابق ، ص: 27.

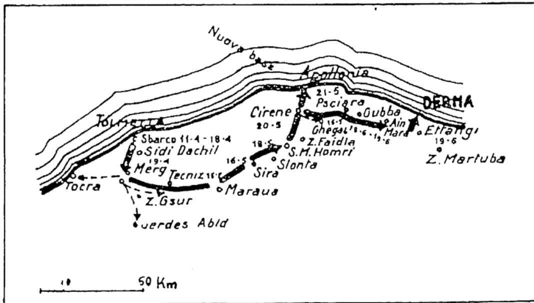
(2) الموسوعة العسكرية الايطالية (المواد الخاصة بالحروب والمعارك) وهى تسجل معارك ما قبل الحرب Tripoli E Cirenaica El azione Italiana pp.556.I.

(3) خليفة محمد التليسي، مرجع سابق ، ص: 49. وثيقة رقم (57) بالأرشيف الأمريكي م2 مرجع سابق ص77.

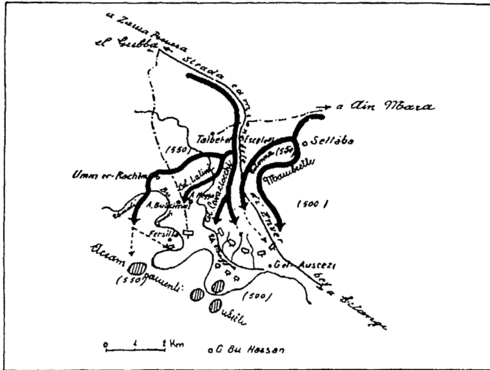
(4) محمد إمحمد الطوير . الشيخ محمد فرحات الزاوي أحد قادة الجهاد الليبي ضد الغزاة الإيطاليين . دار الجماهيرية. طرابلس . ليبيا . 1993 . ص: 24 . 25.



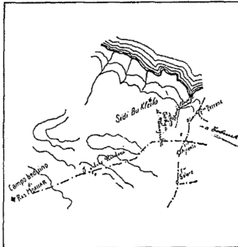
معركة بنينة (١٣/٤/١٩١٣)



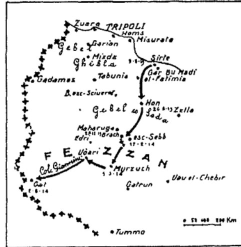
حملة تاسونى فى الجبل الأخضر (١٩ أبريل - ١٩ يونيو ١٩١٣)



معركة عين بو شمال (١٩١٣/١٠/٦)



معركة رأس المدور ١٩١٣/٧/١٨



حملة ميانى لاحتلال فزان
(١٩١٣/٨/٩ -١٩١٤/٨/١٢)

يونيو) عاد إلى نفس الموقع المجاهدون. ودارت معركة طاحنة تعرف فى الوثائق الإيطالية باسم هضاب لبدة .

وفى ربيع 1912 اتجهت قوات الغزو إلى المناطق الساحلية نحو الغرب ، حيث كان من المقرر منذ بداية الحملة أن تقوم القوات الإيطالية بالنزول فى زوارة للسيطرة على الحدود الغربية (مع تونس) كما سبق ذكره، وذلك بفرض الرقابة على حركة تهريب الأسلحة إلى المجاهدين كالوضع فى طبرق تمامًا، ولكن الأحداث التى أحاطت بالقوات الإيطالية فى معارك طرابلس والخمس دفعتهم إلى تأجيل هذا النزول إلى موعد آخر ، وعندما قرروا ذلك ترامت إليهم أنباء عن سيطرة المجاهدين على المنطقة، وقيامهم بالتجمع حولها من جميع المناطق المجاورة مما دفع الإيطاليين إلى الاحتياط، وتفضيل النزول بجزيرة (فروة) لما توفره من ضمان التراجع والانسحاب إلى السفن الحربية عند اللزوم وسهولة الوصول إلى البر أو البحر في أي وقت. كما أن الجزيرة خالية من السكان. ولقد أعلنوا عن تبرير مخالف لذلك تمامًا؛ لتغطية عجزهم عن اقتحام " زوارة "[1].

ونزلت بالفعل يوم 11 إبريل 1912 م القوات الإيطالية إلى جزيرة "فروة " وفى يوم 12 (اليوم التالي) وجّهت قسم من قواتها إلى موقع "أبوكماش" على البر لاحتلال الحصن التركى هناك . وما كادت تفعل ذلك حتى تجمّع حولها المجاهدون من كل مكان وأخذوا يتحرشون بهم وقطعوا عليهم خط الاتصال مع قواعدهم فى " فروة " فكانت "معركة آبو كماش " الأولى يوم 13 إبريل عام 1912 . ومعركة آخرى فى نفس الموقع يوم 23 من نفس الشهر. وظل موقف الإيطاليين محفوفًا بالخطر وعرضه للمضايقات المستمرة حتى أواخر يونية من نفس العام . فبقوا فى " فروة وآبو كماش " لايستطيعون الخروج منها إلا بعد أن وصل المزيد من الدعم العسكرى فاشتبكوا مع المجاهدين فى معارك " سيدى سعيد " ثلاثة أيام متواصلة من 26 يونية إلى 28 منه 1912 احتلّ بعدها الإيطاليون مرتفع " سيدى سعيد " بعد مصادمات ضارية اعترف بها العدو فى وثائقه[2].

وكان المجاهدون حين علموا بزحف القوات الإيطالية شرقًا من " أبى كماش " تحت قيادة الجنرال " غاريونى " فى يوم 26 يونية ، اسرعوا إلى آرض المعركة التى تركّزت حول سيدى سعيد(*) ، وكان كل من الشيخ فرحات الزاوى و" محمد سوف وسليمان الباروني "

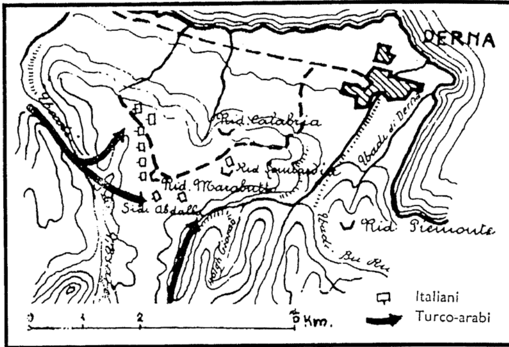
---

(1) محمد امحمد الطوير . الشيخ فرحات الزاوي . مرجع سبق ذكره .

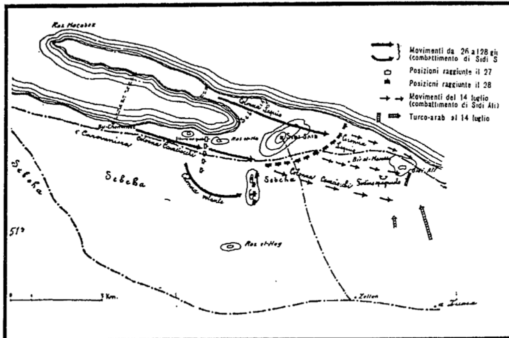
(2) campagna di libia. La formazione de L " Impero Coloniale, Milano, 1930, PP 384-385. أيضًا انظر تقرير الجنرال غاريونى ضمن الوثائق الموجودة بصفحات من 407–413

- Enciclopedia Miltare Italiana , vol. I PP.,24.

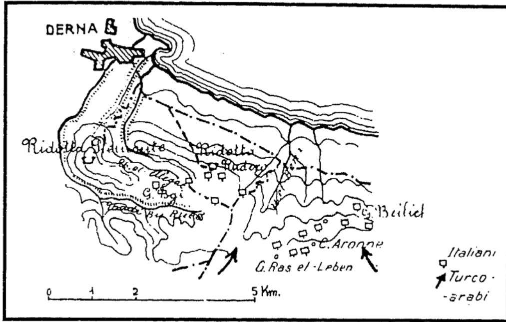
(*) خريطة لمعركة سيدي سعيد وأيضًا وثيقة رقم 76 من الأرشيف الأمريكي م2 مرجع سابق ص21.



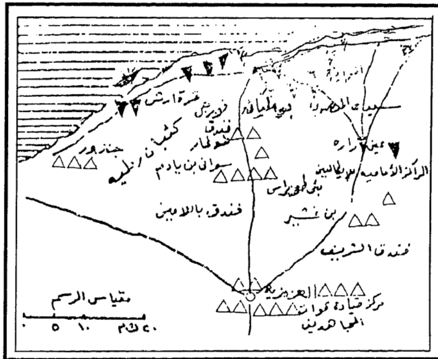
معركة سيدى عبد الله (درنة ١٩١٢/٣/٣)



معركة سيدى سعيد (٢٤-١٩١٢/٦/٢٨) ، ومعركة سيدى على (٧/١٤)



معركة رأس قصر اللبن (١٩١٢/٩/١٧)



الموقف العسكرى حول طرابلس فى فبراير ١٩١٢

طراد حربى إيطالى — التحصينات الإيطالية — معسكرات المجاهدين

يعملون جنبًا إلى جنب مع القائد " موسى اليمنى " وهو من أبناء اليمن العربى الشقيق والذى كان القائد الأعلى لهذه المعركة التى استمرت ثلاثة أيام واستشهد فيها من المجاهدين 700 شهيد ، وعند انتهاء هذه المعركة أرسل "غاريونى" برقية إلى "جيوليتى" يقول فيها : "عند الساعة الثامنة والنصف ارتفعت رايتنا المجيدة عند (سيدى سعيد) التى انتزعناها من عدو كبير العدد كان قد تحصن بها ، وذلك بعد معركة كبيرة ساهمت فيها كل القوات العاملة تحت امرتى ". ولأهمية هذه البرقية قام جيوليتى بقراءتها على أعضاء مجلس الشيوخ الإيطالي ، وأسندت القيادة الإيطالية إلى الجنرال " ليكيو " مهمة الاستمرار فى مهاجمة المجاهدين .

هذا ولقد تحول المجاهدون بعد ذلك إلى مواقعهم الدفاعية عند " زوارة " فى "سيدى على" ويبعد الموقع الأخير عن الأول بستة كيلو مترات ، ولم تتحرك القوة الإيطالية نحوه إلا بعد أسبوعين حيث نشبت يوم 14 يوليو 1912 معركة (سيدى على) التى تمكنت القوات الايطالية بعدها من احتلال " زوارة " ودخولها فى 6 اغسطس 1912 ولم يُطل بالإيطاليين المقام فى المواقع الجديدة المحتلة حتى شعروا بالخطر الذى يمثله تجمع المجاهدين فى منطقة " رقدالين " و "الجميل" وما تسببه المضايقات المستمرة من خسائر: فتحركوا بقوة كبيرة نحو "رقدالين" حيث جرت معركة " سيدى عبدالصمد " المعروفة فى 15 اغسطس 1912 والتى دارت رحاها فى أكثر من جهة من هذه المنطقة مما جعلها متعددة الأسماء، فهى تعرف باسم رقدالين"و" المنشية""والجميل "وكانت كلها من مواقع المعركة ومراحلها[1].

وكانت "مصراتة" أيضًا من الأهداف المهمة والرئيسية للغزو، وكان من المفروض أن يتم احتلالها منذ بداية الحملة على طرابلس وغيرها من المدن التى تقع على الساحل ، ولكن المصاعب التى اعترضت احتلال كل من الخمس وطرابلس اجّلت احتلال مصراتة إلى شهر يونيو 1912 فلقد تحركت السفن الحربية من طرابلس لاحتلال مصراتة واتخذت لها وجهة مخالفة للاتجاه الصحيح للتضليل ، ولذلك وصلت مصراتة يوم 16 يونية، وكانت قد تحركت يوم 15 ، وفور وصولها إلى شاطئ مصراتة قامت بقصف الساحل لإثارة الرعب لدى المواطنين وتغطية عملية انزال الجنود على الشاطئ[2] .

ولما حاولت القوات الإيطالية الزحف إلى داخل المدينة عند" الزروق " وقعت هناك مقاومة عنيفة من قبل المجاهدين الذين تجمعوا فى هذا الموقع ، ولقد اعترف الجنرال " كاميرانا"

---

(1) خليفة محمد التليسى ، معجم معارك الجهاد فى ليبيا من (1911- 1931) مرجع سابق ص 315 .

(2) La formazione de L'impero . p . 384 - 385

وأيضًا تقرير الجنرال غاريونى من 407 أي 413 .

قائد الحملة على مصراتة" بهذه المقاومة فى تقريره عن المعركة فقال : " إن القتال قد اتخذ على الفور[1] ملامح المعركة الحقيقية ولم نتمكن من التوغل داخل المدينة إلا يوم 8 يوليو عام 1912 م". ونعود إلى طرابلس لنعرف أن أهم المعارك التى حدثت فيها عام 1912 م أو بالتحديد الفترة التى نزل فيها العدو مصراتة ، قد حدثت فى يوم8 يونية 1912م معركة " سيدى عبد الجليل غربى طرابلس والتى كان العدو يهدف من وراء هجومه على هذا الموقع تشتيت تجمعات المجاهدين وإبعاد خطرهم عن طرابلس، وتحقيق توسع نحو الغرب يمهّد للسيطرة على الشريط الساحلى الغربى. ويوصل بين مواقعهم فى زوارة وطرابلس[2] .

ولا أدل على عنف مقاومة الليبيين من أن نذكر، أن معركة أخرى تبعد فى مكانها عن المعركة السابقة بحوالي ثلاثة كيلو مترات عند موقع يسمى "سيدى بلال" حدثت يوم 20 سبتمبر من نفس العام. وهذا يعنى أن العدو قد استغرق حوالي ثلاثة آشهر لكى يتحرك ثلاث كيلو مترات فقط[3].

وهكذا يتبين لنا كيف تحول الساحل الليبي فى مواقعه المهمة إلى ميادين للمعارك الحامية التى كانت تجرى به فى وقت واحد فى كل من "طرابلس وبنغازى ومصراتة والخمس وطبرق وزوارة" . ومن الواضح آن الاستراتيجية الحربية الإيطالية قد تعمدت فتح هذه الجبهات المتعددة بقصد السيطرة السريعة العاجلة على الشاطئ وما به من مدن مهمة، وتشتيت جهود المقاومين للغزو ، ومع ذلك فإن السلطات الإيطالية العسكرية لم تستطع تحقيق ما كانت تحلم به ، إذ آنه عند توقيع معاهدة الصلح فى 18 أكتوبر 1912 م وبعد مقاومة قصيرة، كان الاحتلال الإيطالي قاصرًا على المواقع الآتية من الساحل فقط :

1- مدينة مصراتة .

2- مدينة الخمس والمرقب ولبدة .

3- مدينة طرابلس حتى تاجوراء شرقًا وسيدى بلال غربًا وعين زارة جنوبًا.

4- مدينة بنغازى وبعض الضواحى المجاورة لها.

5- مدينة زوارة حتى أبو كماش غربًا والجميل ورقدالين شرقًا وجنوبًا.

6- مدينة طبرق .

7- مدينة درنة.

---

(1) جيوليتى - مرجع سابق . ص 108 .

(2) La formazione de L'impero . pp .387

(3) حليفة محمد التليسى مرجع سابق ص 296 .

أصداء الغزو داخل إيطاليا والعالم:

كان ملك إيطاليا " فيكتور عمانويل" قد أصدر في الخامس من نوفمبر من العام الأول للغزو مرسومًا ملكيًا بوضع منطقتي طرابلس وبرقة تحت حكم التاج الإيطالي(*) رغم أن القانون الدولي لايعترف بالسيادة على منطقة غير مفتوحة بالكامل أوغير مقهورة (1) . ولم يكن الإيطاليون يتوقعون أن يقاومهم الشعب الليبي مثل هذه المقاومة المستميتة ، ولم يرحب الليبيون بالإيطاليين كما كان متوقعًا بل أنضم الليبيون إلى الأتراك في جهاد ضد الغزاة، ولم يعتبروا الإيطاليين منقذين لهم من عسف الأتراك كما كانوا يتوقعون ، وكانت الرابطة الدينية إلى جانب حب الوطن هي التي دفعت بالليبيين للقتال جنبًا إلى جنب مع الأتراك(**) لإنقاذ الوطن من العدو الصليبي ، مفضلين أن يكونوا رعايا لحاكم إسلامي ظالم على أن يصبحوا مواطنين أوربيين أو أن يحكمهم مسيحيون(2) ولم تعد إيطاليا – كما تصورت – بقادرة على اعتبار حملتها على ليبيا كنوع من العرض في يوم عيد(3).

ولقد كان معظم الإيطاليين والأحزاب السياسية شديدي التحمس للغزو على الأقل إلى أن بدأت قوائم الخسائر تزيد عددا والقتلى تكثر قوائمهم ، ولقد هاجم"موسيليني" الغزو في ذلك الوقت . وكان ذلك قبل أن يصبح معروفًا بدوره الاستعماري الدكتاتوري العنيف، وكان سنه وقت الغزو ثمانية وعشرين عامًا وكان اشتراكيًا في مبادئه . حتى أنه قال وقتها: "يجب على كل اشتراكي شريف الأيوافق على هذا الغزو على ليبيا: لأن ذلك يعني عدم الجدوى وسفك الدماء(4).

وكانت صحيفة " التايمز اللندنية " قد نشرت في أعقاب الانتقام الذي أنزله الإيطاليون بالعرب المسلمين في طرابلس – بعد معركة (الهاني – شارع الشط) – أن بوابات لفيضانات الدم والشهوة للقتل قد فتحت ، وكان ذلك الانتقام نتيجة لهجمات المجاهدين المسلحين على الإيطاليين المتكررة(5).

وكان رد الفعل العالمي نحو الغزو أكثر عداء مما كان يتوقعه الإيطاليون ، لابسبب الغزو نفسه بل لأن الحرب بين إيطاليا وتركيا ، كانت تعتبر تهديدا لتوازن القوى الحساس

(*) صورة الإعلان الصادر في 5 نوفمبر بضم ليبيا إلى إيطاليا.

(1) E. Evans Pritchard (IBID) P.114

(**) صور للأتراك والعرب على أرض المعارك.

(2) محمد فؤاد شكري ، مرجع سابق . ص 128 .

(3) جيوليتي . مرجع سابق . ص 100 .

(4) جون رايت . مرجع سابق . ص 218 .

(5) مجيد خدوري . مرجع سابق . ص54 .

فى البلقان وقتها، وبالتالي تهديدًا للسلم الأوربى ، وفى بريطانيا اعتبرت صحيفة التايمز. أن العدوان الإيطالي على تركيا لم يقدم تعليلاً مناسبًا لمثل هذا العمل العنيف المتطرف[1].

ولقد كان يخشى من أن يثير احتلال ليبيا رد فعل لدى المسلمين فى الهند وغيرها من الدول الإسلامية ، وبعد أشهر قليلة من الغزو عبر سفير بريطانيا فى روما عن تخوفه من أن تستغل ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي من قبل الألمان ، أو أن يكون سببًا فى تكوين تحالف ألمانى تركى ضد سيطرة بريطانيا على مصر وهذا ما حدث بالفعل فى الحرب العالمية الأولى التى كانت وشيكة . وأصبح موقف ألمانيا أكثر عداء لإيطاليا ، وخاصة عندما قامت سفينتا شحن ألمانيتان بشحن معدات وأسلحة وتوجهت إلى ليبيا ، واحتجزتهما سفينة حربية إيطالية قبل أن تترك حمولتها على الشاطئ الليبي[2].

ويقول مسؤول مكتب العلاقات الإيطالية فى القاهرة: " لقد غزيت ليبيا بسبب انطباع زائف تمامًا . فقد كان الإيطاليون واثقين من أن الليبيين لن يترددوا فى الوقوف إلى جانبهم للحرب ضد الأتراك الذين حكموهم أكثر من ثلاثة قرون ونصف. وأغرقوا البلاد فى وضع من الفساد وسوء الإدارة. " ولكن الأسلوب الأوربى فى الدعاية السياسية كان سنة 1911 م سلاحًا غير فعال وعاجزًا عن إظهار الحقيقة فى بلد تتقارب فيه السياسة من الدين كثيرًا، حيث كان ينظر إلى السلطان التركى كخليفة للمسلمين وحامى للقوة الإسلامية الجديدة المناوئة لأوربا[3].

ويفسر (جون ريمون) هذا الوضع بأنه وضع متناقض ومحير للمسيحيين والأوربيين بقدر ما هو منطقي للمسلمين فى ليبيا .

ويقول: بإن الاستطلاع الإيطالي لم ينظر إلى أهمية الديانة المشتركة بين الأتراك والليبيين ، ويبرهن على ذلك بالقول: إن مسلمى إفريقيا وآسيا كانوا يحاربون جنبًا إلى جنب ضد الغزو باسم الإسلام لا باسم الخليفة التركى ، ويحاربون ضد أي غزو مسيحى فى أي بلد إسلامى . ومع تطور الحرب ركب رجال القبائل الفقراء خيولهم وأتوا من الصحراء، ومن كل مكان للاشتراك فى الجهاد مع الأتراك ، بل أنهم الذين شجعوا الأتراك على مداومة الحرب بعد أن كان نشأت باشا (قائد الحامية) قد انسحب بناء على تعليمات وصلته من الأستانة ، وكان البدو أشد المحاربين خشونة وعنفًا من سكان السواحل الأكثر ليونة ونعومة[4].

---

(1) محمد فؤاد شكرى . مرجع سابق ، ص 128 .

(2) جيوليتى . مرجع سابق . ص100 .

(3) انساباتو مرجع سابق – ص309 .

(4) جون ريمون . مرجع سابق . ص314 .

وفي تقرير الملحق العسكرى في باريس المقدم ن.ب. موت (الذى نشرته جريدة لوتان الباريسية رقم 1595 بتاريخ 1912/2/7 يقول: إننًا هنا بصدد ظاهرة آدبية جديدة تثير الدهشة حتى لأولئك الذين اعتادوا أكثر من سواهم العيش بين العرب وفى بلدان العرب، فالغزو الإيطالى جعل هؤلاء القوم ينسون خلافاتهم المزمنة، كما تسبب في انبعاث نوع من الشعور الوطنى. ومما لا شك فيه أن عنصر الدين كان له نصيب كبير في إذكاء روح المقاومة وفي حشد وتكريس القوة الطرابلسية ضد العدو الغاصب. ويضيف المراسل فى رسالته المرسلة من مقر القيادة العامة للقوات التركية في العزيزية «لقد تمكنت من مشاهدة الآلاف المؤلفة من الطرابلسيين وقد هرعوا من جميع أنحاء البلاد للانخراط في الخدمة العسكرية لحمل السلاح ضد الغزاة الإيطاليين، فقد رأيت المصارتة بطواقيهم البيضاء وسودفزان وطوارق غدامس. وعرب الساحل محتشدون على بعد بضعة كيلو مترات من طرابلس أجسادهم بالية ولكنهم لا يهابون الموت ولا يأبهون بالتضحية بأرواحهم»[1].

معاهدة أوشى لوزان وأثرها على الجهاد(*)

بعد أن مرّ على الجيش الإيطالي فى ليبيا عشرة شهور كاملة ، محصورًا داخل المدن الساحلية، ولايتحرك إلاّ تحت حماية الأسطول الرابض فى البحر، وأصبح الجيش غير قادر على فك الحصار المفروض عليه حتى أصبحوا آضحوكة بين جيوش العالم ، بعد كل ذلك فكرت السياسة الايطالية آن تجد لها مخرجًا من هذا المأزق الذى سقط فيه شرفها العسكرى إلى الحضيض .

وقد كان قد ثبت لدى السلطات الإيطالية أن سبب هذا الوضع المخزى ، ما تسرب إلى الجنود الإيطاليين من خوف وما أصاب روحهم المعنوية من يأس، ورغم الإمدادات التى أرسلت من روما مرارًا إلاّ أن الوضع لم يتغير ، حتى آن الحرب وصلت إلى حالة سكون أو جمود سواء بالنسبة للإيطاليين أو بالنسبة للأتراك . فالإيطاليون آصبحوا هم المسيطرون على الساحل ، ولم يعد من السهل طردهم من حصونهم الساحلية التى تحميها المدافع الثقيلة من البوارج البحرية كما أن تقدمهم شرقًا أو غربًا أو جنوبًا آصبح غير ممكن؛ وذلك لأن تجمعات المجاهدين الليبيين تحت قيادة ضباط أتراك من طراز " أنور بك" "وخليل بك" ، "ومصطفى كمال بك" "وعزيز بك المصرى" وغيرهم من القادة المرموقين يحاصرونهم فى كل مدينة – حتى آصبح استمرار الحرب بالنسبة للإيطاليين تحطيمًا لمعنوياتهم[2].(**)

---

(1) الآرشيف الأمريكي. وثيقة رقم 45 مصدر سابق ص437، 438.

(*) وثائق تركية بنهاية الكتاب.

(2) رفعت عبدالعزيز مرجع سابق ص41 .

(**) صور للقادة الأتراك على أرض المعارك بليبيا (تجدها بنهاية الكتاب).

وبالنسبة للدولة العثمانية . فإن السلطات التركية العليا وجدت أنها أصبحت فى وضع يلزمها بإعادة الاهتمام لهذه الولاية بإرسال المدد والأموال والإبقاء على ضباط مهرة بها. وهى فى آشد الحاجة إليهم داخل الأستانة وخارجها: نظرًا لما تواجهه من متاعب واضطرابات وثورات على الحكم العثمانى كالذى يحدث فى البلقان .

وزاد الموقف حرجًا بالنسبة للسلطات العثمانية عندما انتهزت إيطاليا هذه الظروف الصعبة التى تمر بها الدولة العثمانية وعملت على توسيع نطاق الحرب بينها وبين العثمانيين خارج ليبيا لتحمل الأتراك على التسليم ، فشنت القوات الإيطالية هجومًا كبيرًا على تحصينات الدردنيل . وميناء بيروت وحاصرت ساحل اليمن ثم ضربت ميناء الحديدة واحتلت جزر الدوديكانيز، كما حرضت شعوب كل من ألبانيا ومقدونيا على الثورة ضد الحكم العثمانى[1].

ولقد آدى ذلك الوضع الجديد الذى خلقته إيطاليا إلى اهتزاز توازن القوى غير المستقر فى المنطقة مما دفع بالدول الأوربية للتدخل والوساطة بين الإستانة وروما ، خوفًا من أن تستولى إيطاليا على مناطق أخرى غير الشمال الإفريقي من ممتلكات الدولة العثمانية فتوسطت كل من إنجلترا وفرنسا لإنهاء الحرب بين الدولتين المتحاربتين سعيًا إلى تقليص مكاسب الإيطاليين بقدر الإمكان . ويتضح ذلك من الرسالة التى أرسلها السفير الفرنسى فى إستانبول آنذاك (المسيو بنبار) إلى (بونكاريه) وزير خارجية فرنسا فى 7 يونيوعام 1912 يقول له فيها:" يبدو آنه من آجل إنهاء الحرب التركية الإيطالية يجب على فرنسا أن تسعى لعقد الصلح الودى بحيث لايؤدى إلى نجاح آي من الجهتين المتحاربتين نجاحًا تامًا: ففشل إيطاليا الواضح سيشكل خطرًا حقيقيًا على ممتلكاتنا الإسلامية فى إفريقيا ، كما أن إنتصارها لن يكون آقل خطرا على وضعنا فى الدولة العثمانية " .

كما آن الأوساط السياسية البريطانية أفصحت هى الاخرى عن أراء مشابهة لذلك ، وعلى أثر ذلك فسوف نجد آن كلا من الدبلوماسيتين الإنجليزية والفرنسية سوف توجه كل جهودها نحو الاسراع بعقد إتفاق صلح بين إيطاليا وتركيا ، مع الموافقة على التنازل لإيطاليا عن كل من برقة وطرابلس بحيث يتم ذلك بأقل قدر من الإهانة لتركيا وتجنب إثارة المسألة الشرقية بكل آبعادها وكذلك إعاقة إيطاليا عن أن تحتفظ لنفسها بجزر الدوديكانيز وإضعاف مواقفها فى البحر المتوسط قدر الإمكان ، وأخيرًا عدم السماح بتعزيز نفوذ الحلف الثلاثى ، وذلك بعدم افساح المجال لألمانيا بأن تلعب دور الحكم بين الدولتين المتحاربتين[2].

وبالنسبة لروسيا فقد أرادت أن تحافظ على العلاقات الودية التى كونتها مع إيطاليا فى

---

(1) جيوليتى . مرجع سابق . ص81 .

(2) جيوليتى- المرجع السابق نفسه بنفس الصفحة .

أثناء الحرب (التركية -الإيطالية) لأنها كانت تأمل فى أن تتمكن بمساعدتها من إضعاف إتجاه الحلف الثلاثى المعادى لروسيا : ذلك لأنه - وكما صرح السفير الروسى فى تركيا فى حالة بقاء إيطاليا فى حلف رسمى مع النمسا وألمانيا ، فإن هذا الحلف يجب ألاّ يلزم المملكة الإيطالية بالقيام بأي عمل عدائى تجاه روسيا مهما كان . وأن تكون علاقات إيطاليا على العموم مع حليفتيها متحفظة كثيرًا من الناحية العملية ، وودية بقدر الإمكان تجاه روسيا وتجاه فرنسا[1].

وكانت دبلوماسية " النمسا والمجر " تحافظ على قناع الصداقة مع إيطاليا طالما كان ذلك فى مقدورها . ولكنها كانت تحاول فى نفس الوقت إطالة محادثات الصلح بين إيطاليا وتركيا وإعاقة إيطاليا عن أن تحصل على شروط صلح أكثر ملاءمة لها .

وهكذا كانت غالبية الدول الأوربية ، وكذلك البلدان المتحاربان (إيطاليا والدولة العثمانية): ولأسباب كثيرة ومختلطة ، مهتمة بإنهاء الحرب التركية الإيطالية بسرعة ، وأصبحت شروط الصلح هى القضية الأساسية التى آشتد حولها الصراع الدبلوماسى بين الدول الأوربية وهى التى رسمت لإيطاليا ما يجب أن تقوم به من أعمال فى المرحلة النهائية من الحرب ، وعلى حل هذه القضية آيضًا كانت تتوقف بدرجة كبيرة عواقب الحرب بالنسبة للمجموعتين الاستعماريتين المتحالفتين[2] .

لقد كان للهجوم المحدود على الدردنيل وما نتج عنه من ردود أفعال تأثير على كل من تركيا وإيطاليا ، ودفعهما للبحث عن وسيلة للتقريب بين مشروعيهما المتعارضين للصلح . فقد أبدت الحكومة الإيطالية استعدادها للموافقة على أن يحتفظ السلطان بسلطته الدينية فى طرابلس وبرقة واستعدادها لأن تدفع له بإعتباره الرئيس الديني مبالغ معينة . أما الجانب التركى فقد آخذ يكرر فى كل جلسة كلمات : الحكم الذاتى للإقليمين يتفق عليه الطرفان ، ويقرر آنه يجب أن يكون تحت السيادة الأسمية للسلطان مع بقاء السواحل لإيطاليا . ثم يضيف المفاوض التركى : " وهكذا فإن إيطاليا تضمن لنفسها كل المزايا السياسية التى كانت ترغب فى الحصول عليها من وراء حملتها، وهكذا تسوى الأمور بأحسن الطرق وفى آقصى الأجال وهذا من وجهة النظر التركية طبعًا[3] .

وعليه تم عرض مشروع كل طرف فى الجلسات الأولى للمباحثات، وكان رئيس الجانب التركى فى التفاوض هو" سعيد باشا " رئيس الوزراء والذى "خلف حقى باشا " الذى تم عزله

---

(1) آمين سعيد ، مرجع سابق ، ص441 .

(2) امين سعيد ، المرجع السابق ، ص 442 . وثيقة رقم 91 من الأرشيف الأمريكى م2 مصدر سابق ص26

(3) جيولييتى ، مرجع سابق ، ص 108 .

للاهمال الذى اتهم به فى تعامله مع الولاية الليبية ، ولقد كان نتيجة لتمسك سعيد باشا باقتراحه أو مشروعه التفاوضى الذى رفضه الجانب الإيطالي ، أفصح سعيد باشا عن رغبته بأن تقوم الدول الأوربية باقتراح شروط الصلح على تركيا ، وانطلاقًا من ذلك اقترحت الحكومة الفرنسية فى مايو 1912 م عقد مؤتمر دولى لوضع شروط الصلح على أساس التزام الدولة العثمانية بسحب قواتها النظامية من طرابلس على أن تعيد إيطاليا بدورها جزر بحر إيجة، وأن يكون إتفاق الصلح خاليًا من أي مادة تهدف إلى تحديد النظام السياسى المقبل لطرابلس وبرقة أسوة بما حدث بعد إحتلال فرنسا للجزائر – ولكن هذا الاقتراح قوبل بالإهمال الشديد فى البلدين المتحاربين ومن الدول الأوربية الأخرى كذلك لأنه اتضح أن هدف فرنسا من هذا الاقتراح هو أن تسبق ألمانيا للتوسط والإسراع بحل مسألة بحر إيجة، كما خشيت إيطاليا من عزلتها فى هذا المؤتمر؛ لأنها لاتضمن اعتراف الدول المؤتمرة بأحقيتها فى البقاء بالمستعمرتين طرابلس وبرقة ، وذلك بعد قيامها بجس النبض لدى الدول وعدم اهتمام هذه الدول بالرد على المطلب المقترح [1].

لذلك نجد أن الحكومة الإيطالية تعلن بأنها تفضل محادثات ثنائية مع تركيا وتتطلع فى أثناء ذلك إلى الوساطة من الدول الأوربية[2] ، وفى 12 يوليو عقدت فى لوزان الجلسة الأولى بين الوفدين التركى والإيطالي حيث قدم الجانب التركى شروطه لعقد معاهدة الصلح والتى رفضها الإيطاليون ، وقرروا القيام بمظاهرة حربية جديدة فى الدردنيل ، وحدث بالفعل اشتباك بينهم وبين المدفعية التركية، وفى ظل ظروف جديدة ، ومنها معاناة الامبراطورية العثمانية من أزمة اقتصادية وأزمة سياسية حادتين عرّضت حكومة الاتحاديين للانهيار، بسبب هجوم المعارضة الشديد عليها ، لجأت حكومة "غازى مختار باشا " إلى اتخاذ الاجراءات اللازمة لاستئناف محادثات الصلح[3].

وفى شهر أغسطس قرر كلا الجانبين المتحاربين استئناف المفاوضات فى سويسرا ، وطالت عملية صياغة مشروع معاهدة الصلح وتأخرت حتى أواسط أكتوبر 1912 ، وأخذ الجانبان يضغط كل منهما على الآخر بشروطه ، وكانت إيطاليا تعاود الضغط بالوضع المتفجر فى البلقان وتهدد بمعاودة العمليات الحربية فى الدردنيل ، كما بدأ ضغط الدول الأوربية على الدولة العثمانية .

وهكذا عجلت الحوادث فى البلقان وتدخل الدول الأوربية بالإتفاق على الصيغة النهائية لشروط الصلح ، لقد تقرر أن تمنح تركيا "طرابلس وبرقة" الاستقلال الذاتى على أن يحتفظ

(1) جيوليتى . المرجع السابق ، ص110 .

(2) وثيقة رقم (98) من الأرشيف الأمريكى م2 سنة 1989 مرجع سابق ص29.

(3) أمين سعيد . مرجع سابق . ص 460 .

السلطان بوظائف الرئيس الدينى ، فى حين وافقت إيطاليا على أن تخلو معاهدة الصلح من آي ذكر صريح لضمها طرابلس وبرقة ، ويفسر لنا تنازل إيطاليا فى هذه القضية بأن الدبلوماسية الإيطالية حصلت أخيرًا وفى المرحلة النهائية من الحرب على تأكيدات محددة من الحكومات الأوربية بأن هذه الحكومات ستعترف بمرسوم الضم بعد إنهاء الحرب[1].

وهكذا وبعد مساومات طويلة ، وقع فى 15 أكتوبر 1912 فى " أوشى " بلوزان بسويسرا اتفاق تمهيدى بين إيطاليا وتركيا التزم فيه الجانبان بالاحتفاظ بالبنود سرًا إلى حين عقد الصلح بصفة رسمية ، وكان السلطان بموجب هذا الاتفاق ملزمًا بأن يصدر خلال ثلاثة آشهر فرمانًا يمنح فيه كلاً من طرابلس وبرقة الاستقلال الذاتى ، وكان على الحكومة الإيطالية بعد ذلك أن تؤكد بمرسوم خاص المرسوم السابق حول ضم طرابلس وبرقة ، وتمنح العفو العام لسكانهما الذين شاركوا فى النضال ضد الغزو الإيطالي ، ثم يعترف السلطان بعد ذلك بموجب فرمان ثان بمرسوم الضم وبعدم إرسال أسلحة أو ذخائر أو جنود أو ضباط إلى ليبيا ، ولقد وضعت فى نفس الوقت نصوص الفرمانين السلطانين والمرسوم الإيطالي وجرى الاتفاق عليها جميعًا[2].

إن حل مسألة انتقال طرابلس وبرقة إلى إيطاليا قبل توقيع معاهدة الصلح قضى على ضرورة آن ينص صراحة على استيلاء إيطاليا على القطرين فى معاهدة الصلح ، وقد مكن ذلك الأمر المهم النظام السلطانى من أن يحفظ ماء وجهه أمام رعاياه ويتلافى انفجار الغضب فى الشرق الادنى ، لقد كان كلا من الجانبين يحاول أن يصور نفسه وكأنه يدافع عن مصالح سكان طرابلس وبرقة خوفًا من إدانة الرأي العام له.

ولقد جاء فى الفرمان السلطانى الأول الذى صدر فى 16 أكتوبر 1912 مايلى:

"بما أن حكومتى ليست فى حالة تمكنها من تأمين الحماية لبلادكم ، ولكنها تهتم بازدهاركم فى الحاضر والمستقبل ، فإننى رغبة منى فى تجنب استمرار الحرب المدمرة بالنسبة لكم ولعوائلكم والخطرة بالنسبة للإمبراطورية ، وسعيًا منى لإحياء الإسلام والهناء فى بلادكم أمنحكم استقلالا ذاتيًا تامًا وغير محدود ... " ثم وعد السلطان بعد ذلك بأنه سوف يوضع بمشاركة السكان أنفسهم نظام جديد للإدارة[3].

وفى17 اكتوبر وقّع "فيكتور عمانويل" ملك إيطاليا مرسومًا أعلن فيه العفو الشامل عن

---

(1) جوليبيتى ، مرجع سابق ، ص111، الأرشيف الأمريكى م2 ج5 وثيقة رقم (104) وبه نص قانون الاستقلال الذاتى لطرابلس وبرقة ص408.

(2) الطاهر الزاوى ، مرجع ص 89 .

(3) آمين سعيد ، مرجع سابق ، ص461 ، أيضًا: وثيقة رقم (104) بالأرشيف الأمريكى م2 تضمنت قانون الاستقلال الذاتى لطرابلس الغرب وبرقة وقانون بشأن إدارتهما، مرجع سابق ص405.

سكان طرابلس وبرقة الذين شاركوا فى العمليات الحربية ضد قوات الحملة الايطالية أو الذين ارتكبوا ذنوبًا سياسية مهما كانت ، كما أعلنت المادة الثانية من المرسوم ، الحرية التامة فى ممارسة شعائر العبادة الإسلامية وضمنت حصانة الممتلكات الدينية واعترفت بصلاحيات القاضى أو الممثل الدينى للسلطان ، وأشارت المادة الرابعة إلى أن النية متجهة إلى تشكيل لجنة يشترك فيها وجهاء الأهالي لوضع التنظيم المدنى والادارى بما يتفق والمبادئ الحرة[1].

وفى 18 اكتوبر من نفس العام وافق السلطان على انتقال طرابلس وبرقة إلى إيطاليا، مستندًا إلى الرغبة التى زعم أن سكان هذه الأقاليم قد أبدوها . وفى اليوم نفسه – وبعد أن نشر فرمان السلطان العثمانى – وقعت فى لوزان معاهدة الصلح بين إيطاليا وتركيا ، وتعهد الجانبان بايقاف العمليات الحربية كلها، وأكّد قرار العفو السياسى الشامل عن سكان طرابلس وبرقة وجزر الدوديكانيز ، و اتفقا على سحب القوات المسلحة التركية من طرابلس وبرقة والقوات المسلحة الإيطالية من جزر الدوديكانيز دون إبطاء وعادت نافذة من جديد جميع المعاهدات والمواثيق والالتزامات التى كانت قائمة بين إيطاليا وتركيا من قبل الحرب. ووافقت الحكومة الإيطالية على ان تدفع لتركيا – مقابل تخليها عن طرابلس وبرقة – تعويضا ماليًا بأقساط سنوية تقدم إلى صندوق الدين العثمانى العام ، مبلغًا يساوى متوسط الحصة التى كانت تقع على الإقليمين على ألاّ يقل هذا المبلغ عن مليونى ليرة إيطالية[2].

وبتوقيع معاهدة الصلح[3] واعتراف الدول الأوربية وتركيا بالسيادة الايطالية على طرابلس وبرقة تمت تسوية النزاع العسكرى الذى أشعلته الدوائر الحاكمة الإيطالية فى عامى 1911 و1912 م للاستيلاء على ليبيا . وكانت حصيلة الحرب بين الطرفين أن قتل فى خلال اثنى عشر شهرًا 1432 شخصًا وجرح 4220 شخصًا ومرض ومات من العدو 45779 شخصًا وذلك حسب الاحصائيات الرسمية للعدو ، وتبلغ بذلك الخسائر البشرية للحرب فى سنة واحدة حوالي سبعين ألف شخص[4].

نتائج الصلح على الليبيين:

- ورغم أن الصلح قد أوقف الحرب بين الأتراك والإيطاليين إلا أن الشعب الليبي سوف يرفض هذا الصلح ويواصل المقاومة ضد الإيطاليين الغزاة وتزداد خسائر الإيطاليين فى

---

(1) أمين سعيد . مرجع سابق . ص463 .

(2) عبدالكريم الوافى . مرجع سابق . ص 206، 207.

(3) وثيقة رقم (105) تتضمن إعلان عقد االصلح بين إيطاليا وتتركيا بتاريخ 12/10/18 الأرشيف الأمريكى، مرجع سابق ص409

(4) مذكرات جيوليتى . مرجع سابق . ص112 .

الأرواح والأموال ولن تقف عند الاحصاءات المذكورة عن السنة الأولى من الحرب الاولى. وفى الحرب الثانية التى تبدأ فى عام 1913 م وتستمر حتى عام 1918 وبعد معاهدة الصلح وخروج تركيا رسميًا كطرف محارب واعتماد الشعب الليبي على نفسه، تشتد المقاومة وتزداد الضحايا من الجانب الليبي أيضًا وتغلب المقاومة فى العام الأول ويمتد الاحتلال على سائر الأرض الليبية حتى يصل إلى فزان بعد أن كان قاصرًا على الساحل فقط فى السنة الأولى للغزو[1].

وما أن تدخل الحرب العالمية الأولى 1914 وتنضم إليها إيطالية متأخرة وتنشغل بها يشتد الجهاد وتبدأ سلسلة من الهزائم للإيطاليين حيث تندلع الثورة فى "القبلة" والجنوب الليبي وتنسحب الحاميات الإيطالية من الدواخل إلى الساحل مرة أخرى، خاصة بعد المواجهة الخطيرة التى حدثت بين المجاهدين والغزاة فى معركتى "وادى مرسيط 1914" "والقرضابية " عام 1915 نتيجة لاشتراك الليبيين فيها من كل المناطق من طرابلس وبرقة وجميع القبائل وخسر فيها الإيطاليون خسائر فادحة وتقلص بعدها الوجود الإيطالى وانكمش خلف الأسلاك الشائكة مرة ثانية على الساحل وفى حماية البوارج الإيطالية.

وكانت نتيجة ذلك سلسلة من المعاهدات التى إعترفت فيها إيطاليا بحق الليبيين في حكم أنفسهم لدرجة أنهم أقاموا النظام الجمهورى فى طرابلس عام 1918م ، ولقد استمر الوضع على هذا الحال إلى أن تغير النظام فى إيطاليا عام 1922 إلى نظام حكم دكتاتورى فاشيستى انتقلت عدواه إلى المستعمرات الإيطالية.. فأعادت إيطاليا احتلال ليبيا مرة أخرى بكل ما أوتيت من وسائل القهر والمعتقلات الجماعية الصارمة، وعلقت المشانق إلى أن قضى على المقاومة تمامًا عام 1931 باستشهاد عمر المختار شيخ المجاهدين، وهذا ما اطلق عليه الايطاليون عهد " الاسترداد".

ماوراء معاهدة الصلح:

رغم المناورات التى أحدثها الأتراك لكى يحتفظ السلطان العثمانى بالسيادة الدينية من خلال ممثل له فى طرابلس إلا أن الحقيقة تقول: إن الأتراك بذلوا مساعى خفية لعقد الصلح من أجل التخلص من عبء الدفاع عن طرابلس الغرب والدخول فى حرب مع إيطاليا فى الوقت الذى لم تكن فيه تركيا قادرة على محاربة دولة واحدة من دول البلقان كبلغاريا كما صرح بذلك محمود شوكت وزير الحربية إذ يقول: "علينا أن نوقف القتال مع الإيطاليين لأن جيشنا ضعيف جدًا، ولايقدر على مواجهة الحرب المحتمل نشوبها فى البلقان"[2] بل أن تركيا

---

(1) ن.أ بروشين . تاريخ ليبيامنذ نهاية القرن 19 حتى عام 1969 ، ص 144 . ترجمة عماد حاتم . منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طرابلس ، 1988 ، ص: 128.

(2) من مذكرات عبدالله باشا فكرى ، الذى تولى منصب قيادة الجيش الشرقى التركى فى حرب البلقان.

لم تكن قادرة على نقل ليس فقط الاسلحة والمعدات والمؤن لطرابلس؛ بل أيضًا مهمات الهلال الأحمر التى تحتاجها القلة من الجنود والضباط الأتراك الموجودين فى طرابلس؛ نظرًا لأن البحر المتوسط أصبح مغلقًا بسبب إعلان إنجلترا حيادها. أضف إلى ذلك صعوبة التسلل على الحدود المصرية والذى اتبعه "أنور باشا" وغيره من الضباط الأتراك ، فيما عدا بعض المساعدات البسيطة التى تدخلت فيها عوامل خارجية من جانب الإنجليز تجاه السنوسيين الذين حاول الإنجليز استمالتهم إلى جانبهم ليدفعوهم لقطع علاقتهم بالأتراك؛ حتى لايستجيبوا لندائهم بحرب الإنجليز على الحدود المصرية والتى سيأتى الكلام عنها بالتفصيل فى موضوع حرب السنوسيين مع الإنجليز فى أثناء الحرب العالمية الأولى.

ومن جهة أخرى تعجلت إيطاليا فى التوقيع على المعاهدة لأن تأخير الصلح مع تركيا سوف يحرج الحكومة الإيطالية مع شعبها نظرًا للوعود التى بذلتها أمام مجلس النواب الإيطالي للحصول على الموافقة بالاستيلاء على طرابلس الغرب معلنة انها لن تستغرق وقتًا طويلاً ولن تكلف الكثير وهذا ما أثبتته الأحداث من حصيلة السنة الأولى للحرب وقبل إبرام الصلح. أنه غير صحيح، فقد كانت المقاومة عنيفة والتكاليف باهظة.

ولقد نشرت الصحف العربية ، ونقلت عنها الصحف الإيطالية ، رغبة الباب العالى فى إجلاء الضباط الأتراك من طرابلس ، واستدعاء " أنور باشا " و " فتحى باشا إلى "إسطنبول "، وأنهما أعلنا امتثالهما لذلك[1] ، وبات من الواجب على الحكومة العثمانية أن تقول للطرابلسيين: "ابحثوا لكم عن حل بأنفسكم" . وقد كان الوضع فى برقة قبل إعلان المعاهدة – وبعد مرور عام على بدء القتال – يتمثل فى تنظيمات عسكرية مستقرة فى شكل معسكرات يقودها ضباط أتراك تحت رئاسة "أنور باشا" الذى اتخذ من معسكر " بو منصور " بدرنة مقرًا له بعد آن التفت حوله وحول غيره من الضباط الأتراك آلاف المجاهدين الذين تجمعوا من كل حدب وصوب ، ولقد صدم " أنور باشا " صدمة كبيرة ورأي أن ظروف بلده تستدعى السفر والعودة لإنقاذها مما هى فيه ، ومما هى مقبلة عليه[2] حتى أنه تشبه " بنابليون " وظروف عودته من مصر إلى فرنسا بعد أن قاد حملة إليها فشلت فى تحقيق أهدافها بسبب ما وقعت فيه فرنسا من مشاكل مع بقية جيرانها من الأوربيين ولسوف يرد ذلك تفصيلاً فى الكلام عن حقيقة دور الأتراك فى جهاد الليبيين فى برقة على وجه الخصوص ، إما الآن فسوف نعرض لموقف الطرابلسيين من عقد معاهدة الصلح التركية الإيطالية[3].

---

(1) مذكرات أنور باشا ، مرجع سابق ، ص: 86.

(2) ايفان بريتشارد ، مرجع سابق ، ص: 114.

(3) رفعت عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص: 56.

جهاد الطرابلسيين بعد الصلح:

نشر القائد الإيطالي فى طرابلس خبر الصلح يوم 21 من أكتوبر 1912 وأبلغه إلى "نشأت بك" القائد الأعلى للقيادة التركية فى طرابلس، وكان قد مضى على نزول القوات الإيطالية على الشاطئ الليبي اثنا عشر شهرًا ، وكان قد وقع فى هذه المدة وقائع دامية سبق الكلام عنها فى الفصل التمهيدى ، رفعت من شأن العرب بمقدار ما حطمت من شأن شرف الجيش الإيطالي ، ولم يتمكن الإيطاليون فى خلال عام من احتلال أكثر من سبع مدن ساحلية محتمين داخل أسوار شائكة وضعوها حولهم . والمدن هى:

طرابلس والخمس وزوارة ومصراتة وبنغازى ودرنة وطبرق ، وقامت الدولة العثمانية بعد ذلك بثلاثة أيام (25 أكتوبر 1912) بأخطارضباطها فى سائر مناطق مملكتها الواسعة بليبيا ومن بينهم " نشأت بك " .. وذلك عن طريق وزارة الحرب التركية، وأرسلت تطلب منه أن يستعد للانسحاب هو ومن معه من ضباط وجنود الحامية التركية بليبيا [1] وكان هذا يعنى بالطبع انتهاء الشطر الأول من الحرب الطرابلسية التى أشرف نشأت بك على أعمالها الحربية والإدارية بصفته ممثلاً للحكومة العثمانية وواليًا على طرابلس الغرب ، وشارك معه فيها من القيادات الليبية كل من "الشيخ محمد فرحات الزاوى" ، و"الشيخ سليمان البارونى" و"الهادى كعبار " و"أحمد المريض" و"على تنتوش" ... وغيرهم من القيادات الطرابلسية ، إلى جانب 1500 جندى تركى تقريبا فى طرابلس ، وهذا كل ما كانت تحويه الحامية التركية آنذاك .

وكانت التعليمات العثمانية تنص على أن يسلم ضباط الحامية وقائدهم "نشأت بك" أنفسهم إلى السلطات الإيطالية بطرابلس؛ لكى يقوموا بترحيلهم إلى الأستانة ، وعقب وصول هذه الأوامر جمع نشأت بك رؤساء المجاهدين والضباط الطرابلسيين وأعيان البلاد ووجهائها وأبلغهم الخبر ، فوقع عليهم وقوع الصاعقة، وسرعان ماعاودت الناس الشكوك فى أول الإحتلال من إهمال الترك لبلادهم، والتفريط فى حقوقهم ووقع فى روع بعضهم أن ماحدث هو حلقة من الدور الذى مثلته وزارة " حقى " جاءوا بها الآن لإتمام المسرحية، وإسدال الستار على بقيتها[2]. وكانت هذه المفاجأة سببًا فى حل عزائم المجاهدين وتسرب اليأس إلى نفوس كثيرين منهم ، فذهبوا إلى بيوتهم وعلى وجوههم الكآبة واليأس والحزن ، وكانت صدمتهم نتيجة لعدم اشتراكهم فى هذا الصلح الذى يتعلق بمصيرهم ، وكأن الدولة العثمانية قد باعتهم بيعًا للإيطاليين وتسلمت الثمن مقابل ذلك ، وهذا بالفعل ما حدث إذ أن الصلح تضمن

---

(1) الطاهر الزاوى ، مرجع سابق ، ص111 .

(2) سليم قبيص : تاريخ الحرب العثمانية الايطالية ، سنة 1912 ، الجزء الاول ، القاهرة، ص38.

قرارًا بأن تقوم إيطاليا بدفع مبلغًا لتركيا يوازى ما كانت تحصل عليه من خراج من طرابلس لايقل عن مليونين من الليرات الإيطالية[1] كما سبق ذكره .

جاء هذا الخبر والجهاد قائم والطليان محصورون فى المدن الساحلية، والمجاهدون يتقدون حماسًا لمواصلة الضغط عليهم وحصارهم، ومنازلتهم إن هم خرجوا من هذا الحصار، وعلى ذلك عقد قادة الجهاد اجتماعًا فى العزيزية تبادلوا فيه الرأي فيما يفعلون إزاء هذا التحول الجديد وفيما يجب عمله بعد أن تخلّت عنهم تركيا ، وانقسم المجتمعون قسمين يعارض كل منهم الآخر[2] :

أ- فريق بقيادة الشيخ محمد فرحات الزاوى وكان مستعدًا للقبول بصلح أوشى لوزان بحجة عدم قدرة الليبيين على مواجهة مثل هذه الجيوش ذات الأعداد الكبيرة والتى لديها إمكنيات كبيرة للتسليح مقارنة بالليبيين الذين رأوا أن الطائرات يستعملها الإيطاليون لأول مرة فى حياتهم ، ولقد شكل هذا الفريق من أعضائه هيئة مفاوضة للمطالبة بالاعتراف باستقلالهم من الجانب الإيطالي بناء على مامنحهم إياه السلطان العثمانى من استقلال أعلن فى فرمان ألحقه ضمن ملاحق معاهدة الصلح ، واتصلت هيئة المفاوضة التى تتكون من الهادى كعبار وعلى بن تنتوش وفرحات الزاوى بالإيطاليين ، وتعاونوا معهم، وكانت نتيجة هذا التعاون أن تمكن الإيطاليون من احتلال معظم أجزاء منطقة طرابلس وخاصة الجبل الغربى دون مجهود يذكر مع خريف وأوائل شتاء 1912 ، وأحتلت غريان وترهونة وبنى وليد.

ب- الفريق الثانى هو الفريق الذى كان مقتنعًا بالحرب وكان يضم عناصر وطنية تؤمن بأن الاستقلال الحقيقى لن يتم إلا بالقوة ، وكان يرأس هذا الفريق سليمان البارونى " الذى كان من قادة جبل نفوسة ويبلغ من العمر 48 عامًا وكان ملتحيًا وشاعرًا وأديبًا وأول من جلس نائبًا عن ولاية طرابلس الغرب فى أول برلمان تركى أنتخب عام 1908 (كان يسمى مجلس المبعوثان) وكان البارونى قد عاد مؤخرًا إلى وطنه لمحاربة العدو الإيطالي ، ويقال بأنه كان قد عاد فى إجازة عام 1911 ونما إلى علمه هو ومن معه فى الجبل من قيادات أن الإيطاليين قد غزوا البلاد ، فأرسلوا برقية لجمعية الإتحاد والترقى (فرع طرابلس) يستفسرون عن ذلك الغزو وماذا أعدت الدولة العثمانية له فردوا عليه بالبرقية التالية[3]: " إلى مبعوث الجبل المحترم سليمان البارونى .. وأهل الجبل .." ردًا على برقيتكم بطلب التأكد من الغزو الإيطالي .. اليوم وصل البابور المسمى "درنة" محملاً سلاحًا وذخيرة فلم يبق محل للهيجان .. ومن موجبات المصلحة الآن السكوت والمتانة ياأخى". وكان " البارونى" عقب هذه البرقية قد قام

(1) الطاهر أحمد الزاوى ، جهاد الابطال ، مرجع سابق ، ص111 .

(2) رفعت عبدالعزيز ، مرجع سابق ، ص 57 .

(3) ابى اليقضان إبراهيم : حياة سليمان باشا ، مكتبة حجازى القاهرة ، سنة 1946 ، ص 94 .

على الفور بتوجيه نداء إلى عموم قطر طرابلس للمسلمين يستنهض فيه الهمم للإنخراط فى سلك الجهاد دفاعا عن دينهم ووطنهم.

ولقد هاجم البارونى الفريق الذى اتخذ طريق المهادنة ردًا على تعرضهم لمن اتخذ طريق الجهاد ، وخص بالهجوم (الهادى كعبارس) وقال له :" أما أنت ياهادى فقد تنقلت من حامية الترك الشرعية إلى عبودية قوم ليس بينك وبينهم سوى العلاقة البشرية، ولا أظنهم يعترفون لك بها: لأنك فى نظرهم بائع وهم مشترون: بل مملوك وهم المالكون . إن العلة التى جعلتها سببًا للتسليم يوم اجتماع العزيزية هى عدم القدرة على الحرب وطلب راحة الأهالي . والتحاشى من سفك الدماء فما بالك اليوم تهدد المجاهدين بالمحو والهلاك ، وتسليط أهالي غريان عليهم ، وأهالي غريان مسلمون ووطنيون يرأون من رأيك هذا على ما حققناه"[1]. وأن كنا قد تعرضنا لشخصية سليمان البارونى ، ونحن نتكلم عن الموقف فى طرابلس بعد الصلح لنتعرف على قيادته للجهاد، ووقوفه موقف المعارض للصلح ، فإنه لايفوتنا أن نتعرف على ما قام به من مقاومة للإيطاليين منذ وطئت أقدامهم للبلاد ولو بصورة موجزة ، كانت الحامية العثمانية قد خرجت من طرابلس بقيادة نشأت بك وخيموا فى العزيزية انتظارًا لتعليمات السلطان العثمانى بالتسليم وساعد بعض الأعيان ووجهاء طرابلس الإيطاليين على اخضاع عدد من الأهالي ، ووزعوا عليهم الأموال وجندوا بعضهم، وسلموهم بعض الأسلحة الصغيرة ليعملوا معهم ، وظن الإيطاليون أن الوضع قد استتب لهم. فى ذلك الوقت قام "سليمان البارونى " ومعه " فرحات الزاوى " وغيرهما من زعماء طرابلس باستنفار الأهالي الذين تجمعوا وهم يحملون بنادقهم ، وهددوا المعسكر العثمانى المنسحب إلى خارج طرابلس بالقتال إن لم يواصلوا معهم الحرب ، فتقوّى جنود الحامية العثمانية ووثقوا فى قدرة الأهالي الذين تجمعوا تحت قيادة "سليمان البارونى " من الجبل الغربى" ومحمد فرحات الزاوى " من الزاوية " والمنقوش " من "مصراتة " وتوجهوا إلى طرابلس[2].

ولقد قام سليمان البارونى ومن معه من قادة الجهاد الآخرين بفتح دفاتر لقيد أسماء المجاهدين فى سبيل الله ، وسجل البارونى اسمه على رأس قائمة أسماء المجاهدين فى هذا الدفتر ثم بدأ فى دعوة كل قبيلة بأسمائهم واسم شيخها ، وأخذ يشجعهم على فتح دفاتر فى نواحهم لتسجيل أسماء المتطوعين، ودعاهم إلى الإسراع فى القدوم إليهم بسرعة وذلك للزود عن الوطن وحماية الدين الحنيف والزود عن الشرف وحفاظًا على الأهل والأولاد"[3].

ولقد نشبت الحرب وقتها بين الإيطاليين والمجاهدين الذين تجمعوا من سائر نواحى

---

(1) الطاهر الزاوى ، جهاد الأبطال ، مرجع سابق ، ص 112 .

(2) أمين سعيد ، الدولة العربية المتحدة ، مطابع عيسى الحلبى ، مصر ، ج2، القاهرة، ص466 .

(3) الطاهر الزاوى ، جهاد الأبطال ، مرجع سابق ، ص 31 – 33 .

طرابلس . من الجبل الغربى ومن الجنوب ومن ترهونة وورفلة وتاورغاء والزنتان والرجبان ومزدة وزليطن ومن الزاوية وجنزور والعجيلات ومن فزان وسائر الجنوب وأعداد كبيرة من الطوارق . ويصف "شكيب آرسلان " زحف هؤلاء المجاهدين فيقول: " وكان جميع هؤلاء الأهالي مقبلين على الحرب كأنهم منضوون إلى عرس ".

ووقعت وقائع هائلة فى " الهانى " و" سيدى المصرى " و" عين زارة " لم يكن الطليان يحسبون لها الحساب وكان قد سبق الكلام عنها فى الفصل التمهيدى[1] .

وكان البارونى والزاوى قد قادا هذه المعارك مع رجالهم الأبطال الذين اشتركوا فى السنة الأولى من الحرب منذ أن وطئت أرض البلاد أقدام الإيطاليين من أمثال : محمد بن عبدالله البوسيفى وسالم بن عبدالنبى ورمضان السويحلى ، والذين سوف تتعاظم أدوارهم بعد ذلك وغيرهم كثيرون ممن أبلوا بلاء حسنًا.

وبعد معارك الغزو الإيطالي التى استغرقت من اكتوبر سنة 1911 وحتى مارس 1912 انتقل ميدان الحرب إلى سوانى بن آدم فى منتصف الطريق بين الجبل الغربى وجنوب طرابلس ، وهناك اتخذ المجاهدون معسكرهم العام وكونوا لهم نظامًا أساسيًا يديرون حركة الحرب على مقتضاه والنص التالي يوضح هذا النظام :

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، نصر من الله وفتح قريب " بعونه تعالى فى هذا اليوم الاثنين المبارك 11 من جمادى الأول الموافق 16 من نيسان آبريل 1912 م صار تنظيم هذا الدفتر لمعسكر مجاهدى الجبل فى سانية بنى آدم بمعرفة هيئة الآلاي المركبة من الزوات الكرام الآتية أسمائهم على النسق المبين (وكتبت أسماء القادة كل مع قبيلته على حدة ثم أضيف إلى ذلك: " و بمعرفة هذه الهيئة يكون تسليم السلاح والذخيرة والأرزاق للمجاهدين وتنظيم مضبطة فى نهاية كل أسبوع ، على مقتضاه يكون جلب الأرزاق من العزيزية، وتنظيم مضبطة أخرى فى نهاية كل شهر بموجبها تؤخذ المعاشات وتوزع بمعرفتها ".

كما يكون ترتيب القراقولات (قوات المواقع الأمامية ومأموريها) ويكون توجيهها إلى مواقعها الحصينة أو المحصنة لها أمام العدو فى الأوقات المعينة ، وتنظيم دفاتر " بدل المجاهدين " المقرر جلبهم من الجهات المختلفة، وغير ذلك مما يتعلق بإصلاح المعسكر على شروط الاستقامة والعفة والاجتهاد التام، وكل ذلك يجب أن يكون مذيلاً بتوقيعنا ليجرى العمل به "[2].

توقيع سليمان البارونى فى 16 أبريل 1912م

---

(1) آمين سعيد ، الدولة العربية المتحدة ، المرجع السابق، ص466.

- لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامى، مصدر سابق ص160.

(2) أبي اليقظان إبراهيم ، حياة سليمان باشا ، مرجع سابق ، ص: 97 ، وبه صورة البرقية ، ص: 97 أيضًا.

ويستفاد من ذلك أن الحرب فى سنتها الأولى وقبل إعلان الصلح كانت حرب منظمة اشتركت فيها اعداد كبيرة من جميع الجهات فى منطقة طرابلس وفزان وأيضًا من سوكنة وهون وجنوب سرت بحوالي 185 كم ، فقد حدث أن انضم محمد بن عبدالله البوسيفى ومعه 500 فارس إلى معسكر المجاهدين بقيادة البارونى ، وسوف نعرف بعد ذلك أن محمد عبدالله البوسيفي لن يترك البلاد بعد هزيمة جيش البارونى ولكنه سيواصل الجهاد ويشعل الثورة فى الجنوب ، وكانت قبائل أولاد بوسيف تسكن قبل ذلك فى سوكنة[1] .

وكان البارونى قد قاد الجهاد بشكله المنظم ، واتخذ بعد ذلك " من سوانى بن آدم " مكانًا للتجمع والانطلاق لان هذا الموقع لايبعد عن طرابلس بأكثر من 25 كم وهى منطقة زراعية لايستطيع أن يصل إليها العدو بسهولة ، كما يمكن تموين جيش المجاهدين منها ، ولقد كان الالتحام مع العدو من هذا الموقع يصل إلى قرب مواقعهم بحوالي كيلو مترين ولايبعد عن طرابلس بأكثر من 6 كيلو مترات .

هذا ولقد سجل لنا (جون ريمون) مراسل مجلة (لا ستراسيون) المصورة ما شاهده فى معسكر سوانى بن آدم من تجمعات المجاهدين الذين وصفهم بقوله: " لم أجد قومًا عندهم شغف بالموت كهؤلاء القوم "[2] . كما أضاف "جون ريمون" بأن المعسكر الذى زاره يقع أمام طرابلس وبه متطوعون من الطوارق ومن فزان ومن أهل غريان ، وزليطن وورفلة وترهونة ومن الساحل ، ويصفهم بقوله: "إذا سمع هؤلاء نداء الحرب قامت قيامتهم؛ وتدفقوا إليها كالسيول من الجبال وبالجملة فالحرب عندهم أشهى لذة تتصورها عقولنا".

الاحتجاج على الصلح:

وقّع البارونى على برقية احتجاج أرسلت إلى مجلس المبعوثان العثمانى، كان المجاهدون قد فكروا فى إرسالها إلى الأستانة حينما كثرت الإشاعات حول الصلح، وهذا نصها بعد الديباجة:[3]" لانرضى بصلح يخل بعثمانيتنا ويجعل للعدو أي مدخل فى بلادنا، ولو أبرمته الدولة ورضيه الخليفة ، ونحن إلى الآن نحارب باسم العثمانيين والطرابلسيين ، فاذا أبرم الصلح على ما يرضينا ، أمكننا مداومة الحرب باسم الطرابلسيين فقط ، إلى آخر قطرة فى دمائنا ، ولايوجد بيننا متقاعد عن الحرب أو ميّال إلى العدو أو مسالم له قط، وقد أوجبنا الحرب على كل قادر بدون استثناء ، ولادخل فى ذلك للترك أصلاً، وسنجلب ما يلزم من

---

(1) الطاهر الزاوي : جهاد الأبطال ، مرجع سابق ، ص: 37.

(2) جون ريمون . من داخل معسكرات الجهاد ، مرجع سابق ، ص: 100.

وأيضًا: لوثروب ستودارد. حاضر العالم الإسلامي،مرجع سابق،م1،ج2 ،ص: 168.

(3) زعيمة الباروني مرجع سابق . ج2 . ص: 110.

المدافع الموجودة فى غريان إلى خط الحرب إذا تجاوز العدو خط النخيل ، ومادامت الدول العظمى ملتزمة الحياد ، فإننا نحارب باسم دولتنا ووطننا ، ومتى ظهر منها الوقوف فى طريق انتصاراتنا وقوفًا غير شرعى فإننا نعدّ ذلك تعصبًا منها وإذن نحارب باسم الدين فقط.

معركة الأصابعة (جندوبة) 23 مارس 1913م

بعد أن تغلب الإيطاليون على المقاومة فى المراحل الأولى للجهاد بطرابلس، وبمساعدة العناصر التى ركنت إلى مفاوضة الإيطاليين ، وأرتقى العدو الجبل واحتل غريان فى ديسمبر 1912 . سارع "سليمان البارونى " على رأس مجموعات كبيرة من المجاهدين لمهاجمة الإيطاليين ووقف تقدمهم نحو الجبل الغربى[1]؛ ولذلك آمر القائد الإيطالي " ليكويو" – الذى كان يقود عمليات الاحتلال فى الجبل – قواته بالتقدم نحو "يفرن" التى تبتعد عن غريان بحوالي سبعين كيلو متر غربيًا . وكانت قوات المجاهدين تتقدم نحو غريان ، وعند موقع يسمى "جندوبة " قرب الأصابعة " التقى الجيشان فى منتصف الطريق فى يوم 14 من ربيع الثانى 1331 هـ الموافق 23 من مارس 1913 م .

وتعتبر هذه المعركة التى تمكن فيها الإيطاليون من الانتصار على جموع المجاهدين –خاتمة للمعارك التى جرت فى الفترة الأولى من مراحل الجهاد بطرابلس الغرب، والتى جرت بعد توقيع معاهدة أوشى لوزان ، ورغم هزيمة المجاهدين إلا أن هذه المعركة قد عبّرت عن إرادة المجاهدين فى مواصلة الحرب وعدم الاستسلام رغم قصور الإمكانيات ووسائل القتال ، كما نتج عن هزيمة المجاهدين توغل الإيطاليين فى بقية مناطق الجبل الغربى ، ولقد اعترفت المصادر الإيطالية[2] بأن انتصارها فى معركة جندوبة هو الذى هيأ لها فرصة النفاذ وإعطائها مفاتيح الجبل تمهيدًا للتوغل فى منطقة طرابلس الغرب بأكملها.

ويعقّب محمد "خليفة التليسى" على ذلك بقوله :" إلا إن الإيطاليين لم يتمكنوا من ذلك الا بعد معركة مريرة تكبدوا خلالها خسائر فادحة ، كما أبلى المجاهدون البلاء الحسن فى هذه المعركة ، وكانوا يحاربون جميعًا تحت قيادة كبار رجالات الحركة الوطنية فى ذلك الوقت ، واستشهد منهم عدد كبير، وغلبوا على أمرهم بعد نفاذ الذخيرة وسيطرة القوة عليهم " [3] .
ومع ذلك فإن قسمًا منهم رفض أن يلقى السلاح وظل على إصراره فى مقاومة القوة الإيطالية، ونذكر من هؤلاء المجاهدين الذين كانوا تحت قيادة " محمد بن عبد الله البوسيفى " والذين

---

(1) رفعت عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص: 63

(2) جراتسياني . نحو فزان . ترجمة طه فوزي ، الفرجاني ، طرابلس 1968 ص14.

– وثيقة رقم (114) الأرشيف الأمريكى م2 مصدر سابق ص449.

(3) خليفة التليسي ، معجم معارك الجهاد في ليبيا ، مرجع سابق ، ص: 108.

رفضوا الاستسلام وتوجهوا إلى القبلة والجنوب ، حيث تصدوا لقوات " اميانى " فى أول زحف للقوات الإيطالية على فزان ، وخاضوا ضدهم معارك الشب: "واشكدة والمحروقة"، واستشهد البوسيفى وعدد كبير ممن معه فى المعركة الثالثة (المحروقة)[1] بعد أن ترك ثورة مشتعلة فى تلك المناطق تلاحقت آحداثها حتى أدت فى النهاية إلى جلاء الإيطاليين عن فزان وكانت سببًا رئيسيًا فى كافة النكبات والهزائم التى أصيب بها الإيطاليون والتى انتهت بهم إلى الهزيمة الكبرى فى القرضابية عام 1915 .

ولايفوتنا قبل أن ننهى الحديث عن "جندوبة "أن نذكر مثلاً من أمثلة البطولة العربية والتى تمثلت فى قيام ثلاثمائة مجاهد من البدو بتقييد أرجلهم بالحبال والسلاسل حتى يثبتوا فى أماكنهم ويواصلوا المقاومة حتى الشهادة[2] وكان هؤلاء الفدائيون قد نزلوا عن خيولهم بعد أن شعروا بقرب انتهاء ما معهم من ذخيرة .

أما بخصوص " سليمان البارونى " فلقد تسلل بعد الهزيمة إلى تونس عبر الحدود فى 19 أبريل من نفس العام 1913 ومنها إلى الأستانة، وسوف نسمع عنه بعد ذلك وهو يعود إلى برقة ضمن جماعة من الضباط الأتراك لإقناع السنوسيين بمحاربة الإنجليز على الحدود مع مصر تخفيفًا عن ضغطهم على قناة السويس؛ عندما تقوم الحرب الكونية الأولى عام 1914 وتنضم تركيا إلى ألمانيا والنمسا فى مواجهة الحلفاء[3] .

حقيقة الوجود التركى فى جهاد الليبيين:

لقد حاول البعض ممن كتبوا عن الجهاد أن يقلل من الدور الذى قام به الأتراك فى المرحلة الأولى من الجهاد ، فما حقيقة حجم الدور الذى ساهم به الأتراك ؟.

حينما حدث العدوان الإيطالي على ليبيا ، صدرت الأوامر للحامية العثمانية بالانسحاب، وقد انسحبت بالفعل إلى خارج مدينة طرابلس - وكان حجمها لايتعدى الأربعة آلاف عسكرى تقريبًا وتسليحها لايتعدى البنادق وأربعة مدافع من الطراز القديم - قبل أن يبدأ الإيطاليون فى دك طرابلس بالمدفعية .. وحدث فى ذلك الوقت أن وصلت الأنباء إلى الأستانة تفيد تجمع العرب الليبيين بالمئات والآلاف تحمل بنادقها وأكياس الرصاص والدقيق التى ادخرتها لهذا اليوم ، وأنهم التفوا حول جنود الحامية التركية وأرغموها بذلك على وقف الانسحاب

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 24.

(2) عن رواية للمؤرخ محمد الأسطى بالسرايا الحمراء ، والذي كان يعمل مترجمًا بدار الوثائق بطرابلس نقلاً عن ضباط من المجاهدين المعمرين الذين شاركوا في المعركة - جريدة البلاغ الطرابلسية عدد 6 أبريل 1973.

(3) شريط رقم 4/1 من حديث عبد السلام مفتاح عامر بن سعيد ، مكتبة الرواية الشفوية، مركز بحوث ودراسات جهاد الليبيين بطرابلس.

وشجعتهم على الاستمرار فى التصدى لعدو الإسلام والعدو المشترك للعرب والأتراك[1].

ولم يكن ذلك طبعًا فى الحسبان بالنسبة للعدو الإيطالي، إذ أن التقارير التى كانت تصل إليهم من عملائهم فى ليبيا تصور حالة النفور بين العرب والأتراك.. ذلك النفور الذى سيدفع بالليبيين بمجرد رؤيتهم للإيطاليين ينزلون على أرض بلادهم.. أن يعتبروهم منقذين ومخلصين من الحكم التركى البغيض .. ولم يستطع الإيطاليون أن يفهموا أن هذا النفور سوف لن يكون له وزنه بالمقارنة بغزو صليبى من هؤلاء الفرنجة وأن العرب المسلمين - أمام هذا الوضع الاستعمارى الأوربى سوف يتعلقون بالخلافة العثمانية الإسلامية ، والتى كان ومازال كثيرون منهم يثقون فى أنها حامية الإسلام والمسلمين والداعية إلى فكرة الجامعة الإسلامية، وأنها الخلافة الوحيدة التى ستعيد للعالم العربى مجده السالف، تلك الآمال التى تحطمت على يد الإتحاديين حينما شدتهم نزعتهم الطورانية بعيدًا عن المطالب العربية فى الحكم الذاتى .

ولكن البيروقراطيين العثمانيين لم يصدقوا ما وصل إليهم من تقارير بخصوص ولاء العرب للإمبراطورية، وقد انعكس هذا الشعور بعدم الثقة فى العرب على بعض المسؤولين العثمانيين الكبار. وقد يكفى فى هذا الخصوص أن نذكر ما قاله وزير الحربية "محمود شوكت ""لآنور باشا"قبيل مغادرته إستانبول متوجهًا إلى برقة محاولاً تثبيط عزيمته بأن العرب سوف يقتلونه ويسلبونه مامعه من المال[2].

وكانت الحكومة العثمانية عاقدة الآمال على ردود الفعل العالمية للإجراء الإيطالي حالمة بأن الدول الكبرى لن تسمح مصالحها الاستعمارية بالتوسع الإيطالي فى إقليمى طرابلس الغرب وبرقة . ولقد تمثل الرد العملى فى المبادرات الشخصية التى انحصرت فى الموقف الشجاع الذى اتخذه أنور باشا وجماعته التابعون لمنظمة " تشكيلاتى مخصوصة " فى أول تصريح أدلى به ، قوله : لايمكننا كجند عثمانيين أن نسلم فى كرامتنا لعدو نؤمن بأنه يمكننا قهره "وقد ضغط الإتحاديون على وزير الدفاع "محمود شوكت " باشا بأن يقوم بأكثر من الاحتجاج". وقد اقتنع أخيرًا بما تقدم به "أنور باشا "وجماعته للسفر إلى ليبيا، واشترط عليهم أن يكون عملهم سريًا وبصفة غير رسمية، وأن يتم وصولهم إلى إقليم برقة وإقليم طرابلس تسللا عن طريق الحدود المصرية والتونسية ، واشترط عليهم عدم مسئولية السلطات العثمانية عمن يقع فى أيدى السلطات الفرنسية أو الإنجليزية[3] .

---

(1) محمد فؤاد شكري . السنوسية دين ودولة ، مرجع سابق ، ص: 144.

- جون رايت . تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور . تعريب عبد الحفيظ الميار . وأحمد الميزاوري . طرابلس . دار الفرحاني. 1972 . ص: 148.

(2) مذكرات آنور باشا . عن يوم 28 سبتمبر سنة 1921م . ص106.

(3) محلة البحوث التاريخية . العدد الأول يناير 1979 . الدكتور عبد المولى الحرير. تشكيلاتي مخصوصة . مركز جهاد الليبيين عام 1980م . 120.

وتعتبر منظمة "تشكيلاتى مخصوصه" إحدى المنظمات السرية التى شكلت من الضباط الأتراك الفدائيين لمعالجة بعض المشاكل التى استعصت على الحكومة بالطرق الدبلوماسية والتزمت العنف أسلوبها، وأن المؤسس لهذه المنظمة " أنور باشا " قبل أن يتولى منصب وزير الدفاع ثم نائب القائد العام للقوات العثمانية، ومن الواضح أيضًا أن " أنور باشا " اختار من بين المنتمين إليها أعضاء غاية فى الإخلاص والطاعة والولاء له شخصيًا. ولقد أخذت هذه المنظمة على عاتقها تنفيذ قرارت جمعية الاتحاد والترقى منذ نشأتها ،وكان من بين أعضاء المنظمة (طلعت باشا وجمال باشا) ، كما كان من بين أعضائها البارزين "أشرف كوشجوباشى" الذى لعب دورًا كبيرًا فى حركة المنظمة فى إقليم طرابلس الغرب بعيد الغزو الإيطالي مباشرة[1].

ولقد ارتبطت حركة الجهاد التى قادها الأتراك ضد الغزاة الإيطاليين فى الفترة الواقعة بين نوفمبر 1911 وحتى ديسمبر 1912 ارتباطًا وثيقًا بمنظمة الضباط الفدائيين الأتراك هذه . وعلى الرغم من آن دور هذه المنظمة السرية انتهى رسميًا بمقتضى التوقيع على معاهدة آوشى لوزان . إلا أن المنتمين إليها من الضباط الأتراك ظلوا على اتصال بحركة الجهاد فى طرابلس الغرب وبرقة من حين إلى آخر حسبما أملته الظروف السياسية للإمبراطورية العثمانية حتى نهاية 1918 حينما وقعت معاهدة "موندروس" بعد هزيمتها على يد الحلفاء فى الحرب الكونية الأولى[2].

ومن جملة الضباط المنتمين إلى منظمة " تشكيلاتى مخصوصة " فى كل من طرابلس الغرب وبرقة قبل الغزو الإيطالي لليبيا " شلبى أدهم " الذى شغل منصب القائد العام للقوات التركية فى طرابلس الغرب وبرقة ، وخليل بك مظفر والمقدم محى الدين بك ضابط البحرية، وكل من الملازم حسن فهمى والملازم طاهر(*).

ولقد كان دور المنظمة قبل الغزو الإيطالي يتمثل فى تعويق التسلل الاستعمارى الإيطالي المتمثل فى المشاريع الاقتصادية ، التى كانت إيطاليا تقوم بتنفيذها من خلال مصرف روما فى طرابلس الغرب ، فقد قامت فروع جمعية الاتحاد والترقى فى طرابلس الغرب بنشاط ملحوظ آنذاك؛ قصد منه توعيه العرب الليبيين إلى المخاطر والأطماع الاستعمارية الإيطالية التى تحدق بهم ، فعولوا على عقد الإجتماعات فى المساجد، ودعوة الناس لها لتنويرهم بهذه المخاطر التى تكمن فى الدعاية الإيطالية كما قام أعضاء جمعية الإتحاد والترقى فى طرابلس

---

(1) مذكرات الضباط الأتراك . مركز دراسات وبحوث الجهاد الليبي . طرابلس . 1980. ص : 120.

(2) أمين سعيد ، الدولة العربية المتحدة ، مرجع سابق ، ص: 50.

(*) صور لهؤلاء الضباط تجدها بأخر الكتاب.

بالتعاون مع الضباط المنتمين لمنظمة "تشكيلاتى مخصوصة" بإجراء إحصاء عام للرجال القادرين على حمل السلاح وأرسلت تقارير إلى إستانبول بهذا الشأن لحث السلطات على إرسال السلاح اللازم[1] وكان أنور بك عندما وصل إلى درنة متسللاً عن طريق الحدود المصرية قد قام على الفور بإرسال ضباط من رفاقه إلى كل معسكر عثمانى فى موقعه وهى من الشرق إلى الغرب : طبرق ، ودرنة، وبنغازى ، ومصراتة ، والخمس ، وطرابلس ونصب العقيد نشأت قائداً عاماً للقوات العثمانية فى قطاع طرابلس بمعاونة: المقدم "على فتحى بى" والملازم "طاهر" وكان مركز قيادتهم يقع فى العزيزية بالإضافة إلى معسكرين بالجنوب من المتطوعين العرب تحت قيادة المقدم "محى الدين بى" وبعض المستشارين الألمان.

أما فى الخمس فكان يرأس القوات العثمانية فيها " خليل بى مظفر " يعاونه الملازم " حسن فهمى " ومركز قيادتهما فى جبل المرقب ، وفى مصراتة كانت القيادة للنقيب " حقى " بمعاونة الملازم "نورى" وأما فى " بنغازى "قد تسلم قيادة القوات العثمانية " عزيز على المصرى وكان يعاونه " سليمان العسكرى " وفى طبرق تولى القيادة العامة " شلبى أدهم " يساعده المقدم " ناظم إسلام " وكان مقر القيادة " فى عين الغزالة " أما فى درنة فقد أدار " أنور باشا " دفة الأمور بنفسه هناك، كقائد عام لقيادة المقاومة يعاونه شقيقه "نورى بى " وبعض المستشارين الألمان وعدد من الضباط الأتراك أمثال " مصطفى كمال" [2] قائد معسكر عين بو منصور يعاونه فى هيئة الأركان النقيب " سركيس رشيد " رئيساً للأركان وأشرف " كونجو باشى " قائد قوات العصابات العربية وقيادتهم جنوبى درنة ومعسكراتهم فى " الظهر الأحمر " وعين بو منصور " " والطنجى " "وسيدى عزيز ". وفى مقر المعسكر فى عين بو منصور أنشأ أنور باشا مصنعاً للذخيرة ومركزاً للتدريب ، وجريدة بعنوان " الجهاد " ومدرسة لأبناء المشائخ بمعسكر عين بو منصور أيضاً ، ثم توسع فى إنشاء المدارس حتى عشرة مدارس شملت ألف طالب ومائة وخمسين طالبة، إضافة إلى مدرسة تجارية وأخرى زراعية ، وقد بعث بمائتى طالب إلى مختلف المدارس والمعاهد التركية فى تركيا[3].

وفى ربيع 1912 انخرط فى معسكر عين بو منصور فقط ألف متطوع من القبائل العربية كان يدفع لكل متطوع قطعتى ذهب ، كما أسس فرقة من الحرس الخاص بقيادة "ممتاز بى" وقد كان الجنود والمتطوعون مسلحين ببنادق أغتنمت من الإيطاليين ، وبنادق الموزر التى هربت

---

(1) قوائم بأسماء هؤلاء الرجال القادرين على حمل السلاح بقسم الوثائق بمركز الجهاد الليبي، طرابلس.

(2) الغازي مصطفي كمال باشا " وهو " مصطفى كمال أتاتورك ، فيما بعد.

(3) من تقرير أحمد فريد رئيس فرع جمعية الهلال الأحمر المصري الذي كان قد سلمه إلى مراسل صحفي ألماني التقى معه أثناء زيارته الأولى لدرنة 1912 ، وترجم التقرير من الألمانية إلى العربية الدكتور مصطفى هيكل . والتقرير يعطينا صورة جيدة عن الجهاد وسير المعارك حيث وصف معركتي اللبن وسيدى كريم القرياع.

بطريقة أو بأخرى من إستانبول إلى برقة ، فى الوقت الذى كان فيه الإيطاليون مسلحين تسليحًا ثقيلاً بل ويمتلكون الطائرات الحربية ومناطيد الاستكشاف(*) ومما يحسن الإشارة إليه هنا الحماس المتقد لدى المجاهدين العرب الذين لم يكتفوا بما اغتنموه من الطليان من أسلحة خفيفة وثقيلة؛ بل أنهم قاموا بحملة تبرع جمع فيها ألف آلف جنيه تركى قدموها إلى أنور باشا مرفقة بطلب لشراء طائرة لمقاتلة الإيطاليين بنفس السلاح الذى يقاتلونهم به ولكى يؤمن آنور باشا مصدرًا دائمًا للسلاح، ويحمل الأهالي على معاداة الإيطاليين وسلبهم كل شيء فقد كان يدفع لكل من يغتنم بندقية أو يحضر أسيرًا على قيد الحياة مبلغًا معينًا من المال ، إذ كان يشترى البندقية الإيطالية بمبلغ ستين قرشًا من الفضة والمدفع الرشاش بليرة واحدة . وكان من يحضر أسيرًا على قيد الحياة يكافأ بمبلغ خمس ليرات . وحدث أن العرب تمكنوا من اغتنام ألف وخمسمائة بندقية وخمس مدافع رشاشة يوم 14 /1912/1[1].

تنظيم قوات العرب الليبيين التى شكلها أنور باشا:

كان المعسكر يضم عدة خيام ، وكل خيمة تضم خمسة عشر مقاتلاً من قبيلة واحدة يرأسهم عريف أو نائب عريف يعينه شيخ القبيلة التى فيها هؤلاء المجاهدون وكان يخصص لكل خيمة إمرأة تقوم بخدمتهم من إعداد للطعام وغسل للملابس وحمل للطعام والماء فى ميدان المعركة إلى جانب إثارة همم الرجال فى أثناء المعركةوتضميد جراح المصابين ورثاء الشهداء وذكر محاسنهم[2].

ولقد كان بمعسكري " عين أبو منصور " " والظهر الأحمر" عددًا من المجاهدات يتراوح ما بين 450 إلى 500 مجاهدة ، وذكر أنور باشا الأدوار(**) ، (المعسكرات) المتعددة التى كن يقمن بها مشيدًا بمحاسنهن ، وإزداد إعجابه بالمرأة العربية الليبية واستقامتها وصلابتها وبسالتها؛ فطلب من الحكومة استصدار مرسوم خاص للسماح للضباط بالزواج من العربيات ، وكان يحق لكل متطوع يوميًا كمية مقررة من الطعام، وأن يدفع له يوميًا قرشان من الفضة[3] .

وكان يرأس كل خمسين مقاتل من قبيلة واحدة شيخ من شيوخ القبيلة، كما كانت السرية تتألف من مائة وخمسين مقاتل يقودهم ضابط تركى ومساعدون برتبة صف ضابط . وإذا توفر لقبيلة أن تشكل كتيبة كاملة ، حينئذ يرأس هذه الكتيبة شيخ القبيلة بنفسه وكان

(*) صورة الطائرة والمنطاد (تجدها فى نهاية الكتاب).

(1) مذكرات أنور باشا ، مرجع سابق ، ص: 201.

(2) جون ريمون ، مرجع سابق ، ص: 339.

(**) صورة إحدى المجاهدات (تجدها بنهاية الكتاب).

(3) مذكرات أنور باشا. المرجع السابق. ص202.

يساعده مستشارون عسكريون أتراك، وكان من المتفق عليه أن تدفع لكل عائلة آستشهد عائلها مخصصات مالية آسبوعية إضافة إلى تزويدهم بالطعام الكافى لإعالتهم مجانًا بعد فقد من يعولهم فى ميدان الحرب. هذا ومن المؤكد آن القبائل العربية القريبة من درنة وطبرق قد استفادت جميعها من حركة الجهاد التى قادها الأتراك فى برقة (على وجه الخصوص) إذ صدرت أوامر ومراسيم خاصة من " أنور بك " بالتشديد على الحفاظ على الأمن بين الأهالي وسلامة ممتلكاتهم وحيواناتهم ، وبالمقابل فإن الأهالي والقبائل التزمت بتزويد معسكرات الجهاد بما يلزمهم من الخيول والإبل واللحوم والأعلاف وبأسعار مشجعة.

أحمد الشريف:

ينفرد السيد آحمد الشريف عن غيره من الزعماء السنوسيين بعدائه الشديد للإيطاليين، وأنه قاد الكفاح ضدهم بعد خروج الأتراك من برقة ثم من طرابلس، واشترك اشتراكًا فعليًا فى المعارك ضد الإيطاليين مثل معركة "سيدى كريم القرباع " أو (يوم الجمعة) وذلك فى أعقاب الصلح (أوشى لوزان) تلك المعركة التى كان قائدها العسكرى "عزيز بك المصرى" (عزيز باشا بعد ذلك) 1913.

أما بقية الزعماء السنوسيين من إخوته وأولاد عمه فإنهم جميعهم لايرقون إلام وصل إليه أحمد الشريف من بلاء عظيم، والإندفاع فى الجهاد رافضًا الصلح أو مجرد مفاوضة العدو مهما لاقى من الهوان .

فمثلا أخوه " صفى الدين" شارك فى الجهاد، وإن كان لم يوفق فى كل ما سعى إليه وخاصة ما نسب إليه من صدام مع المجاهدين فى طرابلس بعد نصر"القرضابية" لمحاولة فرض سيطرته على القطر الطرابلسى فأوغر صدر" رمضان السويحلى " زعيم مصراتة وصدور بقية زعماء "مسلاته " و"أورفلة " عليه، وإستمال إليه القبائل التى كانت تسير خلف صفى الدين وحاربه فى 1916 وهزم جيش السنوسيين الذي كان يرأسه "صفى الدين" وأرغمهم على أن ينسحبوا إلى برقة؛ فأضاع بذلك على السنوسية فرصة الانتشار فى طرابلس كما هى منتشرة فى برقة؛ وأفقد البلاد وحدة العمل الوطنى التى ظهرت فى حرب الطليان آثناء معركة القرضابية[1].

أما "محمد عابد السنوسى " فكان يميل إلى الإيطاليين ، ولقد حافظ على عهوده التى سبق أن التزم بها نحو إيطاليا وساعد على استسلام جميع زوايا " فزان " وبعض الزوايا فى برقة وكان "هلال السنوسى " شابًا متقلبًا مترددًا، وإن كان يميل إلى الإيطاليين ، وقد حاول " عزيز

(1) أمين سعيد ، مصدر سابق ، ص: 35.

المصرى " القبض عليه أما " إدريس " وأخيه " الرضا " فكانا يقفان موقفًا غير محايد[1] ويعتبر "إدريس "هو صاحب فكرة المهادنة والتفاوض والاتفاق مع الإيطاليين والإنجليز ووقف الجهاد ضد الإيطاليين بعقد صلح " عكرمة " وإتفاق " الرجمة " وإتفاق " أبومريم " وهو أول من يعيّنه الإيطاليون أميرًا على جزء من البلاد (فى إجدابيا) تحت ظل الاحتلال[2]. ونعود إلى " أحمد الشريف " لكى نتعرف أولاً على شخصه كما وصفه لنا " شكيب أرسلان " الذى زاره فى مقره فى الأستانة بعد انتهاء دوره فى الكفاح في أعقاب هزيمته العسكرية أمام الإنجليز 1916 في الحرب التي جره إليها الأتراك؛ وكانت هذه الحرب سببًا فى خروجه من بلاده بأمر من إدريس الذي كان قد بدأ مهادنة الإنجليز والإيطاليين والصلح معهم، والتى سيرد تفصيلها بعد ذلك.

فيقول شكيب أرسلان عن " أحمد الشريف " :" رأيت فى السيد حبرًا جليلاً ، وسيدًا عظيمًا، وأستاذًا كبيرًا . من أنبل ما وقع نظرى عليهم مدة حياتى: جلالة قدر وسداد رأي وقوة حافظة مع الوقار ..لايرقد فى الليل أكثر من ثلاث ساعات ويقضى سائر ليله فى العبادة والتلاوة والتهجد"[3] .

ولقد حاول الإيطاليون أكثر من مرة أن يستميلوا إليهم " أحمد الشريف" بواسطة عملائهم أمثال " محمد على علوى " الذى كان يعمل ترجمانًا مع" إنساباتو " المعتمد الإيطالي بالقاهرة دون جدوى وهناك رسائل متعددة بين "إنساباتو " و" أحمد الشريف " كانت بدايتها أن " علوى " يرغب فى الانضمام للطريقة ثم تحولت إلى عرض خدماته على أحمد الشريف الذى كان يحب القراءة الكثيرة؛ فطلب منه أن يرسل إليه كتبًا معينة فى السيرة والتاريخ وغيرها إلى أن تطورت إلى طلب كميات بسيطة من الأسلحة ، أو أن يرسل أحمد الشريف له بعض الأسلحة (كالمسدسات مثلاً) لإصلاحها ، وكان بينهم رسل لحمل الأسلحة والكتب وتوصيلها[4].

وكان هذا المترجم فى الحقيقة يرمى من وراء هذا العمل الحصول على ولاء السنوسيين لإيطاليا طبعًا قبل أن تقوم بإحتلال البلاد الليبية بدفع من" إنساباتو" الذى كان وراء هذا العمل مستغلين فى ذلك ظروف السنوسيين القاسية حيث كانوا يحاربون الفرنسيين فى الجنوب فى مملكة "كانم ووادّاي" السابقتين من "السودان" استمرت من 1901 – 1913 م[5] ويقول "شكيب أرسلان "فى أهمية هذه الحرب مع الفرنسيين: " ليست الحرب الليبية وحدها هى التى كانت

---

(1) إنساباتو . مرجع سابق ، ص: 254.

(2) آمين سعيد . مرجع سابق . ص: 37.

(3) شكيب أرسلان ، مرجع سابق ، ص: 159.

(4) إنساباتو ، مرجع سابق ، ص: 255.

(5) يمكن الجوع إلى كتاب الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى لكاتبه عبدالرحمن تشايجي . ترجمة الدكتور على إعزازي ومراجعة محمد الأسطى من منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طرابلس ، 1989 م ص: 61. وكذلك كتاب : ق: أ . بروش ، مرجع سابق ، ص. 318.

تظهر بطش السنوسيين بل سبقت لهم حروب مع "الفرنسيين" ويضيف بأن السنوسيين فى اعتقاده قد عرقلوا المد الأوربى إلى حد كبير فى ليبيا وفى شرق إفريقيا وغربها ولولاها لما اعتنقت الإسلام قبائل وثنية سوداء واستطاع المبشرون أن يضموهم إلى حوزتهم"[1].

وفى رسالة من" أحمد الشريف " يطلب فيها ألف بندقية مع مسدسات ومناظير حربية وآلتين لقياس البعد وهو يقدم لها بقوله :" لقد تأكد لدينا إخلاصكم ونواياكم النبيلة – تحمون السنوسية وتساعدون المسلمين، و تسعون إلى نشر الإسلام بواسطة الزوايا السنوسية؛ وإننا لانمنعكم من ذلك بل إنكم ستجزون .. " طبعًا اعتقادًا منه أنهم يساعدونه لوجه الله وهو اعتقاد غير صادق.

ويضيف " أحمد الشريف" فى رسالته ": ليس فى هذه الدنيا أعز لدينا من السلاح والكتب فبالسلاح نهزم أعداءنا وأعداءكم ، وبالكتب يزداد علمنا ، وهذا مايحرص عليه المسلمون". هذه الرسالة أرسلها " أحمد الشريف " 1905 إلى المدعو " محمد على علوى" المصرى الذى كان يعمل بالوكالة الدبلوماسية الإيطالية بالقاهرة، والتى كانت تمارس نشاطًا إسلاميًا عن طريق مجلة تسمى "النادى " يكتب فيها الشيخ " محمد عبده" والشيخ" عليش " وغيره من زعماء المسلمين[2] . كما كان يحررها ويشرف عليها " إنساباتو " الإيطالي الذى يقوم بنشاط جاسوسى ، وكان يدافع فيها عن الدين الإسلامى ظاهريًا ، وكان رأي الأخير أن تواصل إيطاليا إرسال السلاح والهدايا إلى " أحمد الشريف " لكى تستميله إلى صفها وخاصة بعد الاحتلال . ولقد اختلف " إنساباتو " مع"جيولييتى" رئيس الوزراء الإيطالي حول تخوف إيطاليا من إرسال السلاح والهدايا إلى أحمد الشريف بقوله فى رسالة له حول تخوفه : "وافتراض توجيه فوهات الألف بندقية ضد الإيطاليين فى غد قريب غير صحيح ، ذلك أن هذه البنادق سوف تحول إلى المواقع الصحراوية للدفاع هناك عن المصالح السنوسية وتوزيعها على منطقة واسعة كهذه تجعلها عديمة الفعالية ، علاوة على أن السنوسيين إذا ما أرادوا الحصول على بنادق فستوفر لهم من مصادر أخرى ، وتكون السنوسية عندئذ حرة فى استعمالها حقًا ضدنا.. إنها اليوم صديقة لنا .." [3] وكانت طلبات "أحمد الشريف" من السلاح قرب بداية الغزو لا تجاب من قبل الإيطاليين لأنه يبدو أن روما كانت تشعر بأن هذا الرجل ليس كغيره من

---

(1) محمد فؤاد شكري ، مرجع سابق ، ص: 99 –100.

(2) "محمد عبده" من علماء المسلمين الذين ظهروا في نهاية القرن 19 وهو غني عن التعريف لأن اسمه وصيته ذاع في العالم ، والشيخ " محمد عليش " من كبار علماء الأزهر ، وكلا العالمين وقع في حبائل " أنريكو إنساباتو" المعتمد الإيطالي ، ومدحوه على صفحات مجلة "النادي" التي كان الأخير يصدرها بالقاهرة في عام 1908 ، ويدعوفيها للإسلام والدعاية لإيطاليا من خلال ذلك.إنساباتو،مرجع سابق، ص:214.

(3) أنريكو إنساباتو ، مرجع سابق ، ص: 215.

العائلة السنوسية (عابد أو الرضا أو إدريس) الذين كان ميلهم للإيطاليين ميل خفيف .

لذلك نرى أن "أحمد الشريف" فى رسالة أخرى بعد العدوان الإيطالي على ليبيا يكتب لهم "...قل لى أيها الأخ ": كيف يمكن أن نثق فيهم إذا كنتم أنتم أنفسكم قد قلتم فى إحدى رسائلكم: إن الوزير الإيطالي قد قال سوف لن نعطيهم سلاحًا للقتال ؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إنهم مصممون على محاربتنا من وقت بعيد ، ولقد جاء عملهم مطابقًا لأقوالهم".

وفى فقرة تالية بالرسالة نفسها يقول " أحمد الشريف" : " وأقسم بالله أننى لن أسلم رقاب المسلمين إلى الكفار. وأننى أحافظ على الوعد الذى قطعته على نفسى فى رسائلى السابقة ، ليست لنا ثقة فيهم فقد وعدوا وخالفوا الوعد"[1].

ثم يكشف العمل الدنيئ الذى قامت به الوكالة الإيطالية قبل العدوان بنفس الرسالة يقول:" لم أكن اعتقد – والله العظيم – أن هذه المجاملات كانت من أجل الأهداف التى ذكرتموها ، أي من أجل تمليك رقابنا والدخول تحت حماية الإيطاليين ، وأسألك بالله : هل سألونى عندما قرروا الغزو ؟ بل غزونا بقوتهم، قاتلهم الله ".

ثم ينهى رسالته بقوله :".. أما بالنسبة للأشياء التى يقدمها الطليان لنسلمهم بلاد المسلمين فلا حاجة لنا بها " ويطالب فى نفس الرسالة إعادة المسدسات التى أرسلها لصديقه " محمد على علوى"[2] لإصلاحها إنهاءًا للعلاقة الخداعية التى أقاموها معه والاختبار الذى عقدوه " لأحمد الشريف ، ونجح فيه بجدارة ، وكما نعرف من هذا الكتاب كيف أن "جيوليتى" رئيس الوزراء الإيطالي – سوف يصدر التعليمات بنقل " إنساباتو " من عمله وبوقف محمد على علوى ، ويعين شخصيات أخرى بدلاً منهما لفشلهما فى استمالة أحمد الشريف لصف الإيطاليين رغم ما بذلوه من جهد ، وكانت الرسالة التى عبر فيها " أحمد الشريف " عن غضبه من الإيطاليين ردًا على الرسالة التى كان قد حملها إليه شخص يسمى " السويرى عصمان " وتتضمن تكليف من مكتب المعتمد الإيطالي إلى " أحمد الشريف " لكى يوجه رسائل إلى مشائخ برقة " الذين يرأسون زوايا فروع القبائل المنتشرة هناك تطلب إليهم الاستسلام للإيطاليين بصفتهم أصدقاء وليسوا كبقية المستعمرين[3].

ولقد كان السيد "أحمد الشريف" يذكر دائمًا وبكل فخر أنه تعلّم على يدى العالمين الجليلين، الأول: عمه " محمد المهدى السنوسي" والثانى: " أستاذه " أحمد الريفى " الذى يصفه بأنه كان

---

(1) إنساباتو ، المرجع السابق ، ص: 215.إنساباتو

(2) محمد على علوي " هو مصري يعمل مترجمًا في الوكالة الدبلوماسية الإيطالية ، وكان صديقًا لأحمد الشريف بدعوى أنه يميل إلى الدخول في الطريقة السنوسية والحقيقة أنه عميل عربي لدى المعتمد الإيطالي بالقاهرة والشرق الأوسط.

(3) أنساباتو ، نفس المرجع السابق ، ص: 216.

علامة وبحرًا فى جميع العلوم ، فقرأ فى فاس " واتقن العلوم بأسرها حتى الفلك والاسطرلاب والهندسة والرياضيات وهو يعتمد على تعليمه له حيث زوده بالنصائح التى أفادته فقد قال له : " أمامكم جهاد طويل عريض ، فينبغى لك أن تجاهد ولا تقعد، وأن الجهاد ينتهى بنصركم. وإنما لاتجعل لنفسك مركزًا معينًا تلازمه ، ولاتكن مهاجمًا للنقاط المحكمة بل قف دائمًا على قدم الدفاع ، وإياك والصلح ، فسأله "أحمد الشريف" وأين يكون هذا الجهاد ؟ وكان ظنه أنه يعنى حربًا تقع بين السنوسيين والفرنسيين فى جهة " ودّاي " لأن القتال وقتها كان مستمرًا بين الفريقين على "عين كلك " فأجابه سيدى "أحمد الريفى " كلاً ، هذا جهاد ضد عدو يأتيكم من البحر، وهو الطليان وستأتيكم النجدة من استنبول " ولم يمض شهران على هذه الوصاية حتى نشبت حرب طرابلس وتحقق كل ذلك[1].

أصبح إذن من الثابت إن السيد أحمد الشريف قد تحدث عن الغزو الإيطالي قبل حدوثه بشهرين كما ورد فى مذكراته التى كتب عنها "شكيب أرسلان" كما تنبأ به قبله شيوخ آخرون فى الدواخل، ودونوا ذلك فى مخطوطاتهم وعندما حاصرت السفن الإيطالية مدينتى "بنغازى" و"درنة " وصل إلى السيد أحمد الشريف تقرير من ممثله فى زاوية بنغازى يفيد بأن ثلاثين قطعة بحرية إيطالية وصلت يوم 23 شوال 1330 هـ الموافق 21 أكتوبر 1911 م، إلى ميناء بنغازى وحاصرت المدينة حتى يوم الخميس الموافق 25 من نفس الشهر باشرت تلك السفن دك المدينة بمدافعها، ويذكر التقرير أن قبيلة "العواقير" وغيرها من القبائل قد وصلت إلى المدينة لنجدتها قبل عمليات الإنزال إلى الشاطئ؛ فاستقبل أهل المدينة المجاهدين من هذه القبائل وأكرموهم[2].

وعلى الرغم من انشغال قوات أحمد الشريف حينئذ فى محاربة الفرنسيين فى الصحراء إلا أنه عقد اجتماعًا ضم العديد من العلماء وزعماء القبائل؛ استعرض فيه الموقف الطارئ ومايجب اتخاذه إزاء هذا الموقف ، ورغم تخوف البعض من مغبة محاربة قوتين فى وقت واحد هما فرنسا وإيطاليا ، إلا أن السيد أحمد الشريف وقف فى وجوههم صارخًا معلنًا بأنه سيحارب الإيطاليين ولو لم يبق له فى يده الا عكازه ، ولقد اذاع على الناس منشورا عشية الغزو الإيطالي نشر فى مجلة المنار[3] ، قال فيه: "... اعلموا أن الأجل محتوم .. واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف.. ولاتصدنكم عن جهادكم كثرة عدّة ولا عدد، وإن قوة الإيمان يتلاشى فى جنبها كل عدد ، فمجموعهم المعسكرة مكسّرة ، وعزماتهم المؤنثة مصغّرة ، وإن كانت ذواتهم مذكرة مكبرة ، وقد وعد الله ناصره بالنصر والتثبيت ، والعدو بالتعس والتشتيت، ولاترتدوا على أدباركم لضعف من بعض أمرائكم .. فقد قال الله تعالى: "كم من فئة قليلة

---

(1) لوثروب ستودارد وشكيب أرسلان ، مرجع سابق ، ص: 160.

(2) محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، القاهرة ، مطبعة الهواري ، 1945 ، ص: 256.

(3) المجلة ، منشورة على شكل أجزاء ومحفوظة بمركز جهاد الليبيين ، جـ 15 ، ص: 109 - 111.

غلبت فئة كثيرة باذن الله"، والأحاديث فى الترهيب من ترك الجهاد والترغيب فيه لايحاط به كثرة ، وإذا تركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاً لاينزع عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم..."

هذا ولقد عمق المجاهد "أحمد الشريف" مفهوم الجهاد فى عقول الناس ، ورغم مشاغله الكثيرة نجده يعكف ويؤلف كتابًا فى هذا الموضوع فى الفترة الواقعة ما بين نوفمبر 1911 ونوفمبر 1914 بعنوان: بغية المساعد فى أحكام المجاهد، نشر فى مصر أواخر 1914 وفى هذا الكتاب تكريس لفكرة الوحدة الوطنية فى إطار الفكر الدينى ومحاولة لدحض الأكاذيب والدعايات الإيطالية التى وجدت طريقها إلى داخل البلاد، ويحذر أولئك المتعاونين معهم من سوء العاقبة دنيا وآخرة[1].

أول جيش من المجاهدين:

هذا ولقد كانت الزوايا مركز التقاء المجاهدين من كل حدب وصوب بمجرد أن شاع خبر نزول الطليان ، ففى بنغازى مثلاً وقبل ضربها بقذائف الإيطاليين يوم الخميس 18 اكتوبر 1911 بأيام قلائل جاءت برقية إلى الحكومة المحلية من وزارة الحربية التركية تأمرها بالانسحاب إلى الداخل بما لديها من القوة عند الضرورة وتأمرها أيضًا باشتراك المجاهدين معها فى الرأي ، وكان وقتئذ وكيل زاوية بنغازى " أحمد العيساوى" الذى كتب فور اخطاره بالنبأ إلى جميع مشائخ الزوايا يستنفرهم للحرب على جناح السرعة[2].

وكاد القائد التركى يلحق بالمتصرف الذى غادر البلاد إلى الأستانة ومعه بعض الموظفين لولا آن شيخ الزاوية طمأنه إلى أن المجاهدين فى طريقهم إليه من سائر الزوايا التى اتصل بها، ولم يتركه حتى أقنعه وثبته فى مكانه[3] قال له: إنى ذاهب إلى بلدة "المرج " لأقابل شيخ زاويتها وانظر ماذا أفعل وأرجع إليه عاجلاً ، وقابل فى الطريق الشيخ " عمران السكورى " شيخ زاوية " المرج" ومعه ثلاثمائة محارب بجميع معداتهم ، وهذا أول جيش من المجاهدين فى برقة اسعف الجيش العثمانى المتقهقر بعد عزمه على الرحيل والتحاقه بالمتصرف الهارب . ولما رآي القائد التركى اول نجدة جاءته اطمأن بعض الشيء وكان " عمر المختار " وقتئذ يزور الكفرة ، وحين علم بالغزو الإيطالي جد فى السير إلى ان وصل إلى " زاوية القصور " التى يعمل شيخًا لها ، وفى الحال آمر قبيلة "العبيد " التى تتبع هذه الزاوية بالاستعداد للحرب، وقد وجد أمامه "أحمد العيساوى " فى القصور" يتفقد أحوال أهله الموجودين بها؛ فأخبره بأن مشائخ الزوايا بقبائلهم مستعدون للجهاد ، وتتابع شيوخ الزاويا بقبائلهم في الوصول على

---

(1) عبد المولى الحرير . مجلة البحوث التاريخية . العدد الثاني ، يوليو 1980 ، مركز جهاد الليبيين . ص: 317.

(2) محمد الأخضر العيساوي ، مرجع سابق ، ص: 14.

(3) نفس المرجع السابق . ونفس الصفحة.

التوالي (المرج ، طلميثة، تكرة، أم شخنب، أم موسى الطيلمون...) وهؤلاء كلهم أسعفوا الجيش العثمانى النازل بالأبيار خارج مدينة بنغازى .

ولما آنس القائد التركى من كثرة الجيوش اتفق مع المجاهدين المذكورين وارتحلوا سويًا ليكونوا على مقربة من العدو فنزلوا بموقع " الرجمة " على بعد عشرين كيلومترًا من بنغازى. وبعد أيام قلائل التحق بهم "أحمد العيساوى " و"عمر المختار" الذى كان قد وصل ومعه المجاهدون من زاويته وقدرهم ألف مسلح بجميع ما يلزمهم[1] ثم اتفق الجميع على أن يغيروا موقعهم إلى موقع آخرآكثر قربًا من العدو، فكان موقع " بنينة " ويبعد عن بنغازى ساعتين للفارس - كما قيل فى ذلك الوقت - وهو مكان مطار بنينة الحالى.

وبدأوا فى مناوشة العدو ليلاً ونهارًا حتى ضيقوا عليه الخناق، واستولوا على غنائم كثيرة منه حتى يستكملوا تسليحهم من العدو واستمروا على هذا الحال حتى وصل " أنور باشا" القائد العسكرى العام التركى الذى تسلل عن طريق الحدود المصرية إلى الأراضى الليبية على جمل بعد أن غادر الأستانة مارًا "بمصر" هو وبعض الضباط الأتراك أمثال: فتحى باشا أوقيار و"مصطفى كمال باشا " الذى تخلف فى مصر لمرضه وسافر للعلاج فى " فينا " ولحق بهم بعد ذلك فى معسكر " عين بو منصور " فى درنة " وعزيز المصرى باشا "[2] الذى كان يتبعه معسكر بنغازى. وجاءت البضائع والارزاق من الدولة العثمانية، ومن التبرعات التى جمعت فى مصر على المستويين الرسمى والشعبى. وقويت شوكة المجاهدين المسلمين ، ويرجع الفضل فى هذا كله إلى استعداد المجاهدين وإقدامهم وشجاعتهم، فجمعوا فور سماعهم بالغزو جموعًا من القبائل فى بنغازى وفى درنة وأنشئت الأدوار (المعسكرات) فى كل من المدينتين.

وبعد ذلك مباشرة وردت خطابات من المجاهد "أحمد الشريف" إلى جميع العربان يأمرهم فيها بالانقياد إلى مشائخ الزوايا ، كما كتب إلى مشائخ الزوايا بالانقياد التام إلى قادة الدولة العثمانية[3].

وهكذا بدأ جهاد على هذا النحو إلى نهاية المقاومة عام 1931 باستشهاد "عمر المختار " فى " برقة" وكان الإيطاليون قد قدروا للسيطرة على طرابلس وبرقة خمسة عشر يومًا من أول نزولهم ، بينما ذكر قادة إنجليز محنكون أن الإيطاليين متفائلون فى تقديرهم هذا، وأن الاستيلاء على ليبيا سوف يستغرق ثلاثة شهور على الأقل فى الوقت الذى استمر فيه المجاهدون طوال عشرين سنة متواصلة يقاومون الاحتلال.

(1) محمد الأخضر العيساوي ، نفس المرجع السابق ، ص: 16 .

(2) محمد عثمان الحشائشي ، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ، مخطوطة سنة 1912، القاهرة ، ص: 264.

(3) لوثروب ستودارد وشكيب أرسلان ، مرجع سابق ، ص: 161 .
- محمد الأخضر العيساوي ، مرجع سابق ، ص: 18 .
- محمد الطيب بن الأشهب ، مرجع سابق ، ص: 256.
- إيفانس بريتشارد ، مرجع سابق ، ص: 187.

ورغم الظروف الصعبة من عدم وفرة العدة والعتاد لدى الحامية التركية والظروف التى كانت تمر بها الدولة العثمانية من ضعف ومشاكل ، استجاب الضباط الأتراك من الاتحاديين لنداء الكرامة والشرف ونداء الإسلام ، ويتضح ذلك من قول أحد الضباط الأتراك الشبان: "أعرف أن الإمبراطورية التركية مشرفة على الموت ، والإسلام مهدد من كل جانب ، وليس هناك طريقة لتموت أشرف من الموت فى سبيل الدين والوطن ، وليس هناك مكان أفضل للتضحية من طرابلس حيث أموت مقاتلاً الإيطاليين".

وتولى أؤلئك الشجعان الأتراك تنظيم المقاومة الشعبية التى كان الليبيون هم سدى ولحمة هذه المقاومة وشكلت القراقولات والأدوار[1] وغير ذلك من الأنماط التى تعنى تنظيم المجاهدين فى أنظمة هدفها التصدى للعدو ، وتجدر الإشارة على سبيل المثال لا الحصر ، آن نظام الأدوار الذى عرف به الجبل الاخضر أو فرضته طبيعة القتال استطاع أن يصمد فى وجه الإيطاليين مدة عشرين سنة حتى استشهاد " عمر المختار " لقد أرسلت القبائل مجاهديها على شكل جماعات صغيرة كل مجاهد يحمل سلاحه على كتفه رابطاً رصاصاته فى حزامه ، وفى يده بضع كيلوجرامات من الدقيق ، ويقول "أنور باشا" فى مذكراته: "إن هذا الجيش على الأقل- لايتطلب مصروفات تذكر بالمقارنة مع الوحدات النظامية فى أي جيش" .

ولقد وصلت هذه التجمعات إلى حوالي ثمانين ألف مقاتل ، ويقول "أنور باشا " بان أي محاولة من جانب الإيطاليين للتقدم نحو كتلة هؤلاء الشجعان وبفضل الإمدادات القبلية المحلية المتواصلة لم تكن بالشيء السهل ، ولقد كان معسكر طبرق والمناطق المحيطة به وحدها تضم ستة عشر ألفاً من المجاهدين غير القوات النظامية (المجندين)[2].

ولقد حدث بالفعل، فى أثناء هجوم للمجاهدين العرب والأتراك المتمركزين فى " لبدة " على الإيطاليين أن سقط من المجاهدين حوالي 1200 شهيد فى تلك المعركة وحدها: مما أثرّ على معنويات القائد التركى (خليل باشا) وعندما علم رئيس بلدية "سرت" بذلك أرسل برقية تعزية وأرسل فى أعقابها 1000 متطوع مع كل منهم 100 طلقة رصاص ، وكتب للقائد التركى:"إن استشهدهؤلاء فإن ألفاً آخرين سيعقبونهم، وأن سيل المجاهدين لا ولن ينقطع أبداً".

ويقول " خليل باشا " أيضاً : " دخلت الخمس ومعى 35 جندياً تركياً فالتف حولى 300 مقاتل عربى ثم وصل عددهم بعد ذلك بقليل إلى أربعة آلاف[3]، حقاً إنها حرب وقودها الليبيون ونارها الأتراك .

---

(1) "ادوار " جمع " دور" وتعني معسكر وسبب التسمية أن المجاهدين كانوا يأتون إلى المعسكر بالدور ، وللتعرف على نظام الأدوار ، يرجع إلى بحث المبروك السعدي في كتاب ندوة حول " عمر المختار " من منشورات مركز الجهاد الليبي. طرابلس / 1981م ص:38.

(2) مذكرات أنور باشا ، مرجع سابق ، ص: 38.

(3) مذكرات الضباط الأتراك ، تقديم وترجمة عبد المولى الحرير ومراجعة حبيب وداعة الحسناوي ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1979 ، ص: 184.

ولقد اعترف "جيوليتى" رئيس الوزراء الإيطالي بعنف المقاومة الليبية حيث قال : "إن القوات النظامية فى عاصمتي طرابلس وبرقة لم تكن تزيد على ثلاثة أو أربعة آلاف جندي . ولكن ينبغى أن نضع فى تقديرنا السكان العرب الذين يشتهرون بنزعتهم الحربية الفارطة . وبخاصة تلك القبائل البدوية المقيمة بالدواخل المعتادة على قساوة حياة الصحراء والتى تعيش فى حالة حربية دائمة وهم عرضة للتأثر بالنعرات العصبية التى سيلجأ إليها الأتراك لإثارتها فى نفوسهم دون ريب . ثم أن فى برقة تنظيمًا عسكريًا حقيقيًا بزعامة شيخ السنوسية فى الكفرة والجغبوب . وعلى الرغم من أن السنوسيين لم يكونوا على علاقة طيبة مع الأتراك فلا سبيل للاطمئنان إلى هذا الوضع والركون إليه ، ولن يكون من العسير كما أثبتت الحوادث فيما بعد إمكان توجيههم ضدنا[1].

المجاهد أحمد الشريف يتسلم قيادة الجهاد من الأتراك :

بعد مرور عام تقريبًا على الغزو الإيطالي، كانت قد تكونت قوة كبيرة من المجاهدين يصل عددهم إلى حوالي ستة آلاف مقاتل فى معسكري درنة؛ حيث يقيم "أنور باشا" فى أحدهما وهو معسكر "عين بو منصور" هذا بالإضافة إلى ماعرف "بالقوات المباركة" والتى سميت بعد ذلك: "بقوات المحافظية" التى ترأسها القائد التركى "أشرف كوشجوباشى" وكان الجهاد يأخذ طابعًا قريب الشبه بالحرب النظامية، وأخذت الهجمات على التجمعات الإيطالية تأخذ شكل التهديد الفعلى الذى يؤثر فيهم ، وكان المجاهدون تحت قيادة ضباط أتراك من التنظيم الذى سمى"تشكيلاتى مخصوصة" يشكلون مقاومة عنيدة وشرسة ألزمت الغزاة الإيطاليين آن يلزموا حصونهم التى استولوا عليها فى المدن الساحلية[2].

وعلى مدى شهور يوليو وأغسطس وسبتمبر من عام 1912 وقعت وقائع كثيرة، منها الحصار الذى آحكمه "أشرف كوشجوباشى" على مدينة درنة، والهجوم الشامل الذى تم على المواقع الإيطالية والذى عرف بموقعة "رأس قصر اللبن" أو "القرقف"، والتى استمرت حوالي ست عشرة ساعة متواصلة، أبلى فيها المجاهدون بلاء حسنًا. وجرت هذه الموقعة على منطقة جبلية مرتفعة تطل على مدينة "درنة" من ناحية الجنوب الشرقى، وبدأت فجر يوم 17 من سبتمبر 1912 بأن بدأ المجاهدون بالهجوم على مواقع الإيطاليين الذين جندوهم، وقد نجم عن اندفاع المجاهدين هذه المرة هزيمتهم هزيمة غير متوقعة، ويصور لنا الشعر الشعبى عنف هذه

---

(1) مذكرات جيوليتي . مرجع سابق . ص: 69.

(2) من تقرير آحمد فريد " المصري" وكان يرأس جمعية الهلال الأحمر المصري التي كانت تعمل في درنة كتبه بالألمانية صحفي ألماني فى أثناء زيارته لمدينة " درنة" وترجمه د. مصطفى هيكل وهو مصري يعيش في ألمانيا. (صورة لجماعة الهلال الأحمر المصرى).

المعركة وشدتها من مطلع القصيدة التى نظمها الشاعر الشعبى المشهور" حسن يوسف بونضارة "الذى يقول:" رأس اللبن صار فيها الملاقا وحمين اسواقه. جميع من حضر فيه فاقد رفاقه.. فيهن صاير دباير وأغزل غزل باير، لكن إلى كتبه الله ساير "[1].

وكان أن تشجع الإيطاليون فى اليوم التالي ، وخرجوا من خلف حصونهم التى يقبعون فيها وهاجموا معسكرات الجهاد ، فحدثت معركة" تمسكت " على مقربة من وادى الناقة . ولكن الإيطاليين هزموا فى هذه المعركة هزيمة نكراء[2].

ولقد أشار " أنور باشا " فى مذكراته إلى القصائد الشعبية التى ألقيت رثاء للمجاهدين الذين استشهدوا فى هاتين المعركتين ، كما دون ما يفيد زيف السلطات الإيطالية فى تقرير عدد القتلى من الجانبين؛ فادعوا أنها كانت فى إحدى هذه المعارك (حوالي 1135) بينما يذكر أنور باشا أنهم 890 قتيلاً و185 جريحًا ،بينما قتلى الإيطاليين وجرحاهم 800 وكان الإيطاليون قد قدروها بأقل من ذلك بكثير[3].

وفى هذ الفترة التى ازداد فيها العمل الفدائى فى برقة شاعت إشاعات عن أن الترك ينوون عقد صلح مع الإيطاليين والتخلى عن البلاد . فقامت قائمة المجاهدين وخاصة فى معسكرات الجهاد، وقامت حركة واسعة بين صفوفهم تعارض الصلح ، ووصل وفد أرسله "احمد الشريف " من مكانه الموغل فى الصحراء بالكفرة؛ ليستطلع حقيقة الامر . وأُحرج " أنور باشا " عند لقائه بهم واضطر أن ينكر أمر الصلح فى بادئ الامر ؛ هذا الصلح الذى تأكد بعد ذلك وأذيع فى صحافة العالم وتناقل خبره الجميع ، وكان تأثيره على هؤلاء المجاهدين المؤمنين شديدًا فهم أولئك الذين رفعوا راية الإسلام عالية .

ونحن نثبت هنا نص الكتاب الذى أرسله أحمد الشريف إلى أنور بك وقتئذ فى درنة يقول فيه: "حضرة ولدنا البطل الهمام ، صهر مولانا الخليفة المعظم "أنور بك " زاد مجده[4]، أما بعد فقد بلغنا أن دولتنا أيدها الله ستتفق باشارة الدول على إعطاء طرابلس إلى القوم الطغاة.." " إن دماء أبنائنا لاتزال تراق على أديم هذه الصحراء فداءً للدولة والدين فلا نقبل صلحًا بوجه من الوجوه ، وليكن هذا فى علمك من الآن ، فنحن والصلح على طرفى النقيض "، "وإنى أقول فى الختام أن هذا الصلح قد يسبب نفور المسلمين فى جميع الأقطار من الدولة العثمانية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ".

---

(1) مذكرات أنور باشا ، مصدر سابق ، ص: 24 ، ص: 94 ، وهذه الأبيات تندد بالإهمال والتهور والذي نتج عنه الهزيمة . ويبدو أن الخطة التي كان رسمها أنور باشا لم تطبق بدقة.

(2) مجلة البحوث التايخية ، مرجع سابق ، مقال بعنوان تشكيلاتي مخصوصة ، ص:301.

(3) مذكرات أنور باشا ، مرجع سابق ، مذكرات يوم 21-9-1912.

- خليفة التليسي ، معجم معارك الجهاد ، ص: 431.

(4) مذكرات أنور باشا ، المرجع السابق نفسه ، ص: 100.

ولقد حمل هذا الكتاب اربعون شخصًا من الذين كانوا فى ميدان القتال إلى"أنور باشا" وأبلغوه شفاهًا رأي " أحمد الشريف" فوعدهم خيرًا[1]. ولما تم عقد الصلح وتقررت عودة الضباط الأتراك مع حاميتهم وعددهم وعتادهم إلى بلادهم، وعرف أنور باشا أن الأمور فى بلاده قد تأزمت إلى درجة كبيرة وأنه يتحتم عليه أن يسافر إلى الأستانة لإنقاذ بلاده إذ كانت ثورة البلقان على الدولة العثمانية قد أنشبت أظفارها ، وكان صعبًا على أنور باشا اتخاذ قرارالعودة بعد أن تعلقت به جموع المجاهدين وارتبط معهم .[2] وجمع " أنور باشا " ضباطه من الأتراك وناقشوا الأمر على جميع جوانبه، واتفق على العودة بعد أن كانوا قد فكروا فى الاستقالة والبقاء من قبل ، وسلمت إدارة المعسكرإلى"عزيز باشا" المصرى يساعده "سركيس رشيد "وهرع إلى الجغبوب فى سيارته الوحيدة لمقابلة أحمد الشريف حيث تم معه التصديق على تكوين حركة مقاومة وهو الأمر الذى توصل إليه الوفد الذى سبق وأرسله أحمد الشريف لأنور باشا فقابله فى الأسبوع الثالث من شهر اكتوبر1912بدرنة[3].

وقد تم الاتفاق فى الاجتماع السابق ذكره على أن يرأس " أحمد الشريف " حركة المقاومة فى شكل حكومة جديدة بشقيها المدنى والعسكرى، وتضمنت مذكرات "أنور باشا" الهياكل التى اشتملتها الحكومة الجديدة .

ولقد كان " أحمد الشريف " وهو فى "الجغبوب" على اتصال دائم بقيادة الجهاد فى "درنة" وفى جميع المعسكرات عن طريق الوفود التى كان يرسلها ومعها الرسائل لأنور باشا كما كان يقوم بتحريض الأهالي على التدريب والاستعداد للذهاب إلى معسكرات الجهاد[4]. ولقد عرض "جون ريمون" لحالة المجاهدين وفرحتهم حينما يخرج" أنور باشا " من خيمته ويعلن عليهم وصول رسالة من الشيخ أحمد الشريف يسأل فيها عنهم وعن أحوالهم[5].

وحينما تم الصلح كان أحمد الشريف قد أرسل بتعليماته إلى جميع الزوايا يعلن فيها مواصلة القتال بعد خروج الأتراك من المعركة ، ورفع راية الجهاد عالية وبعد أن انتقل أمر الجهاد بصفة رسمية إلى يد الشيخ "أحمد الشريف " فى أعقاب سفر الأتراك من برقة تحرك الشيخ المذكور من الجغبوب صوب معسكرات الجهاد التى تركزت حول " سيدى عزيز " و"سيدى القرباع " على ضفتى وادى نهر درنة حيث كان يقيم "أنور باشا " وكان موكب الشيخ "أحمد الشريف" يضم حوالي مائة فارس يعرفون بالمعية أو بالحرس الخاص ، وكان يرافقه ما

---

(1) مذكرات أنور باشا . المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(2) جون ريمون . المرجع السابق ونفس الصفحة.

(3) زعيمة الباروني . حياة سليمان باشا . ص: 318.

(4) مذكرات أنور باشا يوم 16-10-1912 . وقد عبر فيها عن أمله في وصول وفد من طرف الشيخ أحمد الشريف من الجغبوب . ص: 100.

(5) جون ريمون . مرجع سابق . ص: 340.

عرف حينئذ بطابور الطلبة وهم من جيل الشباب وقتئذ الذى اتمّ دراسته وتدريبه فى الجغبوب ، وكان من بينهم " صالح بو مطير" الذى نال شهرة بعد ذلك فائقة فى الجهاد مع شيخ الشهداء " عمر المختار " واستشهد بو مطير قبله مباشرة، وعبد الدايم بو جبريل وعثمان بوحواء وصالح بو عرقوب وعوض العبيدى ، وأخرون ممن تستحق الأدوار التى قام بها كل منهم دراسة وافية[1].

وفى طريقه إلى معسكرات الجهاد مرأحمد الشريف على وادى (المرّا) ثم توقف فى بلدة (القريات) حيث كان فى استقباله عدد من المجاهدين الذين انضموا إليه ، وكان قد تم الانتهاء من تدريبهم ووزع السلاح عليهم، وكان قد قام بتدريبهم متخصصون من أمثال: " أبو بكر البوال" من قبيلة (غيث وأبو سعيده والقطعان) ومدرب آخر سودانى الأصل يسمى (طارق)[2].

وبمجرد وصول ركب المجاهد أحمد الشريف إلى معسكرات الجهاد فى (برقة) حاول الإيطاليون عن طريق بعض الرسل من أعوانهم إقناع أحمد الشريف- بصفته قادرًا على التأثير على المجاهدين - بترك المقاومة ، وعرضوا عليه إغراءات كثيرة ، وكانوا لايجدون منه إلا الإصرار على مواصلة الجهاد وتاكيدًا أن الليبيين لا يرغبون عن الجهاد بديلاً وأنهم لن يضعوا السلاح من أيديهم حتى يحرروا بلادهم أو يفنوا عن بكرة أبيهم .

ولقد كان خديوى مصر " عباس الثانى" من الذين وسطهم الإيطاليون لهذا الغرض فأرسل وفدا لمقابلة أحمد الشريف فى عام 1913 فى الجبل الأخضر بعد أن انتقل إلى هناك؛ ليقود الجهاد بعد سفر آنور بك والضباط الأتراك الآخرون ، وحينما قابلهم المجاهد أحمد الشريف كان رده عليهم : إن لا مفاوضة إلا بعد الجلاء ، فعاد الوفد إلى القاهرة ونقل للخديوى ما سمعه وكان ذلك ختامًا لسلسلة من المحاولات ، فى الوقت الذى كان فيه القتال مستمرًا[3].

معركة سيدى كريم القرباع 16 مايو سنة 1913

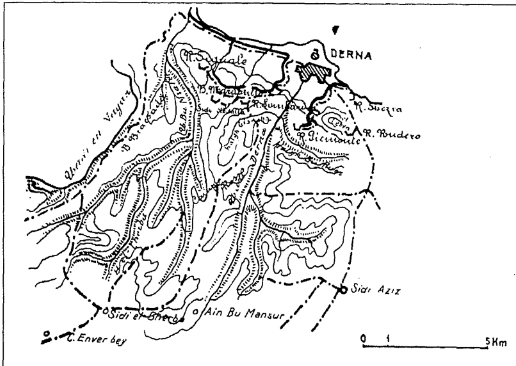
لقد حدثت هذه المعركة فى نفس اليوم الذى وصل فيه المجاهد أحمد الشريف إلى منطقة الظهر الأحمر ، يوم 16 مايو سنة1913 . وتعبر هذه المعركة عن عنفوان المقاومة بعد معاهدة الصلح، والتى هزم فيها الإيطاليون شر هزيمة. وتعرف هذه المعركة فى المراجع العربية بموقعة (يوم الجمعة) وكانت القوات الإيطالية بقيادة (مامبرتى) ويصل عددها إلى حوالي 5000 ضابط وجندى إيطالي قد وصلت إلى منطقة (سيدى كريم القرباع) التى يوجد بها معسكر

---

(1) أمين سعيد . مرجع سابق ، ص: 467.

(2) على المصراتي ، شخصيات في الظل ، مطبعة الفرجاني ، طرابلس ، 1973. وكان "طارق" شخصية أفريقية مشهورة بنضالها في عديد من دول إفريقيا.

(3) انريكو إنساباتو ، مرجع سابق ، وأيضًا شكيب أرسلان ، ص: 123.



معركة سيدى كريم القرباع والطنجى (يونيو 1913)

للمجاهدين، وكانت القوات الإيطالية مزودة بمدافع ميدان ومدافع رشاشة ، وكان عزيز على المصرى الذى تسلم القيادة من "أنور باشا" التركى - قد أدار المعركة لصالح المجاهدين[1] .

ولقد ذكرت المصادر الإيطالية أن خسائرها فى معركة "سيدى كريم القرباع" كانت أربعمائة جندى مفقود ، واثنين وسبعين مقتولين، ومن الضباط تسعة وعشرون قتيلاً وعشرة مفقودين كان من بينهم الكولونيل (مادلينا) وذكر أحد المجاهدين أنهم غنموا فى هذا اليوم فقط حوالي ألف بندقية إيطالية الصنع باستثناء قطع الأسلحة الثقيلة[2].

ولقد كان من نتائج معركة (يوم الجمعة) على صعيد الجهاد أن توافدت أعداد كبيرة من المتطوعين على المعسكرات التى أقامها أحمد الشريف فى مناطق متعددة ، والتى منها معسكر طبرق الذى عرف بدور (المدور) ، وكان تحت قيادة "أدهم باشا" التركى و"حسن الزليطنى" الضابط الليبي بالجيش العثمانى . وكذلك تأسس إلى الجنوب من "القبة" دورًا آخر عرف بدور (أبو شمال) كما أطلق عليه دور (بيتر سمندر) وكان يرأسه محمد حسين (الحلاقى) شيخ زاوية (المخيلى) وأدوارًا أخرى كثيرة منها دور القطيفة ، وجردس العبيد ، وجردس الجرارى[3].

ومن النتائج الهامة ايضا لهذه المعركة أنها أفشلت خطة (الكماشة) التى تشكلت من طابور (تاسونى) القادم من الشرق وطابور (مامبرتى) الذى كان موجودًا بدرنة ، كما شغلت هذه الهزيمة التى منى بها الإيطاليون-طابور تاسونى فى عديد من الاشتباكات، وكانت المبادرة فيها للمجاهدين من الليبيين والأتراك الذين جسدوا المقدرة على التصدى للقوات الايطالية.

كما برز فى هذه المعركة أيضًا القيادة الليبية ممثلة فى المجاهد " أحمد الشريف " مما دفع الناس إلى أن يرجعوا هذا النصر إلى بركة الرجل بينهم ، كما استبشروا خيرًا فيما هو آت.

ولقد كان ذلك النصر ثمار التكاتف والتعاون داخل جبهة القتال فى أعقاب تخلى الأستانة بالصلح عن ليبيا ، كما كانت نتيجة المعركة ذات تأثير على الروح المعنوية الليبية خاصة بعد أخبار هزيمة الطرابلسيين فى موقعة (جندوبة) بالجبل الغربى وتشجيعًا للمجاهدين فى الأماكن التى لم تحتل بعد فى الجبل الغربى .

وقد كان "أحمد الشريف"يعتمد فى توفير احتياجاته من السلاح على العثمانيين[4]من الضباط الذين ينقلون إليه ما تلقى به الغواصات الألمانية التى تلقى مراسيها على بعض المنافذ الساحلية، وخاصة عند خليج سرت وأمساعد ، وذلك قبل نشوب الحرب العالمية

---

(1) إيفانز بريتشارد . مرجع سابق . صفحات 199-200.

(2) رواية المرحوم الحاج إبراهيم المنصوري ، أحد ضباط أحمد الشريف الذي قال بأنه كان يحصي الغنائم بنفسه . المكتبة السمعية . مركز بحوث جهاد الليبيين - طرابلس، شريط رقم 1612 .

(3) شريط رقم 16/2 ، مركز بحوث جهاد الليبيين ، طرابلس ، المرجع السابق.

(4) صالح بوعرقوب . وروايته عن " منظمة تشكيلاتي مخصوصة " مقال لعبد المولى الحرير ، مجلة البحوث التارخية . العدد الأول . سنة 1979 . ص: 35.

مباشرة وكانت إحدى هذه الغواصات قد وصلت وفيها "نورى باشا" أخو أنور باشا وجعفر العسكرى، كما كانت الغواصات تحمل للمجاهدين بالإضافة إلى السلاح، الذخيرة والأموال[1].

ولقد واجهت "أحمد الشريف" مصاعب جمة فى نهاية 1913 وبداية 1914 من بينها المسافات الشاسعة بين الأدوار فى "طبرق "شرقًا " وسرت " غربًا "وفزان " جنوبًا حيث لم تكن تتوفر المواصلات الحديثة كما هو الآن ، كما واجهته مشكلة كبيرة نشأت عن الخلاف الذى حدث مع أحد الضباط الأتراك الذين تخلفوا عن العودة إلى الأستانة بعد الصلح وبقى يشرف على جهاد الليبيين ومعسكراتهم ويخطط لمعاركهم مع الإيطاليين ، وهو " عزيز على المصرى باشا" وكانت هذه الخلافات حول الاستراتيجية التى يجب اتباعها فى المعسكرات والمقاومة الليبية ضد الإيطاليين بعد أن تسلّم أحمد الشريف المسئولية فى برقة كنائب للسلطان العثمانى[2] .

وتتلخص المشكلة فى أن "عزيز المصرى" لم تتفق أفكاره العسكرية والتكتيكية - بصفته ضابطًا تركيًا كان يعمل فى جيش نظامى مع أفكار الزعيم الدينى والمجاهد أحمد الشريف ، مما دفع عزيز المصرى إلى التراجع فى قرار البقاء مع المجاهدين وعدم تنفيذ قرار الأستانة بعودة جميع الضباط الأتراك ، وحسب الأعراف الدولية قام "عزيز على المصرى" بسحب الجنود النظاميين الأتراك الذين كانوا معه وكان عددهم أربعمائة جندى تقريبًا ، وأخذ معه الأسلحة التى أمكنه حملها وتوجه نحو الحدود المصرية، ولكن المجاهدين الليبيين أعلنوا نقمتهم عليه وتصدوا له، واتهموه بتعطيل المدافع التى تركها ورائه بسبب عدم إمكان حملها ودفن (القراطيس) يقصدون الذخيرة والقذائف ، فى باطن الارض[3].

وتعرضت له قبيلة (المنفة) عند موقع بجنوبى طبرق فى أثناء انسحابه إلى السلوم وحاولوا إقناعه بتسليم الأسلحة قبل الرحيل ولما فشلوا بإقناعه تصاعد الموقف بين الفريقين حيث تبودل إطلاق النار بينهما، ونتج عن ذلك سقوط قتلى من الجانبين من بينهم ستين قتيلاً من العرب وبضع عشرة قتيل من الأتراك ، وكاد الأمر أن يتطور إلى كارثة أكبر إذ أخذت النجدات تتوافد من النجوع القاطنة بالمنطقة وتتجمع لشن هجوم شامل على المعسكر التركى المنسحب. ويذكر " مجيد خدورى"[4]: إنه التقى مع " عزيز باشا المصرى " بنفسه وسأله عن سبب انسحابه من ليبيا سنة1913 ، فأجابه: بإنه فعل ذلك سخطًا على أساليب الحرب العتيقة التى كان يتبعها أحمد الشريف مع رجاله وعدم تقبله لأنظمة الحرب الحديثة ، ويدافع "شكيب

(1) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(2) محمد لطفي إبراهيم المصري ، تاريخ حرب طرابلس ، القاهرة ، مطبعة فاروق ، بنها ، ط1 ، 1941 ، ص: 79.

(3) صلاح العقاد ، ليبيا المعاصرة ، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، سنة 1968 - ص: 93.

(4) مجيد خوري ، ليبيا الحديثة ، من مطبوعات الجامعة الأمريكية ، القاهرة ، 1966 ، ص: 34.

أرسلان "[1] عن " عزيز المصرى " فى تهمة عدم تسليم البنادق التى كانت مع الجنود الأتراك المنسحبين ، إن الدولة العثمانية التى يتبعها " عزيز المصرى " كانت ملزمة بموجب معاهدة الصلح مع إيطاليا (أوشى لوزان) أن تسحب حاميتها بالجنود والسلاح ، وأن عزيز المصرى لم يفعل سوى ما تنص عليه الاتفاقية بصفته جنديًا ينفذ التعليمات العسكرية التى وصلته "[2].

يضيف " شكيب أرسلان " والذى أعرفه انه قد تم استجواب عزيز المصرى فى الآستانة عن هذه الأسلحة بعد عودته وكيف تصرف فيها . وعندما وصل نبأ هذه الاشتبكات إلى المجاهد " أحمد الشريف " - وكان وقتها بالجبل الأخضر - أرسل لهم شيخ الشهداء "عمر المختار" والذى يقول " شكيب ارسلان ": إنه قطع مسافة أربعة أيام فى يوم واحد (لتلافى الشر ومنع الحرب) بين الجند العثمانيين والمجاهدين الليبيين الثائرين عليهم ، وكان " عمر المختار " على علاقة وطيدة مع "عزيز المصرى" بالإضافة إلى انتمائه إلى قبيلة المنفة التى منها هؤلاء الثائرون وبعد حوار طويل أمكنه إنهاء الاشتباك وإقناع عزيز على المصرى بترك البنادق التى سئل عنها فى الأستانة بعد عودته[3].

وتمكن عمر المختار من إقناع الجميع باعتبار هذه الواقعة وكأنها لم تكن؛ ورغم هذا فإن كثيرًا من مَن كتبوا عن هذا الموضوع قد كالوا الاتهامات لعزيز على المصرى ، فذكروا أنه تخابرمع الإيطاليين، وأنه أخذ معه خزينة النقود التركية، وأنه تركها بمنزل أخته بالإسكندرية وفسروا صمته بصفته رجلاً عسكريًا على انه موافق على ما اُتهم به من اتهامات[4].

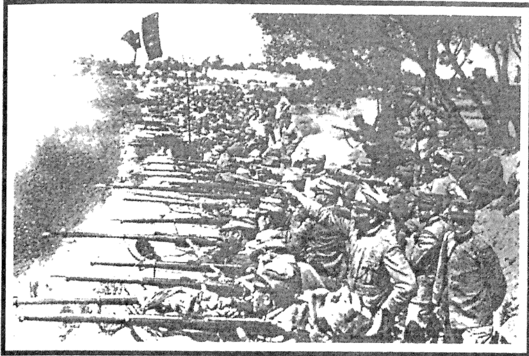
وكان الإيطاليون بالطبع يراقبون هذه الأحداث بعين التشفى؛ لأنها تخدمهم بالدرجة الأولى: لذلك فإنهم يعدون العدة فى أعقاب هذه الأحداث للإجهاز على المقاومة معتقدين أنها حتمًا قد تعرضت للضعف والوهن بعد انشقاق عزيز المصرى والجند التابعين له عن أدوار الجهاد . غير أن الواقع أن وضع الإيطاليين فى ليبيا فى ذلك الوقت كان أسوأ من وضع المجاهدين . ففى الوقت الذى كان المجاهدون يعانون فيه من نقص فى الإمدادات وانتشار الأمراض. كان الإيطاليون يعانون من صعوبة الأرض التى يقفون عليها من وطأة حرب العصابات، وقت تورطهم فى دخول الحرب العالمية الأولى التى اطلت على العالم بوجهها الكالح.

(1) لوقورب ستودارد وشكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، مجلد2 جزء 3 ص : 124.
- اقرأ أيضًا - محمد عبد الرحمن برج ، عزيز المصري ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالإهرام ، القاهرة ، 1979.

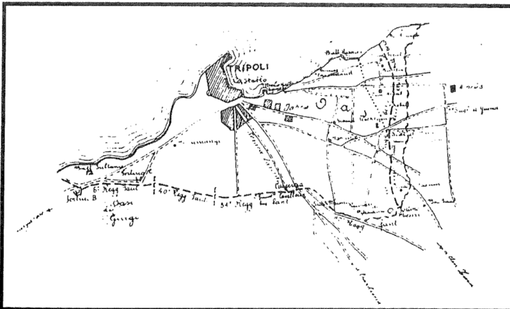
(2) نفس المرجع السابق ، شكيب آرسلان ، ص: 124 -125.

(3) الندوة العلمية عن عمر المختار . من مطبوعات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، طرابلس ، 1981 ، ص: 42. - عبد المولى صالح الحرير ، مرجع سابق، ص: 301.

(4) محمد إمحمد الطوير ، عزيز على المصري ودوره في مقاومة الغزو الإيطالي عن ليبيا ، مجلة الشهيد ، العدد التاسع ، 1988 ، ص: 19-28.
- نفس المرجع السابق.



قوات العدو الإيطالى فى خط الدفاع الثانى فى شارع الشط ترد على هجوم المجاهدين الذين هزموا قوات البيلسيليرى فى يوم 1911/10/23



خريطة معركة الشط

الفصل الثاني

تجدد حركة المقاومة فى الجنوب وامتدادها إلى طرابلس

(*) اجتياح الإيطاليين للجنوب واحتلالهم فزان

(*) محمد بن عبد الله البوسيفى يقود المقاومة فى الجنوب والقبلة.

(*) معركة قارة سبها Gara di Sebha وطرد الإيطاليين من الجنوب.

(*) معارك وادى مرسيط والقرضابية والنتائج المترتبة عليها .

(*) خليفة بن عسكر واشتعال المقاومة بالجبل الغربى .

احتلال فزان

ماكاد يتم إعلان الصلح بين تركيا وإيطاليا بالتوقيع على معاهدة (أوشى لوزان) فى الثامن عشر من اكتوبر 1912 حتى بدأت السياسة الاستعمارية الإيطالية تخطط لعملية احتلال فزان والمواقع الجنوبية والداخلية للبلاد، نظرًا للتهديد المستمر لهم من قبل المجاهدين الذين اتجهوا نحو القبلة يتزعمهم " محمد بن عبدالله البوسيفى " الذى شارك ومن معه فى معركة جندوبة وكبدوا فيها العدو خسائر فادحة عام 1913 ،وانتشروا وسط قبائل القبلة فى الجنوب، وأصبحوا على مشارف القوات الإيطالية.

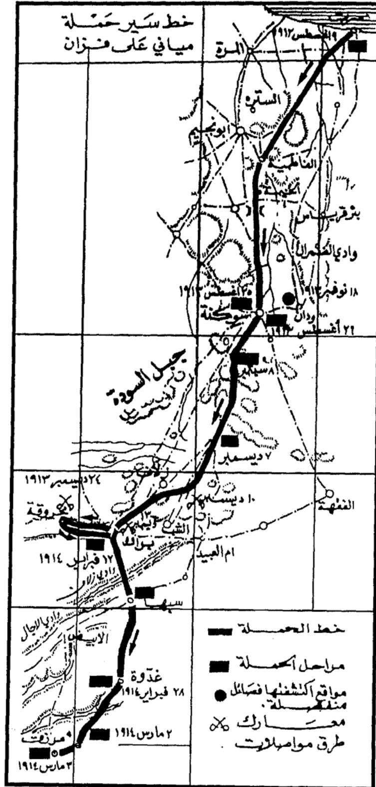
وبالإضافة إلى ذلك فإن التجارب الاستعمارية أثبتت أن الثورة ضد الاحتلال كثيرًا ما تندلع من المناطق الجنوبية أو البعيدة التى تخرج عن حدود سيطرة العدو حيث يتخذ منها الثوار قواعدًا لإعمالهم الحربية .

ولقد بدأت إيطاليا الإعداد لحملة احتلال فزان فى اواخر عام 1913 بعد آن كانت قد احتلت بعض البلدان الداخلية من طرابلس الغرب حتى اتخذوا لهم مراكز للحكم فى بنى وليد ومزدة وسناون وغدامس وبو نجيم والقريات وسرت، وكما كانت بعض هذه المراكز الصحراوية مراكزًا للحكم كانت كلها مراكزًا للاتصال بين الشمال والجنوب وثكنات للجيش ، وكانت هذه النواحى لقبائل "أبى سيف" و"المقارحة" و"الزنتان" و"أورفللة" .. وغيرها[1].

ولقد سهل لهذه القبائل بعد ما بين مراكز الطليان من مسافات القدرة على التجول والاتصال بعضهم ببعض فى كل مناسبة ، ومن هنا نشأت فكرة الحرب " الغير نظامية " ولقد انضم كثير من القبائل التى ذكرت إلى "زاوية العقر"؛ ليستندوا إلى حركة الجهاد فى "برقة" والتى كان يقودها آنذاك المجاهد احمد الشريف لتكون برقة ملجأ لهم أن اضطروا للجلاء مرة أخرى ، كما أن تقارب المجاهدين من بعض؛ سوف يجعل منهم كثرة قادرة على مناوأة الإيطاليين ، وقد كان هؤلاء المجاهدون فى نقطة من الجنوب الشرقى من سرت تقع فيما بين " النوفلية " شمالاً " وزلة " جنوبًا" ومرادة " شرقًا . وأنه ليبدو لمن لايعرف جغرافية طرابلس أنه باحتلال فزان يستتب للإيطاليين الأمر ويستولون على

---

(1) الطاهر أحمد الزاوي ، جهاد الأبطال ، في طرابلس الغرب ، ط 1950 ، مطبعة عيسى البابلي ، القاهرة ، ص: 185.
- Encyclopedia mlitare Italiana. P.181.
- جاك بيشون. المسألة الليبية فى تسوية السلام. ترجمة على ضوى. مركز جهاد الليبيين، طرابلس. 1991، ص156.


خط سير حملة
مياني على فزان
المرة
السدرة
ابونجيم
بئر قرين
وادي الشمال
٢٥ أغسطس ١٩١٣
١٨ نوفمبر ١٩١٣
سوكنة
ودان
٢١ أغسطس ١٩١٣
جبل السودة
٧ ديسمبر
٢٤ ديسمبر ١٩١٣
١٠ ديسمبر
الفقهة
محروقة
الشب
براك
ام العبيد
١٢ فبراير ١٩١٤
سبها
الابيض
غدوة
٢٨ فبراير ١٩١٤
٢ مارس ١٩١٤
مرزق
٣ مارس ١٩١٤
خط الحملة
مراحل الحملة
مواقع اكتشفتها فصائل من الحملة.
معارك
طرق مواصلات

جميع منطقة طرابلس ، ولكنه لأدنى تأمل فى الوضع الجغرافى وفى طبيعه سكان مناطق الجنوب يدرك أن النتيجة ستأتى عكسية لامحالة ، ذلك أن الطليان باحتلالهم فزان ومادونها من الصحراء إلى أورفللة " انقطع قلب جيشهم عن مؤخرته. وبعدت ميمنته عن ميسرته: فأصبح قلبه فى فزان ومؤخرته فى طرابلس وميمنته فى غدامس وميسرته فى سرت . وصار الجيش الإيطالي موزعًا فى محيط قطر دائرته من الشمال إلى الجنوب نحو ألف كيلومتر ، يضاف إلى هذا قلة مراكز الاتصال، وبعد ما بينها وصعوبة الطرق التى لاتعدو أن تكون جبلية تارة، ورملية تارة أخرى. ويضاف إلى هذا أيضًا أن سكان هذه المناطق كلهم من العرب الرحل الذين لايحلو لهم المقام إلاحيث تسقط الأمطار وينبت الربيع وقد غدوا جميعهم مسلحين. فجيش طبيعة هذه الأرض ، التى يحتلها وهذه حالة وحياة السكان الذين يراد إخضاعهم بالقوة ، ليس من مصلحته الإيغال فى مثل هذه الصحارى دفعة واحدة ، فذلك ما يعرضه لقطع مواصلاته والإغارة على مراكز تموينه وقوافل نقله ، وذلك ماحدث له بالفعل ، فإن سكان البادية الذين انحازوا إلى زاوية العقر ، آلفوا عصابات وركبوا إبلهم وخيلهم وصاروا يغيرون على عدوهم فى "بونجيم" و"مزدة" و"القريات" ، بل وفى " غدامس" .

وكانت الحملة الإيطالية قد انطلقت فى 6 أغسطس سنة 1913 من "سرت"[1] التى اُختيرت مقرًا لها نحو "سوكنة" ثم اتجهت إلى "ابراك"فدواخل فزان وكان طريق "سرت سوكنة" عبر "جبل السودة" قد اختير باعتباره أقصر الطرق وأكثرها توافرًا على المياه، وتجنب الإيطاليون الزحف على فزان عن طريق القبلة؛ بسبب الموقف الثائر المعادى الذى كانت تقفه قبائلها ضد الوجود الإيطالي بقيادة المجاهد محمد عبدالله البوسيفى، وكانت الحملة وقوامها 1200 جندى إيطالي قد أعدت بقيادة الكولونيل " إميانى " الذى اعتقد أنه سيعيد بها أمجاد القائد الرومانى "كورنيلوبالبو" وكان قد حشد فى سرت قوة تتألف من كتيبتين أريتريتين ومجموعتين من مدفعية الجبال المحملة على الجمال، وفصيلة خدمات، وسبع محطات راديو (تلغراف) وقافلة كبيرة من الإمدادات .

وكان قد جرى التمهيد لهذه العملية باحتلال "سوكنة" فى 22 من يوليو 1913 ثم اتخذت حملة " إميانى " طريقها إلى "سوكنة" التى وصلتها فى 22 أغسطس وأقامت بها مدة تزيد على ثلاثة شهور للاستعداد ومراقبة الوضع فى فزان قبل المضى فى التوغل ، وتحركت منها

---

(1) أنظر خريطة " عملية الاحتلال الأول لفزان " بنهاية الكتاب.

- غيوارج فون غريفبتيس. تاريخ الحرب الليبية الإيطالية. ترجمة عماد الدين غانم. مركز جهاد الليبيين. طرابلس 1986. ص380.

فى (6 ديسمبر1913) متجهة إلى الجنوب نحو براك' عبر جبل السودة[1].

وكان المجاهد "محمد بن عبدالله البوسيفى" فى طليعة القادة والزعماء الذين رفضوا الصلح مع إيطاليا وأعلن عن عزمه - بعد معركة جندوبة - فى الاستمرار فى المقاومة واتخذ طريقه ورجاله نحو القبلة والجنوب كما كان ابرز زعامة للمقاومة فى هذه الفترة فقد آخذ على عاتقه مهمة النهوض بعبء التصدى لقوات (إميانى) الكبيرة القوية الزاحفة نحو "فزان"، وكانت محلته تتآلف من حوالي 500 مجاهد من رجال القبلة من أولاد "أبى سيف" و"المشاشية" و الزنتان' الذين انضموا إليه وساروا تحت لوائه عقب معركة " جندوبة "حيث رفض الاستسلام وقام بإشعال المقاومة فى الجنوب بعد آن كان قد شارك فى معظم المعارك التى حدثت منذ نزول القوات الإيطالية إلى طرابلس وأبلى فيها البلاء الحسن ، وهو يعتبر فى هذه الناحية من الرعيل الأول للمجاهدين المخلصين الذين جاهدوا فى سبيل الله جهادًا حقًا[2].

وكان إميانى يضع فى حسبانه وجود هذه القوة فى خطوط الحملة، وكان هذا من الأسباب التى أدت إلى إطالة إقامته فى سوكنة وأخرته عن سيره، وقد تصدى (البوسيفى) لحملة إميانى واشتبك رجاله معها فى أول معركة هى معركة " الشب" التى جرت يوم 10 ديسمبر سنة 1913 وكانت معركة عنيفة تحول المجاهدون على إثرها إلى الجنوب للاستمرار فى اعتراض طريق القوة الإيطالية الزاحفة إلى فزان ، وقرب آبار " اشكدة " وعلى مسافة قريبة من "براك" جرت يوم 12 ديسمبرسنة 1913 معركة آخرى عنيفة مع قوات إميانى، وتصف الموسوعة العسكرية الإيطالية هذه المعركة فتقول عنها :" إن المعركة التى استغرقت بضع ساعات قد أدارها الفريقان بعنف وشدة "[3].

واضطر المجاهدون إزاء ضغط القوة الكبيرة الزاحفة إلى التخلى عن براك والاعتصام بالمناطق المجاورة ، واحتلت القوة الإيطالية بدورها " براك " ولكنها لم تشعر بالاطمئنان إلى هذا الاحتلال مع وجود وحدات المجاهدين بقيادة "البوسيفى " قريبة منها ، وتحرك المجاهدون إلى موقع آخر هو "محروقة " وفق الخطة المرسومة لاعتراض الغزاة وإنهاك قوتهم مما اضطر " إميانى" إلى ترك قوة كافية فى "براك" وتحرك بقواته الكبيرة الباقية نحو " محروقة " حيث جرت بها يوم 24 ديسمبر سنة 1913 معركة عنيفة حاسمة استشهد فيها الشهيد محمد بن

---

(1) جراسيانى. إعادة احتلال فزان. ترجمة عبدالسلام باش إمام. مركز جهاد الليبيين، طرابلس 1993، ص52.

- Bollati.A. (Enciclopedia dei nostri compattemesti coloniali), Torino, 1936, p.171-172

وبها خريطة تحرك إميانى لاحتلال فزان.

(2) Bollati A. Enciclopedia dei nostri combattimenti coloniali, Tonno, 1936, P. 171-172.

- وأيضًا ، خليفة التليسي ، مرجع سابق ، ص: 388.

(3) Enciclopedia Italiana (treccani), P. 186-187.

عبدالله البوسيفى[1]. ومعركة "محروقة" من المعارك الهامة فى تاريخ الجهاد الليبي كما تعتبر من المعارك الحاسمة فى تاريخ الاستعمار الإيطالي، حيث تمكنوا بعدها من السيطرة المبدئية على المنطقة . فظن إميانى أنه قد حقق لنفسه ولأمته أمجاد العصر: وتمكن من الاستيلاء بالفعل على سبها" فى 17 فبراير سنة 1914، ثم تحول منها إلى مرزق" فى 27 من الشهر نفسه وصلها يوم 3 مارس . يسجل الشعر الشعبى وصف هذه المعارك الثلاثة بقوله:

انهار اشكدة والشب ومحروقة　　　مدفع وموزر نارها مطلوقة(*)

ولقد بذل الجيش الإيطالي أقصى ما يمكن من مجهودات للاحتفاظ بمراكزه والمحافظة على طرق مواصلاته وتموينه فى تلك الصحراء الشاسعة المترامية الأطراف، ولكنه لم يستطع أن يطيل بقاءه فى فزان لأكثر من تسعة شهور امتدت من 3 مارس وهو اليوم الذى استولى فيه على مرزق عاصمة فزان إلى يوم 27 نوفمبر سنة1914، وهو اليوم الذى سقطت فيه قلعة سبها فى يد الوطنيين المجاهدين .

ويعلق " إيفانز بريتشارد" على وصول " إميانى " إلى الجنوب بسرعة ثم اضطراره للعودة إلى الشمال بنفس السرعة بقوله :" لقد استطاع الكولونيل "أنطونيو إميانى" الزحف ظافرا إلى "مرزق" وكان زحفه يشبه السير فى الماء فهو ينفتح بحكم قوة طابوره، وينغلق بعد مروره ولكن التيار انقلب وغلب الإيطاليون على أمرهم "[2].

ولقد كانت عملية استعادة القلعة من أيدى الإيطاليين وخروجهم من " سبها " سببًا فى اندحارهم ثم انسحاب قواتهم من الجنوب بأكمله، وتعرضهم فى أثناء ذلك لعمليات الإبادة من البدو والمجاهدين[3].

ولقد كانت مشكلة المواصلات هى أول مشكلة قابلت " إميانى" فأقصر طريق يربطه بقواعده فى سرت وسوكنة هو طريق " غريان " ، ولكن لابد لهذا الطريق أن يخترق القبلة موطن القبائل المتزعمة لحركة المقاومة ضد الإيطاليين وكان الكثير من الأهالي بالقبلة قد نزحوا إلى مناطق سرت وزلة، ولقد ضايق إيطاليا هذا النزوح إلى الشرق بسبب العواقب الناجمة عنه ، وهى تهديد خطوط المواصلات التى تربط الحملة بقواعدها فى الشمال مما سوف يؤدى فى النهاية إلى عزلها ، وانقطاعها عن الساحل ويمكن المقاومة من الانفراد بها.

---

(1) عن رواية " على حديد " (بوسيفى) والذي كان مع الإيطاليين في هون ، وعندما غادروها هرب منهم وانضم إلى المجاهدين بالشاطيء وأنذرهم عن تحرك الإيطاليين نحوهم ، عن الباحث (البوصيري) المكتبة السمعية بمركز بحوث جهاد الليبيين طرابلس . انظر خريطة معارك حملة فزان الأولى . وأيضًا محمد فؤاد شكري . مرجع سابق . ص:158.

(*) (الشب موقع سمي كذلك لوجود معدن الشب بجواره " واشكدة" بجوار " براك" بوادي الشاطيء في فزان).

(2) إيفانز بريتشارد، مرجع سابق ، ص: 168.

(3) رفعت عبد العزيز، مرجع سابق . ص: 106.

وحلاً لهذا الإشكال قامت القوات الإيطالية بعمليات عسكرية فى منطقة سرت لاحتلال النوفلية والزحف منها إلى "مرادة " ثم منها إلى سوكنة: وذلك لتطهير المنطقة من مراكز المقاومة التى آخذت تتجمع وتتكون فى هذه المناطق ، ولكن المقاومة القوية - كما تقول الموسوعة العسكرية الإيطالية - التى واجهتها القوات الإيطالية فى هذا الموقع أرغمتهم على التخلى عن مشروعاتهم التوسعية.

ولقد أعقب ذلك قيام ثورة عامة ضد الاحتلال الإيطالي بدأت من الجنوب فى أعقاب سقوط قلعة سبها" وكانت إشارة الثورة العامة هى ذبح قافلة إيطالية فى طريقها من " مزدة " إلى "براك" فى 26 اغسطس عام 1914 والتى تبعها أعمال مطاردة لجميع الحاميات التى تقع فى طريق المجاهدين وهم يزحفون خلف القوات الهاربة من فزان.

وكان قد ساعد فى ذلك ما قام به "محمد عابد" من إثارة معظم قبائل فزان وبدو جنوب طرابلس خلف "إميانى" لأنه كان فى هذا الوقت ناقم على الإيطاليين؛ لعدم استجابتهم لمطالبه من الهدايا والأموال ولرغبته آخيرًا فى تقليد أخيه " أحمد الشريف" فى الجهاد ومحاربة الإيطاليين . ذلك الطريق الذى لم ولن يتمكن من الاستمرار فيه، ولقد سهل الأمر أيضًا أن الكولونيل "إميانى" كان قد جند بعض المنتفعين من البدو لمرافقة حملته دون حيطة منه فقام هؤلاء بالانقضاض عليه وساهموا فى الثورة العامة[1].

الحرب غير النظامية والثورة العامة على الإيطاليين:

بعد أن احتل الإيطاليون فزان التى كانوا قد وصلوا إليها فى نهاية شهر ديسمبر سنة 1913 وفى أعقاب صدامهم مع المجاهدين فى معارك الأصابعة والشب واشكدة ثم محروقة قاموا باحتلال سبها فى 17 فبراير 1914 ثم احتلوا "غات" فى 12 أغسطس من نفس العام.

وكان الإيطاليون قد اتخذوا من قلعة القارة بسبها، والتى تقع على ربوة عالية حصنًا لهم وأحاطوها بسياج من الأسلاك الشائكة والمدافع حتى غدت جدّ منيعة ، كما أتخذوها مستودعا للاسلحة ، واستمر احتلال هذه القلعة ما يقرب من التسعة أشهر ، قام بعدها المجاهدون بمهاجمة هذه القلعة وطرد الإيطاليين منها .

فلقد قامت مجموعة من الفدائيين الليبيين لايزيد عددهم على الأربعمائة يقودهم " سالم بن عبد النبى الزنتانى "أحد الأبطال الذين حاربوا مع الشهيد" محمد بن عبدالله البوسيفى " فى هذه العملية، وكان "سالم بن عبد النبي الزنتانى " قد توجه هو ومن معه من المجاهدين

---

(1) Le poerazioni militare in Tripolitania de ottobre 1911al dicember 1924. P. 167.

- محمد إمحمد الطوير " خمس وثائق من الأرشيف الفرنسي حول تاريخ حركة الجهاد في ليبيا " مجلة المخطوطات والوثائق التاريخية ، طرابلس ، ليبيا ، العدد الأول.1985 ، ص:71-92.

الذين اشتركوا فى معركة محروقة إلى نواحى الرملة القريبة، وظلوا ينتقلون من موقع لآخر إلى أن سنحت الفرصة وهاجموا القلعة وطردوا منها الطليان، وغنموا أسلحة وأرزاقًا كثيرة[1].

وسالم بن عبدالنبى هذا واحد من هؤلاء البدو الذين ربتهم الصحراء ودربتهم على الخشونة وتحمل المشاق ، وكان حاد الذكاء، سريع التدبير فى المواقف الحرجة، وكان شجاعًا ظهرت بسالته فى الإغارات التى كانت تقوم بها القبائل لاستياق الإبل أيام ضعف الدولة العثمانية وكما هى طباع العرب فى القديم[2].

استطاع "سالم الزنتانى" أن يجمع مجموعة من المجاهدين الذين كانوا يحاربون فى موقعة "محروقة" وكان عددهم يقرب من الأربعمائة من مختلف القبائل، ويخرج بهم من جهة (آدرى) مارًا بالقرب من (أوبارى) فى حركة سريعة إلى أن وصل (رملة زلاف) وهى منطقة رملية يصعب الوصول إليها[3].

وقام "الزنتانى" هناك باستعراض رجاله وتفقدهم ، وأخذ ينتقى من بينهم العناصرالتى تصلح لهذه العملية من الذين يثق فيهم ثقة كبيرة، واستبقى الرجال الآخرين ووضع عليهم حراسة مشددة: حتى لاينصرف أحدهم نحو العدو ويكشف سر العملية ، وقام " الزنتانى " بتقسيم المجموعة التى اختارها للحرب إلى فرقتين: الأولى: تتجه إلى "ادرى" و"آوبارى" لاحتلالهما، وجعل عليها المجاهد "المهدى بن كنيفو الزنتانى" . أما المجموعة الثانية: فقد قادها سالم عبد النبى بنفسه وإتجه بها إلى القلعة الحصينة بسبها فى قلب فزان، والتى تعتبر مركز حراسة القوات الإيطالية فى الجنوب على واحاته وقراه[4] .

وكان أهالي "سبها" والمناطق المحيطة بها قد استكانوا للاحتلال، وخاصة سكان القرى وهم يتحينون الفرص للانقضاض عليه وذلك فى مناطق "القبلة" و"الزنتان" و"المقارحة" و"المشاشية" و"أولاد بوسيف" و"أولاد سليمان" و"المغاربة" و"الزوائد" و"الحطمان" و"القوايد" .

وكانت هذه القبائل تنتقل فى الصحراء يؤم بعضها الواحات المتناثرة على شكل مجموعات صغيرة لجنى المحصول أو شراء الثمار ، متربصة بالعدو وتقوم بجمع المعلومات عنه وحوله ، وأخذت فلولهم تتجمع فى القبلة شيئًا فشيئًا .

هذا وتختلف الروايات حول الكيفية التى دخل بها "الزنتانى" وصحبه هذه القلعة التى يحتلها العدو الإيطالي ، فمن قائل: إنه حصل على كلمة السر من أحد الليبيين الذين يعملون

---

(1) محمد فؤاد شكري . المرجع السابق ، ص: 159.

- الموسوعة العسكرية لبولاتي ص: 176 -177.

(2) الطاهر أحمد الزاوي . جهاد الأبطال ، المصدر السابق ، ص: 142.

(3) مجلة الوحدة العربية . وكانت تصدر في طرابلس ثم توقفت عن الصدور . طرابلس. العدد رقم 3 . سنة 1973م.

(4) مجلة الوحدة العربية . نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

تحت إمـرة الإيطاليين فى القلعـة. ومن قـائل: إنه قـبض على رجل "حطمـانى" أي من قـبـيلة الحطمـان من بلدة "برقن" فى وادى الشـاطئ كـان قـد حـصل على إجـازة لزيارة أهله . وإنه أجبر هذا الحطمانى على السيـر معه؛ ليكون مرشدًا للقوة الصـغيـرة المهاجمة . ومن قـائل: إن الحطمانى تطوع من نفسه ليرشدهم إلى دخول القلعة ويعرفهم عما تحتويه غرفها .

وأيًا كانت الطريقة، فإن هذه القوة صغيرة العدد وكبيرة الإيمان وصلت إلى جبل صغير يقع غربى سبها بحوالي 15 كم وعسكرت هناك يوم 27 نوفمبر 1914 إلى إن أظلمت الدنيا. وكانوا فى أثناء سيـرهم يتـابعـون فى طابور متـخفين تحت سـتار الليل خشـية أن يتنبه إليهم أحد الحراس أو عيون العدو، ثم استراحوا قليلاً وتناولوا عشاءهم البسيط (بعض حبات من التمر) ثم تابعوا السيـر فى الظلام كالأشبـاح يتقدمهم قائدهـم "سالم عبدالنبى" الذى يمسك بيده طرف الحبل الذي قيد فيـه هذا الحطمانى الذى يرشدهم مهددًا إياه بالقتل إن هو أصدر أي صوت أو أي تنبيه للعدو[1].

ووصلت المجموعة إلى مرتفع صغير قرب القلعة غربى البطاح بجوار مطار سبها الحالى والذى بينه وبين القلعة حوالي كيلو مترين ، وجلسوا هناك ليختاروا المجموعة الفدائية التى ستقوم باقتحام القلعة (وهذا الفرز الثانى)، على أن يبقى الآخرون لتغطية الهجوم، وأخذوا يرقبون القلعة من بعيد ليطمئنوا إلى نوم الجنود .

وبعد منتصف الليل تحركت المجموعة المهاجمة وأمامها الخبير صاعدة الجبل الذى تقع عليه القلعة. وقد أرشدهم الحطمانى إلى طريق ضيق وملتو مجهول بالنسبة للمدنيين إلى أن وصلوا إلى مـدخل القلعـة حيث وجـدوا الحارس نائمًا فقتلوه بالسيف: حتى لايسمع الجنود صوت الرصاص فى حـال استعـماله واستولوا على بندقيته، وواصلوا تسلق القلعـة إلى أن وصلوا أعـلاها فـأطلقـوا النار على الجندى المكلف بالمراقبـة أعلى القلعة ، وكـان بجـواره كلب بوليسى فقتلوه أيضًا ، وارتفعت صيحات التكبير فى أرجاء القلعة ، وكان أول المكبرين الشيخ "سالم بن عبدالنبى" كما كان متفقًا عليه بينه وبين زملائه المهاجمين[2].

وتردد فى سكون الليل أصداء التكبيـر وأصوات الطلقات النـارية ، فبث الرعب والفـزع فى جنود الإيطاليين الذين كانوا يغطون فى النوم، وكـان أشجعهم هـو الذى تمالك نفسـه، وعـرف طريقـه للفرار خارج القلعة بملابس النوم حافى القـدمين وعارى الرأس واقتحم المهاجمون مخزن السلاح والذخيرة وسلحوا أنفسهم جميعًا ثم قاموا بالاستيلاء على القلعة وطهروها من

---

(1) جراتسياني، نحو فزان ، ص: 18 . وكتاب القبلة ، ص: 230 ـخليفة محمد التليسي، مرجع سابق ، ص: 391.

(2) رواية المجاهد " محمد عبد السلام أبوبكر " الذي شارك في المعركة وكان ما يزال حيًا ومازال في جسمه خمس رصاصات لم يخرجها حتى سنة صدور الجريدة ، لأنها في مكان حساس من جسمه ويقوم بحقن المكان بالتيتانوس يوميًا ، جريدة الوحدة العربية ، ع3 ، طرابلس ، 1973.

أفراد العدو الذين تم قتل عدد كبير منهم، بينما فر الباقى فى قلب الصحراء حيث لفهم الظلام. وفى الصباح لحق بالمهاجمين بقية إخوانهم الذين تركوا غربى "سبها" يحرسون الإبل التى كانت معهم ، ويعلق الإيطاليون على عملية الاستيلاء على القلعة منهم :

"إن الجنود الفزانيين الموجودين بالقلعة والخاضعين للإيطاليين هم الذين ساعدوا الفدائيين الذين اقتحموا القلعة وطردوا الإيطاليين منها واستولوا عليها "[1] ويؤكد نفس الكلام الأستاذ خليفة محمد التليسى فى معجم معارك الجهاد فى ليبيا[2] بعد "معركة القارة بسبها[3] وسقوطها فى يد المجاهدين اندلعت الثورة فى كافة البلاد بالجنوب ومنها إلى الشمال فى سرت وحاولت إيطاليا أن تستعيد هيبتها فلم تفلح فى ذلك" ، ويعترف "جراتسيانى بهذه الثورة "والفضل كما يقولون لما يعترف به العدو"، بل أنه يصور لنا تربص الثوار بالإيطاليين ويوضح كيف قامت كل قبيلة أو قرية فى موقعها بمواجهة الحامية الإيطالية والخروج عليها بعد أن انسحب "إميانى" بجيشه نحو الشمال الذى جاء به تحت اسم "الحملة التأديبية ضد حركات المقاومة التى انتشرت فى الشاطئ "بفزان" وحدث ذلك قبل أن يصل إليه نبأ سقوط قلعة سبها فى يد الوطنيين؛ ولأنه من المعروف أن قبائل " أولاد بوسيف "وكما يقول "جراتسيانى " رغم أنهم كانوا قد تلقوا ضربة شديدة فى معركة محروقة وأصيبوا فيها بأضرار فادحة ، فإنه لم يتم الحصول على نصر نهائى على هذا الشعب الذى استمر فى مجموعة مسلحًا ومعاديًا لنا "[4].

ويقول جراتسيانى كذلك عن قبائل المغاربة البدو الرحل المقيمين فى "سرت": "رغم الدرس القاسى الذى تلقوه فى معركة "النوفلية" لم يعترفوا بهزيمتهم ومازال لهم أهمية كبيرة ويخشى منهم، وكذلك الحال بالنسبة "لأولاد سليمان" الذين كانت الحكومة – فى ذلك الوقت – قد عملت بحبسها أسرة سيف النصر على إثارتهم ، فإنه بالرغم من ارتدادهم إلى قبائل "هروج" قد بقوا مسلحين ومعادين للإيطاليين[5] وفى نهاية 1914 كانت الجماعات مقسمة على النحو التالي:

– جانب من "أولاد بوسيف " وبالتحديد الرجال الذين شاركوا فى معركة "محروقة" مع الزعيمين " محمد بن بشير "وحسن درويش" ، كانوا يقيمون فى ضواحى " زلة " وكان معهم جانب من المشاشية".

---

(1) جراتسيانى، نحو فزان، مرجع سابق، ص: 14.

(2) جراتسياني ، مرجع سابق . ص: 391.

(3) أرقام الأشرطة التي تتكلم عن المعركة بالمكتبة السمعية بالمكتبة المركزية لجامعة قاريونس بنغازي / 27/8 ، 8/28.

(4) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص:15.

(5) محمد فؤاد شكري . المرجع السابق . 159 . 160.

- الباقون من أولاد بوسيف مع الباقين من المشاشية، أقاموا فى المنطقة بين "وادى بى" "ورواوص".
- أولاد سليمان استقروا فوق جبال " هروج ".
- وكان المغاربة يطوفون فى منطقة الاتصال بين طرابلس الغرب وبرقة ، بين "مرادة" "والنوفلية ."وكان الحال بالنسبة للزنتان ، وهم بدو رحل يقيمون فى القبلة، فإنهم كانوا لايزالون يناصبون العداء للإيطاليين ولو أن الحكومة الإيطالية تدعى على حد قول جراتسيانى بأنها تدفع لرؤسائهم مرتبات ضخمة وتقدم لهم عطايا سخية من المال.

لقد فوجئت الحكومة الإيطالية بحوادث الثورة فى "القبلة " والجنوب بعد أن توالى سقوط حامياتها فى سبها " ثم فى " أوبارى" وبقية مدن "فزان" ، فأصدرت أمرها إلى الكولونيل " إميانى " بسحب الحاميات الباقية من فزان ، ونزولاً على هذا الأمر آخذ "إميانى" - بعد آن عمل على إنقاذ مواطنيه فى "مرزق" - فى التراجع من "براك" حيث كان معسكرًا هو وجنوده واتجه إلى "سوكنه " يوم أول ديسمبر 1914 ، وكانت قواته المتقهقرة تتعرض لهجوم المجاهدين كما حدث فى "أبى أنجيم " يوم 13 ديسمبر؛ حيث اعترضتها قوات المجاهدين وتكبد الإيطاليون فى هذا الاشتباك خسائر فادحة إلى أن وصل إميانى إلى مصراتة يوم 25 ديسمبر منهوك القوى وكانت هذه آخر مراحل الانسحاب[1]. وفى هذه الأثناء كان قد بدأ تراجع حامية "غات "فى أعقابها مباشرة كانت الجفرة بأكملها قد تم أخلاءها من الإيطاليين فى يوم 27 يناير عام 1915 على وجه التحديد .

وعلى أثر الثورة التى اندلعت فى القبلة والجنوب وانسحاب الحاميات الإيطالية من الدواخل وتقلص النفوذ الإيطالي، أبدى الجنرال " تاسونى" محاولات يائسة للتشبث بالمواقع التى كانت بيد الإيطاليين وكان يستجيب بذلك لتوجيهات الحكومة المركزية التى هالها الوضع المنهار وإلى شعوره الشخصى بعدم وجود ما يبرر هذه الانسحابات الواسعة: واندفع بتأثير هذا الشعور المغرور إلى تشكيل ثلاث قوى كبيرة للقيام بثلاث عمليات حربية رئيسية على النحو التالى:

الأولى: فى القبلة، **والثانية:** فى سرت، **والثالثة:** تتحرك نحو الغرب؛ وكان ذلك رغبة منه فى قمع الثورة التى كانت الدلائل تشير إلى أنها سوف تتسع على وجه السرعة[2].

ولقد باءت الحملة الأولى بالفشل فى المعركة التى أطلق عليها جراتسيانى اسم المعركة المشؤومة، تلك التى وقعت فى "وادى مرسيط" فى 7 أبريل 1915 والتى سيرد تفصيلها بعد ذلك.

وأما الثانية: فقد انتهت نهاية أليمة فى موقع " القرضابية " والتى اسماها الإيطاليون

---

(1) الطاهر الزاوي ، المرجع السابق ، ص: 143.

(2) جراتسياني ، مرجع سابق ، ص: 17.

معركة " قصر بوهادى" ووقعت في 29 أبريل 1915 .

أما الثالثة: فقد خرجت من جادو فى نفس الوقت الذى خرجت فيه حملة وادى مرسيط وحملة القرضابية ، واتجهت إلى غدامس[1] على الحدود مع تونس لحمايتها من القوة المجاهدة التى استولت على " أوبارى" "وأدرى" بقيادة المهدى بن كنيفو "والدحنوس الزنتانى" والتحق بهما بعد ذلك "خليفة بن عسكر" فى "رملة مززم" بين غدامس ودرج . وهناك دارت المعركة واستولى المجاهدون على "درج وسناون"، وقطعوا بذلك خط الرجعة على القوة الإيطالية التى وصلت "غدامس" وعزلت هناك ، فانسحبت عن طريق الحدود التونسية حتى أصبحت تحت حماية الفرنسيين الذين أعادوها إلى الساحل.

معركة وادى مرسيط:

كانت قد وصلت تعليمات صدرت إلى الكولونيل "جانينزى" قائد منطقة غريان العسكرية بالتحول إلى مزدة – لمطاردة المجاهدين المنتشرين فى تلك المنطقة، والعمل على إخماد الثورة التى أخذت فى التصاعد والانتشار ، ونفذ جانينزى الأمر وتحرك نحو " مزدة " يوم 3 أبريل 1915 بقوة تتألف من 1400 مسلح نصفهم من غير النظاميين لضرب محلات المجاهدين التى كانت تتألف من أربعمائة مجاهد مسلح كانوا قد تركزوا فى وادى "نافجة" بين "قنطرار" و"أولاد بو سيف" لمواجهة زحف القوات الإيطالية، وفى يوم 6 أبريل 1915 وصلت القوة الإيطالية إلى "وادى مرسيط" وأرسلت بعض طلائعها للاستطلاع ورصد موقع المجاهدين، وعندما اطمأنت إلى عدم وجود أي قوة للمجاهدين فى المنطقة أخذت تنصب خيامها عند الساعة الرابعة فى وسط الوادى لتمضية الليل به، وفى هذه الأثناء كان المجاهد " أحمد السنى" قد زحف بقواته من الموقع السابق نحو "فروتن" وأقام بعض طلائعه فى الموقع المعروف باسم "فروتن" أو "خشم فروتن " وبينما كان جنود الإيطاليين منصرفين إلى نصب الخيام فوجئوا بصوت إطلاق الرصاصة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة، مما أثار روح الفزع فى المعسكر الإيطالي الذى أخذ الرصاص يحصده من كل مكان[2].

ويقول الكولونيل "بيلاردينى " فى وصفه لهذه المعركة فى كتاب " القبلة" : "لم يستغرق ذلك سوى لحظات قليلة ، ولكنه آثار الرعب بين القوات الغير نظامية التى لاذت بالفرار بعد أن جرت معها بعض أفراد القوة النظامية ، وقد اضطر الضباط لاستخدام السلاح وشهر مسدساتهم فى وجه الجنود النظاميين لإلزامهم بالصمود ومواجهة المجاهدين ، واستمرت هذه

---

(1) محمد فؤاد شكري ، مرجع سابق ، ص: 158 ، 159 .

(2) Bilardinelli, la Ghibla, Tip. de rct Tripolitania. P.146

- وأيضًا رفعت عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص: 116 .

المعركة عنيفة قوية حتى ساعة متأخرة من الليل ، وقد قضى عنفها على كل إمكانيات القوة الإيطالية وعطل فاعليتها ، فقد جرح القائد الإيطالي ، وغيره من الضباط الإيطاليين ، كما قتل بعضهم الآخر ، وانتقلت القيادة إلى الماجور "سرتيرانا" الذى أمر بالانسحاب والتراجع ليلاً نحو " فروتن"(1) .

وما كادت تبدأ الساعات الأولى من اليوم التالي السابع من أبريل 1915 حتى أخذت الأفواج الأولى من هذه القوة الباقية تتسلل تحت جنح الظلام نحو مزدة، وحين بدأت تقطع المراحل الأولى من الطريق تعرضت لرصاص المجاهدين الذى أثار لديها شعور الفزع، وسيطرت الفوضى على صفوفها فشردت الإبل وتخلّى الحمالون عن الأحمال وتفرقت القوة الغير نظامية، وفى المساء دخلت هذه الجماعة المشتتة وقد نقص عددها كثيرًا إلى مزدة بلا ذخيرة ولا أمتعة وبلا مؤن ولامدفعية .

لقد كانت هذه المعركة وبعدها معركة القرضابية بمثابة نهاية الهيبة الاستعمارية الإيطالية. وكانت هزيمتهم فى المعركتين، من أفدح الهزائم التى لحقت بهم فى تاريخ الاستعمار بليبيا بالنظر إلى النتائج الخطيرة التى ترتبت عليها، ولم يستطع الإيطاليون أن يعودوا إلى المنطقة إلا فى نطاق الحملة الثانية التى جاء بها فولبى 1922 فى عهد موسولينى.

هذا ولقد أوعزت السلطات الحربية الإيطالية أسباب الهزيمة بعد دراسات مستفيضة إلى العوامل الآتية:

1- ضعف جهاز المخابرات وقلة المعرفة بأحوال السكان ، وأوضاع المنطقة وعدم التقدير الصحيح لقوة المجاهدين وتنظيماتهم .

2- الطريقة الساذجة التى اتبعت فى تجنيد القوات الغير نظامية التى كانت تضم عناصر حاقدة على الإيطاليين.

ولسوف يكون السبب الثانى هو نفس السبب الذى أدّى إلى الهزيمة الشنعاء فى القرضابية مع تقدم معركة وادى مرسيط زمنيًا، وفى موقعة وادى مرسيط استغل المجاهدون فرصة وجودهم بالقرب من مزارع القمح والشعير ، فقاموا بحصد الزرع للتزود به وإطعام المجاهدين وعائلاتهم .

---

(1) Bilardinnelli, (La ghibla), Tip. de Rct Tripolitania. - المصدر السابق.

وقد ورد فى المجموعة الخامسة من الآرشيف الإيطالى أن العقيد جانينزا أفاد عن تطور المعركة بقوله:

«إن الباندات جميعها قد أخذت تولى الأدبار منذ الطلقات النارية الأولى وتقهقرت فى غير انتظام وبسرعة كبيرة كادت تجرف الفصائل النظامية التى أمكن وبعد جهد كبير إعادة تنظيم صفوفها.. وكانت خسائرنا بدورها جسيمة، فقد قتل النقيب «بيير باردينى» وجرح أحد عشر ضابطًا آخرين، كما أصبت أنا أيضًا وكانت إصابة بعضنا خطيرة» ثم يضيف بأنه اضطر إلى تسليم القيادة إلى الرائد سارتيرانا. ص354:355.

ولقد كانت طبيعة العمل الذى يقوم به المجاهدون فى ذلك الوقت هى أن يجوبوا القبلة ويغيرون على مواقع الإيطاليين بين الفينة والفينة، وكان الزرع ذلك العام جيداً والناس فى المناطق التى يسيطر عليها الإيطاليون لايستطيعون الخروج للحصاد خوفاً من بطش المجاهدين الذين يعتبرون الأهالي الواقعة تحت النفوذ الإيطالي، ولم يلحقوا بالثورة بعد متطلينين وينالهم ما ينال الطليان من عقاب[1].

معركة القرضابية 29 أبريل 1915

سميت بالقرضابية لأنها وقعت بالقرب من بئر القرضابية ، كما أطلق عليها الإيطاليون اسم معركة "بوهادى" لأنها فى الوقت نفسه قد وقعت بالقرب من قصر "بوهادى"، والتسمية صحيحة فى كلا الحالتين: لأن المعركة وقعت بين البئر والقصر فى منطقة سرت[2].

وكانت سرت من المواقع التى حرص الإيطاليون على احتلالها؛ نظراً لموقعها الهام على الساحل الليبي الممتد عبر الخليج ، وكونها مفتاح للمناطق الداخلية فى فزان ومنطقة الواحات ببرقة ، وكان الإيطاليون قد احتلوها فى 31 ديسمبر 1912 واتخذوا منها قاعدة كبرى لعملياتهم فى أثناء الحملة التى جردوها للمرة الأولى بقيادة "إميانى" فى عام 1913 من أجل احتلال فزان والمناطق الجنوبية، إذ انطلقت منها هذه الحملة فى 6 أغسطس 1913 .

وترجع أهمية القرضابية كمعركة علاوة على الأعداد الكبيرة التى اشتركت فيها من الإيطاليين والليبيين إلام ظهر فيها من وحدة وطنية؛ حيث حارب فيها ولأول مرة مجاهدون من سائر المناطق فى ليبيا على السواء ، فلقد حارب فيها مجاهدون من طرابلس ومن برقة وفزان[3]؛ لذلك فلقد جاءت نتائجها بنفس ضخامة الأعداد التى اشتركت فيها من المحاربين الليبيين والإيطاليين .

كما ترجع أهميتها إلى أنها حلقة من حلقات الثورة الشاملة التى بدأت من الجنوب والتى أشعل أوارها الشهيد "محمد بن عبدالله البوسيفى " الذى رفض الصلح والاستسلام بعد معركة جندوبة واتجه نحو القبلة، واعترض بقواته الحملة الإيطالية وهى فى طريقها لاحتلال فزان وتصدى لها فى معارك الشب واشكدة ومحروقة واستشهد فى الاخيرة ، وأكمل رجاله المسيرة فكان سقوط قارة سبها الذى أعقبه سقوط أوبارى ، واندلعت الثورة فى فزان .

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص. 19.

– خليفة محمد التليسي . مرجع سابق ، ص: 394.

(2) خليفة محمد التليسي ، المرجع السابق . من ص: 405 – ص:410.

(3) La formazione de L_Impero, P. 479-481.

ويتضمن هذا المصدر تحقيقاً صحفياً نشرته جريدة الكوريري ديلاسيرا الإيطالية بتاريخ : 15 اغسطس 1915.

وحوصرت حاميات الإيطاليين فى كل مكان وعجزت القيادة الإيطالية عن وقف هذه الثورة . ولم يجد الكولونيل "إمياني" وسيلة سوى الانسحاب؛ رغم المسافة التى بينه وبين مركز تجمعاته فى مصراتة أو فى سرت والتى لاتقل عن 1000 كم ، وكان "إميانى" يقيم فى مرزق عاصمة فزان فانسحب هو ومن معه من الضباط والجند الإيطاليين، واقتصر على حمل الأشياء الخفيفة وذات القيمة، وترك عساكر المستعمرات من غير الأوربيين والذين ظلوا محاصرين لمدة ستة عشر يومًا ثم سلموا أنفسهم للمجاهدين بما كان معهم من عتاد ثقيل. لم يتمكن "إميانى" ، الهارب ، من حمله، ويتضمن هذا المصدر تحقيقًا صحفيًا نشرته جريدة "الكوريرى ديلاسيرا" الإيطالية بتاريخ 15 اغسطس 1915.

ولقد حاولت الحكومة المركزية للولاية – فى أعقاب هذه الهزائم المتكررة والفشل الذريع الذي لحق بحملة " إميانى" على فزان. أن يعيد إلى القوات الإيطالية هيبتها التى ضاعت على يد الليبيين فى حرب العصابات التى انتشرت فى الجنوب وقتلت معظم الحاميات به، فأعدت كما سبق وذكرنا ثلاث حملات كبيرة؛ لتستعيد عن طريقها المواقع التى خسرتها فى الجنوب وتقوم بتطهير مناطق القبلة وسرت من المجاهدين[1].

وكانت الحملة الأولى قد وجهت إلى القبلة ولقيت هناك هزيمة منكرة على يد المجاهدين فى موقعة "وادى مرسيط " ، يوم7 أبريل عام 1915 التى سبق الحديث عنها ، كما وجهت حملة إلى غدامس على الحدود التونسية والتى تصدّى لها " خليفة بن عسكر" أما الحملة الثالثة والتى نحن بصدد الحديث عنها: فهى الحملة الكبيرة التى توجهت إلى سرت بقيادة الكولونيل " إميانى " نفسه؛ وذلك لإعادة الاعتبار إلى شخصه بعد الهزيمة النكراء التى لاقاها فى الجنوب على يد الثوار فى سلسلة حرب العصابات . وكان صفى الدين مع مجاهدى برقة قد تجمعوا فى شرق سرت بناء على الطلب الذى تقدم به بعض زعماء طرابلس المجتمعين لاتخاذ هذا القرار ، وهو أن تمتد قيادة المجاهد أحمد الشريف إلى طرابلس بعد أن تفرقت كلمتهم حول الجهاد[2] وحارب فريق منهم فى مرتفعات الأصابعة " جندوبة " فى 23 مارس 1913 وهزموا. أما المجاهدون الذين هادن البعض منهم الإيطاليين فقد احتلت إيطاليا عن طريقهم سائر نواحى الجبل الغربى وطرابلس وافتقدت البلاد زعامة وطنية موحدة .

وكان أن قام "أحمد الشريف" بإرسال جيش من المجاهدين ، جعل لواءه لأخيه صفى الدين وعين له وكيلاً اسمه " أحمد التواتى " والذى ارتحل مع الجيش بالفعل واتخذ من "النوفلية" شمال شرق صحراء سرت مقرًا فى بداية الأمر.

---

(1) رفعت عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص: 120.

(2) محمد الأخضر العيساوي ، رفع الستار عما جاء في كتاب "عمر المختار" مطبعة حجازي، القاهرة ، 1936، ص:23.

وكان فى موقعه هذا يضيق الخناق على النقطة الإيطالية القريبة، ثم فكرت قيادة جيش المجاهدين فى الانتقال بقواتها إلى موقع آخر اتجاه الغرب يقربها أكثر من طرابلس يسمى "القرائن" ولايبعد عن قصر سرت بأكثر من أربع ساعات، وفى الوقت نفسه قريب من قصر بو هادى الذى سوف تقع فيه معركة تسمى باسمه قبل معركة القرضابية الشهيرة بأيام قليلة وهى المعركة التى سوف تمهد لمعركة القرضابية الكبيرة[1].

وشجع معسكر مجاهدى برقة فى هذه المنطقة انضمام عدد كبير من الأهالي المتواجدين بالقرب منه بدافع الجهاد فى سبيل الله بطرد الأعداء من البلاد ، فانضم إليه عدد من أهالي مصراتة وخاصة من الشباب الممتلئ حماسًا للجهاد ، بالإضافة إلى جماعة من أولاد بوسيف التى سبق وأن انتقلت إلى هذا المكان، ولم يعد المعسكر للقادمين من برقة فقط، وإنما لكل الليبيين من البلاد.

وكان جيش المجاهدين فى سرت – بعد أن ثبّت مركزه – يقوم بشن الهجمات المتكررة على معسكر الإيطاليين قرب "قصر سرت" وصادف بعض المغيرين إبلاً لرمضان السويحلى وغيره من أهالي مصراتة كانت سارحة ترعى بجوار معسكر المجاهدين ، ويقول بعض المعاصرين: أن رمضان السويحلى تعمد ذلك لكى يتخذها سبيلاً أو ذريعة للذهاب إلى معسكر المجاهدين حتى يتفاهم مع قادته حول الجهاد ، ويضيف أصحاب هذا الرأي ، أن رمضان السويحلى لما علم بأن أحمد التواتى أمر رجاله بالاستيلاء على هذه الإبل بصفتها إبل أهل مصراتة المتعاونين مع الإيطاليين والذين يعتبرونهم مطليّنين ويجوز شرعًا – فى رأيه – الاستيلاء على أموالهم لما علم بذلك تهلل وجهه بالبشر واعتقد بأن هذه الفرصة لن تعوض، وكان رمضان وقتئذ موظفًا فى بلدية مصراتة موطنه ، إذ عينته الحكومة الإيطالية فى منطقة " زاوية المحجوب" الكائنة بالجهة الغربية من مصراتة وهى النقطة التى أقامتها الحكومة الإيطالية هناك . وكان كثير من السكان قد أصيبوا بالضرر فى هذه المنطقة فى ثروتهم الحيوانية بسبب إغارة بعض الثوار؛ نتيجة للاندفاع وعدم الدقة والتخطيط لمثل هؤلاء البدو فى تحركاتهم العسكرية[2].

وكان رمضان السويحلي ، يحب دائمًا أن تكون إيطاليا مشغولة بالحروب حتى تحتاج إليه ويميل دائمًا إلى الاطلاع على معسكر المجاهدين الذى يوجد فى سرت بالقرب منه حيث يحلم

---

(1) الأرشيف الإيطالى. م2 سلسلة الوثائق التازية رقم 8 برقية رقم 38 بتاريخ 1915/4/26 مرسلة من الحاكم «تاسوني» بطرابلس إلى وزارات المستعمرات بروما حول بلاغات بعض المخبرين وتحركات المجاهدين في مناطق عدة. وبها إشارة إلى معركة «أبو هادى الأولى» التى جرت بتاريخ 1913/2/12 .

(2) الطاهر الزاوي ، المرجع السابق ، ص: 199 .

– رفعت عبد العزيز ، مرجع ، ص: 122 .

بأن يجعل منه نواة جيش كبير يقود الثورة فى طرابلس على الإيطاليين: فيخلص البلاد منهم نهائيًا: ولذلك فإنه جعل من عملية طلب استرداد الإبل المسروقة وسيلة للتعرف على حجم قوة معسكر المجاهدين بسرت . وطلب بناء على ذلك من الحكومة الإيطالية أن يسمح له بأن يقتفى أثر إبله لإرجاعها مدعيًا بأنه سوف يوافيهم بأخبار معسكر المجاهدين ، وحاول إقناع المتصرف الإيطالي بأن عملية المحافظة على ممتلكات مصراتة هى من مسئولية القادة الذين يعيش الأهالي تحت لوائهم وفى حمايتهم، ويجب تسليح أصحاب الحيوانات " الإبل " حتى يذهبوا لاستردادها ، ووافق المتصرف الإيطالي على تسليح أربعين نفرًا بقيادة رمضان ويذهبون على ظهور خيولهم لاسترداد الإبل ، ولما علم قائد المخابرات الإيطالي فى هذه المنطقة بما فعله المتصرف غضب؛ لأنه لم يأخذ رأيه فى ذلك، واعترض ضابط المخابرات "جيانترو" على توجه رمضان ورجاله إلى المجاهدين فى شرق سرت بأرض "بو هادى" إذ كانت لديه عن رمضان السويحلى معلومات سرية خطيرة ، تفيد تواطؤه مع أتباع صفى الدين للعمل الحثيث ضد الاحتلال الإيطالي[1].

بالإضافة إلى أن هذا التصرف قد دفع بكثير من الناس من الذين يتحمسون للانضمام إلى معسكر الجهاد فى سرت ، أن يحاولوا الحصول على سلاح من الإيطاليين بدعوى استرجاع إبلهم، والمحافظة عليها من الضياع مثلما فعل رمضان السويحلى ، وكانت الأهالي قد فهمت الدوافع الحقيقية لذهاب رمضان السويحلى إلى سرت: ولأنهم كانوا قد سئموا حياة الاحتلال بعد أن تبين لهم كذب وعود الإيطاليين .

وحينما وصل رمضان السويحلى إلى معسكر المجاهدين بسرت هو وزملائه قوبلوا مقابلة حسنة من الشيخ "أحمد التواتى" وكيل "صفى الدين" لقاء الأخوة وشركاء الجهاد ، ويبدو أن الحديث الذى دار بينهما كان حول الجهاد؛ و حول الكيفية التى يمكن بها لجماعة مصراتة أن يعاونوا المجاهدين فى سرت كأن يمدوهم باحتياجاتهم من أسواق مصراتة العامرة دائمًا بالخيرات بصفة منتظمة، ودون أن يشعر[2] الإيطاليون، ومن المرجح أيضًا أن يكون الحديث قد دار حول رغبة رمضان السويحلى فى أن ينضم إلى صف المجاهدين فى ظروف قريبة تسمح بذلك، بدليل أن الحوادث التى وقعت فى معركة القرضابية تؤكد صدق هذا الافتراض، وبدليل أن رمضان السويحلى قد وفّى بالوعد الذى قطعه على نفسه لمساعدة معسكر المجاهدين: فلقد أخذ يوافيهم بما يحتاجونه من أسواق مصراتة، وخاصة من المنطقة التى كان

---

(1) تقرير الدائرة العسكرية الإيطالية بطرابلس عن حياة رمضان السويحلي (نسخة موجودة بمتحف السرايا بطرابلس) ص: 80.

(2) محمد مسعود فشكة ، رمضان السويحلي ، مطبعة الفجاني ، طرابلس ، سنة 1972، ص: 90.

يعمل فيها ، وهى منطقة زاوية المحجوب التى كانت تعتبر إلى حدما خارج البلدة فهى بعيدة عن أعين الإيطاليين المنتشرة فى كل مكان[1].

ونعود للحديث عن الجانب الإيطالي؛ لنعرف رد الفعل الذى قام به المتصرف الإيطالي نتيجة للشكوك التى ابداها ضابط المخابرات "جيانترو" حول شخصية رمضان، فلقد قام المتصرف الإيطالي بإرسال قوة عسكرية لمهاجمة معسكرًالمجاهدين؛ لكشف حقيقة نويا رمضان ورفاقه من خلال تصرفهم إزاء الهجوم الإيطالي على المجاهدين فى سرت، وأيضًا لاختبار قوة المجاهدين المتجمعين فى سرت لمعرفة ما يلزم من قوات للقضاء على وجودهم قرب معسكرات الإيطاليين إذا لم يكن فى الإمكان القضاء عليهم فى هذه المرة ، وكان رمضان وقت وصول القوة الإيطالية المهاجمة يتفاوض مع "أحمد التواتى" لما فيه خير الوطن .

ونشبت معركة بين المجاهدين والقوة الإيطالية الاستطلاعية قرب قصر بو هادى ، اشترك فيها رمضان وصحبه سرًا إلى جانب المجاهدين ، ودامت معركة قصر بو هادى سبع ساعات انسحب بعدها الإيطاليون إلى قصر سرت حيث توجد قواتهم[2] ولقد عبّر رمضان باشتراكه فى الحرب إلى جانب مجاهدى برقة عن وحدة العمل الوطنى للشعب الليبي تجاه العدو الواحد، وكانت بداية للعمل الموحد الأعظم الذى تم فى معركة القرضابية التى سنتعرف على تفاصيلها بعد ذلك .

وفى المعركة الاستطلاعية التى حدثت عند "قصر بوهادى" هزم الإيطاليون وتركوا سلاحهم وعادوا إلى معسكرهم ، وسبقت هذه الاخبار رمضان الذى عاد إلى مصراتة هو وصحبه فيما عدا أخوه " أحمد السويحلى " الذى كان قد بقى هناك فى " سرت " ضمن جرحى مصراتة الذين كانوا قد صحبوا رمضان فى مهمته لاسترجاع الإبل من " سرت " ، ووجد رمضان نفسه مطلوبًا لدى السلطات الإيطالية فور عودته لسؤاله عن المعركة وعما حدث فيها ، وعن عدم عودة أخيه أحمد وغيره من أهالي مصراتة الذين صحبوه ، وكان رمضان السويحلى يرغب فى إنكار اشتراكه فى المعركة، ولكنه خشى أن ينكشف أمره فبرر اشتراكه فيها أمام الإيطاليين بأنه خاف انتقام المجاهدين لو أنه اشترك مع الإيطاليين ضدهم فيقتلوه هو ومن معه من رجال مصراتة بصفتهم خونة لبلادهم[3].

هذا وقد تغلب الإقناع على الشك لدى الإيطاليين ، وإن كانوا قد استفادوا من هذا الموقف للتعرف على شخصية رمضان فوضعوه تحت منظارهم ، ولقد لاحظوا أن موقعة قصر بو هادى

---

(1) الطاهر الزاوي ، المرجع ، ص: 20.

(2) أمين سعيد ، المصدر السابق ، ج3 ، ص: 46.

(3) محمد الأخضر العيساوي ، مرجع سابق ، ص: 29.

قد رفعت من شأن رمضان السويحلى عند مواطنيه: لأنها كانت تدل على الوطنية. وكان الناس فى حاجة إلى مَنْ يفتح لهم هذا الباب من الأعمال الوطنية . ويأتى الوصف الذى وصفه الإيطاليون لرمضان دليل على نواياهم فى التعرف على شخصه ليتجنبوا شره أو ليستفيدوا منه.

ففى التقرير التاريخى الإيطالي : إن قامته حوالي 175 سم تقريبًا ، صحيح البنية قوى الجسم ، وجهه بيضوى وعيونه كبيرة سوداء متقد الذكاء، ولحيته قليلة التجاعيد ومقصوصة على الطريقة العربية ، الشارب أسود طويل ، وشعر الرأس قليل التجاعيد ، ويلبس دائمًا الحولى " أي الجرد "على الطريقة العربية الليبية ، وهو فارس شجاع ، ماهر فى إصابة الهدف وتدل ملامحه على حب السلطة ، ونظرته نظرة النسر قوى العزيمة، شديد الاندفاع، قاس ، شجاع ، وميال للأعمال الحربية[1].

ولم يكن الإيطاليون – كأي محتل – يعجبهم مثل هذا النوع من الوطنيين الذى يقوم بأعمال بطولية ترفعه بين مواطنيه إلى درجة الإعجاب ، لأنه سوف يكون عقبة فى سبيل تحقيق أطماعهم فى البلاد التى يحتلونها ، ولكنهم اكرهوا على مصانعته؛ لأنهم فى ظروف صعبة ، وكانت هذه سببًا فى اختياره فى جيش القرضابية، بالإضافة إلى ترشيح أحمد المنتصر بالإضافة الى " عبدالنبى بالخير " له مع غيره من شيوخ وزعماء القبائل فى القرضابية[2].

وكان الإيطاليون قد اهتدوا بعد طول مشاورات فى دار الولاية فى طرابلس وبمشاركة مستشاريهم من الليبيين المتعاونين معهم إلى تكوين جيش قوامه حوالي ثمانية آلاف جندى من المجندين الليبيين؛ لمعرفتهم بطبيعة بلادهم وأقدر على مقارعة بعضهم البعض. ولايفل الحديد إلا الحديد كما يقال ، رغم أن هذا التصرف كان سببًا من أسباب هزيمتهم فى معركة القرضابية . وكانت العقبة فى تكوين هذا الجيش هى وجود تجمع للمجاهدين فى سرت من برقة الذى سبق الكلام عليه والذى يغرى الكثير من الأهالي بالانضمام إليه ، وعليه كان من الضرورى إزاحة هذا التجمع من سرت؛ ليتسنى تكوين جيش من الليبيين ليعيدوا الوجود الإيطالي للانتشار بالدواخل التى انسحب منها، وخاصة القبلة والجنوب الذى عمته الثورة ، ومن أجل ذلك تم إعداد حملة إميانى للانتقام لهزيمة " قصر بوهادى " ، ولقد اتفق علىأن يتم تكوين جيش على النحو التالي[3].

---

(1) التقرير الإيطالي عن رمضان السويحلي ، وثيقة موجودة بالسرايا الحمراء ، المتحف الجماهيري،، ص:81.

(2) كان عبد النبي بالخير في سنة 1915 ، يعمل مستشارًا لدى الإيطاليين وموضع ثقتهم. وقد شارك معهم في حملة إمياني على فزان ، وكان مكلفًا من قبل الايطاليين لإقناع بعض الزعماء الوطنيين لتسليم مناطقهم للإيطاليين بدعوى عدم القدرة على المقاومة بسبب عدم وفرة الرجال ، والعتاد ، الطاهر الزاوي، مرجع ، ص: 35.

(3) أمين سعيد ، الدول العربية المتحدة ، مرجع ، ج3 ، ص: 46.

1- فرقة من مصراتة يقودها رمضان السويحلي .

2- فرقة من أورفلة بزعامة عبدالنبى بالخير .

3- فرقة من ترهونة بزعامة الساعدى بن سلطان .

4- فرقة من زليطن بزعامة محمود عزيز .

5- فرقة من مسلاتة بزعامة محمد القاضى

6- فرقة من قماطة بزعامة محمد بن مسعود .

ولقد قام قادة هذه المناطق بتجنيد هؤلاء الليبيين بناء على تكليف من القادة الإيطاليين بعد مشاورات بينهما ، وكان قد تم استدعاء هؤلاء الزعماء الوطنيين لهذا الغرض[1] . ويرى البعض: إن الإيطاليين قد وضعوا رمضان السويحلى أمام خيارات ثلاثة: إما أن يعرض الصلح على الثوار المتجمعين فى سرت ويريح الطرفين ، وإما أن يقوم بمحاربتهم ، وإما أن ينفى إلى خارج البلاد " إلى إيطاليا " ، وكان كل أمر من هذه الأمور يصعب على رمضان تحملها لأنه مواطن يغير على وطنه ، فنفس رمضان لاتسمح له بمحاربة إخوانه ومواطني بلده، كما أنها لاتسمح له أن يسلم نفسه للإيطاليين ، واختار أن يقوم بدور الوسيط فى الصلح بين مجاهدى برقة والإيطاليين فربما اتيحت له فرصة الخروج من هذا المأزق. وذلك أن الإيطاليين يريدون توريط رمضان، فهو إن فشل فى الصلح فسوف يضطر أن يحارب إخوانه المجاهدين مع الجيش الإيطالي فتسوء سمعته بين مواطنيه وتزول عن اسمه الهالة التى توجد حوله. وكان رمضان قد أدرك أن فكرة الصلح إن هى إلا ستارًا اتخذه الإيطاليون لتنفيذ أغراضهم ، وأنهم مصممون على الحرب لامحالة .

على أن هذا الخيار الذى عرضوه على رمضان لم يعرضوه على بقية الرؤساء؛ مما يدل على أنهم يقصدون توريطه لما أدركوه فيه من رغبة في الجهاد[2]، والحقيقة إننا لايمكننا أن نتكهن أو نجزم بالدافع الذى جعل الإيطاليين لايقبضون على رمضان بعد موقعة " بو هادى" وتشككهم فيه حتى أن " جراتسيانى " نفسه قد لام المسؤولين عن هذا حينما قال: "إن عدم القبض على رمضان ونفيه كان ضعفًا من الحكومة ، وعدم معرفة منها بحقائق الرجال وتقدير الأمور وإنما تصوروه من أن تركه فرصة للإفادة منه، هو خيال لايمكن تحقيقه، وآمال لايمكن الوصول إليها ..."[3] ، وكانت آمالهم أن يجبروه على الحرب معهم .

ويتساءل البعض: هل كان من الممكن أن يرفض رمضان أوامر الإيطاليين بالحرب معهم ضد

(1) محمد الأخضر العيساوي ، رواية الشيخ محمد بن حسين عبد الملك المصراتي ، والذي كان قاضيًا بمصراتة ، المصدر السابق ، ص:31.

(2) الطاهر الزاوي ، نفس المرجع السابق ، ص: 205.

(3) جراتسياني ، مرجع سابق ، ص: 28.

جيش المجاهدين الموجود فى سرت ؟ والجواب يرد على لسان الطاهر الزاوى.. بأنه لو امتنع فإن مخاوفهم ستتحقق منه فيقبضون عليه وينفونه إلى حيث يشاؤون ولايعود بعد ذلك إلى بلاده : ومن هنا نشأت فكرته فى أن يوافقهم على آن يجد مخرجًا للتغلب عليهم فيما بعد.

هذا وكانت الحملة التى أعدّها الإيطاليون لضرب معسكر المجاهدين "فى سرت" تتكون من:

1- جيش من المجندين الليبيين يصل تعداده إلى ثلاثة آلاف من مجندى منطقة طرابلس .

2- جيش آخر من غير الليبيين تشكل على النحو التالي :

84 ضابطًا إيطاليًا و 900 جندى إيطالي و2089 جنديًا نظاميًا من الملونين الغير إيطاليين من الاحباش والأرتيريين و250 من الفرسان[1] وكان مع الحملة من العتاد 12 قطعة مدفعية وخمسمائة مدفع رشاش تتبعها قافلة من الجمال تحمل الذخائر والمؤن من مائتى جمل وعدد من البغال وعدد من العربات[2].

وبينما كانت قوة المجاهدين المتجمعين فى سرت لايزيد عن ألف وخمسمائة مقاتل يحملون البنادق كتسليح شخصى .

وكانت الحملة الإيطالية قد انطلقت من موقع "بئر بو قرين " الذى اتخذت منه قاعدة لتجمعاتها يوم 14 أبريل 1915 ويمّمت شطر أرض القرضابية لمهاجمة معسكر المجاهدين بسرت. وحينما وصلت حملة إمياني إلى صحراء القرضابية قبل معسكر المجاهدين بقليل من الكيلو مترات توقفت لتنظيم أوضاعها استعدادًا للالتحام البرى ، فوضع الجنود الأريتريين فى المقدمة ووضع جيش الإيطاليين ومعهم "إميانى" فى الخلف ، ووضع فى ميمنة الجيش محلة مصراتة ، بينما وضع فى الميسرة مجموع المحلات الاخرى ، كل محلة بقيادة شيخ المحلة، فيما عدا محلة أورفللة فقد كان زعيمها " عبدالنبى بالخير " قد طلب قبل وصول الحملة إلى أرض القرضابية ، أن يعود إلى بلدته مدعيًا أنه يخشى من هجوم وشيك عليها من "أحمد سيف النصر" مع أن الأخيرحضرالمعركة فى القرضابية بعد رحيل "عبدالنبى بالخير"[3].

ولأن الشك كان يساور " إميانى " فى تصرفات "رمضان السويحلي" طوال الرحلة إلى معسكر المجاهدين، فلقد طلب منه أن يبقى بجانبه بدعوى تبادل الرآي معه فى شؤون الحملة، وقد أشار عليه أن يعرض الصلح على المجاهدين المتواجدين بسرت على شريطة أن

---

(1) خليفة محمد التليسي . مرجع سابق . ص: 408.

(2) محمد الأخضر العيساوي . مرجع سابق . ص: 30.

(3) محمد المرزوقي . عبد النبي بالخير داهية السياسة والحرب . مطبعة الفرجاني - طرابلس . سنة 1987 . ص: 86. وبالكتاب صورة البرقية التي آرسلها الوالي "تاسوني" إلى وزارة المستعمرات في روما عن جملة الخسائر في القتال مع المجاهدين.

يتركوا الموقع الذى هم فيه وينتقلون إلى "سوكنة " وإن رفضوا ذلك يعرض عليهم هدنة لعدة شهور يتم الاتفاق على مدتها، ويصير وقتها السوق الكائن فى " قصر بو هادى " سوقًا للجميع . وكان هدف " إميانى " من ذلك الإجراء أنه إذا اختلط الجيشان فإنه سيصعب على المجاهدين بعدها إعادة تجميع معسكرهم . وكان "رمضان السويحلى"قد صرح بهذه المعلومات لقاضى مصراتة حينما التقى به وهو خارج إلى سرت، ولما سأل رمضان عما"يحدث إذا رفضوا هذين الشرطين ردّ بأن الطرفين سوف يلتحمان وتقوم الحرب ، وعبر عن نواياه الحقيقية تجاه الإيطاليين :" وقال: إننى شخصيًا أرغب فى الانضمام لمعسكر المجاهدين والحرب ضد الإيطاليين ".

وكان رمضان السويحلى يميل إلى أن يوافق صفى الدين على الصلح حينما يعرض عليه خطته لأنه فى حالة انسحاب المجاهدين قليلاً نحو الشرق يستطيع رمضان وبقية الزعماء الوطنين ومحلاتهم معهم آن يجهزوا على الحملة برمتها بعيدًا عن مركز إمدادتها فى " سرت" المدينة؛ ولأن عدد المجاهدين – فى رأي رمضان – لم يكن بالحجم الذى يجعله قادرًا على التصدى لهجوم حملة كبيرة كالتى أعدّها " إميانى"؛ ولذلك فإن الرسائل لم تنقطع بين رمضان والمجاهدين أثناء توجه الحملة إلى القرضابية فقد أرسل رمضان كوكبة من عشرين فارسا تحمل آخر رسالة أرسلت إلى المجاهدين للإلحاح عليهم فى طلب الصلح ، وكان يرأس هذه الكوكبة " عمر بودبوس " الذى أفاد بأن صفى الدين رفض تحت إلحاح" أحمد التواتى " وكيله الذى كان دائمًا يشك فى إخلاص "رمضان". ورجع "بو دبوس " إلى رمضان يحمل الردّ بالرفض، والذى كان يتوقعه. ولقد استغل المجاهدون انشغال رمضان و"إميانى" بالتباحث وباغتوا الحملة الإيطالية بالهجوم السريع ، ونشبت بذلك المعركة بين الطرفين ، وفى يوم الخميس 15 جمادى الثانية 1333 هـ الموافق 29 أبريل عام 1915 وفى بداية المعركة سقط من المهاجمين البرقاويين أربعمائة شهيد؛ لعدم التكافؤ بين الطرفين فى العدد والعدة .

وفى هذا الاشتباك كانت المحلات الطرابلسية فى جيش إميانى تتظاهر بأنها تحارب مع الإيطاليين وتقوم بتوجيه فوهات بنادقها فى الفضاء العلوى بعيدًا عن صدور إخوانهم المسلمين. وبخصوص محلة مصراتة فإنها لم تطلق رصاصة واحدة ، مما أثار دهشة "إميانى" الذى بادر بسؤال " رمضان " عن سبب عدم اشتراك رجاله فى المعركة فأجاب على الفور بذكائه الفطرى وهدوئه المعهود بأن عدم وجود قائدهم معهم هو السبب فى ذلك ، وأوضح "لإميانى" بأنه حسب عادات العرب يجب أن يكون فارسهم الأول فى مقدمة صفوفهم ليسيروا على طريقته فى توجيه الرماية " وانطلت الحيلة على "إميانى" وسمح لرمضان أن ينطلق

مسرعًا على جواده ليأخذ مكانه أمام صفوف محلة مصراتة. وكان رمضان وهو مندفع بين المحلات للأمام يومئ لهم بالاشارة الرمزية. لبذل الأرواح فى سبيل الله والوطن. فلبوا الإشارة[1].

وكان الزعيم "أحمد سيف النصر" يعسكر بالقرب من جيش صفى الدين ومعه 800 مجاهد - جميعهم فرسان على الخيول - قد بدأ الإغارة على ميمنة مقدمة الجيش الإيطالي، منضمًا بذلك إلى قوات صفى الدين فى الهجوم على الإيطاليين . وارتد الجميع مع رمضان بالانقلاب على الجيش الإيطالي كلمح البصر ، وباشروا هم وإخوانهم البرقاويين قتال الجبهة المتماسكة متدافعين بكل شجاعة وإقدام ، وكان الزعماء الوطنيين الآخرين ولاسيما "المبروك المنتصر الترهونى" ينتقلون بين الصفوف يوجهون المجاهدين إلى الأماكن الهامة لتحطيم العدو ويقوون العزائم على الصبر والثبات[2].

وكانت بداية النهاية بالنسبة للجيش الإيطالي ومن معه من الأريتريين . وكانت مفاجأة بالنسبة لإميانى فقد أصبح جيشه يضرب بعضهم فى بعض وأصبح أوله فى آخره، وآخره فى أوله " واشتدت الضربة على العدو ، وأنزل الله ساعة النصر . فتمزق ذلك الجيش ولم ينج منه إلا 500 نفر، فروا هاربين إلى قصر سرت الذى انطلقوا منه " وبهذا الوصف كتب الطاهر الزاوى[3]عن معركة القرضابية.

هذا وقد دأبت بعض الكتابات على التشكيك فى تصرفات "رمضان" فى معركة القرضابية مقرنين إياها بما حدث بعد ذلك بينه وبين صفى الدين وقيامه بإعدام أحمد التواتى، والرأ ي الصائب هو ماشهد به الأعداء عن ذكائه وشجاعته وعن وصفهم للمعركة. كما أن تاريخ رمضان فى الجهاد - يشهد له - فهو قد شارك فيه منذ أول نزول الايطاليين إلى طرابلس حيث ثبت مشاركته فى الجهاد فى معركة " الهانى " ثم معركة "عين زارة " فقد كان أحد أفراد مجموعة مصراتة التى قدمت إلى طرابلس تحت قيادة الحاج " أحمد المنقوش" منذ بداية الغزو ، فقد كان رمضان يمثل شباب ليبيا المتقد حماسًا وغيرة على الوطن .

وبعد استشهاد "أحمد المنقوش" فى واقعة يوم الخميس 26 اكتوبر عام 1911 أسندت قيادة جماعة مصراتة إلى " رمضان السويحلى" ولو لم يكن أهلاً لذلك لما أختير للقيادة

---

(1) لوتروب ستودارد وشكيب أرسلان . حاضر العالم الإسلامي . مرجع سابق . ج1 . ص: 118.

(2) Grosso M., Crolonogia delle colonie Italiana, Rome 1934, P. 139.

محمد إمحمد الطوير . العيساوي وخنجر المجاهد والرواية، مجلة الشهيد، العدد العاشر 1989، ص: 237 - 256.

(3) الطاهر الزاوي . جهاد الليبيين في طرابلس الغرب . مرجع سابق . ص: 110.

محمد إمحمد الطوير . المرجع السابق والصفحات.

فى معركة ضد العدو لم تنته بعد. وهذا دليل كاف على قدرته القيادية وإخلاصه لقضية الوطن[1].

وعلى كل حال فإنه يمكن إرجاع الخلاف بين رمضان وقيادة معسكر مجاهدى برقة تحت صفي الدين وأحمد التواتى، وقيامه بطرد المعسكر إلى برقة وإعدام التواتى إلى خوف رمضان من سيطرتهم على بلدة مصراتة وهو يعتبر نفسه زعيمها الأوحد ، فلقد كان "السويحلى" كما وصفه شكيب أرسلان صعب المقادة، أشرس، مرّ العداوة الزعيم العصامى الذى فرض نفسه على مصراتة كما وصفه الطاهر الزاوى[2] .

نتائج معركة القرضابية:

من الطبيعى أن تكون نتائج معركة ضخمة كمعركة القرضابية – فى ضخامة الإعداد التى اشتركت فيها – مقارنة بسائر معارك الجهاد الأخرى . فلقد خلف الجيش الإيطالي ورائه مئات من القتلى بعد أن تعرضت قواته لهجمات المجاهدين من جميع الاتجاهات الأصلية الأربعة، فقد كانت ميمنة جيشه وميسرته من المجندين الليبيين وعندما بدأ القتال أحاطوا بالجيش الإيطالي من جميع الجهات. وتعترف المصادر الإيطالية بقتلاها فى هذه المعركة وتقدرها بخمسمائة قتيل . وستمائة واثنان وأربعون جريحًا . وكان عدد الضباط القتلى ثمانية عشر قتيلاً والجرحى خمسة وعشرين من بينهم " إميانى " نفسه قائد الحملة. ومن الطريف أن المصادر الإيطالية حين تذكر أعداد القتلى والجرحى تصنفهم على أن أعداد القتلى من البيض (ويقصدون الإيطاليين) 252 والجرحى 141 . ويفهم القارئ من ذلك أن الأعداد الباقية هى أعداد الضحايا من الأريتريين والجنود المرتزقة الذين كوّنوا جيشًا من ستة الاف تحت إمرة " إميانى" والقواد الإيطاليين الآخرين[3].

ومن قراءة المصادر الأخرى غير الإيطالية عن أعداد القتلى فى معركة القرضابية يتضح أن الإيطاليين يقللون من اعدادها للتقليل من شأن المعركة. حيث إن المصادر الأخرى ذكرت أن الهاربين من المعركة وحدهم 500 فرد، فأين ذهب الباقون من حملة تعدادها ستة آلاف إذا لم يكن قد قتلوا؟

وعن العتاد والمؤن والذخيرة فلقد خلف الجيش الإيطالي وراءه غنائم منها اثنا عشر مدفعًا جبليًا وعدد كبير من المدافع الرشاشة، وأما الأسلحة الصغيرة والمؤن فهى كثيرة ، وكذلك

---

(1) محمد الأخضر العيساوي ، مرجع سابق ، ص: 32 – شكيب أرسلان – ، مرجع سابق، م1 ج1 ، ص:118.

(2) الطاهر الزاوي، مرجع سابق، ص: 240.– صلاح عوض السويحلي، حياة وجهاد، مطبعة الأندلس، طرابلس 1972. ص 98.

(3) محمد فؤاد شكرى ، مرجع سابق ، ص: 165.– محمد المرزوقي – المرجع السابق ، ص: 87.

كميات كبيرة من الذخائر والأدوية ، بالإضافة إلى عدد من السيارات المصفحة.

ورغم أن المصادر الإيطالية تعمدت الكلام باقتضاب عن " القرضابية " إلا أن وثائقهم الرسمية تؤكد مالحق بالعدو الإيطالي من إهانات نتيجة لهذه المعركة، وتجمع على أن إيطاليا خسرت فيها خسائر فادحة وأن نتائج هذه المعركة استمرت تلقى بظلالها على الوضع فى ليبيا لمدة ثمانى سنوات بأكملها لم يقم فيها للإيطاليين قائمة . مما اضطرها إلى إعادة غزو ليبيا واحتلالها على يد فولبى سنة1922 وبمباركة " موسولينى " فى ظل نظام الفاشست.

ولايفوتنا قبل أن ننهى كلامنا عن القرضابية أن نشير إلى ماقام به " إميانى " من أعمال انتقامية فى أعقاب هزيمته النكراء والتى إن دلّت على شيء فإنما تدل على وحشية جيش الإيطاليين ، فلقد قام "إميانى" بمجرد وصوله إلى مدينة "سرت" بتجريد جميع العرب من اسلحتهم ، وعقد مجلسًا عسكريًا أصدر أحكامًا بالإعدام على معظم السكان والوطنيين الآخرين الذين التجآوا إلى سرت بعد المعركة، وكان فى مقدمتهم من أعيان ورؤساء الجيوش التى اشتركت معه كل من الحاج " محمد القاضى " من مسلاتة ، و آبو بكر النعاس " من ترهونة، والذين بلغ عددهم ثلاثة عشرة من الشخصيات الوطنية والأعيان[1].

كما أصدر " إميانى " أمرًا بالقتل العام، فصار الجند يقتلون الناس فى الشوارع وعلى آبواب البيوت، ويربطون كل عشرة أو عشرين فى حبل ويقتلونهم بالجملة ، ولقد ألقى أناس بأنفسهم فى البحر فرارًا من القتل والتمثيل بهم بعده . كما أرسل إلى روما أكثر من ألف شخص أغلبهم من المجندين والحمالين الذين استأجر الإيطاليون جمالهم لحمل الذخيرة والمؤن عليها .

وكان هؤلاء الضحايا قد أناخوا جمالهم فى مكان منخفض عن المكان الذى تدور فيه المعركة حماية لهم من رصاص المتحاربين، وبعد انتهاء المعركة لجأوا إلى "قصر سرت" القريب من المعركة للاحتماء به ولإظهار استسلامهم وتعبيرًا عن عدم اشتراكهم فى الحرب ضد الإيطاليين.

وحينما عاد الإيطاليون فى حالة سيئة مما أصابهم فى المعركة، وجدوا أمامهم هؤلاء الحمالين وغيرهم من الأشخاص المجندين في صفوف القوات الإيطالية فانتقموا منهم انتقامًا شديدًا لم يسبق له مثيل فى كل العصور فقد أمر "إميانى" بجمعهم فى مكان واحد وقتلهم بالرصاص جميعًا ، وتركت أشلائهم مبعثرة على الرمال فى أسوأ منظر يراه الإنسان .

ولقد تسببت هذه الحملة فى أفول نجم " إميانى " الذى كان قد علا صيته بعد قيامه

---

(1) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ج3 ، ص: 47.

باحتلال "فزان" الذى لم يستمر أكثر من تسعة أشهر[1].

كما أدى انتصار القرضابية إلى سلسلة من الهجمات على الحاميات الإيطالية في كل من تاورغاء وترهونة وأورفلة وبقية مدن الدواخل ، وأدّى ذلك إلى انحسار الإيطاليين فى طرابلس الغرب لكى يقتصر على مدن طرابلس والخمس .

كما حدث نفس الشيء فى برقة فاقتصر الوجود الإيطالي على مدينتي بنغازى ودرنة والنقاط الجبلية التى تتوفر لها الحماية لموقعها الإستراتيجى .

هذا ويعزو الإيطاليون هزيمتهم فى القرضابية إلى العوامل الآتية :

1- غدر المحلات الوطنية وإنثنائها على القوة الإيطالية، ويركزون على رمضان السويحلى وما قام به: فينسبون إليه المسئولية الرئيسية فى كل ما لحق بهم ، ويدل على ذلك قول جراتسيانى: "... لقد سجل غدر رمضان السويحلى نبأ سلسلة طويلة من الإهانات والهزائم"[2].

2- ضعف الحس السياسى لدى الكولونيل "إميانى" وسذاجته واغتراره بالعناصر الوطنية رغم ما أبدته من تصرفات فى مواقف سابقة للمعركة مما يجعلها موضع شُبهة وعدم استماعه إلى نصائح الآخرين حينما حذروه من التعامل مع رمضان السويحلى .

3- الأساليب التعسفية التى استخدمها "إميانى" فى تجنيد الوطنيين للحملة وتسخيرهم للعمل بها دون مراعاة لظروفهم ومشاعرهم .

4- تجاهل " إميانى " للمعارك التى واجهته فى القبلة مثل: معارك الشب واشكدة ومحروقة والثورة التى أشعل أوارها " البوسيفى" ومعركة وادى مرسيط فى السابع من أبريل سنة 1915 والتى تعبر كلها عن عنف المقاومة وضرورة عدم الاستهانة بها .

5- الوحدة الوطنية التى تمثلت فى هذا الانتصار وكانت أحد أهم عوامله . فلقد كان مجاهدى طرابلس يحاربون جنبًا إلى جنب مع مجاهدى برقة وفزان . كلهم يوجهون بنادقهم إلى العدو الواحد الذى يحتل أرضهم.

---

(1) جراتسياني . نحو فزان ، مرجع سابق ، ص: 35.- إيفانز بريتشارد ، مرجع سابق، ص: 207.

- الأرشيف الإيطالى، مرجع سابق، برقية رقم 100 وتتكلم عن عمليات قصر أبى هادى، حيث يتبين كيف تم تشكيل الباندات وإخضاع عدد كبير من الرجال إلى التجنيد الإجبارى، وتسليم العديد من الأسلحة والذخيرة للقضاء على أسباب الريبة والشك ولحمل الأهالى على الالتفاف حول الحكومة وتضافر الجهود معها ضد المتمردين، م9. سلسلة8 صفحات من 347:352.

(2) Graziani : Verso il Fezzan m P. 210.

- Enciclopedia dei nostri compattımenti Colonialı, P. 112.

- Ambrogıo Bollati. Gasr- Bu Hadı. P.180.

- Dopp lo Sgombero del fezzan e della Giofra. P.80.

معارك إجلاء الإيطاليين عن مدن الدواخل

لقد كانت هزيمة الإيطاليين فى القرضابية وتشتتهم وهروب أفرادهم فى كل اتجاه دافع للرعب بين أفراد الحاميات الإيطالية فى كل موقع ومكان. فأصبحوا يرتعدون خوفا. وخرج المجاهدون من أرض القرضابية يطاردون فلول الهاربين. مما اضطر حكومة الولاية إلى أن تصدر أمرًا بالانسحاب بالجملة[1] فانسحبت حاميتى غدامس ونالوت واتجهت إلى الساحل. ولم يبق من الحاميات الإيطالية سوى حاميتي زوارة، وجنزور فى طرابلس. وفى طرابلس الوسط انسحبت حاميات مزدة، وغريان. أما بالنسبة لطرابلس الشرقية والتى تدخل ضمن تقسيماتها "سرت" والتى كانت مسرحًا لوقائع معركة القرضابية الشهيرة فلقد أصبح للقوى التى اشتركت فيها شأن كبير، حيث انطلق المشاركون فيها من المجاهدين بعد أن استولوا على العتاد الضخم والغنائم والذخيرة التى خلفها الإيطاليون لكى يكملوا النصر على الأعداء وطاردوهم فى كل اتجاه[2].

وكان السنوسيون قد استولوا على النصيب الأوفر من العتاد بصفتهم أصحاب المعسكر الذى بدأ المعركة مع الإيطاليين، وكانوا يسيطرون على منطقة خليج سرت وهى الأقرب لبرقة التى أتوا منها ، وانطلاقًا من هذا ، قام " صفى الدين السنوسى " المعين على هذا المعسكر من قبل أحمد الشريف السنوسى كقائد عام له بتسليم "رمضان السويحلى" الذى برزت شخصيته فى معارك القرضابية النهائية والتى اتمت المعركة لصالح العرب، علمًا سنوسيًا ومدفعًا وسبعين حملاً من الذخيرة وعددًا من الأسلحة الصغيرة[3]، وعين له أربعة من الضباط الذين كانوا بالمعسكر السنوسى . وعينه واليًا على "مصراتة " وأوصى كل من كان معه بطاعته وآمره بالتوجه إلى مصراتة لعله يخلصها من العدو الإيطالي؛ فتقبل منه رمضان ذلك شاكرًا وودّعه.

وكان رمضان السويحلى – بعد انتهاء المعركة الظافرة – قد ظل ثلاثة أيام على التوالى يوارى – هو واخوانه المصراتيون – جثث الشهداء منهم ، ويعالجون الجرحى . كما قاموا بجمع جانب من عتادهم وغنائم العدو من أرض المعركة، وقاموا[4] باخفائه فى مكان متطرف يقع بين مصراتة وسرت يسمى " سيدى عبدالرؤوف " .

وما إن انتهى من ذلك، ومن تلقى تعليمات صفى الدين ، أسرع هو ورجاله نحو مصراتة، حيث كان قد وصلته أنباء تفيد بأن الإيطاليين قد اعتقلوا عددًا من شخصيات مصراتة، ومن

(1) صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة ، مطبوعات معهد البحوث والدراسات ، القاهرة سنة 1970 ، ص : 82.
(2) جراتسياني، برقة المهداة ، ترجمة إبراهيم بن عامر ، مكتبة الأندلس بنغازي ، 1975 ، ص : 18.
(3) محمد الأخضر العيساوي ، مرجع سابق ، ص: 34.
(4) محمد مسعود فشيكة ، رمضان السويحلي ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس ، 1972 ، ص: 92.

بينهم آخويه: أحمد وسعدون " والهادى قليصة " الذى يعتبر من أقرباء أسرة السويحلي وساقوهم أسرى إلى طرابلس ومنها نقلوهم إلى سجون روما .

وفى الطريق إلى مصراتة عرج رمضان على " تاورغاء " لكى يطهرها من الحامية الإيطالية بها لأجل أن يحمى ظهره فى حصاره المقبل لمصراتة. وما خشى أن يحدث له فى مصراتة حدث فى تاورغاء ، فلقد تحركت قوات مصراتة لنجدة الحامية الإيطالية فى تاورغاء. وكان من حسن حظ المجاهدين فى تاورغاء آنها محاطة بسبخة ملحية تحتها آرض طينية رحوة تغوص بمن يسير فوقها فيذهب إلى قاع بلا قرار . ويسمى الأهالي هذه السبخة بسبخة "أم الفطام" وهم يقطعونها بممرات خاصة يقولوا عنها "السراويل".

ورتب رمضان رجاله للوقوف على هذه الممرات لاقتناص الإيطاليين إذا دخلوا هذه السبخة . وحين وصلت القوات الإيطالية إلى تاورغاء ، وجدت أن المقاومة شديدة وأن المجاهدين متربصين لهم عند السراويل ، وحينما عادوا إلى الطريق الذى جاءوا منه تلقفتهم طلقات رصاص المجاهدين فسقط من سقط وهرب إلى السبخة من هرب فأبتلعته داخلها . ومن لم يكن قد انتهى أجله بعد ، سلّم نفسه أسيرًا ، أو هام على وجهه فى الصحراء[1].

وبعد القضاء على قوة الإيطاليين فى "تاورغاء" توجه "رمضان" ومن معه من الرجال نحو مصراتة وبدأ يحاصرها يوم 18 مايو عام 1915 عند موقع شرقى البلدة يسمى " كرزار " ثم أحاط منطقة " المواطين" القريبة من جميع الجهات ، وكان الإيطاليون قد بدأوا فتح طريق وسط هذا الحصار يوصلهم إلى الميناء (ميناء قصر أحمد) والذى رست فيه بوارجهم منذ وصولها إلى مصراتة لاحتلالها فى أول مرة، فرارًا من مطاردة المجاهدين لهم ، ودارت بين المجاهدين والإيطاليين فى أثناء الخروج من مصراتة ثلاث معارك[2] :

1- معركة رأس الطوبة والتى دارت يوم الثلاثاء الحادى عشر من رجب الموافق الخامس والعشرين من مايو عام 1915. وسقط فيها مائة من الشهداء من بينهم " عمر شقلوف السويحلى " وهو من نفس عائلة " رمضان " .

2- معركة "سبخة بوفار" والتى ألحق فيها المجاهدون بالإيطاليين خسائر فادحة فى الأرواح والعتاد وأسروا أعدادًا منهم تضم الضابط " فيكى" واعتبر المجاهدون هذا النصر انتقامًا وردًا على معركة " رأس الطوبة " التى حدثت فى بداية الغزو .

3- معركة" جرف المقاصبة" والتى وقعت شرقى المواطين بحوالي ثلاثة كيلومترات . وكانت حكومة الولاية بطرابلس أذاعت أمرًا إلى كل جندى بأن يحاول الهرب[3] إلى السفن

---

(1) خليفة محمد التليسي،بعدالقرضابية، مكتبة الفرجاني،طرابلس،سنة 1976 ، ص: 28.

(2) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا ، ط2 ، مرجع سابق ، ص: 34.

(3) محمد مسعود فشيكة ، مرجع سابق ، ص: 94.

الراسية فى الميناء . وكان الظلام قد غطى مصراتة ففر الباقون إلى الميناء فى الليل حتى لم يبق جندى إيطالي واحد بمصراتة غير الأسرى يوم 5 اغسطس عام 1915 وحيث لم يعودوا إليها إلا فى إعادة الغزو عام 1922م .

وخلف الإيطاليون وراءهم ثكنات، ومخازن مليئة بالأسلحة والذخائر، والمؤن، والملابس، وآجهزة مواصلات سلكية، وخزائن اموال، وهكذا تمكن المجاهدون بقيادة "رمضان السويحلى" من إعادة مصراتة وانتزاعها من الإيطاليين وطردهم خارج البلاد[1] وكان الزعماء الآخرون قد فعلوا نفس الشئ بالنسبة لمناطقهم فقاموا بعد عودتهم من نصر القرضابية بتحرير المدن والمحلات التابعة لهم من الإيطاليين. وبذلك تم إجلاؤهم من " آورفلة. وزليطن. وترهونة . وساحل آل حامد كما انتقلت الثورة على الإيطاليين نحو الشمال فتحررت مناطق "بن غشير.وجنزور، والعزيزية، والزاوية ." وذكر جراتسيانى آن سرعة إجلاء الإيطاليين عن المواقع التى قامت فيها الثورة ضدهم أجبرتهم على ترك جميع أسلحتهم الضخمة فيها . ويضيف جراتسيانى: "إن المجاهدين أخذوا بسبب ذلك أربعين الف بندقية، ومئات من المدافع الرشاشة وثلاثين مدفعًا للميدان " كما اعترف بأنه لم يعد – بعد القرضابية – من أماكن للإيطاليين يسيطرون عليها فى منطقة طرابلس سوى " طرابلس والخمس ، وزوارة ". إذ يقول :" فى أول عام 1916 كان احتلالنا لطرابلس قاصرًا على قاعدتى طرابلس والخمس البحريتين ،وفى هذه الأماكن تكدست قواتنا فى حلقة الأسلاك الشائكة الضيقة[2].

الخلاف بين صفى الدين ورمضان السويحلى :

كان صفى الدين بعد انتهاء معركة القرضابية قد مكث فى سرت حوالي شهر ينظم شؤونها ويدير أعمالها ويصلح بين القبائل ، ثم تحرك تجاه المدن القريبة من معسكره بصفته مشرفًا على الجهاد فى طرابلس بادئًا بورفلة التى كان قد سبقه إليها كل من "أحمد التواتى" و" آحمد سيف النصر وكان وقتها المجاهدون يحاصرون الإيطاليين الذين يتبادلون معهم إطلاق النار . فتدخل صفى الدين بين الفريقين وتفاوض مع الإيطاليين ووصل معهم إلى اتفاق يخرجون على آساسه وفق شروط من بينها الخروج سالمين، وآن يضمن صفى الدين سلامتهم وبعد أن خرج جميع الإيطاليين ، قام صفى الدين بأخذ البيعة لأخيه أحمد الشريف من أهالي المنطقة ، ثم قام بالاستيلاء على غنائم الإيطاليين لصالح السنوسيين وعاود السير إلى "مصراتة" بعد أن ترك فى

---

(1) محمد فؤاد شكري . مرجع سابق . ص: 167.

(2) جراتسياني . نحو فزان . مرجع . ص:19 ، وبنفس الصفحة ورد بالكتاب خريطة يتضح عليها المواقع التي بقيت للإيطاليين بعد نصر القرضابية وما أعقبه من ثورة على مراكز تواجد الإيطاليين. إيفانز بريتشارد ، مرجع سابق . ص: 208 محمد العيساوي . مصدر سابق . ص: 21.

"ورفلة" وكيله "أحمد التواتى" ومعه بعض الإخوان، واصطحب معه البعض .

وصل صفى الدين إلى مصراتة واستقبل هناك استقبالاً حافلاً من الناس. وكان فى مقدمتهم بالطبع رمضان السويحلى: بصفته ممثلاً لأخيه أحمد الشريف المجاهد وصاحب السير العطرة والذى يعبر عن التماسك والصمود فى الجهة الشرقية ، والذى كان بعض الزعماء من طرابلس قد طلبوا أن تمتد زعامته إليهم[1].

ولكن هذا الاستقبال مالبث أن هدأت حرارته، ونشب الخلاف بين الطرفين وعاد شبح النزاعات القديمة ، الذى كان قائمًا بين البدو والأجزاء الداخلية من طرابلس والتى يسيطر على أجزاء كبيرة منها نفوذ السنوسيين وأنصارهم وبين سكان المدن الساحلية ممثلين فى: رمضان السويحلى وغيره من الزعماء الطرابلسيين[2].

وتطور الخلاف إلى أن أصبح حربًا مسلحة بين الأشقاء ، تلك الحرب التى راح ضحيتها أعداد من المجاهدين برصاص مجاهدين آخرين كان من الواجب أن يوجه إلى غير هذه الوجهة ، والغريب أنه لاتوجد أسباب موضوعية لهذا الخلاف ، الذى ترك آثارًا سيئة على مسار الجهاد ومكّن العدو من أن يعيد احتلال البلاد[3] .

الثورة فى الجبل الغربى:

لقد كان للثورة التى اندلعت من الجنوب والقبلة أثر امتد إلى الجبل الغربى حيث التف الناس حول شخصية وطنية لاتقل حماسًا عن "البوسيفى" أو رمضان السويحلى ، ذلك هو "خليفة بن عسكر" الذى حركته للثورة وضعية شبيهة بما حرك "رمضان" للثورة: ذلك أن حاكم نالوت الإيطالي أقدم على الزواج من فتاة مسلمة رغمًا عنها و عن والديها ؛ مما جعل الناس تغضب وتثور على هذا الوضع، وهى لاحول لها ولا قوة حتى تعبر عن ثورتها ضد الإيطاليين ، وغلت الدماء فى عروق الأهالي حينما وجدوا أن عميد بلدية نالوت واسمه" عمرو بن عسكر" أخو " خليفة بن عسكر " ومعه قائمقام نالوت لم يستطيعا الرفض حينما تقدم الإيطالي للزواج من الفتاة المسلمة[4] وأن الزواج لايتم إلا بين المسلمة والمسلم.

وقام المجاهد خليفة " بن عسكر " بإعلان رفضه لهذا الزواج على الملأ: لأنه زواج كافر من مسلمة . واعتبر أن هذا الزواج يدنس شرف أهل الجبل بأسرهم ، وأخذ يلعن أخاه فى كل مكان ويلعن القائمقام " خليفة بغنى " على سكوتهما على هذا الحادث . وقد كانت هذه الحادثة هى

---

(1) نفس المصدر السابق . ونفس الصفحة.

(2) محمد فؤاد شكري ، المصدر السابق ، ص: 162 – وأيضًا: إيفانز بريتشارد ، مرجع سابق ، ص: 208.

(3) محمد إمحمد الطوير " عوامل ظهور" الزعامة في حركة الجهاد الليبي ، إيجابياتها وسلبياتها ، مجلة الشهيد ، العدد الثالث لسنة 1982، ص: 65 –76.

(4) قتل ابن أحد الشخصيات المتعاونة مع الإيطاليين لاعتدائه على أعراض الفتيات الفقيرات

السبب المباشر الذى عجل بقيام الثورة على الإيطاليين فى الجبل الغربى.[1] وكان خليفة يعد لهذه الثورة منذ عام 1914 فى نفس التوقيت الذى قامت فيه الثورة على الطليان فى الجنوب للتخلص من الاحتلال الإيطالي منتهزًا فرصة انشغال الإيطاليين فى الحرب العالمية.

وكان الإيطاليون قد وضعوا أيديهم على ممتلكات سكان الجبل: فاستولوا على مزارعهم وسيطروا على تجارتهم واحتلوا مساكنهم ودواوين الحكومة عندهم، وتحول سكان الجبل الغربى إلى مواطنين من الدرجة الثانية يعملون أجراء لدى الإيطاليين وخدمًا فى بيوتهم، ويستخدمونهم جنودًا فى جيشهم وحرموهم الحرية التى كانوا يتمتعون بها فلم يعد أحد بإمكانه أن يخرج من نالوت أو يدخلها إلا بإذنهم[2].

واندلعت الثورة فى الجبل يقودها "خليفة بن عسكر" بعد أن جمع حوله عددًا من المواطنين، وخرجوا من " نالوت " وهاجموا الطليان فى معارك طاحنة استمرت سنين طويلة بأراضى "الجويبية "، ووادى " نالوت " " وسناون"، "ودرج " و"رملة مززم" ، ولقد قتل القائد الإيطالي فى إحدى هذه المعارك ، وتمكن " خليفة " على إثرها من احتلال مدينة " نالوت من أكبر مدن الجبل الغربى وأهمها[3] ومد نفوذه على جميع ملحقات نالوت، وكبد الطليان فى أثناء صراعه معهم أفدح الخسائرالبشرية فى الأرواح والأسرى وغنم منهم كميات ضخمة من الذخائر والأسلحة والمهمات العسكرية ، وقطع الاتصال بينهم فى فزان وبين غدامس التى كانت لهم حامية فيها وكانت مسلكًا لهروبهم إلى "تونس".

والقصة كما أوردها محمد سعيد القشاط – فى كتابه عن خليفة بن عسكر والذى يعتمد إلى جانب الوثائق على روايات المعاصرين المعمرين الذين شاركوا فى هذه الأعمال البطولية تبدأ من أن الإيطاليين بعد هزيمتهم فى فزان سارعوا إلى الجبل الغربى يجمعون الإبل من الأهالي يسوقونها قسرًا من أصحابها لتحميل الذخائر من مستودعات نالوت عليها؛ لكى ينقلوها إلى مصراتة حيث تنطلق من هناك الحملة للقرضابية الشهيرة ، فأرسلوا جنودًا إلى نالوت يستولون على الجمال من الأهالي ، وكانت الإبل مطلوبة وقتها لحرث الأرض .

وكان خليفة لم يعد مع العائدين إلى الجبل بعد أن هزته انتصارات المجاهدين فى سبها، وكون عصابة من الشبان الثائرين الذين يثق فيهم خليفة ولاذوا بقلعة مهجورة تسمى "قصبة يجوجن" والتى تبعد أربعة كيلومترات ناحية الغرب وأقسموا على الثورة وكان عددهم عشرة[4]

---

(1) محمد سعيد القشاط ، ثورة خليفة بن عسكر ، مقال في جريدة الثورة ، عدد 13 نوفمبر 1973.

(2) محمد سعيد بن قشاط ، خليفة بن عسكر ، مرجع سابق ، ص: 179.

(3) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص: 160 .

(4) رواية المجاهد " محمد بن يوسف أبو صوة " آخر من بقي على قيد الحياة من الثوار " محمد سعيد صالح " ، المكتبة السمعية ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، شريط رقم 18/4.

وتسامع الناس بهذه الفئة المؤمنة التى اجتمعت على الثورة؛ فبدأوا يلتحقون بهم وينضمون إليهم للعمل معهم ضد الطليان: دفاعًا عن الشرف والكرامة والديار. وحينما سمع الطليان بهذه المجموعة وعرفوا أن " خليفة بن عسكر " أخو عميد بلدية نالوت هو القائد لهذه المجموعة اتصلوا بعميد البلدية؛ لكى يمنع أخاه من الثورة على الطليان ، ولكن خليفة لم يستمع إلى نداء أخيه فقد كان كالبركان الثائر[1].

ووضعت عصابة الثائرين الخطة لبدء العمل بالترصد لقافلة الذخائر التى تحركت من نالوت فى اتجاه مصراتة ، ونزلت القافلة فى سيرها منحدرة نحو الشرق حتى أصبحت تحت جبل نالوت، وتحيط بها سلسلة جبلية من ثلاث جهات ويطل عليها من الشمال الجبل (الذى أطلق عليه فيما بعد "جبل بن عسكر") وكان خليفة وجماعته يترصدون القافلة ، وكان عددهم أربعين ثائرًا ومعهم سبع عشرة بندقية فقط ، وحاصر الثائرون القافلة وفاجأوها بإطلاق النار عليها ويحكى رفيق " خليفة بن عسكر " فى هذه المعركة ، أن خليفة حينما رأي أخاه فى رأس الجبل يحاول أن يثنيه عن عمله البطولى هذا أطلق عليه الرصاص – الذى لم يصبه – وكان ينادى بأعلى صوته :" هو وينه عمرو خوي الكلب " والتفت لمن حوله وقال :" إن آخى من يرافقنى ببندقيته وجواده ويحارب الطليان مع المحاربين ، لامن ولدته أمى "[2] وبعد آن أشعل الثائرون النار فى ذخائر الإيطاليين ، رجعوا " إلى قصبة يجوجن " غربى نالوت وحاصروهم داخل قصر نالوت ، وظلوا عدة أيام فى محاصرتهم . مماجعل الإيطاليين داخل مدينة نالوت يحاصرون الأهالي جميعهم ، حتى لم يعد أحد منهم باستطاعته الخروج من المدينة وتوصيل المؤونة لجماعة " بن عسكر " كما كان يحدث من قبل . حتى إنهم ظلوا ستة أيام كاملة ولم يستطع شخص واحد أن يتسلل إليهم ويجلب لهم الطعام ، ورغم ذلك فإن الثوار لم يفكوا الحصار عن الإيطاليين ،إلا بعد أن علمت حامية " جادو" وجاء جنودها لفك الحصار عن الإيطاليين . وعند سماع المجاهدين بمقدم حامية " جادو " ذهبوا لملاقاتهم بالجوييبة جنوب نالوت[3].

وعند حلول الظلام انسل سبعة عشر مسلحًا من جماعة " بن عسكر " ومعهم ثلاثة وعشرون آخرون عزل من السلاح؛ يدفعهم الإيمان والعزيمة، ويغلي الدم فى صدورهم يريدون الانتقام والأخذ بالثأر . وفى آخر الليل وزعوا أنفسهم بإحكام على سفوح الجبل يطوقون الجند والكروانة [القافلة] فى وادى نالوت وأطلقوا عليها الرصاص من جميع الجهات وسقط رئيس الحامية " التينينتى " قتيلاً، وكان أصحاب الإبل عند حسن الظن بهم من قبل

---

(1) محمد سعيد القشاط ، خليفة بن عسكر ، المرجع السابق ، ص: 180 .

(2) المرجع نفسه ، ونفس الصفحة.

(3) Le Operazioni Miltari in Tripolitania dall Ottobre 1911 al dicembere. 1924. P. P, 193.

خليفة محمد التليسي ، معجم المعارك ، نفس المصدر السابق ، ص: 377.

المجاهدين ، فلقد وخز كل واحد منهم بعيره وهرب به وتركت الأحمال بالوادى.

واستمر إطلاق الرصاص من الجانبين حتى ضحى الغد: حيث هرب جنود الطليان إلى مركز حامية نالوت واحتموا به وتبعهم المجاهدون حتى أصبح رصاصهم يصيب أسوار مدينة نالوت. وقرر الإيطاليون إرغام الأهالي للخروج بسلاحهم لقتال " ابن عسكر " وجماعته ، وعند ما لمح المجاهدون كثرة الخارجين لقتالهم ومعظمهم من المدنيين وباللباس الوطنى انسحبوا بعيدًا عن نالوت، واتجهوا نحو الوادى، حيث تسلح العزل منهم وأشعلوا النار فى الذخيرة والتموين، ويقول من شهد الواقعة : "إن أصوات القنابل والمتفجرات كانت تسمع ببلدة "بن قردان" بالمشرق التونسى.

ولقد تقدم المجاهدون بعد ذلك إلى وادى الجويبية لملاقاة القوات الإيطالية الزاحفة نحو نالوت لنجدة حاميتها، وكان عددهم قد أصبح سبعين رجلاً يحملون خمسين بندقية تجمعوا من المناطق المجاورة "الصيعان والغداية والحوامد وأولاد محمود" ونصبوا متاريسهم فى انتظار القوات الغازية لمباغتتها وتمزيقها، وعند طلوع الشمس وصلت القوات الإيطالية قادمة من جادو عن طريق أولاد محمود إلى وادى الجويبية ، فاجأها الثائرون بإطلاق الرصاص فسقط الكثيرون من جند الأعداء الذين كان معظمهم من الجند الأريتريين، والعرب المجندين بالجيش الإيطالي. وكان الإيطاليون يدفعون بالجنود كلما سقط طابور دفعوا بطابور آخر وهكذا . واضطر المجاهدون إلى الإنسحاب حينما علموا بأن القوات الإيطالية التى كانت محاصرة فى مركز نالوت قد خرجت باتجاههم لتطويقهم من الخلف ، فأمر خليفة جماعته بالانسحاب حتى أن أحد المجاهدين ثار عليه وقال له: "ذليت يا خليفة؟ " أي خنت"؟[1].

لقد كان الضابط الإيطالي يتابع بمنظاره من أعلى الجبل فى نالوت سير المعركة ويسأل من حوله قائلاً: من أين جاءتهم هذه الخيول الكثيرة، إنى أرى خيولاً زرقاء بفرسانهم تقاتل معهم".

وانسحب المجاهدون إلى غرب البلد، واستطاعوا دخول نالوت من جهة الغرب ومعهم عائلاتهم ، وكانوا يسيرون حفاة الأقدام رجالاً ونساء وأطفالاً وأصابع الثائرين على زناد البندقية مخافة أن يتبعهم الإيطاليون . وكان " عمرو بن عسكر " قد رافقهم بعد أن ترك ورقة للإيطاليين قائلاً لهم فيها : "إننى مهاجر بدينى ولاحاجة لى بسلاحكم " وترك لهم البندقية التى سلموها له. وتوجه المهاجرون فى الليل نحو الحدود التونسية فتلقفتهم السلطات الفرنسية ووضعوهم فى معسكر بعد تجريدهم من السلاح ، غير أن "خليفة بن عسكر" وبعض رفاقه كانوا قد تركوا سلاحهم مردومة بوادى " التلت " القريب من نالوت؛ أملاً منهم فى

---

(1) رواية " على بن عمرو بن عسكر " حاكم نالوت شقيق خليفة . المكتبة السمعية مركز الجهاد . طرابلس . شريط رقم: 1 . 2 . 3 /5.

العودة لمواصلة الكفاح[1].

ولقد تمكنوا بالفعل بعد شهر واحد من الهرب من المعسكر الفرنسى والعودة إلى وادى التلت بأرض الوطن وإلى سلاحهم لمعاودة الجهاد . وكان عدد الذين هربوا مع خليفة خمسة. وبقى الآخرون ومن بينهم أفراد عائلة خليفة بن عسكر - فى السجون الفرنسية بتونس حيث ظلوا هناك حتى عام1917 حين تم التفاوض بين خليفة والفرنسيين ثم تم تبادل الأسرى معهم فى أعقابها .

وكان خليفة ورفاقه قد توجهوا إلى غدامس- بعد أن أخرجوا سلاحهم من وادى التلت - وانضموا فى مكان يسمى " وادى أوال " إلى مجموعة المجاهدين الذين خرجوا من "سبها " بعد سقوط قلعة القارة بسبها وكانوا قد انقسموا إلى ثلاث أقسام[2]:

1- مجموعة أحمد سيف النصر والتى لاحقت الإيطاليين فى (بو نجيم) وجهات سرت ثم اشتركت فى معركة القرضابية التى تكلمنا عنها بالتفصيل .

2- مجموعة " أحمد السنى" " والبدوى الأزهرى " والتى تابعت الإيطاليين إلى مزدة " حيث دارت معركة " وادى مرسيط " التى سبقت القرضابية .

3- والمجموعة الثالثة والتى اتجه إليها " خليفة بن عسكر " والتى كان يرأسها 'المهدى بن كنيفو" " والدحونس على الزنتانى " والتى استولت على أوبارى وسارت حيث تمركزت بوادى " أوال بين " غدامس " " ودرج " .

وكانت المسافة بين نالوت ووادى أوال حوالي 275 كم نفد منهم فيها الزاد والماء إلى أن أشرفوا على الموت ، فوجدوا فرنسيين فقتلوهما واستولوا منهما على الزاد والماء الذى كان معهما ، ثم اضطر " المهدى بن كنيفو ' إلى الرحيل وعين مكانه "خليفة بن عسكر". وبعد ذلك بدأ الجهاد بعزيمة أكبر فقامت المجموعة باعتراض ثلاث حملات كانت إيطاليا قد جهزتها لاسترداد " فزان " وكان بها آلاف من العرب الذين جندهم الطليان قسرًا ، وكانت أولى هذه الحملات تلك التى تحركت من جادو وكان المجندون فيها بقيادة سليمان بن سعيّد ومسعود فكينى و أحمد السيد و على التايب.

وفى المعركة الثالثة غنم المجاهدون من الإيطاليين بعيرين محملين بالزيت وآخرين محملين بالذخيرة وثلاثة جمال محملة بالدقيق وبعض الأسلحة الصغيرة، وبعد ذلك تمت وساطة مفادها أنه لاداعى أن يقاتل العرب بعضهم البعض فسمحوا لهم بالمرور إلى غدامس. ولقد ذكر التليسى هذه المعارك وحدد لها تاريخ من 31 يناير 1914 إلى 4 فبراير عام 1915[3].

---

(1) شريط رقم 1 . 3 .3. 5/4 المكتبة السمعية بمركز الجهاد بطرابلس.

(2) أمين سعيد . مصدر سابق . ج3 . ص· 45.

(3) خليفة محمد التليسي، مرجع سابق، ص:376 - Bolatı,P.P. 177-178

معركة سوينة يعقوب (11 إبريل 1915) [1]:

اتجه مائة وخمسون مجاهدًا بقيادة خليفة بن عسكر إلى سوينة يعقوب حينما علموا أن إبلاً للطليان قادمة فى طريقها إلى غدامس: ونصبوا لها كمينًا استطاعوا به أن يستولوا على الإبل التى كان تعدادها مائة وعشرين بعيرًا . كما استولوا على مائة وخمسة عشر كبشًا كانت فى اتجاهها كتموين للحوم. واستطاع " خليفة بن عسكر " ومعه "خليفة الرجبانى" من الاستيلاء على بندقيتين من حرس القطيع من الإيطاليين بعد قتلهما ، واتجهت المجموعة بعد ذلك إلى "درج" حيث تمكنوا فى "وديان درج " من القيام بحصد الزرع لتوفير طعامهم، إذ أن الجوع كان قد أخذ منهم مأخذه ، وتزودت المجموعة بعدد آخر من المتطوعين للجهاد . ثم اتجهت المجموعة إلى "سناون" التى كان الإيطاليون لايزالون بها ويحتفظون بقوة كبيرة فيها. وهناك وصلت مجموعة أخرى من المجاهدين تضم 64 متطوعًا أرسلهم " محمد المهدى السنى "رئيس المجموعة الثانية كنجدة لابن عسكر فى محاصرته لسناون التى كانت قد استمرت ستة أيام وبها الإيطاليين ، والذين هربوا فى الليل من الجهة الأخرى . ولما اكتشف المجاهدون الأمر تابعوا الإيطاليين وقتلوهم واستولوا على ما معهم من سلاح وعتاد ومؤن وتمكّن عدد منهم من الفرار إلى تونس[2].

ثم رحلت الحامية من سناون باتجاه الجبل ، وحين وصلت إلى "وادى شيحان" وهاجمت الحامية فى "أولاد محمود " وسمع الناس بوصول المجاهدين: صار أهل الجبل يتسللون من بيوتهم ويلتحقون بالحملة التى يرآسها " خليفة بن عسكر " .

وكان أن لحق به مجاهدون من " الصيعان " والحوامد وأولاد محمود ، وكاباو . ونالوت . والحرابا . وأصبحت القوة التى مع " خليفة بن عسكر " فى ازدياد باستمرار بعد انضمام مجموعات من سناون ودرج .. وغيرها .

واختار من بينهم ذوى الرأي وكونوا مجلسًا عسكريًا لدراسة خطة لدخول نالوت لإجلاء الإيطاليين منها[3].

ولقد قام "خليفة بن عسكر" فى النهاية بمهاجمة مركز الاتصال الإيطالي بنالوت وأجلى كل أفراده فى 15 مارس 1919 وكانت الثورة ضد الطليان فى طرابلس قد اشتعلت مرة ثانية ، فبعد ذلك بأسبوعين تقريبًا وعلى وجه التحديد فى 28مارس 1919 وكان الوضع قد تأزم تمامًا بين الإيطاليين الذين نقضوا الاتفاقات المعقودة والزعماء الوطنيين، فقد قام رمضان

---

(1) Groso , P. 293.

(2) خليفة محمد التليسي ، مرجع سابق ، ص: 376 - 377.

(3) محمد سعيد القشاط ، مرجع سابق ، ص: 193.

السويحلى بإجلاء الحامية الإيطالية عن ميناء قصر أحمد فى مصراتة، وفى 21 مايو أسر رجاله مجموعة من الضباط والجنود الإيطاليين عندما كانوا يجتازون طريق الخمس - القره بوللى -وكان من بينهم الكولونيل " روجيرى " واقتيدوا إلى مصراتة ، وفى يوم 22 مايو اقتيدت الحامية الإيطالية فى " سرت " إلى "مصراتة وفى يوم 8 يونيو هوجمت سيارة إيطالية فى "القواسم " بغريان "، واستسلمت الحامية فى غريان ثم اجليت إلى العزيزية[1].

وهناك قصة فى " كاباو " يعرفها ويرددها الجميع وهى قصة الأربعين فتاة اللواتي دون أسماؤهن عملاء إيطاليون بعد انتقائهن من وسط فتيات المنطقة تمهيدًا لنقلهن إلى إيطاليا صحبة الإيطاليين العائدين إلى بلادهم. وتروى القصة كيف أن " خليفة بن عسكر " هاجم قصر كاباو الذى توجد فيه الحامية الإيطالية بعد أن علم بأمر الفتيات المختارة للسفر إلى إيطاليا- وقضى عليهم وطردهم من نالوت قبل أن ينفذوا مؤامرتهم هذه[2].



صورة قديمة لقلعة سبها التى احتلها الغزاة فى 1914/2/17
واستعادها المجاهدون فى 1914/11/28

(1) خليفة محمد التليسي ، مرجع سابق ، ص: 61.
(2) محمد سعيد القشاط ، مرجع سابق ، ص: 193.

الفصل الثالث

الاتفاقات والمعاهدات وأثرها على حركة الجهاد فى كل من برقة وطرابلس

(*) الصراع على السلطة فى طرابلس وانعكاس ذلك على حركة الجهاد .

(*) تحول مسار الجهاد فى برقة وحرب أحمد الشريف ضد الإنجليز .

(*) مهادنة إدريس السنوسى للعدو وعقد الإتفاقات لتصفية حركة الجهاد .

(*) هروب إدريس إلى مصر ونقض الإيطاليين لاتفاقات الصلح .

الصراع على السلطة فى طرابلس وأثر ذلك على مسار الجهاد

أولاً : الصراع بين رمضان السويحلى والسنوسيين :

بعد أن قامت قوات المجاهدين الطرابلسيين العائدين من سرت بتطهير المدن فى منطقة طرابلس (غرب سرت) من الحاميات الإيطالية بها. مندفعين لتحقيق ذلك الجهاد بفعل ما حققوه من نتائج باهرة فى نصر القرضابية استقر زعماء الجهاد وشيوخه كل فى موقعه. أو بالمنطقة التى كان زعيمًا على قبائلها والتى خرج منها للجهاد.

وبدأت تلمع أكثر من ذى قبل الشخصيات التى شاركت فى الجهاد كل واحد بالقدر الذى قدمه ، وكان فى مقدمة هذه الشخصيات "رمضان السويحلى" الذى فرضته الأحداث زعيمًا وحاكمًا لمصراتة وما حولها من مدن فى القطاع الشرقى لطرابلس .

أما بخصوص جماعة السنوسيين التى تقيم بسرت، وتم تسيير حملة "إميانى" لإخراجها منها، وقامت معركة القرضابية بسببها؛ فإن قائدها "صفى الدين" أراد أن يؤكد زعامة السنوسيين على طرابلس لاستثمار النصر الذى تحقق لهم فى القرضابية حين شاركوا الطرابلسيين فى المعركة ضد الإيطاليين ، فبدأ صفى الدين فى الزحف هو الآخر ومعه نائبه "أحمد التواتى "[1] وجزء من جيشه نحو مصراتة " شرق طرابلس للمشاركة فى تطهيرها من بقايا الحاميات الإيطالية ، وكان الهدف الحقيقى لصفى الدين هو بسط نفوذ السنوسيين على طرابلس من خلال ظهوره كمشارك بقوات السنوسيين فى طرد الإيطاليين وكان قد انتهى من تنظيم شؤون قواته فى منطقة سرت ، ووضع نظامًا للتعامل مع الأهالي، وقام بحصر الغنائم ووضع نظام لكيفية الأخذ منها ، ثم توجه بعد ذلك لتنفيذ إخضاع طرابلس للنفوذ السنوسى .

وكانت الحامية الإيطالية عند وصوله إلى " ورفلة " مازالت محاصرة من الأهالي تصد عن نفسها هجماتهم ، وبعد وصول الجيش السنوسى أعطاها صفى الدين الأمان تحت شروط وانسحبت (كما سبق وذكرت)[2]. وظهر وقتها زعيم "ورفلة" عبد النبى بالخير" وكان قد انسحب إلى ورفلة خوفًا من عقاب الإيطاليين، وانتقامهم بعد هزيمة حملة "إميانى" فى سرت مع أن انسحابه من المعركة وعدم اشتراكه فيها كان بدعوى خوفه من هجوم "آل سيف النصر" .

---

(1) مذكرات (عبدالرحمن عزام) : مجلة المصور ، القاهرة ، العدد 1335 فى 2ذ مايو 1950 ، ص: 24.

(2) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ص: 48.

على بنى وليد فانسحب بجيش ورفلة قبل بدء المعركة، بينما اشترك فيها "آل سيف النصر".

ثم توجه صفى الدين بعد ذلك إلى مصراتة بعد أن ترك أحمد التواتى ونفر من أتباعه فى "ورفلة" ليقوم بنفس الدور ، وكانت مصراتة قد انتهت من القضاء على الوجود الإيطالي بها بفضل ما قام به مجاهدوها من معارك، وبفضل مجهودات زعيمهم " رمضان السويحلى"، وكان من الطبيعى أن يحدث صدام بين كل من: "صفى الدين" ورمضان السويحلى فى مصراتة، ذلك أن الأول كان ينتظر على عادة الشيوخ السنوسية فى برقة أن ينال البيعة لأخيه " أحمد الشريف السنوسى" ويحصل على الغنائم كما فعلت معه "ورفلة" بينما كان رمضان قد فرض نفسه على " مصراتة" زعيمًا.

وتتعدد الأسباب وتختلف حول هذا الصدام ، وينقسم المؤرخون فى ذكر أسباب الصدام بين رمضان وصفى الدين إلى فريقين :

الفريق الأول: يتهم صفى الدين بأنه جاء إلى مصراتة؛ لكى يحصل على الغنائم التى خلفها الإيطاليون ورائهم بعد أن تم إجلائهم عن مصراتة يوم 5 اغسطس 1915[1].

والفريق الثانى: يدافع عن صفى الدين ويذكر بأنه لم يطلب من رمضان سوى "رواحل وزاد وكسوة " لبعض المجاهدين الذين يعدّون على الأصابع ولصالح أولاد المجاهدين وأهليهم بالجبل الأخضر ، بقدر ما يصلون إلى أهليهم مستورين ويقول أصحاب هذا الرأي: بإن "رمضان بك " رفض تلبية هذا المطلب مع أن السنوسيين أبانوا بأن هؤلاء قد شاركوا فى الجهاد وجرح منهم كثيرون[2]، وكان رد رمضان السويحلى بأن فتح مصراتة وإجلاء الإيطاليين عنها كان بأيدى أهلها وحدهم .

وادّعى الفريق الذى يدافع عن رمضان السويحلى بأن سبب الخلاف أن صفى الدين كان قد جاء ليطلب جباية الضرائب فورًا من الأفراد فى مصراتة كل حسب ما يستحق دفعه بصفة التبعية للنظام السنوسي فى الجبل الأخضر ، ويرد الفريق الآخر بأن: هذا الكلام افتراءات جاءت على لسان "رمضان السويحلى" حينما جمع الناس بدعوى أنه سوف يوزع عليهم الغنائم. ولما حضروا وكان عددهم لايقل عن ألفين ، أخذ يقول لهم :" إن صفى الدين جاء ليفرض عليكم إتاوات ، وجاء ليأخذ منكم الغنائم التى كسبتوها من حربكم للطليان . وبعد آن أقنع الناس بفساد ما فعله "صفى الدين " سألهم عن المؤيدين للسنوسيين وطلب منهم أن ينحازوا لصف زعيمهم . تحول الناس جميعهم إلى صف رمضان ونادوا به زعيمًا لهم ولم يبق مع صفى الدين غير نفر قليل من أعداء رمضان من العداوات الشخصية.

---

(1) الطاهر الزاوي ، جهاد الأبطال ، مرجع سابق، ص: 180 .

(2) محمد الأخضر العيساوي ، رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ط1 ، سنة1936 ، ص: 38.

وإذا ما افترضنا أن موضوع الزكاة أو الضرائب التى قيل أن " صفى الدين " فرضها على أهالي مصراتة، جائز على أساس ما صارت إليه طرابلس من تبعية للسنوسية على يد صفى الدين المرسل من قبل أحمد الشريف بموجب تسليم الخليفة العثمانى له بعد أن عينه نائبًا عنه بعد تخليه عن ولايتى برقة وطرابلس فى صلح لوزان عام 1912 مع الإيطاليين. فإن "رمضان" يرى بصفته زعيمًا لمصراتة آن ضرائب أهالي مصراتة يجب أن تبقى بها: لأن الجهاد فيها يقوم به أبناؤها أو بمعنى آخر يجب أن تسقط هذه الأعشار عن المجاهدين[1].

والواقع آن سبب هذا الصراع يرجع إلى إصرار " رمضان السويحلى على آن لاينافسه السنوسيون فى السيطرة على مصراتة التى فرض نفسه زعيمًا عليها لشخصيته القوية وتاريخه النضالى وجبروته الذى كان فى صباه ، وأنه آراد أن يبعد نفوذ السنوسيين عن مصراتة ويستقل بها . ويقيم حكومة يكون هو زعيمها وهذا ما حدث بالفعل .

وأيضًا فإن صفى الدين لانعفيه من المسئولية فى هذا الصدام ، فقد أراد هو الآخر أن يفرض زعامته وزعامة السنوسيين على طرابلس ، ويضم مصراتة وغيرها من البلاد الطرابلسية إلى برقة ويعمل على انضوائها تحت زعامة أخيه أحمد الشريف .

اتساع الخلاف بين الفريقين:

حينما تبين رمضان السويحلى أن وجود صفى الدين هو من أجل تنظيم مصراتة، وأنه بدأ يتدخل فى بعض الأمور ويطلب طلبات إلى جانب ضمه لبعض الأشخاص من الذين لايستريح إليهم "رمضان" . وحين طلب رمضان تسليمه أحد هؤلاء الأشخاص رفض الوكيل "آحمد التواتى" بعد إستشارة صفى الدين ، وغير ذلك من الحكايات التى فهم منها رمضان أن السنوسيين يحمون بعض الأشخاص من بطش "رمضان" وعقابه الشديد، وخاصة بعد أن آصبحت له الكلمة العليا فى مصراتة وأصبح على أهبة تصفية حسابه مع خصومه .

وكان من المعروف عن رمضان أنه يلجأ إلى الحيلة وأنه قادر على المراوغة، فلقد تظاهر بالامتثال لأوامر صفى الدين حينما أرسل يقبض عليه وإن كان صفى الدين قدعدل عن ذلك وأرسل يأمره بأن يعتبر نفسه مهجورًا على طريقة السنوسيين إذا غضبوا على آحد من الناس[2] وكان رد رمضان بك:" غدًا أذهب إلى بيتى وأبقى به إلى أن يحصل لى الرضا من السيد " واتضح أن ذلك كان خديعة ، بينما هو فى الواقع يؤلب الناس على صفى الدين بالصورة التى سبق ذكرها.

---

(1) رفعت عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص: 155.

(2) محمد الأخضر العيساوي ، مرجع سابق ، ص: 39.

وأيضًا محمد فؤاد شكري ، مرجع سابق ، ص: 201 -202.

ولما تأزمت الأمور فى مصراتة وتحزب الناس إلى فريقين بالصورة التى شرحناها: بدأت الوساطات لإصلاح ذات البين اشترك فيها قاضى مصراتة وغيره من المشائخ توجهوا إلى رمضان: ليعرضوا عليه الصلح مع السنوسيين ويبينوا له سوء عاقبة نية الخلاف ونقض البيعة للسنوسيين خصوصًا فى هذا الوقت الذى يتأهب فيه العدو لابتلاع البلاد وتعويض هزائمه على يد المجاهدين.وزاد الأمور تعقيدًا اعتقال رمضان السويحلى لبعض الأشخاص الموفدين للوساطة .

واضطر السيد صفى الدين أن يرتحل إلى "ورفلة" حيث يقيم وكيله "التواتى" مع جيشه. ثم انتقلوا إلى ترهونة، وجمعوا أعيان تلك الجهة وعلمائها لتقديم البيعة لأخيه "أحمد الشريف" فجاءته الأعيان والعلماء من كل ناحية وبايعوه فعلاً وكتبت البيعة وسلمت له. وأتفقوا جميعًا على أن يتوجهوا لزيارة الولى الصالح " سيدى عبدالسلام الأسمر " الذى يوجد مقامه فى زليطن بجوار مصراتة، وأتفقوا على أن يكون معهم "صفى الدين "حتى يتكلموا مع"رمضان السويحلى" وينهوا الخلاف وتتوحد الصفوف لمواجهة العدو .

ولكن رمضان رفض الصلح. ويدعى المؤيدون للسنوسيين بأن رمضان منع " صفى الدين " ومن معه من الأعيان من زيارة مقام سيدى عبدالسلام فعاد الزعماء بعد آن وعدوا صفى الدين بأن يعودوا له ومعهم جيوش لمحاربة رمضان ولكنهم لم يعودوا اعتقادًا منهم بأن هذا سوف يزيد من شدة الخلاف وهذا صحيح طبعًا كما أنه سيؤدى إلى مذبحة كبيرة بين أهل الوطن الواحد ، وهذا ما يتمناه العدو[1].

وكان رمضان السويحلى قد أقسم أن يطرد السنوسيين من منطقة طرابلس.

وقوع الحرب بين السنوسيين وأهالي طرابلس :

بعد سفر الزعماء هاجم رمضان السويحلى " أحمد التواتى" وكيل صفى الدين بمكان يقرب من " مسلاتة" يقال له: خبان فنان " وكانت ترهونة تؤيد "أحمد التواتى" وكادت قوات رمضان تنهزم لولا أن استنجد بأهالي مصراتة فجاءه مدد من ثلاثمائة مسلح بقيادة " عمر عثمان بو دبوس " . وانسحب أحمد التواتى إلى " ورفلة " التى كان قد آقام بها وآخضعها من قبل فوجد "عبدالنبى بالخير " زعيمها قد وصل إليها قبله . وكان قد تم اللقاء السرى بينه وبين رمضان السويحلى واتفقا فيه [illegible]لى طرد السنوسيين من بلادهم ، فحاربهم عبد النبى أيضًا، ولما كاد السنوسيون ينتصرون على قوات [illegible] مضان وأرسل مددًا من مصراتة وزليطن إلى صديقه "عبدالنبى" وكان المدد كبيرًا يضم [illegible] [illegible]اتة وزليطن والساحل وحدثت معارك بين

(1) محمد فؤاد فشيكة ، رمضان السويحلي ، م. الفرجاني ، طرابلس ، سنة 1973 . ص: 208.

الطرفين شديدة سقط فيها العشرات من الليبيين وبدأت الهزائم تتوالى على السنوسيين بسبب دهاء رمضان وعبدالنبى اللذين أخذا فى إثارة القبائل التى كانت تتضامن معهما .

ولما رأي صفى الدين أن كل يوم تخذله قبيلة أدرك خطورة الحالة، وبدأ يستعد للانسحاب بعد أن انهزمت كل قواته قرب بنى وليد. وكان ذلك في أول 1916 . وكان إدريس السنوسي قد تولى مسئولية الطريقة السنوسية من ابن عمه أحمد الشريف الذى انجرّ إلى حرب الانجليز فى الصحراء الغربية لمصر وهزم أمامها. وعاد بعدد قليل من رجاله الذين ضاع معظمهم فى الصحراء الغربية فأمر "إدريس" صفى الدين بالعودة والانسحاب بجيشه إلى برقة تجنبًا للمزيد من سفك الدماء بين أبناء الوطن الواحد ، خاصة وأن قوات برقة كانت تتلقى هى الأخرى الهزائم على يد الإنجليز فى مصر[1].

وقرر "صفى الدين العودة بمن معه من مجاهدين إلى برقة ، وكانت جماعات رمضان وعبدالنبى، تطاردهم وغيرهما من القيادات بعد أن كشفوا جميعهم عن العداء السافر للسنوسيين وعاد إلى الظهور شبح المنازعات القديمة بين البدو والذين تنتشر بينهم الجماعات السنوسية وبين الساحل وسكان المدن الذين يسيطر عليهم رمضان وعبدالنبى وغيرهما من قيادات الحضر ، بل إن رمضان قد فرض غرامة على القبيلة التى تمد السنوسيين بالمساعدات وهم فى طريق العودة ، وأنزل عليهم عقابًا شديدًا .

والاكثر من ذلك أن " أحمد التواتى " قد وقع فى يد " عبدالنبى بالخير الذى سلمه إلى "رمضان السويحلى" فسجنه ثم أعدمه بعد ذلك. وانتهى هذا المشهد الدرامى الذى يختلف كثيرا عن مشاهد الوحدة الوطنية فى المعارك السابقة وأقربها إلى الذهن "القرضابية" .

ونقول فى النهاية : لو أن زعماء طرابلس تعاونوا واتفقوا مع قادة برقة ونسقوا جهودهم سويًا بعد معركة القرضابية واستكملوا مسيرة الجهاد بنفس القوة والاندفاع بفعل شحنة الانتصار التى طردوا بها الحاميات فى معظم المناطق، وتوجهوا إلى الاماكن المحدودة التى حوصر فيها العدو على الساحل لكان الاحتلال قد تم إجتثاثه من جذوره ، خاصة وأن الإيطاليين كانوا مشغولين بالحرب العالمية الأولى سنوات (1914 - 1918).

ولكن الخصومات القبلية والجهوية ومناوآة رمضان والزعماء الطرابلسيين للقيادات السنوسية أضعفت حركة المقاومة فى ليبيا: ذلك أن النصرالسريع والكبير الذى ناله رمضان السويحلى على منافسه دفع به إلى فرض زعامته على منطقة طرابلس بأكملها ، ولم يكن السويحلى مستعدًا لاقتسام السلطة مع آخرين من الشرق؛ فحاربهم وأقصاهم بعيدا[2].

---

(1) محمد فؤاد شكري . مرجع سابق . 208.

(2) شكيب أرسلان . مرجع سابق . ص:111.

ثانيًا : الصراع بين رمضان السويحلى وعبدالنبى بالخير :

انضم لحكم رمضان السويحلى" فى مصراتة جميع البلدان والمناطق التى كانت تشمل فى العهد التركى متصرفية الخمس من شرق سرت إلى القره بوللى وقصر خيار وقماطة شمالاً بما فى ذلك زليطن ومسلاتة وساحل آل حامد ماعدا مدينة الخمس المتحصن فيها الطليان . وتم ذلك الضم بفرمان من السلطان العثمانى حمله "الأمير عثمان فؤاد" إلى "مصراتة" . وباقتراب نفوذ السويحلى فى مسلاتة من مدينة ترهونة التى كان يحكم فيها "آل المريض" نشب الصراع بين الزعمين المذكورين سنة 1916[1].

وكان ضم مسلاتة التي يحكمها " آل المريض لرمضان السويحلي هو الذي أدى إلى الاشتباكات المسلحة بينهما نحو الأربعة شهور . وكان معروفًا أن مسلاتة بسبب مجاورتها لترهونة توجد بينهما علاقات اجتماعية واقتصادية وطيدة تجعلهما مكملتين لبعضهما[2].

وكان رمضان قد قام بتعيين مندوب له فى مسلاته فى أعقاب ضمها لحكمه ثم ذهب إليها صفى الدين بعد عودته من القرضابية وعين عليها مندوبًا له هو الآخر. وطرد المندوب الذى كان قد عينه "رمضان "[3]. وكان المندوب الذى عينه صفى الدين من أسرة المريض الحاكمة فى ترهونة وحينما قضى على الوجود السنوسى فى منطقة طرابلس بأسرها . خرج السويحلى على رأس قوة لاسترجاع مسلاتة من أيدى " آل المريض الذى فر نائبهم إلى ترهونة، يشكو ما حدث له ولمسلاتة على يد رمضان.

ووقعت الحرب بسبب الصراع على السطة بين السويحلى والمريض وبدأت هذه الحرب فى أغسطس عام 1916 .

وترجع أهمية مسلاتة لرمضان السويحلى ، أن هذه المدينة تبعد عن الخمس المتحصن فيها الطليان بنحو 25 كم فقط وهو مركز متوسط للمواصلات بين الجهات الشرقية والجهات الشمالية الغربية : ولذلك فإن رمضان قد اتخذ فيها مركزًا جهاديًا قويًا لحماية خطوط مواصلاته . ولقد أعقب هذا التنازع عدة تطرفات قام بها البعض أدت إلى صراعات جهوية كان لها ضحايا وآثار سيئة .

كما أدى هذا النزاع إلى مضاعفات سياسية ، فلقد عاد السنوسيون إلى سرت وأقاموا بها مرة أخرى مستغلين انشغال رمضان السويحلى فى الحرب ضد ترهونة حيث أرسل "إدريس السنوسى "قوة بقيادة" صالح الأطيوش "الذى طرد" حسن الشريف" نائب رمضان على سرت،

---

(1) محمد مسعود فشيكة : رمضان السويحلى . مرجع سابق . ص160.

(2) الطاهر أحمد الزاوى : مرجع سابق . ص291 .

(3) محمد الأخضر العيساوى : مرجع سابق . ص38.

انتقامًا لما أحدثه رمضان من قبل حينما طرد السنوسيين من المنطقة[1].

ولسوف يكون من المهام التى يقوم بها كل من "سليمان البارونى" وعثمان فؤاد اللذين وصلا إلى مصراتة قادمين من الأستانة الدور الكبير فى التوسط لإخراج السنوسيين مرة ثانية من سرت وعودتهم إلى برقة بعد أن راسل سليمان البارونى إدريس السنوسى بخصوص ذلك[2]. كماسيقوم الاثنان من الأستانة بالمساعى الحميدة حتى يتم الصلح بين رمضان وترهونة ويعمل على عودة الوفاق من أجل مداومة العمل المشترك ويتضح ذلك من إقامة الجمهورية الطرابلسية، وصد العدوان بعد أن يضع رمضان يده فى يد "أحمد المريض" ويعملان سويًا فى إدارة الجمهورية.

أحمد الشريف وحرب الإنجليز فى مصر:

لقد ظل أحمد الشريف يجاهد الطليان فى برقة ويكبدهم خسائر جسيمة فى الأرواح والعتاد، إلى أن أعلنت الحرب العالمية فى اغسطس 1914، وكانت إيطاليا قد تأخرت حتى 1915 فى إعلان انضمامها إلى صف الحلفاء ضد قوات دول الوفاق (النمسا والمجر وألمانيا وتركيا).

وهكذا وجدت تركيا وإيطاليا نفسيهما فى معسكرين مختلفين وكانت الجولة الثانية بينهما فى الحرب قد بدأت 1915 ، وكان السلطان العثمانى – معتبرًا نفسه خليفة المسلمين – قد أعلن الجهاد ضد الكفار بصفة عامة وليس ضد الإيطاليين فقط هذه المرة . وذلك بمجرد إعلان قيام الحرب العالمية: لكى تستجيب له سائر الأقطار الإسلامية فتقف إلى جانب تركيا.

وكانت منظمة " تشكيلاتى مخصوصة " التى ورطت الحكومة العثمانية فى دخول الحرب العالمية ، قد قررت أن تزج بالسنوسية فى ليبيا لمحاربة الإنجليز فى مصر وكأنها صاحبة المصلحة فى الصراع الدائر بين الدول الأوربية المتحاربة[3]، ووضعت الخطة فى الأستانة على أساس أن يقوم الجيش السنوسى بمناوشة الإنجليز فى الصحراء الغربية لمصر حتى تشغلهم فيخففوا من ضغطهم على قناة السويس التى سوف تهاجمها قوات تركية تخرج من سوريا مخترقة شبه جزيرة سيناء مع قوات المانية .

وكلف "أنور باشا" أخاه" نورى " بمهمة السفر من "الأستانة" إلى"برقة" وبصحبته "مانسمان"(ألمانى) وجعفر العسكرى وبعض ضباط أتراك آخرين ، لمقابلة أحمد الشريف ، بصفته حاكمًا على إقليم "طرابلس" الذى ضم إليه بموجب الفرمان السلطانى الصادر فى أعقاب نشوب الحرب مباشرة .

---

(1) مذكرات عبد الرحمن عزام باشا ، مرجع سابق ، ص: 24.

(2) الطاهر الزاوي ، مرجع سباق ، ص: 298.

(3) عبدالمولى صالح الحرير ، تشكيلاتي مخصوصة بحث منشور في مجلة البحوث التاريخية ، الناشر. مركز الجهاد، طرابلس ، العدد الأول ، 1979 ، ص: 109.

وحمل " انور باشا " رسالة شخصية إلى أحمد الشريف الذى بدأت المفاوضات بينه وبين الضباط الأتراك بعد أن كان قد وصل من الجبل الأخضر إلى الحدود عند (إمساعد) لمقابلتهم حيث كانت غواصة ألمانية[1] قد أنزلتهم عند ساحل (مرمريكا) لهذا الغرض ، وعرضوا على أحمد الشريف فكرة مهادنة الإيطاليين فى تلك المرحلة ومحاربة الإنجليز فى الوقت الذى كان فيه أحمد الشريف يهادن الإنجليز ويحارب الطليان: وأخذوا يمارسون الضغط عليه لإقناعه بالفكرة؛ وهو يرفض لإعتقاده بأن الأولى بالجهاد هو العدو الإيطالي الذى يجثم على أرض بلاده بالفعل. أما الإنجليز فرغم أتخاذهم موقف الحياد منذ الغزو الإيطالي لإقليمى طرابلس وبرقة إلا أنهم كانوا لا يعترضون على مرور المعونات التى ترد من مصر سواء كانت أسلحة أو ذخيرة أو مؤن ، كما أنهم كانوا يغضون الطرف عن مرور متطوعين أتراك أو مصريين لأرض الجهاد فى ليبيا[2].

ولقد كانت السياسة البريطانية بالقاهرة تعمد باستمرار إلى المحافظة على علاقات الود مع أحمد الشريف خشية أن يستغله الأتراك ويضغطون عليه لمحاربتهم، خاصة وأنهم يعرفون شخصيته جيدًا من كونه رجل دين من الطراز العتيق الذى تتغلب عليه عاطفته الدينية كثيرًا، وأن نظرته للخلافة العثمانية كخلافة إسلامية تشده دائمًا إلى الرابطة القوية مع السلطان العثمانى وعدم مخالفته فيما يصدر من أوامر ، فهو يعتبر تنفيذها واجب على كل مسلم فى أي مكان فى العالم .

وحرصًا من الإنجليز على إبقاء علاقات الود مع أحمد الشريف ، فقد كانوا كثيرًا ما يرسلون له الهدايا والكتب التى يطلبها وأيضًا الوفود ، وحرصوا فى الوقت نفسه على جعل "أحمد الشريف " يلتزم موقف الحياد ويمتنع عن تأييد التدابير العثمانية الألمانية ، وكذلك قام السير " هنرى مكماهون " بعد تعيينه معتمدًا لبريطانيا فى القاهرة بالكتابة إلى أحمد الشريف فى 15 يناير عام 1915 كما وسط الانجليز سلطان مصر الأول "حسين كامل " الذى قام بإرسال وفد إلى برقة مكونًا من شخصيتين هامتين هما :" محمد الشريف الإدريسى " ونجله الأكبر"محمد مرغنى " كما كانا يحملان رسائل من كل من مكماهون " و"السير ماكسويل " قائد عام القوات البريطانية فى مصر ، ولقد طلب من الوفد أن يعرض على " أحمد الشريف " وعدًا بمعاونته لحصول بلاده على الاستقلال بالتوسط لدى إيطاليا فى هذا الشأن إذا ما حافظ على حياد بلاده فى هذه الحرب .

كما تقابلالوفد مع " محمد إدريس السنوسى " الذى لم يكن على رأي ابن عمه فى محاربة

---

(1) حاضر العالم الإسلامي، مرجع سابق ، ج3 ، م2 ، ص: 460.

(2) E. E. Evans Pritchard. P. 125.

الإنجليز كما سيتضح من تطور الأحداث فيما بعد[1].

ولقد أورد " شكيب أرسلان " نص الرسائل التى أرسلها كل من اللورد كتشنر والجنرال ماكسويل والسير ماكماهون ، والتى يظهر فيها أساليب المصانعة لأحمد الشريف وقد كانوا يخاطبونه باللغة التى يخاطب بها الملوك مركزين فى خطاباتهم على نسبه المشرف للرسول الكريم، وكانت الخطابات تكتب باللغة العربية الفصحى وبأسلوب أدبى راق .

وكان أحمد الشريف يحاول الاستفادة الكاملة من هذه العلاقة فيطلب من الإنجليز مساعدته فى تصنيع ملابس الجند وتلبية سائر مطالب الجيش السنوسى من مصر ، ومن ناحية أخرى: فإن أحمد الشريف كان يخشى – لو أنه تم الزج به فى حرب مع الإنجليز – أن تهزم قواته: لأنه ليس هناك مجال للمقارنة بينه وبين الجيوش الإنجليزية المنظمة والمدربة وبين جموع البدو التى تلتف حول "أحمد الشريف " والذين يتحركون أحيانًا بطريقة تلقائية مندفعين دون أن يحركهم قائد.

وفى النهاية يمكن القول بأن أحمد الشريف والإنجليز كان كل منهما يخشى الآخر، فالإنجليز يخشون استجابة أحمدالشريف للضغط التركى ليحارب الإنجليز على الحدود مع مصر وأحمد الشريف يخشى أن يقوم الإنجليز بتنفيذ سياسة الحياد بحذافيرها على الحدود مع مصر . فتتوقف جميع المجهودات والمساعى التى كانت تبذل فى مصر لإرسال التبرعات العينية والمادية التى يعتمد عليها المجاهدون، أضف إلى هذا عدم اقتناع " أحمد الشريف " بفكرة محاربة الإنجليز؛ لأنهم كفار واستثناء الألمان من قائمة الكفار ، وفق الدعوة التى أطلقها السلطان العثمانى بصفته خليفة المسلمين جمعاء[2].

ويهمنا هنا أن نعرف الدافع الذى حدا بالسنوسيين بقيادة أحمد الشريف للتجمع قرب نقطة السلوم المصرية الإنجليزية على الحدود المصرية رغم أنه لم يكن ينوى محاربتهم ، وبالطبع لايمكن التكهن بأن ذلك كان بغرض حماية الحدود من الإنجليز ، ذلك لأن النوايا بين الطرفين كانت طيبة للغاية ولاتنم إلا عن الإيمان بمهادنة الإنجليز ، كما أوضحنا من قبل ،بل أن قوات السنوسيين فى هذا الموقع كانت تعتبر نفسها فى أبعد نقطة عن هجمات الإيطاليين لاعتقادهم فى حرص الإيطاليين على عدم الاقتراب من الحدود المصرية الليبية خشية المشاكل التى يمكن أن تحدث مع إنجلترا ومصر ترى إيطاليا إنها غنية عنها .

وإن خير دليل على حرص "أحمد الشريف" على الالتزام بسياسة حسن الجوار مع الإنجليز تلك المعاملة الحسنة التى عومل بها الأسرى الإنجليز الذين غرقت سفينتهم قرب

---

(1) شكيب أرسلان . مرجع سابق . م1 . ج1 . ص: 116.

(2) عبد الرحمن عزام . مذكرات نشرت بالمصور المصرية . مرجع سابق . ص: 22.

مالطا وأحضروا إلى برقة، وكيف أنهم أرجعوا سالمين إلى القيادة الإنجليزية بالإسكندرية[1].
أضف إلى ذلك أن أحمد الشريف كان قد عبر عن ميوله تجاه الإنجليز وتفضيله لهم على كل من الفرنسيين والإيطاليين فى حديث رسمى تم فى مقابلتين أجراهما معه " البمباشى رويال " الموظف فى إدارة الحدود المصرية فى نوفمبر عام 1914 ، أكّد "أحمد الشريف " فى هذا الحديث على أنه ليس هناك ما يدعو إلى الشك فى أن وجود تجمعات للسنوسيين قرب الحدود المصرية هو موجه ضد الإيطاليين بصورة قطعية وضدهم هم وحدهم[2].

ورغم ذلك فإن البريطانيين قد قاموا بتقوية قواتهم فى الصحراء الغربية لمصر لتصل إلى خمس عشر ألف جندى وضابط؛ لأنه يبدو أنهم كانوا يتوقعون ما سوف يحدث بعد ذلك من أحداث . لقد كانوا يتوقعون خضوع " أحمد الشريف " لضغط الأتراك نظرًا لتدينه الشديد ولولائه العاطفى لهم، وللدولة العلية التى مازالت تمثل المورد الأكبر للسلاح ، والضباط والأموال لجيش السنوسيين .

ورغم أن نورى بك وصحبه الذين رافقوه قد مارسوا ضغوطًا على " أحمد الشريف " كثيرة إلا أنه لم يرضخ لهم البتة مما دفعهم إلى حبك المؤامرات ضده: لتوريطه فى هذه الحرب والزج به فى أتونها تحقيقًا لأغراض دولتهم الشخصية فى حربها ضد الإنجليز، وتكون النتيجة إبعاد السنوسيين عن هدفهم الرئيسي وهو محاربة العدو الإيطالي الجاثم على أرضهم وصدورهم[3].

وعند الكلام عن أسباب تحول " أحمد الشريف " من الإصرار على رفض فكرة محاربة الإنجليز إلى الدخول فى حرب ضدهم ، نجد أن أقدم المصادر تؤكد أن مؤامرات الأتراك هى السبب ، بينما تحاول المصادر الأحدث منها أن تظهر أن شخصية " أحمد الشريف " شخصية مترددة وأنه يحب الزهو والسيطرة وأن ذلك ما دفعه للإقدام على حرب الإنجليز (من وجهة نظرهم طبعًا)[4].

ولسوف نستعرض فى بادئ الأمر ما قالته المصادر الحديثة عن تحول موقف " أحمد الشريف " والتى يرجعونها إلى أسباب شخصية ، فهم يدعون بأن " أحمد الشريف " كان يصور لنفسه إمكانية محاربة الإنجليز والانتصار عليهم ، خاصة بعد ما حارب الفرنسيين والإيطاليين وشاهد العتاد الحربى الإيطالي البطىء والطوابير الفرنسية من أبناء المستعمرات، وكان يظن أن الجيش الإنجليزى على نفس المستوى من قلة الكفاءة[5]. وفى صفة الزهو التى

---

(1) لوثروب ستودارد ، وشكيب أرسلان ، مرجع سابق ص: 116.

(2) E.E Pritchard.

(3) أمين سعيد ، مصدرسابق ، ج3 ، ص: 31.

(4) E.E Pritcahard. P. 125.

(5) E. E. Evans Pritccahard P. 127.

ألصقوها به، يقولون بأنه كان بحربه مع الإنجليز وانتصاره عليهم سوف يكون بطلاً كما صور له المتملقون الأمر حين أفهموه أن " أولاد على" بالصحراء الغربية سوف تنضم إلى قواته ضد الإنجليز المحتلين لأرضهم ، جاهلين أن هذه القبائل كانت هادئة بسبب أساليب الإنجليز التى مورست عليهم رغم موالاة أغلبهم للسنوسيين.

ويضيفون بأنه أنخدع بالإنتصارات الأولى للألمان فى الحرب العالمية، فاعتقد بان كفتهم راجحة لامحالة هم ومن معهم من دول الوفاق أو الوسط.

كما كان واردًا لديهم أن فى الإمكان أن تلتحم ثورة "على دينار" فى السودان مع السنوسيين. وقد كانت قد جرت إتصالات بينهم وبين أحمد الشريف، وأن كان قد عرف بعد ذلك أن هذه الثورة قد أحبطت بوسائل الجاسوسية البريطانية[1] .

وأما عن المصادر المعاصرة للأحداث، وأقوال المعمرين فقد اجتمعت على أن مؤامرات الأتراك هى التى جعلت " أحمد الشريف " يتحول عن رأيه ويدخل فى حرب ضد الإنجليز . وكانت أول مؤامرة هى إحداث انقلاب على " أحمد الشريف " وتفجير خيمته ووضع شخص آخر من العائلة السنوسية يكون أكثر انقيادًا لهم وأكثر انصياعًا لمخططات الأتراك ، ولكن أحمد الشريف اكتشف المؤامرة قبل وقوعها وقبض على كل من اشتبه في الاشتراك فيها وأرسلهم فى حراسة مشددة إلى " الجغبوب " وكان من بينهم " سليمان البارونى " "وهلال السنوسى" والأخير كان قد تقدم برسالة إلى الإيطاليين فى شهر مايو عَام 1913 يعلن فيها عدم اعترافه بأخيه " أحمد الشريف"وبشخص آخر كان على اتصال بالإيطاليين يدعى "منصور الكخيا "[2] .

وكان التآمر الآخر الذى ورط " أحمد الشريف " فى الحرب هو الدفع ببعض الإخوان من السنوسيين ، الذين قاموا بمهاجمة مركز القوات البريطانية المصرية فى السلوم وقام بهذا العمل جعفر العسكرى قائد كتيبة الحرس الخاص لأحمد الشريف؛ بأن استمال إليه أحد الشباب من الجيش السنوسى واسمه أحمد المختار وأغدق عليه من الأموال التى جلبوها معهم من الأستانة لغرض الحملة على الإنجليز ، وأرسله مع فرقة من البدو التابعين للجيش السنوسى – دون علم أحمد الشريف – فهاجموا الإنجليز فى السلوم فاضطرت نقطتهم الصغيرة إلى الانسحاب إلى سيدى برانى ، وكانت فرقة البدو قد وصلت إلى هذا المركز الإنجليزى المصرى بواسطة الالتفاف من حول الجبل دون أن يكشف سرهم أحد، وكان ذلك

---

(1) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة.

(2) عبد المولى صالح الحرير ، مرجع سابق ، ص: 109.

– زعيمة الباروني ، صفحات خالدة من الجهاد ، القاهرة ، 1960 ، ص: 498 ، وبها نص الخطاب الذي أرسله سليمان الباروني من السجن إلى إدريس السنوسي للتوسط لدى ابن عمه لإخراجه من السجن.

بمثابة فاتحة الحرب والاشتباك مع الإنجليز والتى استمرت حوالي ستة شهور وجرت على الصحراء الغربية لمصر انتهت بهزيمة السنوسيين وتراجعهم إلى برقة .

وعندما وصلت آخبار هذا الهجوم للجنرال " ماكسويل " فى القاهرة كتب على الفور "لأحمد الشريف " فى 3 ديسمبر 1915 يعبر فيه عن دهشة كل من الحكومتين البريطانية والمصرية للتصرف المعادى للود الذى حاول الإنجليز آن يحرصوا عليه مع السنوسيين، وآفهمه أن الألمان حتمًا مقضى عليهم ولكن بالتدريج وأفهمه بأنه يعادى الحلفاء جميعهم بتصرفه هذا، كما أضاف بأن الأتراك آيضًا مقضى عليهم[1].

وكانت القوة الإنجليزية المصرية التى انسحبت من "السلوم" إلى "سيدى برانى" قد واصلت الانسحاب إلى "مرسى مطروح" ، حيث كان الإنجليز هناك قد أعدوا جيشًا من خمسة عشر ألفًا من الجنود ، قد وصلت آنباؤها إلى أحمد الشريف فاستدعى " جعفر العسكرى " للقيام بتهدئة الحالة على الخطوط الآمامية فاستغل الأخير الموقف والمهمة المكلف بها وشرع يغير على مراكز الإنجليز المرابطين فى مرسى مطروح[2] فردوا عليه بالمثل ودارت بين الفريقين معارك كان أهمها " بئر ماجد " فى 1915/12/25 ومعركة أخرى فى العقاقير شرقى سيدى برانى وكانت معركة حاسمة أسر فيها الإنجليز جعفر العسكرى، وأرسلوه إلى القاهرة وفى يوم 24 مارس عام 1916 دخل الجيش الإنجليزى السلوم واستولى على معسكر السنوسيين .

وكان السير " ماكسويل " قد آرسل رسالة إلى معسكر السنوسيين ضمنها الشروط التى يمكن أن تكون أساسًا للتفاوض على الصلح، وهى سحب المسلحين السنوسيين من الأراضى المصرية والجلاء عن " سيوة " التى كان السنوسييون قد وصلوا إليها ، وكان " أحمد الشريف " قد وجد نفسه أمام الأمر الواقع – بعد انفراط زمام الموقف من يده وإضطر إلى اتخاذ الإجراءات الفعالة لمواجهة الجبهة الجديدة ، " فاحتسب أجره عند الله " ، وبدأ عمله متوكلاً على الله معتقدًا إعتقادًا جازمًا أنه فى حربه هذه مساعدة للخلافة الإسلامية المستغيثة به وذبًا عن الدين الإسلامى ، وخوفًا من غضبة الشعب المصرى الذى أشاع بين صفوفه " نورى باشا " آن أحمد الشريف يمتنع عن حرب أعدائهم الإنجليز الذين يحتلون بلادهم[3].

وكان أحمد الشريف قد اشترك بالفعل وبنفسه فى عدة معارك حينما زحف بجنوده من

---

(1) آمين سعيد ، مرجع سابق ، وبه نص الخطاب المرسل من " ماكسويل" إلى أحمد الشريف.

(2) رفعت عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص: 170 .

(3) آمين سعيد ، مرجع سابق ، ج3 ، ص: 35 ، وبه نص الخطاب الثاني الذي ارسله ما كسويل. وذكر آن احمد الشريف كان واهمًا وآراد آن يرى نفسه بطلاً دون شيء.

E. E. Evans Pritcharard P.126. –

"سيدى براني" إلى " مرسى مطروح " بعد أن وصلته أنباء الاشتباك[1]بين جعفر العسكرى والقوات السنوسية فى مرسى مطروح ، وكانت هذه الانتصارات الأولية للسنوسيين قد أغرت بعض الضباط المصريين للانضمام إلى القوات العربية السنوسية ، مثلما فعل اللواء المصرى "صالح حرب " الذى إنضم بفرقته وعددها 145 جنديًا إلى قوات " أحمد الشريف " التى وصل عددها إلى خمسة آلاف عربى قسمت إلى فريقين ، الأول: كان مع أحمد الشريف والثانى: انضم إلى جعفر العسكرى ، وكان الإنجليز قد حاصروا ثمانمائة من قوات جعفر العسكرى كانوا قد اعتصموا بآكام منيعة عند موقع يسمى " وادى ماجد " فدافعت عن نفسها دفاع المستميت. وبقى القتال حوالي عشر ساعات لم يتمكن الإنجليز لوعورة الأرض من قهر المجاهدين . وخسر الإنجليز فى هذا الهجوم أكثر من أربعمائة بين قتيل وجريح ، وفى الوقت الذى انشغل فيه الإنجليز بجرحاهم وقتلاهم تمكن كل من جعفر العسكرى ونور السعيد من الإنسحاب بقواتهم ، بينما كان قتلى العرب فى هذه المعركة مائة وخمسين ، وجرحاهم مائتي جريح[2] .

وعند موقع يسمى "بئر تونس" تعرضت قوات "أحمد الشريف" لهجوم وكان من الممكن أن يقوم جيش الإنجليز بسحق قوة المجاهدين لأن الأرض التى تحت أقدامهم أرض منبسطة وخالية من الوعورة التى تحميهم، إلا أن السماء تعاونت معهم فأمطرت بغزارة وأوحلت الأرض فعاقت الدبابات عن السير فتمكن أحمد الشريف من الانسحاب إلى واحة سيوة وكان شهداء المعركة 70 شهيدًا بينما جرح ضعف هذا العدد، والغريب أن خسائر الإنجليز كانت أكثر من خسائرهم فى معركة وادى ماجد رغم ما وصلهم من إمدادات .

وكانت قوات جعفر العسكرى قد انسحبت إلى سيدى برانى بعد واقعة وادى ماجد فزحف إليهم الإنجليز بجميع قواتهم البرية، كما قامت بارجة حربية بقذفهم من البحر وهزم العرب أمام كثرة وعتاد الإنجليز وانسحب منهم من تمكّن من الفرار، وتوجه إلى هضبة السلوم وعبروا الحدود بعد أن استشهد منهم أعداد كبيرة وجرحت أعداد أخرى واستسلم البعض للإنجليز وكان من بين من استسلموا جعفر العسكرى، ونورى السعيد اللذان أرسلا بواسطة الإنجليز إلى الإسكندرية[3] .

وكان أحمد الشريف قد أمر بالقبض عليهما ضمن من اكتشف أنهم ورطوه فى هذه الحرب. وإن كان لم يتمكن من القبض إلا على "أحمد المختار" و"بلقاسم العيساوى" فأعدم الأول وفرّ الثانى.

---

(1) عبد المولى صالح الحرير مقال عن اشتراك الأتراك في الجهاد باسم " تشكيلاتي مخصوصة "ص: 109 .

(2) لوثروب ستودارد وشكيب أرسلان ، مرجع سابق ، م2 ، ج4 ، صفحات 396 ، 397 ، من رواية جعفر العسكي شخصيًا لشكيب أرسلان.

(3) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة.

ونتتبع مصير المجاهد " أحمد الشريف " الذى تركناه فى واحة سيوة فأقام بها حوالي ثلاثة شهور ، ثم والى زحفه نحو الواحات البحرية، ثم منها إلى "الفرافرة" ثم " الداخلة " وبقى بها حوالي شهر ، ويبدو من تحركاته هذه أنه كان ينوى مهاجمة القطر المصرى زاحفًا إليه من الجنوب عند مدينة " المنيا " بعد فشله فى الهجوم على الإنجليز عند الساحل عند مرسى مطروح . وهذا يدل على أنه عنيد ولايعرف اليأس سبيلاً إليه[1].

ولكنه نما إلى علم " أحمد الشريف " وهو فى واحة الداخلة أن الإنجليز وقت آن كانوا يحاربون (فى بير تونس) كانوا يعدون خطة للإلتفاف حول قواته فاضطر إلى التراجع بقواته قبل قطع خط الرجعة عليه وعاد إلى واحة "سيوة" مرة أخرى ، وعند وصوله إليها أتاه رسول من ابن عمه (إدريس) الذى كان أحمد الشريف قد عينه نائبًا عنه فى برقة قبل أن يغادرها إلى الأراضى المصرية وأنبأه رسول إدريس بأنه بصدد الإتفاق مع الإنجليز والإيطاليين وآنه يتحتم على " آحمد الشريف " وقواته آلا يعودوا إلى برقة وألا يدخلوا المنطقة موضع الإتفاق وهى" إجدابيا "[*].

وتلقى أحمد الشريف هذه الأنباء بهدوء وصبر ورباطة جأش وغير إتجاه قواته إلى الجغبوب ، وبينما هو فى طريقه إليها وفى مكان يسمى " البويب "[2] كانت ترابط قوة إنجليزية، حدثت مواجهة بينهما تمكن بعدها " أحمد الشريف " من أن يصل بعد جهد كبيرإلى موقع آمن داخل الأراضى البرقاوية قريبًا من الجغبوب يسمى " القصيبات " استراح به يومًا واحدًا ثم دخل الجغبوب ، وكانت شرذمة القوات الباقية معه منهوكة القوى ، وكان قد انصرف عنه قلة ذهبوا إلى آهلهم ، ورفضت قلة أخرى أن تتركه، وتنتهى الحرب فى برقة بتوقف أحمد الشريف عن قتال الإنجليز فى مارس عام 1916 بعد أن استردوا السلوم التى آخرجتهم منها قوات جعفر العسكرى من قبل واستمرت بعض المناوشات بين أحمد الشريف والإنجليز فى سيوة والواحات المصرية الأخرى حتى فبراير 1917 . وكانت المقاومة الحقيقية داخل برقة ضد الإيطاليين قد توقفت قبل ديسمبر 1915م ولو أنها استمرت ضد العدو الإيطالي لتطهرت البلاد منهم خاصة وأنهم كانوا مشغولين بالحروب الكونية ،وكان العدو الإيطالي غير قادر على إمداد القوات فى ليبيا بالمدد العسكرى من الرجال والعتاد، وعليه فإن الوجهة التى وجهت فيها بنادق المجاهدين لعدو خارج البلاد خدمة لحليف لايهمه الاّ المصلحة الشخصية له وكان الخطأ فادحًا ولم يفد قضية الوطن الليبي فى شىء ، بل أنه أضر من قام به ضررًا

---

(1) أمين سعيد . المرجع السابق ، ص: 35.

(*) إقليم يمتد من نهاية منطقة " سرت" غربًا وحتى منطقة بنغازي شرقًا ويضم " جالو وأوجلة " وهي منطقة صحراوية نص الاتفاق (عكرمة) على أن يكون " إدريس السنوسي "أميرًا عليها.

(2) تصغير لكلمة (باب) وهي بوابة صغيرة على الحدود المصرية الليبية بين سيوة والجغبوب.

كبيرًا . فالمجاهد أحمد الشريف صدر إليه الأمر بمغادرة البلاد، والمجاهدون تمزقت صفوفهم وهلك الكثير منهم.

نهاية حياة أحمد الشريف فى السياسة والجهاد :

خرج أحمد الشريف من الجغبوب بعد أن أصلح من حاله، وحال رجاله الباقين ومضى سائرًا فى الصحراء يبحث عن مخرج له من البلاد بعد أن منع من دخول منطقة إجدابيا[1] فواصل السير غربيًا ، وبعد ثمانية أيام وصل إلى مكان قرب بلدة "جالو" حيث قدم له آل المحجوب" الفارين بعيدًا عن المدينة بسبب بطش الإيطاليين ما استطاعوا تقديمه من أرزاق، ثم واصل سيره إلى "أوجلة" التى مكث فيها بجوار ضريح الصحابى الجليل "عبدالله بن أبى سرح "[2] عدة أيام ، ثم واصل سيره إلى " مرادة " الواقعة فى الصحراء غربى جالو وأوجلة . ومنها وصل إلى" زلّة " ثم بعدها إلى " هون " ثم "ودان" إلى " بن جواد" شمال هون وودان حتى وصل إلى " البريقة " على الساحل حيث المرفأ الذى يمكن منه أن يعثر على غواصة "ألمانية" تنقله إلى الأستانة حيث يعلم أن هذا الموقع يرسو عليه أحيانًا الغواصات الألمانية، وطال بهم المقام هناك، واشتد بهم الجوع حتى اضطروا إلى أكل الحشائش والحشرات ويموت منهم كل يوم نفر من المجاهدين.

وواصل أحمد الشريف السير حيث اقترب من "مصراتة " واستقر فى "سوكنة" انتظارًا لنورى بك (أخو أنور باشا التركى) الذى وعده بأن يرسل له ولصحبه الذين معه قوات من مصراتة ، وكان الضباط الأتراك الذين شاركوا فى حرب الإنجليز، ودفعوا أحمد الشريف إليها قد غادروا برقة هم الآخرون، وتوجهوا إلى مصراتة بعد فشل حربهم مع الإنجليز . وكان إدريس السنوسى قد اضطرهم إلى عدم البقاء فى برقة[3].

وبعد الاضطرار الشديد والحاجة القصوى، خاطب "أحمد الشريف" "رمضان السويحلى" عن طريق الرسل والرسائل وناشده فيها باسم الأخوة الإسلامية أن يعدل عن خطته العدائية تجاه كل ما هو سنوسى أو من الجهة الشرقية ويبدى الاستعداد للتفاهم ، وتظاهر " رمضان " باستعداده للتفاهم . وبناء على رد رمضان أرسل أحمد الشريف قافلة يرافقها الطبيب "عبدالقادر المصرى " ومعه كتاب وهدية لرمضان ، والقافلة تضم 25 رجلاً وحينما وصلت القافلة مصراتة تركها رمضان تدبر احتياجاتها من مؤونة وملابس ، وفى أثناء عودتها إلى

---

(1) أمين سعيد ، مرجع سابق، ج3 ، ص: 267 . وهذا نص عليه الاتفاق الذي عقد بين إدريس والبريطانيين والإيطاليين بعد الحرب التي خاضها أحمد الشريف مع الإنجليز وكان الاتفاق أوقف المقاومة.

(2) الطاهر الزاوي ، مرجع سابق ، ص: 292.

(3) عبد الملك بن عبد القادر بن علي ، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية . القسم الثاني ، سنة 1986 . ص: 69.

"أحمد الشريف" دبّر لها رمضان كمينًا فى الطريق عند مكان يسمى "ثماد حسان" حيث قام بعض الجناة بقتل[1] جميع أفراد القافلة ونهب الإبل وما عليها . فأساء بذلك إلى "أحمد الشريف" إساءة شديدة، وقد أجمعت كل المصادر المعاصرة على أن رمضان هو الذى دبّر هذه الفعلة، وإن كان البعض قد حاول أن يخفف التهمة عن "السويحلى" بأن ألقوا المسؤولية على الشخص الذى قام بالتنفيذ واسمه "محمد الحداد"[2].

والمعروف أن الشقى محمد الحداد من رجال رمضان الذين يستخدمهم فى مثل هذه الأعمال. وأنه لايمكن أن يقوم بأي عمل من هذا القبيل إلا بتعليمات من "رمضان" والدليل على ذلك أن "رمضان" أتهم من الجميع، لأنه لم يحاكم "الحداد" هذا على فعلته ضد الشيخ الجليل[3] "أحمد الشريف السنوسى" وكان المعروف عند "رمضان السويحلى" أنه كان حاكمًا قاسيًا وشديدًا بل ودكتاتورًا، وعرف عنه أنه كان يصدر أحكاما بالإعدام كثيرة وحدث أن نفّذ عددًا منها بنفسه[4].

ويحاول البعض الصاق التهمة "بنورى بك" مدعين أنه هو الذى أوغر صدر "رمضان السويحلى" ضد أحمد الشريف لفشله فى الحرب ضد الإنجليز .

المهم أن النهاية واحدة يتفق عليها الجميع فى أن مدبر الحادث هو "رمضان" وهو حادث يتشابه مع مافعله فى جماعة "صفى الدين" والتواتى" الذى أعدمه ، ونفس ما سيدبره لعبد النبى بالخير ويلقى حتفه فى ورفلة جزاء على مادبره من شر .

"وفى استانبول" وصل النبأ عن أحمد الشريف فأرسل السلطان "وحيد الدين" (محمد السادس) دعوة إلى السيد أحمد الشريف لزيارة "إستانبول" وأرسل غواصة لهذا الغرض وكان "نورى" قد حمل رسالة من "أحمد الشريف" إلى أخيه (أنور باشا) فى الأستانة يرجوه فيها أن ينقذه مما هو فيه من بلاء ورغم أن البعض كانوا قد أوغروا صدر أنور باشا على أحمد الشريف، إلا أن الرسالة الأخيرة لأنور باشا بددت سحب الشك وتوسط "أنور باشا" على الفور لصدور دعوة السلطان للحضور إلى الأستانة للقيام بالأعمال الخيرية فيها.

وكانت الدعوة تكريم للسيد "أحمد الشريف" الذى كان مثلاً للولاء للدولة العلية طوال فترة حياته فى ليبيا ، ولكى لايسجل على الدولة العثمانية أن كل من يتعاون معها يلقى نهاية مثيلة للنهاية التى وصل إليها أحمد الشريف، ولقد حمل الدعوة إلى أحمد الشريف

---

(1) محمد الأخضر العيساوي ، مرجع سابق ، ص: 31.

(2) الطاهر الزاوي ، ملاجع سابق ، ص: 239.

(3) محمد الآخضر العيساوي ، مرجع سابق ، ص: 18 ولقد أورد تفصيلاً للمؤامرة حيث طلب من أفراد القافلة التي أرسلها أحمد الشريف بأن يتم تجريدهم من السلاح خوفًا عليها من اللصوص ، حتى إذا ما ساروا عزلاً من السلاح انقض عليهم الجناة وذبحوهم جميعًا ، وكان رمضان بالطبع وراء هذا الفعل الدنيء.

(4) محمد مسعود فشيكة ، مرجع سابق ، ص: 178.

شخصيتان هامتان من أصل ليبى بالأستانة هما " يوسف بن شتوان " وحسام الدين بي " فسافر " أحمد الشريف " معهما على نفس الغواصة التى حملتهما إلى خليج سرت قرب مكان " أحمد الشريف " كما سمحوا له باصطحاب وفد مكون من تسعة أشخاص كان من بينهم الضابط المصرى الذى انضم إليه بفرقته : اللواء "صالح حرب"[1].

وتقول بعض الروايات: إن السلطان العثمانى كان يهدف من وراء دعوة " أحمد الشريف" الإفادة من السمعة الطيبة للشيخ الجليل والزعيم الكبير؛ لكى يواجه بها الثورة العربية التى قام بها الشريف حسين فى الحجاز والشام ضد الأتراك ، وإن كان ظاهرها بالطبع هو تكريم الشيخ " أحمد الشريف " [2].

ولقد قام أحمد الشريف ببعض الأعمال الجليلة فى الأستانة خلال فترة إقامته بتكليف من السلطان ، مثل السفر إلى دولة الأكراد للمساهمة فى حل مشاكلهم وكان "أحمد الشريف"يقيم فى مرسين بناء على اختياره هو، ولكنه اضطر إلى أن يترك تركيا إلى المدينة المنورة بعد هزيمة الأتراك العثمانيين فى الحرب الكونية الأولى واحتلال الحلفاء للعاصمة إستانبول " وأصبح وجود أحمد الشريف غير مرغوب فيه ؛ حيث وجهت إليه تهمًا هو برئ منها.

وفى منتصف ذى القعدة 1351هـ الموافق العشر الأول من مارس 1933م توفى إلى رحمة الله بالمدينة المنورة المغفور له " أحمد الشريف السنوسى " صاحب السيرة العطرة والتاريخ الجهادى رضوان الله عليه .

ولا مجال للشك فى أن المرحوم أحمد الشريف كان رجلاً مجاهدًا صلبًا لايلين تجاه قضية وطنه ومطلب الإستقلال لها ولم يكن كابن عمه " إدريس" الذى تفاوض مع الأعداء. وكانت إيطاليا قد أرسلت بشكل غير رسمى وفدًا برئاسة "كولونيل" لعرض الصلح على " أحمد الشريف " فكان فى ردّه عليهم حاسمًا حيث قال له: " إننا لاننكره الصلح ولكن على شرط الاستقلال لوطننا " . ثم أوضح لهم شروط الصلح على النحو التالي : " نحن لا نقبل لا أن تكون القوة العسكرية فى أيديكم ولا أن تكون الشرطة منكم ، وكل ما نتسامح به معكم هو الإمتيازات الاقتصادية ، وأن يكون استثمار البلاد حقًا لكم دون غيركم من الأجانب ، فأما حقوق الملكية فلا نتنازل عن شىء منها، وسلاحنا لابد أن يبقى فى أيدينا، وعلى غير هذه الشروط فلا سلام و لاكلام ؛ لأن طرابلس وبرقة ليستا ملكى لأجود بهما على الطليان بل هما لأهلهما ".

---

(1) عبد المولى صالح الحرير . مرجع سابق . ص: 109 . وبها رواية شفوية من صالح بوعرقوب.

E. E. Evance P. 133. (2)

وكان الإيطاليون قد قدموا هذا العرض وأحمد الشريف فى محنته الأخيرة مهزومًا وطريدًا من بلاده ومتعرضًا لمعاناة السير فى صحراء سرت[1] .

ولقد حاول أنور باشا وهو وزير للحربية أن يعيد " أحمد الشريف مرة ثانية للجهاد فى بلاده وقرر إعطاءه أموالاً وسلاحًا (200 ألف جنيه، و12 ألف بندقية، و10 مدافع . و30 مدفعًا رشاشًا) لتقوى بهم عزائم المجاهدين ، وتردد أحمد الشريف فى بداية الأمر ظنًا منه أنه يريده أن يقاتل ابن عمه " إدريس " الذى كان قد دخل فى إتفاق مع الإنجليز والإيطاليين . ولكن أنور باشا قال له :" معاذ الله أن نطلب منك ذلك ؛ لأننا نعلم أنه لم يبق فى الإسلام فى إفريقيا حصن أحصن من هذا البيت السنوسى الكبير، وكن على ثقة أننا نبغى اتحادكم قبل كل شيء نصحًا بالإسلام وضنًا باستقلاله ، وإنما معاونتنا لكم إنما هى محض حمية على الإسلام : لأن تركيا من وجهتها لم يبق لها أدنى أمل باسترداد طرابلس ولكننا لانحب أن نرى إخواننا مسلمى إفريقيا تبعه للأجانب " وكان أنور باشا معروفًا بغيرته على الإسلام[2].

وبالفعل أعد " أحمد الشريف " عدته للعودة إلى طرابلس ، ولكن جاءه من يخبره بأن: الغواصة المسافرة إلى طرابلس سوف ترسو فى ساحل "مصراتة" وهى بيد " رمضان السويحلى " الذى لايؤمن جانبه ، فأخذ أحمد الشريف " يفكر فى مكان آخر لايكون تحت سيطرة " رمضان السويحلى " ولاسيطرة الإيطاليين، وبينما هو فى تفكيره تغيرت الوزارة وسقط أنور باشا ، وندم الشيخ على أنه لم يسرع فى تنفيذ السفر، وفكر فى أن يتسلل من الاستانة إلى النمسا ثم إلى برقة ، ولكن الأتراك خوفًا عليه نصحوه بعدم السفر . كما نصحوه بترك الاستانة وأقنعه " أنور باشا " بمصاحبته فى سفره إلى أوربا ، واستقر به المقام أخيرًا فى "بروسة " على بحر مرمرة . وتم توصية كل والى عثمانى يذهب إلى هناك للإطمئنان على أحواله وعلى حياته . والخلاصة: أن الأتراك أولوه كل عناية طوال إقامته عندهم.

محمد إدريس السنوسي والمعاهدات مع الإيطاليين:

بعد أن تولى" إدريس " نائبًا عن ابن عمه فى برقه؛ بسبب توجهه لحرب الإنجليز رأي اضطراب الأحوال فى البلاد ، وكتب إلى " أحمد الشريف " يصف الأحوال التى يقول أنها أصبحت متردية وأن الأهالي تريد أن تكف عن القتال وتكتفى بما جرى . فرد عليه أحمد الشريف بالقول : " .... اعمل ما تراه صالحًا والحاضر يرى مالايراه الغائب ، وأنا موافق على مطالب أهل الوطن...[3].

---

(1) لوثروب ستودارد وشكيب أرسلان ، مرجع سابق ، من م1 ، ج1 ، ص: 124.

(2) لوثروب ستودارد وشكيب أرسلان ، المرجع السابق ، م2 ، ج4 ، ص:368.

(3) محمد الأخضر العيساوي ، مرجع سابق ، ص: 19.

وكان " إدريس السنوسى " يدير الحكم من موقعه فى مدينة " إجدابيا " بصرامة وحزم شديدين لمواجهة الفتن وأعمال التخريب والسلب والنهب، تلك الأوضاع التى أوجدتها ظروف البلاد وقتئذ بسبب انعدام الأرزاق لغلق الحدود مع مصر ، واشتداد الجدب لعدم هطول الأمطار: مما دفع ببعض الرجال إلى تسليم سلاحهم للإيطاليين؛ نظير قليل من الطعام لسد الرمق، وكانت أشلاء الموتى من الجوع تملأ الشوارع فى إجدابيا حتى أنه يحكى أن إمرأة أكلت بنتها حينما جاعت[1] وآخرون أكلوا لحوم الآدميين الموتى حتى أن مرض الطاعون انتشر بين الناس، واضطر " إدريس " وقتها إلى إعدام جماعة من السوادنيين استفتى فيهم رأي العلماء بسبب ماقاموا به من إفساد فى هذه الظروف القاسية؛ وكتعبير عن الحزم فى هذه الآونة الحرجة.

وجاءت موافقة " أحمد الشريف" لابن عمه بأن يفعل مايراه فى وقت كان فيه هو نفسه فى حالة من ضياع شديد هو ورجاله الباقون معه بعد انسحابه من الواحات متوجهًا إلى برقة . كما آن ابن عمه سوف يستلم مقاليد الأمور بعده، ويتصرف كيفما شاء وأنه لابد آن يخضع لأسلوبه لأنه (أحمد الشريف) لم يعد بيده أن يفعل شيئًا بعد عودته مهزومًا .

ويؤكد هذا الكلام نص الرسالة التى أرسلها أحمد الشريف إلى الإخوان فى الجغبوب بطريقة سرية والتى كشف عنها " إنساباتو " المعتمد الإيطالي فى القاهرة فى مذكراته التى نشرت أخيرًا فى كتاب والرسالة تحمل تاريخ نوفمبر 1916 .

وتفيد الرسالة بأن أحمد الشريف قد وافق إدريس على التفاوض مع الإنجليز والإيطاليين من أجل أن تحصل البلاد على المؤن والزاد لخمس سنوات مقبلة بعد ما وضعت البلاد فى حالة حصار اقتصادى تسببت فيه الحرب التى قام بها أحمد الشريف ضد الإنجليز خلف الحدود المصرية .

وكما ورد فى الرسالة :" ولكى يعيش أولئك الذين يتحملون عبء الحرب " كما يأتى فى الرسالة :تبرير للتفاوض مع الإيطاليين وحلفائهم الإنجليز : .. "هى نوع من الخديعة والمكر اللازمتين لحياتكم وحياة البلاد عامة ، وقد قال رسول الله (ﷺ): الحرب خدعة، ونحن نتتبع خطوات الرسول "[2].

ويضيف "إنساباتو" أن هذه الرسالة هى الوثيقة الهامة التى قدمها "هلال السنوسى" الغير جدير بالاحترام لعدم وطنيته للإيطاليين حينما تقدم إلى مركز "البردية" طالبًا منهم اللجوء السياسى لحمايته من أخيه أحمد الشريف الذى أدانه بالخيانة العظمى وأصدر حكمًا بإعدامه:

(1) المرجع نفسه ، ونفس الصفحة.

(2) إنساباتو ، مرجع سابق ، ص: 281.

وذلك لأنه كان قد أعرب للعدو عن مشاعره الطيبة نحوهم، وأبدى لهم عدم رضاه عن تصرفات أخيه أحمد الشريف الوطنية، وطلب من الإيطاليين أن يمنحوه خمسة آلاف جنيه.

وتوجد فى نفس الكتاب صورة رسالة أخرى من أحمد الشريف كتبت بلهجة استسلامية يعتذر فيها عن فشله وأخطائه ، وأخرى من إدريس يرد فيها على أحمد الشريف بلهجة فيها عنف ويقول له: " وأود أن تسمعوا وأن تنظروا إلى أي درجة لطختم اسمكم واستهنتم بالعدالة والشريعة الإسلامية والإنسانية ..."[1].

وهذا يقف دليلاً على ما كتبته بعض المصادر من أن الخلافات وقتها كانت موجودة بين أفراد الأسرة السنوسية وإن كانوا لم يرغبوا فى إظهارها .

وفى الوقت نفسه كتبت بعض المصادر عن مذكرة كتبها شيوخ القبائل بعد أن عقدوا اجتماعًا طال فيه الجدل والنقاش ، وأعدوا مضبطة للاجتماع قرروا فيها أن يرفعوا "لإدريس" شكواهم من سوء الحالة من الحرب والمجاعة ويطلبون إليه أن يجد لهم مخرجًا من هذا الضيق الذى أوجدهم فيه "نورى" وأعوانه[2].

ولقد كان معروفًا أن "إدريس" له رأي مخالف لابن عمه الذى يحارب الإنجليز. عبر لهم به عند مروره بالقاهرة وهو فى طريقه إلى الأراضى المقدسة: لأداء فريضة الحج عام 1914، وعند عودته منها حيث التقى مع اللورد كتشنر وأعضاء السفارة البريطانية الذين أحسنوا إستقباله وتعرفوا وقتها على شخصية إدريس: ورشحوه ليقود البدو فى برقة بدلا من ابن عمه مستقبلاً.

وبناء على ما سبق الكلام عنه بدأ " إدريس" عملية الصلح بأن أرسل فى طلب القنصل الإنجليزى فى بنغازى: لكى يحضر للقائه فى إجدابيا لبدء جولة من المفاوضات؛ لإنهاء حالة الحرب الدائرة فى الصحراء المصرية ، وجاء القنصل مع الوفد الذى كان قد أرسله السلطان حسين كامل لإقناع أحمد الشريف بعدم القيام بحرب ضد الإنجليز الذى يتكون من "محمد الشريف الإدريسى " ونجله " محمد مرغنى " وعبّر" إدريس " للوفد عن رغبته فى التفاوض مع الإنجليز وطلب منهم أن ينقلوا هذه الرغبة للإنجليز[3].

وكان إدريس قد شكل وفدًا آخر لمقابلة " نورى بك " لإقناعه بوقف هذه الحرب، والعودة إلى إجدابيا لمقابلة " إدريس" هناك وكان " نورى " لايزال فى هذا الوقت مقيمًا "بالبطنان" على مقربة من خليج "بمبا" فى مكان يسمى "العقيلة الشرقية "، وكان الوفد يضم "عمر المختار وإبراهيم المصر[illegible] الحمرى ومرتضى الغريانى".

---

(1) نفس المرجع السابق . ونفس الصفحه.

(2) محمد الاخضر العيساوي ، مرجع سابق ، ص: 21 . إيفسر [illegible] ص: 144.

- أمين سعيد، مرجع سابق ، ص: 37.

(3) محمد الطيب الأشهب . برقة العربية أمس واليوم ، م. الهواري . القاهرة ، ط1 سنة1947 ، ص:315.

واستجاب "نورى بك" لهذا الاستدعاء بسبب الهزائم المتكررة التى واجهت القوات السنوسية فى الصحراء الغربية لمصر، وأيضًا لكى تتاح له الفرصة من جديد لمحاولة إقناع إدريس باسم الإسلام والخلافة الإسلامية فى الأستانة التى تتلقى الهزائم فى كل مكان - ان يواصل حرب الإنجليز والإيطاليين الذين هم أعداء الدين، ويرجوه وقف مساعى الصلح التى تجرى معهم[1] وكان نورى قد اصطحب معه "عبدالرحمن عزام" الذى كان قد تطوع لحرب الإنجليز مع الضباط الأتراك والسنوسيين. وهو الشاب المصرى الذى سوف يكون له دور فى إنشاء الجمهورية الطرابلسية، وفى عقد مصالحات كبيرة بين الزعماء الطرابلسيين المختلفين مع بعض.

وكان الإنجليز قد طلبوا من إدريس ضرورة أن يبدأ التفاوض فى بداية الأمر مع الإيطاليين كشرط للتفاوض معهم على أساس أن بريطانيا كانت قد تعهدت لحليفتيها إيطاليا وفرنسا بعدم الإنفراد بالتفاوض مع السنوسيين وأفهموه بأن الإنجليز آنما يتحدثون باسم بقية حلفائهم .ويذكر "جاك بيشون" أن آحمد الشريف أوصى إلى إدريس آن يتظاهر بالتقرب إلى إيطاليا. بينما ينضم هو نفسه إلى المجاهدين في صحراء سرت.

وعاد "إدريس السنوسى " إلى جموع المشائخ والأعيان؛ لأخذ رأيهم فى هذا الأمر الجديد خشية آن يتهم بأنه يتصرف دون الرجوع إليهم ، خاصة وآن البدو كانوا متعاطفين مع آحمد الشريف " ورغم ذلك فقد وافقوه على التفاوض لرفع البلاء عن الناس ، وأيضًا للأخبار التى علموا بها عن فشل حرب أحمد الشريف ضد الإنجليز وضياع كثير من الرجال والعتاد[2] .

مباحثات الزويتينة مايو 1916.

استعد إدريس السنوسى لاستقبال وفد إيطالي بعد أن أبلغ القنصل الإنجليزى فى بنغازى قبوله بأن تكون المفاوضات عربية إنجليزية إيطالية؛ وانتقل إدريس من إجدابيا إلى الزويتينة . وحضر الوفد الإنجليزى فى أول الأمر، وكان مؤلفًا من الكولونيل " تالبوت " وأحمد بك حسنين (الرحالة المصرى المشهور) واللفتنانت سام. ثم حضر الوفد الإيطالي الذى كان مؤلفًا من السينيور "بياجنتينى" والكولونيل "فيلا" والمترجمين، ودارت هذه المفاوضات فى الزويتينة التى تقع على البحر شمال إجدابيا وبينها وبين بنغازى. واستمرت ما يزيد على الشهرين ودار الحديث فيها حول موضوعات كثيرة كان فى مقدمتها: موضوع تبادل الأسرى بين الطرفين ، والموضوع الثانى: كان الطلب الذى ألحت عليه إيطاليا، وهو أن يعترف " إدريس " رسميًا

(1) محمد الأخضر العيساوي . المرجع السابق ، ص: 20.

(2) آمين سعيد . مرجع سابق . ص: 37.

- جاك بيشون . المسألة الليبية في تسوية السلام . ترجمة على ضوي ، مراجعة صالح المخزوم ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية . طرابلس ، 1991م ، ص:164.

بالسيادة الإيطالية على منطقة "برقة" تلك المنطقة التى تمتد من بنغازى شمالاً إلى الكفرة جنوبا . وأن يسلم العرب جميعهم بما فيهم الذين انخرطوا فى الجهاد أسلحتهم ، ويتبقى معهم مايسمح بالدفاع عن النفس ، وإنهاء حالة الحرب بين الليبيين والإيطاليين، وحل جميع الأدوار . وفى المقابلتوافق إيطاليا على رجوع مشائخ الزوايا إلى زواياهم وتعترف بالسنوسية كطريقة دينية ، وتعطى الكفرة استقلالاً ذاتيًا ، وتعفى الأسرة السنوسية من كل الرسوم الجمركية وكما أنها تعطى ضمانات تكفل قيام المحاكم الشرعية بأعمالها ومباشرة وظائفها. كما تعهد الجانب الإيطالي أن يقدم المساعدات الصحية، وأن يعمل على السماح بفتح المدارس .

وكانت الشروط التى فرضها الجانب الإيطالي قاسية فى معظمها : كشرط إعلان السيادة والتجريد من السلاح وحل الأدوار . و كان الجانب العربى يرفض أول شرط من شروط بدء المحادثات وهو: إطلاق سراح الأسرى الإيطاليين بدعوى أن الذى أسرهم هو أحمد الشريف ويجب الرجوع إليه فى أمرهم، وهذا يلزمه أسبوعين على الأقل لآن وسيلة الإتصال هى الجمال وقتها[1].

وكان تعليق "روما" على عدم رضوخ الجانب السنوسي لأي مطلب أن ادعت روما بأن الوفد الإيطالي ليس لديه صلاحيات بقبول مطالب الجانب الليبي ، وانتهى الأمر بأن يصدر والى برقة (جيوفانى أميلو) أمرًا بوقف المفاوضات التى لم تنته بدون فائدة ، ويكفى أن الجانب الإيطالي قد تعرف أكثر على شخصية إدريس وقدرته على المراوغة[2].

وكانت بريطانيا فى حاجة إلى إتمام هذه المفاوضات التى توقفت لتسوية أمور الحدود وإخلاء المنطقة من بقايا المسلحين العرب ، وأخذ التعهد عليهم بعدم العودة لمثل هذه الأعمال وتسليم أسراهم وكذلك كانت إيطاليا فى موقف صعب فى أوربا نتيجة لأن الحرب الكونية لم تنته بعد . فى الوقت الذى كان فيه الجانب الليبي يمكنه أن يستمر على وضعه الذى كان فيه رغم قسوة الحياة والظروف: لأنه من وجهة النظر الإيطالية والبريطانية قد اعتاد على هذه الحياة.

ولكل الذى سبق شرحه. فإن المفاوضات سوف تلتئم من جديد فى يناير 1917 ، وكان "إدريس قد اتخذ لها مكانًا آخر للانعقاد، وهو المكان الذى سميت الإتفاقية باسمه " عكرمة " والتى تقع بالقرب من " طبرق " التى لاتبعد كثيرًا عن نقطة السلوم التى على الحدود[3].

وكان الوفد الإيطالي قد عاد من "روما" بعد أن عرض مطالب السنوسيين على المسئولين،

(1) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ص: 38.
2. E.E Evans Pritchard P. 136. (2)
(3) أمين سعيد ، مرجع سابق ، ص: 39 ، وأيضًا : إيفانز بريتشارد ، ص: 235.

والتى كانت تدور حول ضرورة اعتراف الطليان باستقلال السنوسيين وبإدريس السنوسي أميرًا على برقة، وتخطيط الحدود بين الأراضى التى ظلت فى حوزة السنوسيين، وبين تلك التى أصر الطليان على التمسك بها والتى كانت فى حوزتهم بالفعل . وهى جميعها على الساحل . بالإضافة إلى أهم مطلب للسنوسيين وهو: فتح الطريق بين مصر وليبيا "لدخول الأرزاق". وكان الإنجاز الوحيد الذى أتمه الإيطاليون قبل سفرهم حين توقفت المفاوضات هو تلك الخرائط التى تم بها تحديد الحدود بين الطرفين[1].

والواقع أن مطالب" إدريس " كانت متواضعة إذا ما وضعنا فى الاعتبار متاعب إيطاليا العسكرية ، فى أوربا حينئذ ، لذلك يمكن القول أن: " اتفاقية عكرمة " التى توصل إليها الطرفان دلت على روح الاستسلام التى بدأ بها " ادريس السنوسى " حكمه والتى أدت إلى عديد من الإتفاقات بعد ذلك، ولآ أدل على ذلك من التقرير الذى كتبه " مالفيزى " الذى كان يشغل منصبًا كبيرًا فى المعتمدية الإيطالية بالقاهرة، والذى كان يتجول فى برقة لأداء أعمال دبلوماسية سرية ،ووضع هذا التقرير أمام " إنساباتو " المعتمد الإيطالي، و الذى يعلق فيه على ماوصلت إليه الإتفاقية بقوله: "... لقد استطعنا أن نوثق طريقة التعايش التى فاوض عليها"دى فيتا " و"بنتور"والتى أدت إلى إمكان استتباب السلم فى برقة فى أثناء الحرب العالمية ، ولقد ساعدت المجاعة التى عمت أفراد الشعب، والنشاط الوافر الذى يأتى عادة مع القادم الجديد على عقد إتفاق تعايش مع " إدريس ..." ويستطرد التقرير: "... لقد كان " أحمد الشريف " ملتزمًا مع الأتراك والألمان، أما إدريس فكان فى إمكانه الإلتزام مع الحلفاء ليفوز بجائزة المنتصر.."[2].

ولقد نص إتفاق عكرمة على أنه من حق الطرفين العربى والإيطالي الاحتفاظ بمواقعهما العسكرية، ورغم هذا فإن التقرير الإيطالي - السابق الذكر - يعتبر أن هذا الإتفاق نجاحًا كبيرًا حتى بالشكل الذى جاء به ، واضعًا فى الاعتبار ما كان يمر به العالم من حروب طاحنة ويعترف " رودلفو جراتسيانى " أن أهم حدث من أحداث الحرب العالمية الاولى كان الوصول إلى صلح التعايش المبرم فى عكرمة؛ نظرًا لأن الحالة الاقتصادية لإيطاليا وقت الحرب كانت تحتاج إلى ضغط المصروفات وتوفير الجنود: ولأن الحالة السياسية والحربية لم تكن قد استقرت طوال الفترة التى بدأت منذ نزول القوات الإيطالية حتى عقد هذه المعاهدة[3].

---

(1) أنريكو إنساباتو ، مرجع سابق ، ص: 301.

(2) أنريكو إنساباتو ، مرجع سابق ، ص: 310.

(3) جراتسياني ، برقة المهدأة ، مرجع سابق ، ص: 26.

ويعتبر "جراتسيانى" أن هذه الإتفاقية كانت بداية لسياسة التقارب مع السنوسيين الذين لم يكن من السهل التعرف على قدراتهم وكيفية سيطرتهم على الشعب، واستمر هذا التقارب حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ويأسف "جراتسيانى" لأنه رغم أن نتيجة الحرب كانت فى صالح الحلفاء إلا أن الإيطاليين لم يستثمروا هذا النصر فى ليبيا، إذ أنه تبعت سياسة التقارب سلسلة من التنازلات بدأت بإعلان ما يشبه الدستور (القانون الأساسى لبرقة) و(القانون الأساسى لطرابلس)[1].

ويرى الطاهر الزاوى - فى هذه الإتفاقية - عكس مايراه الإيطاليون فهى فى نظره تعبيرًا عن الاستسلام لرغبات الإنجليز والإيطاليين ويقول بأنهم سلبوا من " إدريس" كل شيء مقابل اتفاقهم على منحه لقب أمير ، وكانت نتيجة ذلك أن قضى على حركة الجهاد فى برقة وآمَّن الإيطاليون بقاءهم ونقلوا جيوشهم وأسلحتهم التى كانت فى برقة إلى طرابلس التى كانت الثورة الوطنية فيها على أشدها[2].

كما يضيف "الزاوى" بأن هذا الإتفاق كان أول حجر وضعه "إدريس" فى سياسة الفصل بين طرابلس وبرقة.

وسط هذه الكتابات والتعليقات على الصلح الذى عقده " إدريس"مع العدو الإيطالي نتساءل هل كان إدريس بالفعل مضطرًا إلى ذلك؟!

إن كل ما يمكن أن يقال: إن إدريس قد هادن وصالح الإنجليز والإيطاليين وحصل على موافقة شيوخ البدو مستغلاً الظروف الاقتصادية القاسية ، ولكنه فى الوقت نفسه حصل على أفضل شروط الصلح بسبب مهارته فى الهروب بشتى الأقاويل والحجج كلما أحس بضغط المفاوض الإيطالي وبقسوة شروطه كما يقول: "إيفانز بريتشارد" والدليل على ذلك أن إيطاليا لجأت إلى استبدال هذا الاتفاق باتفاق آخر تمثل فى معاهدة "الرجمة" ذلك أن اتفاق"عكرمة" لم يحقق لها ماكانت ترمى إليه من أهداف؛ وأهمها: تصفية أدوار الجهاد فى برقة[3].

وإن كان هناك من لوم يوجه إلى " إدريس" فهو عدم استشارته للطرابلسيين أو عدم اشتراكهم فى اتفاقياته مع الإيطاليين، فوضع بذلك أولى مراحل الانفصال بين طرابلس وبرقة والواضح أن طرابلس فى ذلك الوقت كانت مازالت تواصل جهادها العنيد حتى توجت انتصاراتها بالاستقلال النسبى الذى عبرت عنه بإعلان الجمهورية الطرابلسية عام 1918.

---

(1) ردولفو جراتسياني ، المرجع السابق ، ونفس الصفحة.

(2) الطاهر الزاوي ، المرجع السابق ، ص: 195.

(3) خليفة محمد التليسي ، معجم المعارك في طرابلس الغرب ، مرجع سابق ، ص:424، 425.

ومن المعارك الشهيرة في طرابلس في هذه الفترة :

معركة قصر تليل سنة 1918 [1]:

ففي الثالث والعشرين من سبتمبر هاجم الإيطاليون بحملة كبيرة يقودها " ميزتي" (Mezzetti) من موقع مدينة زوارة (وهو الجزء الصغير الذي كان بمثابة جيب من الجيوب التي تركها الإيطاليون على الحدود) هاجموا تجمعًا للمجاهدين، وكانت القوة الإيطالية تتكون من خمسمائة مقاتل وخمسين فارسًا وبعض قطع المدفعية، وخرجت في تشكيلين: الأول: بمحاذاة الساحل، والثاني: كان متوغلاً نحو الداخل (العجيلات) التي كانت تبعد عن"قصر تليل" الذي يوجد به تجمع المجاهدين بحوالي خمسة كيلومترات .

وكان هدف "ميزتي" من هذه الحملة : كسر الحصار المضروب على القوة الإيطالية في زوارة ، بعد أن اضطرهم المجاهدون إليه بانتصارهم في معركة القرضابية الشهيرة . ولقد قاوم المجاهدون هذا التطويق وردّوا الهجوم وحالوا دون تمكين الإيطاليين من التوغل في الداخل رغم ما تكبده المجاهدون من شهداء .

ويعترف "ميزتي"في كتابه الذي سجل لهذه المعركة " أن قصر تليل كانت من أهم المعارك التي حدثت بعد الأحداث التي عصفت بالوجود الإيطالي في ليبيا 1915م"[2].

معاهدة الرجمة 25 - 10 - 1920م:

لم يكن اتفاق "عكرمة" معاهدة بمعنى الكلمة، ولكنه كان مجرد هدنة اتفق فيها الطرفان على معاودة التفاوض لإتمام الأمور المعلقة، ورغم ذلك فلقد مرت فترة طويلة في برقة في سلام في ظل هذا الاتفاق، ومع أنه نصّ فيه بكل وضوح عن حق كل من الطرفين الاحتفاظ بمواقعه العسكرية إلا أن الطرفين قد اعتبرا هذا الاتفاق نجاحًا كبيرًا لهما.

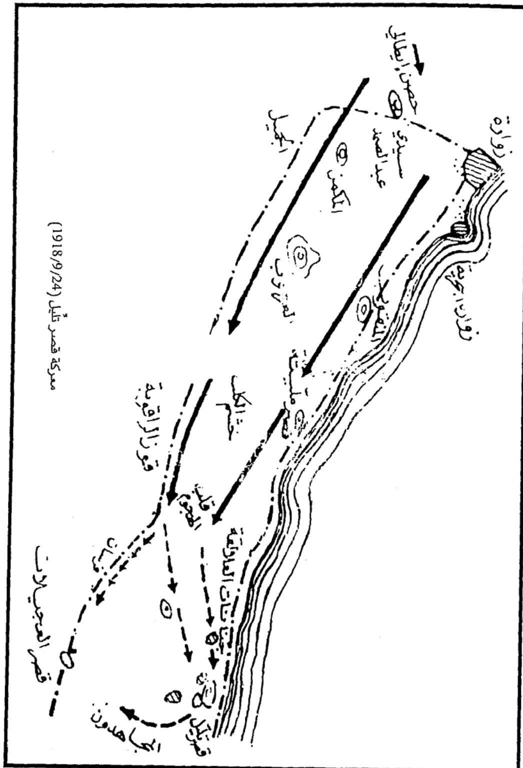
ولكن الإيطاليين شعروا بأن الأدوار العسكرية بمرتفعات الجبل الأخضر تمثل حاجزًا عاليًا يمنعهم من إمكان التسلل داخل قبائل البدو ، بينما في طرابلس أمكنهم ذلك ، كما استطاعوا بفضل " القانون الأساسي " ومعاهدة خلة الزيتونة " أو صلح بني آدم أن يستخدموا أساليب سياسية للإيقاع بين الزعماء الطرابلسيين والمدن الطرابلسية بواسطة التسلل إليهم .

وكان قد تكشف للإيطاليين في أعقاب اتفاق عكرمة الكثير من الأطماع التي تجتاح نفوس مشائخ القبائل في برقة مما يستلزم إنشاء بعض المناصب في كل قبيلة إرضاء لهم ولمنافسيهم،

---

(1) Mezzetti O. Guerra in Libia esperienze cericordi) Roma, 1933. P. 130

(2) محمد فؤاد شكري ، مرجع سابق ، ص: 205.



معركة قصر تليل (1918/9/24)

بالإضافة إلى أنه ثبت أن تجربة منح الطرابلسيين: "قانونًا آساسيًا" كانت منطقية وتتمشى مع الواقع الجديد لتيار التحرر فى كل من مصر وتونس و بالذات فى هذه السنة التى أطلق عليها " تقرير ملفيزى"[1]. ولذلك فإن الإيطاليين سوف يمنحون فى 31 /10/ 1919 م "قانونًا آساسيًا" لبرقة شبيهًا بالقانون الأساسى الذى منحوه لطرابلس ، وشرعوا فى نفس العام فى تأسيس إدارة مدنية – بناء على هذا القانون – فى المنطقة الخاضعة لهم ، مع توسيع نفوذها بالتدريج لكى تشمل مناطق أوسع .

وكما حدث فى طرابلس، حينما ساءت العلاقات بين الإيطاليين والطرابلسين بسبب نقص الإيطاليين للقانون الأساسى، اجتمع الزعماء فى "مؤتمر غريان" وشعرت إيطاليا من البيان الذى صدر فى أعقاب المؤتمر ، أن هناك ميلاً للإتحاد مع "برقة" أو أنها استشعرت الخوف من حدوث ذلك ، وبالذات بسبب فقرة فى البيان : "عن تكوين إمارة على كل المناطق يرأسها أمير مسلم "[2].

فقد حدث نفس الشىء فى "برقة" إذ أن البدو لم يثقوا فى الإيطاليين وتخوفوا من تسللهم فى الجبل الأخضر نتيجة إعلان " القانون الأساسى" وبدء تشكيل "مجلس نواب أختير " صفى الدين" لرئاسته وعقد خمس جلسات ولم يتغيب واحد عن حضور الجلسات، وشارك فى الترشيح إليه الجميع ، ونتيجة للتخوف اجتمع عدد كبيرمن شيوخ منطقة " إجدابيا " وأصدروا بيانًا أعلنوا فيه صراحة أنهم : سواء بالدستور أو بدونه فلن يقبلوا أن يكون التواجد الإيطالي على غير الساحل[3] كما كان، وآنهم لن يقبلوا آن يتعدى نشاطهم النشاط التجارى كما ورد باتفاق "عكرمة".

وأحس الإيطاليون أن الدعوة للجهاد قد بدأت تنتشر مرة ثانية، خاصة وآن العداء قد بدأ يظهر تجاه حكومة المستعمرات بوضوح مما جعل حكومة طرابلس تضغط على روما لإيجاد حل سريع لهذا المشكل الذى ظهر جليًا فى برقة، ويخشى أن يؤدى إلى اللقاء مع طرابلس من أجل الإتحاد بينهما .

وكان آن بدأ الضغط على السنوسيين لفتح باب التفاوض من جديد لعقد اتفاق أو معاهدة تعمل على حل المشكل الأساسى الذى يؤرق الإيطاليين وهو فض الأدوار العسكرية، وتطلب ذلك كما يقول جراتسيانى: " منح ملايين من المراسيم والشهادات المشرفة للسنوسيين وكثيرًا من الصلاحيات الإدارية". وذلك بالفعل ما تم الاتفاق عليه –"فى معاهدة الرجمة" التى وقعت

---

(1) أنريكو إنساباتو ، مرجع سابق ، ص: 302.

(2) إيفانز بريتشارد . مرجع سابق . ص: 254.

(3) جراتسياني . برقة المهداة ، المرجع السابق ، ص: 28.

بين الطرفين[1]. فلقد منح إدريس السنوسى بموجب هذه المعاهدة لقب "الأمير بمرسوم من صاحب الجلالة ملك إيطاليا، كما منح حق إدارة الحكم الذاتى فى واحات "أوجلة وجالو والجغبوب والكفرة". والاعتراف بحقه فى اختيار "إجدابيا" مركزًا لهذه الإمارة وحق استخدام مالايزيد عن ألف رجل للأمن بالواحات على أن تتحمل الخزينة الإيطالية تكاليفهم. وحق رفع العلم السنوسى على محل إقامته فى الواحات التابعة له باستثناء مناطق الحدود التى لايجوز أن يرفع عليها علمه منفردًا بل يكون إلى جانبه العلم الإيطالي . كما تعهد الإيطاليون بدفع مبلغ للأمير يتم تسديد نصفه عند توقيع المعاهدة ، والنصف الآخر بعد حل المعسكرات الليبية، كما تعهدوا بدفع مخصصات إلى جميع أفراد الأسرة السنوسية بما فى ذلك الأمير نفسه. وعلى أن يكون دفع المخصصات عن طريق الأمير .

ويقول الإيطاليون: إن ما تعهدوا بدفعه من مبالغ مالية هو بسيط جدًا إذا ما قورن بتكاليف كتيبة أريترية واحدة لمدة سنة واحدة[2] .

ولقد تضمنت المعاهدة ميزات مادية أخرى للعائلة السنوسية، وهى الحق فى الحصول على ربع الأسهم للإكتتاب فى رأس مال الشركات الكبيرة التى يزيد رأسمالها على نصف مليون ليرة والتى تنشأ فى برقة .

هذا بالإضافة إلى المظاهر التى أضفاها الإيطاليون على الأمير والتى نص عليها الاتفاق الجديد والتى منها: أن يعطى الأمير المكان الأول بعد حاكم البلاد الإيطالي فى الاحتفالات الرسمية، وأن يطلق له سبع عشرة طلقة مدفعية عند حضوره الاحتفالات الرسمية ، وحق استعراض حرس الشرف من الجيش الإيطالي، وعند مرور ركبه أمام الثكنات العسكرية . كما تم النص على أن يرفع الأمير العلم السنوسى على سفينته عندما تقترب من السواحل الليبية حينما يكون عائدًا من السفر كما هو معمول به دوليًا ، ومن حق الأمير أن يتجول أو يقيم فى أي مكان بالمستعمرة أو فى أي منطقة يريدها[3]. وحينئذ تضع السلطات الإيطالية تحت تصرف الأمير وأي فرد من أسرته سفينة لائقة بمقامهم إذا أرادوا التجول أو السفر إلى أي جهة يرغب السفر إليها.

كانت كل هذه المزايا فى مقابلأن يتم النص على أن " يلغى الأمير وبصورة دائمة الأدوار والقراقولات، وكل التشكيلات السياسية والإدارية أيًا كانت من الجهات التى لم تعهد إدارتها إليه، ويكون إجراء ذلك فى مدة لاتزيد عن ثمانية أشهر من تاريخ التوقيع على هذا الاتفاق".

---

(1) أنريكو إنساباتو . مرجع . ص: 304.

(2) إنساباتو ، المرجع السابق ص: 304 ، ويضم تقرير " ملفيزي" الذي يعلق على المعاهدة.

(3) نص الاتفاقية بنهاية الكتاب (في قسم الملاحق).

ومعاهدة الرجمة تتكون من عشرين مادة وثلاث ملاحق. وتم التوقيع عليها فى يوم الإثنين 13 صفر 1339 هـ الموافق 25 أكتوبر 1920 م .

ورغم كل ما تمتع به إدريس من مزايا ورواتب ومظاهر الإمارة: فإنه أخذ يراوغ فى تنفيذ أهم ما أراده الإيطاليون وهو حل أدوار الجهاد فوق الجبل الأخضر ، ويعترف "جراتسيانى" بذلك فيقول: " إن إدريس أخذ يتهرب بمجموعة من الأجوبة عن مسئولية تنفيذ الإتفاقية ، وكان يجاوب باستعلاء شديدعلى كل الدعوات المتكررة الموجهة إليه "[1] .

وكان الجانب الإيطالي لايقدر على عمل شيء لأن التيارات الداخلية فى إيطاليا ذاتها – من تيارات يسارية إلى أخرى يمينية – كانت تتصارع على السلطة فى البرلمان الإيطالي . وكانت هذه التيارات قد ظهرت فى أعقاب إنتهاء الحرب الكونية، وخروج إيطاليا منهوكة القوى ومهيضة الجناح وكان من مصلحة إيطاليا وقتها عدم إثارة أي مشاكل أو حساسيات فى مستعمراتها خارج إيطاليا ومنع أي تحركات تؤدى لاستئناف القتال فيها .

ودافع " إدريس "[2] عن عدم تمكنه تنفيذ بند "حل الأدوار" الذى حددت له الإتفاقية ثمانية أشهر، بأن هذه الإتفاقية قد أحدثت إزعاجًا وتعكيرًا فى المزاج بين الأهالي فى الجبل. وطالب الإيطاليين بالتأنى. وعدم اللجوء إلى السرعة فى تطبيق المعاهدة.

وإزاء هذا الموقف المتأزم إضطرت السلطات الإيطالية إلى التفكير الجاد فى عقد اتفاق ثالث يكون أقوى من المعاهدتين السابقتين، وكان أن عقد إتفاق " أبومريم فى نوفمبر عام 1921 م.

هذا ولقد كان الأمير إدريس قد دعى فى أعقاب عقد معاهدة، الرجمة فى نوفمبر عام 1920 لزيارة روما ومقابلة ملك إيطاليا بمناسبة عقد المعاهدة، وسافر إدريس بالفعل إلى إيطاليا وبقى ضيفًا على الحكومة الإيطالية إلى يناير عام1921ثم عاد إلى إمارته فى برقة[3].

وكان "مؤتمر غريان" الذى عقد فى طرابلس فى نوفمبر 1920 بسبب نقض الإيطاليين لما ورد بالقانون الأساسى لطرابلس قد أرسل وفدًا إلى روما فى ديسمبر 1920 م ظل هناك تسعة شهور يحاول الوصول إلى تفاهم مع الإيطاليين ويحاول دحض إفتراءات الوفد المزور الذى شكلته حكومة الولاية الإيطالية فى طرابلس وأرسلته إلى روما لكى يفسد عمل الوفد الوطنى (وفد مؤتمر غريان)، إلى أن أعيتهم الحيلة، ورجعوا إلى طرابلس دون تحقيق شيء .

وتزامنت زيارة الأمير إدريس فى روما مع زيارة الوفد الطرابلسى دون أن يكون هناك إتصال من الطرفين ، الأمير عن برقة ووفد مؤتمر غريان عن طرابلس، وإن كان مؤتمر غريان قد أصدر ضمن قراراته قرارًا يقضى بتوحيد الجهاد بين برقة وطرابلس وتشكيل حكومة

---

(1) جراتسياني . المرجع السابق . ونفس الصفحة.

(2) محمد الطيب الأشهب . تاريخ حياة إدريس السنوسي . ط1 . 1941 . مطبعة الهواري . القاهرة . ص: 372.

(3) الطاهر الزاوي ، مرجع سابق ، ص: 255.

موحدة يرأسها أمير مسلم. وإن كان لم يحدد اسمه بينما شكّل وفد لمؤتمر يعقد فى سرت يضم زعماء من طرابلس وبرقة[1].

اتفاق بومريم (11 نوفمبر 1921)

بعد أن استنفذت كل وسائل الضغط على إدريس لحل أدوار الجهاد بالجبل الأخضر . وانقضى العام الذى قرر فيه حلها، وإدريس يتعلل لدى الإيطاليين بأن معارضيه من البدو يقفون أمام حل المعسكرات . قدم لهم الأمير حلاً بديلاً وهو: إنشاء معسكرات مختلطة كحل وسط[2] وعندما عرض الحل البديل على (دى مارتينو) الوالى الإيطالي فى بنغازى رفض هذا الحل الوسط. وأصر على تنفيذ ما ورد فى اتفاق الرجمة " بالكامل ورغم أن " دى مارتينو - بسبب موقفه هذا - قد تعرض للتوبيخ مرارًا وقدم استقالته إلا أنها لم تقبل . وإزاء هذا الموقف الصعب وافق إدريس على القيام بحل الأدوار العسكرية ، ولكنه أعلن بأنه غير مسئول عما يحدث من نتائج خطيرة . ورد دى مارتينو" على ذلك الموافقة موضحًا بأن الأضرار التى تنجم عن هذه العملية لن تكون أكثر من بعض الغارات وأعمال سلب ونهب يمكن التصدى لها بدعم القوات الإيطالية فى برقة بالوسائل الميكانيكية، والقوات التكميلية التى كان من المقرر وصولها من قبل[3].

ورغم موافقة والى طرابلس على حل المعسكرات إلا أن مجلس الحرب فى روما عارض اقتراح " دى مارتينو " بسبب التخوف من أن تكون سلبيات هذا العمل أكثر بكثير مما عرضه الوالى الإيطالي، واستدعى وزير المستعمرات " بنتور" الوالى" دى مارتينو" إلى روما، وتم التباحث بينهما ، وأعلن الوزير موافقته على فكرة المعسكرات المختلطة التى اقترحها إدريس ورفضها "دى مارتينو".

واقترح مجلس الحرب - كحل وسط - أن يتعهد إدريس بتنفيذ معاهدة "الرجمة " بكاملها وحل بضعة معسكرات من المعسكرات الخمسة الموجودة على أن يتم حل المعسكرات الباقية فى فرصة قادمة، وانزعجت الولاية فى طرابلس لهذا الحل الذى اعتبرته غير عملى و يعنى الخطر كله. وخيم التردد والرعب من قضية المعسكرات على الإيطاليين، وكان التعليق على ذلك وقتها بأن إدريس قد أدخل الرعب إلى قلوب الإيطاليين بعدم تنفيذه هذا الإلتزام .

وفى هذه الفترة كان الإيطاليون قد عقدوا النية على أن يعيدوا السيطرة على كامل التراب الليبي: ولذلك فإنه تم التوصل إلى عقد إتفاق جديد ينفذ فيه فكرة المعسكرات المختلطة على أساس أنها لن تطول ، فهى فترة مؤقتة لحين إعادة الإحتلال .

---

(1) المرجع نفسه ، ونفس الصفحة.

(2) اتريكو إنساباتو ، مرجع سابق ، ص:307.

(3) المرجع نفسه ، ونفس الصفحة.

ويعبر "جراتسياني" عن ذلك بقوله: "بواسطة اتفاق بو مريم" نتمسك بإجبار السنوسيين على حل تنظيماتهم العسكرية وفى الوقت نفسه نعمل على تكوين معسكرات مختلطة وتظل موجودة لحين أن تسود سيطرتنا على كل البلاد من أقصاها إلى أقصاها، ونتمكن من أن نتسلم مقاليد الأمور جميعها من أيدى السنوسيين دون إحداث أي خطر أو صدام يعكر صفو النظام السائد"[1].

كما حاول الإيطاليون فى الإتفاق الجديد أن يتخلصوا من الإلتزامات الكثيرة التى كانت عليهم فى الاتفاق السابق غير حل مشكلة المعسكرات .

وتم فى يوم 11نوفمبر1921 التوقيع على الاتفاق الذى سمى باسم المكان الذى وقّع فيه عليه (اتفاق بو مريم). وتحدد فى الاتفاق أن تكون المعسكرات المختلطة بنسبة 10 إلى 8 يعنى مع كل عشرة إيطاليين ينضم ثمانية من الليبيين وأن تكون الإدارة مشتركة، فيرأس كل معسكر ضابط يتبع قيادة مشتركة من وكيل لإدريس واللواء " دى فيتا " . كما اتفق على أن الإدارة الإيطالية قبلت القيام بدفع نفقات الجيش بأكمله.

ولقد علق "إنساباتو " على اتفاق "بومريم " بقوله : " هذا الاتفاق بدون جدال كان أحسن من الوضع السابق ، إلا أن معاهدة الرجمة تمنحنا قوة أكبر ، تغلبنا على تردد إدريس وكان أجدى لو أصررنا على تنفيذها"[2].

وقد حدث أن نقل " دى مارتينو " بعد إتمام هذا الاتفاق بقليل ، وخلفه حاكم لم يتمتع بثقة إدريس؛ لإنه لم يكن يؤمن بغير سلوك طريق الشدة قولاً وعملاً والحق أن السياسة الجديدة فى روما إزاء المستعمرات لم تمنحه مجالاً للاختيار.

وكان قد بدا واضحًا أنه "لابد من تجدد القتال حتى قبل أن يقرر الحاكم الفاشى فى روما نقص السياسة بكاملها. وكان قد وصل إلى قمة السلطة فى إيطاليا "موسوليني " وبدأ عهدًا جديدًا فى تاريخ إيطاليا الاستعمارى وضع فيه حدًا لسياسة الملاينة وإسترضاء السنوسيين وأعلن إقرار السلام عن طريق الفتح العسكرى .

وتطبيقًا لتلك السياسة أعلن الوالى الجديد " بونجوفانى" عند أول إجتماع لمجلس الأمة فى بنغازى أن معاهدات "الرجمة" وأبو مريم " تعتبر منتهية ، وقام بعد ذلك بحل المعسكرات المختلطة وأمر باحتلالها وبإلقاء القبض على "المحافظية" الذين عارضوا الحل .

وعين اللواء جراتسيانى نائبًا للوالى فى برقة بعد حملته العنيفة التى أعاد فيها احتلال فزان[3].

---

(1) جراسياني برقة المهدأة. مرجع سابق . ص196.

(2) جراتسياني ، برقة المهداة ، مرجع سابق ، ص: 197.

(3) إنساباتو ، مرجع سابق ، ص: 311.

الفصل الرابع

قيام الجمهورية الطرابلسية وعقد مؤتمري غريان وسرت

(*) إعادة إلحاق طرابلس بتركيا .

(*) إعلان الجمهورية الطرابلسية والأبعاد السياسية والعسكرية لذلك.

(*) مؤتمر غريان (1920)

(*) مؤتمر سرت الوحدوي (1922)

(*) عودة الخلافات بين الزعماء الطرابلسيين وضرب حكومة الفاشست لكل المعاهدات .

إعادة إلحاق طرابلس بتركيا

بعد فشل السنوسيين بقيادة أحمد الشريف فى حرب الإنجليز خدمة للدولة العثمانية فى حربها ضد دول الحلفاء وبعد آن تغير النظام فى برقة نتيجة لذلك: تولى إدريس السلطة مكان ابن عمه أحمد االشريف ، وقام إدريس بالتفاوض مع الإنجليز والإيطاليين وعقد اتفاق عكرمة معهم فى إبريل 1917 م وقام الأتراك بالاتجاه نحو طرابلس بعد أن التقطوا من صحراء سرت الأشخاص الذين سقطوا فى أثناء التعاون معهم؛ لتنفيذ أغراضهم وكافؤوهم على بلائهم الحسن حتى يكون هذا العمل مشجعًا لغيرهم على التعاون معهم ، فكان أن استدعت أحمد الشريف إليها وأوكلت إليه أعمالاً تتناسب مع مواهبه وسمعته الدينية، وبعد أن علقت على صدره بعض النياشين اللامعة كما سحبت "نورى باشا" شريكه فى هذا العمل الفاشل بها والمدبر له، وأرسلته فى مهمة أخرى خارج الأستانة تتناسب مع مواهبه القتالية.

وحولت الحكومة العثمانية وجهة الإمدادات من مؤونة وأسلحة وذخائر وأموال وصناديق من الذهب ، حولتها من النزول فى برقة لكى ترسو فى طرابلس قرب مصراتة. ويحمل هذه المؤن والأموال شخصيات جديدة للعمل مع طرابلس بخطة جديدة بعدأن انتهى دور الأتراك فى برقة[1]، وكانت هذه الشخصيات هى :

"سليمان البارونى" ، الذى مهدت لوصوله الدولة العثمانية بإرسال شقيقه "يحيى البارونى" الذى كان مقيمًا فى الأستانة لاستطلاع الأمر خشية أن يكون ما حدث فى برقة قد امتد أثره إلى طرابلس . ووصل "يحيى" إلى مصراتة وألتقى مع " رمضان السويحلى " الذى رحب به وعرف منه أخبار الآستانة وما تنوى عمله من الاتصال بالثورة فى طرابلس لمواصلة الجهاد ضد الإيطاليين الذين كانوا قد شنوا هجومًا على النمسا حليفة تركيا فى الحرب الأوربية[2].

وشاهد "يحيى البارونى" الحركة الوطنية بنفسه ودرسها عن كثب ، ومالبث أن عاد برفقة الدكتور عثمان فؤاد الذى كانت إخباريته عن الحالة فى طرابلس مشابهة تمامًا لإخبارية "يحيى البارونى " والتى كانت من أقوى الأسباب التى سهلت لولاة الأمور فى الأستانة أن يلحقوا طرابلس بتركيا[3].

---

(1) آمين سعيد . المصدر السابق . ص: 50.

(2) عمرو سعيد بغنى ، بحث عن الجمهورية الطرابلسية . مجلة الشهيد عدد 5 . سنة 1984 . ص: 277.

(3) رفعت عبد العزيز . مرجع سابق ، ص:211.

وعلى الفور آرسل سليمان البارونى لكى يقوم بتبليغ قرار إلحاق طرابلس بتركيا بعد ثلاثة سنوات من قطع العلاقات وسحب الحامية العثمانية منذ معاهدة "أوشى لوزان" (أكتوبر 1912). وظهر سليمان البارونى فى منطقة طرابلس وهو يحمل لقب حاكم طرابلس ، وكان سليمان البارونى قد نزل مصراتة فى إبريل عام 1916 واستقبل هناك استقبالاً حسنًا من قبل رمضان السويحلى وأهالي مصراتة. وكانت مصراتة بعدما قادت الجهاد فى معركة القرضابية قد أصبحت محور التركيز الجديد فى طرابلس بالنسبة للدولة العثمانية، وبعدما تحررت منطقة طرابلس من الإيطاليين بفضل جهود رجالها واقتصر الوجود الإيطالي بها على مدينتى طرابلس والخمس فى حصار مضروب حولهما.

وكان رمضان السويحلى كما سبق وذكرنا قد فرض نفسه حاكمًا على مصراتة وأرسل السلطان العثمانى فرمانًا . وكان البارونى قد ناضل مع مواطنيه وخرج بعد معركة "الأصابعة عن طريق تونس إلى الأستانة وظل هناك هو وأنصاره إلى أن أتى فى مهمة إقناع أحمد الشريف بحرب الإنجليز واعتقله الأخير بسبب ذلك لأكثر من أربعة شهور . ثم أفرج عنه بوساطة " إدريس السنوسى " وسافر البارونى إلى الأستانة فى نهاية عام 1915 ، ثم كانت عودته هذه المرة فى عام 1916 بعد أن سمع عن انتصار المجاهدين فى القرضابية وتطهيرهم للمدن الطرابلسية من الإيطاليين ، عاد البارونى بفرمان سلطانى حاكمًا على طرابلس بعدما علمت الأستانة بأن الوجود الإيطالي لم يشغل سوى ميناء طرابلس والخمس ومدينة زوارة ، وكان البارونى مازال محسوبًا عضوًا لمجلس المبعوثان فى الأستانة عن طرابلس ولأنه أيضًا زعيم على الجبل الغربى.

هذا ولقد أوصلت غواصة ألمانية سليمان البارونى إلى ساحل مصراتة، وفى حوزته أموال كثيرة معدنية وورقية، وبعد أن ارتاح من عناء السفر بعث برسائل إلى جميع مشائخ وزعماء جهات طرابلس المختلفة؛ يخبرهم فيها بوضعه الرسمى الذى رجع به إليهم خدمة للبلاد والقيام بواجب الجهاد[1] .

والحقيقة أن هذا الفرمان الخاص بعودة البارونى حاكمًا لطرابلس هو من أجل مصلحة الدولة العثمانية التى تورطت ودخلت الحرب العالمية ، وخير دليل على ذلك ، أنها عندما انهزمت أمام الحلفاء فى نهاية الحرب وقعت على معاهدة "موندروس" عام 1918 التى وافقت فيها على قطع كل علاقاتها بطرابلس وأن تمتنع عن إرسال كافة الأسلحة والأموال إذا لم يرضخ الشعب الليبي فى طرابلس للاحتلال الإيطالي ويوقف المقاومة[2].

---

(1) صفحات خالدة من الجهاد . زعيمة البارونى ، وبها صور الرسائل.

(2) جاك بيشون ، مرجع سابق ، ص: 167.

وبدأ الأتراك عن طريق الشخصيات التى آرسلوها إلى طرابلس بعد ذلك يدعون للقيام بواجب الجهاد ضد العدو الإيطالي مثل شخصية "عبدالقادر الغنآي" وانسحب الأتراك فى النهاية بموجب المادة (7) من المعاهدة التى عقدت فى جزيرة "موندوروس" التى أرغمت تركيا على التوقيع عليها بنفس الصورة التى حدثت عام 1912 حينما أرغمت على التوقيع على معاهدة "آوشى لوزان" وانتهى إلى الأبد الوجود التركى بطرابلس[1].

ثم توجه سليمان البارونى إلى غرب طرابلس وزار مقاطعاتها واجتمع بأعيانها شارحًا لهم ما ينوى القيام به فى ولايته ، حتى وصل للزاوية الغربية ، فاستمر بها وجعلها عاصمة لولايته لتوسطها بين الجبل الغربى والشمال الساحلى والجنوب الشرقى، وأنشأ فيها حكومة لم تكن بالطبع على النمط الذى نعرفه ، فليس لها تمثيل نيابى ولاسلطة تنفيذية ولالوائح مالية للفروع المختلفة كالمعارف والحربية أو القضاء أو غيره ، وإنما حكومة رمزية تقوم على تنسيق الجهاد بين المناطق المختلفة بأساليب الاتصال الشخصى بالزعماء الذين ظل كل واحد منهم يسيطر على الشؤون العامة فى منطقته ، كرمضان السويحلى فى مصراتة وعبدالنبى بالخير فى ورفلة ، وآحمد المريض فى ترهونة ، ومختار كعبار وفكينى ، وبن تنتوش وغيرهم ، كما كان اتصالهم به آيضًا ليظفر كل منهم بنصيب منطقته من المساعدات المالية وغيرها من العتاد والمؤن التى تصل عن طريق الغواصات إلى سليمان البارونى .

وكان سليمان باشا البارونى يعلم آن هذه المعونات ترسلها الدولة العثمانية لغرض توجيه الجهاد لمصلحتها ولكن وطنيته الزائدة ، ومعرفته بالأحوال الاقتصادية السيئة للبلاد حملته على أن يستفيد من الأتراك لصالح أبناء قومه مهما كان الأسلوب الذى كان يتبعه أو الغاية من إرسالها[2].

ولقد وصل للبارونى فى مقر حكومته فى الزاوية الغربية 250 فارسًا من أعيان البلاد أو الجهات الغير المتحاربة؛ فتقدم بهم إلى ميدان المتحاربين فتعالت الأصوات من أهالي الزاوية تردد (الله آكبر الله أكبر) ،وجاء ممثلون للقبائل التى تحارب بعضها البعض وألقوا سلاحهم أمام البارونى تعبيرًا عن الصلح وأعلنوا نسيانهم لكل ماحدث من قتل للرجال ومن تلف فى الأموال . والتسامح فى كل ما مضى وأصبح الجميع إخوانًا بفضل وجود "البارونى" بينهم.

وقام بعد ذلك البارونى بتنظيم أمور الحرب بمعرفة الضباط الذين حددوا مناطق التدريب وخصصوا مرتبات للمجاهدين ونظموا طريقة صرفها ، ثم توجه البارونى بنفسه مع عدد من المجاهدين إلى جهة زوارة فى الليل، ورمى المدينة بخمس قنابل كانت إيذانًا باستئناف المقاومة

---

(1) الطاهر الزاوي ، مرجع سابق ، ص: 386 . – جاك بيشون ، المرجع السابق ص:167. – عبد الرحمن عزام ، مرجع سابق ، ص: 22.

(2) عبد الرحمن عزام ، مرجع سابق ، ص: 40.

ضد العدو الإيطالي . وكان الباروني يقف على المدفع ويديره بنفسه، وعادت الحرب تشتعل من جديد في طرابلس بين حدود بنغازي وحدود تونس[1].

ويذكر أن المعارك التي شاركت فيها ترهونة وحدها في هذه الفترة 1916 / 1917 بالسلاح الذي استولت عليه من نصر القرضابية، معارك زوارة والجديدة، وجنان بالنصيب وسواني المشاشطة، وترينة، والزاوية، والرأس الأحمر[2].

الأمير عثمان فؤاد :

عينت الحكومة الأمير عثمان فؤاد من البيت السلطاني قائدًا عامًا لإفريقيا الشمالية بدلاً من " نوري باشا " الذي فشلت خطته في محاربة الإنجليز - وناطت به إدارة الحركات العسكرية . فجاء إلى شاطئ طرابلس في شهر مارس 1918 بغواصة ألمانية أنزلته قرب مصراتة . وكان برفقته " عبدالرحمن عزام" (باشا) كمستشار له[3] .

وكذلك وصل معهم إلى طرابلس ممثل للسياسة الألمانية يدعى "البارون فريدفرون تندروف" والذي تولى إدارة البرق اللاسلكي الذي انشئ في مصراتة. وقد كذلك معهما القائم مقام عبدالرحمن نافذ" و"الأمير براجانزا"، ولقد دعم وجود مندوبي تركيا وألمانيا في مصراتة مركز " رمضان " بين الزعماء الآخرين ومركزه تجاه العدو الإيطالي على حد سواء. هذا ولقد اشتد التنافس بين رمضان السويحلي رئيس حكومة مصراتة وبين الأتراك العثمانيين الذين كانوا يحاولون احتلال مركز الصدارة بجانب رمضان، وعانى رمضان كثيرًا من عجرفتهم وحبهم للانفراد بالسلطة، ورغم ذلك فلقد استمر التعاون بينهما .

وكان الجانبان التركي ورمضان السويحلي يتصارعان حول الاستحواذ على المعدات والموارد التي تأتي بها الغواصات من الأستانة ، فرمضان كان حريصًا على أن تبقى في منطقة نفوذه وأن يرسل منها إلى المنطقة الغربية الضروري فقط بينما يريد " إسحاق باشا" أن يرسل كل ما يريد إلى مقر إدارته في البلاد باعتبارها أهم ميادين الحرب ، وكان ينظر بريبة إلى "رمضان " ويريد أن يقضي عليه حتى تعود السيطرة العثمانية كما كانت ودون حاجة إلى استرضاء زعماء العشائر أو العصبيات المحلية ، ويقول" عزام باشا " إن هذه المنافسة اشتدت وكادت تقضي على التماسك داخل الجبهة وتؤدي إلى حرب بينهما[4].

---

(1) أبي اليقظان الحاج إبراهي[illegible] . مرجع سابق . ص: 207.

(2) محمد خليفة التليسي . بعد القرضابي[illegible]

(3) عبد الرحمن عزام . نفس المرجع السابق . وبعس[illegible] [illegible]د سافر إلى الأستانة مع أنور باشا عند استدعائه بعد فشل مهمة حرب الإنجليز ثم عاد مع الأمير عثمان [illegible].

(4) مذكرات . عبد الرحمن عزام ، مرجع سابق ، نفس الصفحة.

هزيمة الأتراك في الحرب العالمية الأولى وتخليهم عن طرابلس مرة ثانية :

لم يكن قد مضى على وجود الأمير عثمان فؤاد - كنائب للسلطان العثماني - في طرابلس أكثر من تسعة شهور حتى أبرقت إليه الحكومة العثمانية في أوائل نوفمبرعام 1918 بنبأ هزيمة تركيا والدول المتضامنة معها في الحرب الكونية (ألمانيا والنمسا وبلغاريا) أمام الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وإيطاليا) وأن العاصمة التركية سوف تسلم قريبًا دون قيد أو شرط. وأن الدولة العثمانية قد التزمت في معاهدة "موندروس" أكتوبر 1918 بسحب جميع قوات الأتراك والألمان من طرابلس .

وكان الأمير قد علم بالنبأ عن طريق البارون " فريد فورن تندروف " مسؤول اللاسلكي بمصراتة الذي تلقاه بطريقة سرية. ولم يخطر الأمير أحدًا بالنبأ سوى "الشيخ سليمان الباروني". بينما سلم لرمضان السويحلي مفاتيح الخزينة التي تحتوي النقود وترك له التصرف فيها . وتوجه إلى ميناء " الروحية " على بعد حوالي عشرة كيلو مترات من ميناء قصر أحمد بشاطئ مصراتة ليستقل الغواصة الألمانية والتي كان مقررًا وصولها في هذا الوقت ، وكان الأمير قد قرر الرحيل تنفيذًا للمعاهدة المذكورة التي وقعتها تركيا مع الحلفاء واصطحب معه أركان حربه " عبدالرحمن نافذ" الضابط التركي ، ولقد كان في توديع الأمير كل من الشيخ سليمان الباروني وعبدالرحمن عزام .

ولقد وصلت الغواصة وكانت قد جلبت معها " عبدالقادر الغنأي " الضابط الليبي الذي يعمل في الجيش العثماني وكان قد جاء ليحل محل الأمير بصفته ضابطًا ليبيًا فلن يكون وجوده مخالفًا للإتفاقية مما يدل على أن الحكومة العثمانية كانت تراوغ في تنفيذ بنود الاتفاق ، أو أنها تفكر في الانسحاب بالتدريج[1].

وعندما علم رمضان السويحلي بنبأ رحيل الأمير عثمان فؤاد إلى الأستانة بعد استفساره من الألماني المسؤول عن اللاسلكي ذهب إلى ربان الغواصة قبل ركوب الأمير وطلب منه أن يختلق الأعذار لتعطيل سفر الأمير ، وكان عبدالرحمن عزام قد سأل الربان عما تعتزمه ألمانيا إزاء الأحداث الجديدة وهل ستسلم للحلفاء وكان رد ربان الغواصة عليه بأنها ستواصل القتال ، فقال له "عزام": "ونحن يمكننا تشكيل حكومة عربية في طرابلس لمداومة القتال على أن يساعدونا"[2] .

ومن هنا نشأت فكرة استبقاء الأمير والإلحاح عليه للبقاء حتى ولو من أجل أن يبحث معهم قبل عودته إلى بلاده، ماذا يفعلون إزاء هذا الموقف ؟ ولكي يشاركهم في التفكير في

---

(1) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة.

- عمرو سعيد ، مصدر سابق ، ص: 288.

(2) الطاهر الزاوي ، مصدر سابق ، 386.

كيفيـة إقامـة حكومـة وطنيـة تدير العمليـات العسكريـة فى هـذا الوقت الدقيق.

ولقـد كـان الانزعـاج واضحًـا ليس على وجـه الأمـيـر فـحـسب ولكن على وجـوه الزعـمـاء الوطنيين جـميعهم. بل آن الانزعـاج انسحب على وجوه الأهـالي جميعهم عندمـا علموا بانكسار الدولة العثمانية، والتى كانوا بفضل إمداداتها قد عادوا للمقاومـة العنيفة مع العدو الإيطالي . وإستجـاب الأمـيـرلإلحـاح الزعـمـاء؛ ولأن الربان نفـذ مـا طلبـه منه الزعـمـاء الوطنيون، واعتذر للأمير بأن الغواصة ليس لديها أوامر الآن بنقل الأمير كما أنها سوف تضطر لسلوك مسالك غير آمنة بسبب الظروف الدولية الحرجة آنذاك .

وعـاد الأمـيـر إلى مـصـراتة هـو ومن كان مـقـررًا أن يصـحـبـه فى سـفـره، وكـذلك الزعـمـاء الوطنيين الذين جاءوا لتوصيله، وتم الاجتمـاع الذى تباحثوا فيـه حول مستقبل البلاد وتوصلوا فيه إلى إقامة الجمهورية الطرابلسية .

الجمهورية الطرابلسية 1918م

أضـاف المجاهـدون الطرابلسـيـون إلى انتصـاراتهم العسكرية على إيطاليـا نصـرًا سيـاسـيًـا كبيـرًا فى عـام 1918 م لم تكن المنطقـة العـربيـة بأسـرهـا قـد عـرفت مـثـيـلاً له وقـتـهـا ، وذلك بإعلان قيام الجمهورية الطرابلسية[1].

وكـان الليبيـون لم يقدمـوا على هذه الخطوة الكبيـرة إلا بعد آن بـدأوا يشـعـرون بـالحـرية داخل بلادهم وبأنه بإمكانهم أن يتـحـركوا فيها متى شاءوا؛ فيقـررون مـصـيـرهم بأنفسهم بعد آن تمكنوا من النصـر على عـدوهم بالثـورة التى آشعلوها فى القبلة والجنوب ضـده، والنـصـر الذى آحـرزوه فى مـوقـعـة القـرضـابيـة ومـعـارك أخرى سبق الكلام عنها . واضطرار العـدو إلى تقليص وجوده داخل موانئ طرابلس والخمس وزوارة.

وإقـامـة نظام جـمـهـورى ليس بالعمل البسيط أو السـهل ، ذلك أنهم لم يكتفوا بالإعـلان عن قيام "الجـمـهـورية الطرابلسـيـة" بل آنهم قـامـوا بتشكيل هيئات ومـؤسسـات جـمـهـورية ذات مهـام محددة ، وأن هـذه الجمهورية الوليدة قد قامت بمواجهة سياسية وعسكرية للاحتلال الإيطالي محققة بذلك الأهداف التى أقيمت من أجلها والتى صاحبت التفكير فى إنشائها , تبدأ قصة ظهور هذا العمل إلى الوجود بالاجتمـاع الذى عقده الزعـمـاء الوطنيون الذين عـادوا بالأمـيـر عثمـان فؤاد من الميناء وحالوا دون رحيله إلى العـاصمة التركية ، وكان الاجتمـاع الذى اشترك فيه كل من : سليمان البارونى ورمضان السويحلى ، ومختار كعبار ، والأمير عثمان فؤاد . وعبد الرحمن عـزام ، قد دار فيـه نقـاش حول مـصير هـذا البلد بعد أن تتخلى عنه تركيـا، وتسحب

---

(1) عمو سعيد بغني . بحث عن الجمهورية الطرابلسية ، مرجع سابق . ص: 283.

رجالها والمستشارين الألمان، وينقطع العون المادى ، والعسكرى للمجاهدين. واتفق المجتمعون على تشكيل حكومة "حلقية " كما أسماها شكيب أرسلان[1] ويعنى ذلك جمهورية لايرأسها رئيس واحد، ولكن يرأسها رؤساء الجهات الكبيرة سويًا فى شكل تحالف بينهم ، ولم يكن التفكير بإنشاء جمهورية بجديد على أناس يحكمون البادية، أو فى الصحراء إذ أن حياة البداوة والبساطة لاتعنى الجهل بمعنى الجمهورية وما يحتويه تاريخ الإنسانية من ثورات كالثورة الفرنسية ، وهناك مايشير إلى هذه المعارف على الأقل لدى زعماء الجهاد كالحديث الذى أورده "جون ريمون"[2] على لسان محمد فرحات الزاوى أحد اثنان قادا الجهاد فى المنطقة الغربية من طرابلس فى السنة الأولى للغزو إذ يخاطب " جون ريمون" ويقول :" قل عنا إن أردت أننا مواطنون يرتدون أسمالاً مهترئة ممزقة، ويمشون حفاة الأقدام تمامًا كما كان يفعل جنود الثورة الفرنسية، ولكن لاتقل أننا متعصبون دينيًا ". ثم أردف

الزاوى فى رده على ما تردد وقتها من أن تركيا تنوى الصلح مع إيطاليا وتتخلى بذلك عن طرابلس فى هذه الظروف القاسية :" إذا عنّ للحكومة التركية أن تتخلّى عنا فى هذه الظروف: فإننا سنعلن من جانبنا أنه لم تعد لها أي حقوق فى بلادنا ليبيا ، ولسوف نعلن الجمهورية الطرابلسية " وسترى أننا سنثبت للعالم أجمع أننا بقوتنا وحدها لقادرون على الذود عن حمى أرضنا كما كانت تفعل بلادك فرنسا كلما تعرضت لغزو أجنبى"[3].

ويرى الأستاذ أمين سعيد أن هذه الفكرة كانت صدى لفكرة إنشاء "جمهورية شمال إفريقيا " التى أوحت بها كل من تركيا وألمانيا إلى عدد من أحرار المغرب العربى الكبير، وأنه رغم عدم إمكان وضعها موضع التنفيذ إلا أنها كانت من الأسباب التى أدت إلى قيام " ثورة الحامة " فى الجنوب التونسى التى اضطرت فرنسا إلى تجنيد أربعين ألف جندى للحفاظ على هدوء المنطقة المتاخمة لحدود طرابلس الجنوبية بسببها[4].

وكان قد سبق التفكير فى أن تكون رئاسة الجمهورية من جميع الزعماء متضامنين بعد أن عرض رمضان السويحلى على الأمير العثمانى أن يكون رئيس الجمهورية المزمع إنشائها فرحب الأمير بفكرة إنشاء الجمهورية، واعتذر عن قبول رئاستها متعللاً بانشغال فكره ببلاده التى كان الحلفاء قد قاربوا على اخضاع عاصمتها للاستسلام، وهو بعيد عنها وعاجز عن الإتيان بأي شيء حيالها.

كما أخذ كل من رمضان وسليمان البارونى يعرض رئاسة الجمهورية على الآخر تعبيرًا عن

---

(1) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1072 ، م1 ، ج2 ، ص: 168.

(2) جون ريمون من داخل معسكرات الجهاد الليبي ، ترجمة عبد الكريم وافي ، م. القجاني ، سنة 1972، ص:136.

(3) جون ريمون ، المرجع السابق ، ص: 169.

(4) أمين سعيد ، الدولة العربية المتحدة ، المرجع السابق ، ج3 ، ص: 80.

الأثرة والتعاون. ولقد أورد "أمين سعيد" حوارًا يعبر عن ذلك:

- السويحلى: إنك لم تخيب فيك ظننا إذ لم تسافر، فلاعذر لك فى تركنا ونحن على ما ترى.
- البارونى: إنى معكم إلى النهاية إلا أنه لابد من إنشاء حكومة وطنية بلا تردد ولا إمهال .
- السويحلى: بشرط أن تكون أنت رئيسها .
- البارونى: دع الرئاسة جانبًا، فإنى أرى أن تكون لنا حكومة جمهورية تتألف من أربعة أعضاء فقط، أنت وأحمد بك المريض وعبدالنبى بك بالخير ، وأكون أنا رابعكم .
- السويحلى: على أن تكون أنت الوالى كما كان فى السابق .
- البارونى: لا، انما أكون كالسابق فى منطقة الحرب قريبًا من الذى نعينه قائدًا لجيش الجمهورية.
- السويحلى: أنا موافق من الآن إلا أنى أخاف ألايوافق المريض على مواصلة الحرب .
-البارونى: إنه أحرص منى ومنك على استمرارها إلى أن نصل إلى نتيجة .
- السويحلى: إذن لقد تم الأمر[1].

وكانت الفكرة أن تكون رئاسة الجمهورية من أربعة من الزعماء الذين يمثلون الجهات الهامة التى تضم أكبر القبائل، هى فكرة تتناسب تمامًا مع ظروف المجتمع الليبي؛ لأن انتخاب رئيس واحد للجمهورية سوف يثير صراعات قبلية كثيرة .

ولقد اتفق الزعماء فيما بينهم على الاتصال بالزعماء الذين لم يحضروا هذا الاجتماع لينقلوا إليهم نبأ إقامة جمهورية، ويحصلوا على موافقتهم على الفكرة ويتفقوا معهم على حضور مؤتمر شعبى كبير يعقد فى "مسلاتة" لعرض المشروع[2]، بشكل جماهيرى، وتطبيقًا لذلك قام "رمضان السويحلى" بالاتصال " بعبد النبى بالخير" زعيم ورفلة للعلاقة الوثيقة بينهما وعرض عليه الفكرة ووافق " عبد النبى" عليها وعلى حضور "مؤتمر مسلاته" ، كما قام "البارونى " بالاتصال بأحمد المريض فى ترهونة وأبدى " المريض " موافقته على فكرة قيام " الجمهورية الطرابلسية " كما وافق على حضور المؤتمر.

وواصل "سليمان البارونى" سيره إلى الزاوية الغربية: ليطمئن المجاهدين بمعسكراتهم على وحدة البلاد باستمرار نضالها ، ودعا جميع الشيوخ والأعيان لعقد مؤتمر عام فى " مسلاتة " لغرض الموافقة الجماعية على فكرة إنشاء "جمهورية طرابلسية "[3].

وكان اختيار "مسلاتة" بالذات لعقد المؤتمر فيها يرجع إلى أنها تتوسط فى موقعها البلاد

---

(1) أمين سعيد ، المرجع السابق ، ج3 ، ص: 327.

(2) رفعت عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص: 213.

(3) عمرو سعيد بغني ، بحث عن الجمهورية الطرابلسية ، مرجع سابق ، ص: 85.

كلها، ولأن رمضان قد اتخذها عاصمة ثانية بعد مصراتة لحكومته القوية والمنضبطة والتى تعتبر نموذجًا ناجحًا يرنو الجميع إليه للإقتداء به[1].

مؤتمر مسلاتة 1918 م

والتقى الحشد الكبير من الأهالي والزعماء الذين أتوا من كل مكان ، وكان اللقاء فى مدينة "القصبات" مركز "مسلاتة" يوم 1918/1/16 وكان قد عقد فى اليوم السابق مؤتمر آخر فى ترهونة وسمى "مؤتمر البويرات" ولكنه لم يكن فى حجم وضخامة وأهمية مؤتمر مسلاتة لأن الوفود التى حضرت فى المؤتمر الثانى كانت تمثل جميع جهات طرابلس دون استثناء . ولأن الحوار المفتوح والنقاش البناء فى مسلاتة كان أكثر وأعمق ، كما عرضت فيه وجهات نظر مختلفة وكانت هناك آراء معارضة، وأخرى مؤيدة، وآراء جديدة[2] وتم فى النهاية الحصول على موافقة الجميع على إعلان الجمهورية ، وكان قد ساعد على التوصل إلى مثل هذا الاجتماع وجود شخصيات هامة ولها وزن لدى الناس، مثل: شخصية الأمير " عثمان فؤاد" بسبب قرابته للسلطان العثمانى الذى لازال كثير من الناس تكن له احتراما كبيرًا معتبرينه خليفة المسلمين متأثرين فى ذلك بالعاطفة الدينية . ولذلك فإن سليمان البارونى حينما عرض أن يكون علم الجمهورية الطرابلسية بنفس لون علم الدولة العثمانية على المؤتمر، هلل المؤتمرون ورحبوا بهذا العرض .

كما كان الأعضاء الآخرون لهم وزن لدى الأهالي؛ فسليمان البارونى شخصية مشهورة بالجبل الغربى وهو عضو مجلس المبعوثان وأديبًا وشاعرًا وفوق كل ذلك مجاهد.

و"رمضان السويحلى " أيضًا مجاهد " وأحمد المريض " أيضًا من الزعامات المرموقة والمحترمة. وقبل إعلان قرارات وبلاغات المؤتمر وقف الجميع وأقسموا يمين الولاء والإخلاص للجمهورية، وكان نص البيان:

" أقسم بالله العظيم وكتبه ورسله وأوليائه أن أفدى بنفسى ومالى حكومتى الطرابلسية والجمهورية "[3].

قرارات مؤتمر مسلاتة:

انبثق عن مؤتمر مسلاتة القرارت التالية:

1- تشكيل حكومة باسم "الجمهورية الطرابلسية" على أن يديرها مجلس مكون من أربعة

---

(1) الطاهر الزاوي ، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، المرجع السابق ، ص: 382.

(2) محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، مرجع سابق ، ص: 179.

(3) رواية محمد الحداد ، شريط رقم (35/2) المكتبة السمعية بمركز دراسة جهاد الليبيين، طرابلس .

أعضاء هم: سليمان البارونى ورمضان السويحلى، وعبدالنى بالخير، وأحمد المريض.

2-تشكيل مجلس شورى الجمهورية من اثنين وعشرين عضوًا يرأسهم الشيخ محمد سوف (حفيد غومة المحمودى)[1] (صاحب الثورة الكبيرة ضد ظلم الأتراك) واختاروا له نائبًا هو "يحيى البارونى ، وكان عدد أعضاء مجلس شورى الجمهورية . أربعة وعشرين كتبت أسمائهم وأسماء الجهات التى ينتمون إليها .

3- تشكيل مجلس شرعى للجمهورية والذى أطلق عليه المجلس الشرعى ويتكون من: أربعة من المشائخ هم : "عمر الميساوى"، "الزروق أبو رخيص"، "محمد الإمام" و "مختار الشكشوكى" . وكانت أحكامه وفق أحكام الفقه الإسلامى، وعلى مذهب الإمام مالك وعرف وتقاليد البلاد . وكان أعضاؤه من كبار العلماء فى طرابلس.

هذا ولقد كانت جميع القرارات والأوامر الصادرة من مجلس الجمهورية توقع بأسماء الأعضاء الأربعة المكون منهم إظهارًا لاتحاد أصحابها وتدعيمًا لها عند التنفيذ لدى الأهالي أيًا كانت عصبياتهم[2].

ومن أجل تمثيل جهة كبيرة كغريان فى المجلس تم تعيين " مختار كعبار " زعيم غريان كمدير ومراقب عام لمالية المجلس ، وكان أحد نواب طرابلس فى المجلس العثمانى ذا ثقافة عالية اكتسبها من المعاهد التركية كما عين"عبدالرحمن عزام" مستشارًا لهذا المجلس .

وقد كانت أولى أعمال مجلس إدارة الجمهورية : ذلك البيان الصادر فى أعقاب إعلان الجمهورية لينهى إلى المواطنين والعالم أجمع هذا النبأ العظيم، كما ذيل بتوقيع الأعضاء الأربعة بمجلس الإدارة ، وكان نصه على الوجه التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

"فى الساعة الرابعة من يوم السبت المبارك الثالث عشر من شهر صفر *1333*هـ (*1918*م) قررت الأمة تتويج استقلالها بإعلان حكومة الجمهورية باتفاق آراء علمائها الإجلاء وأشرافها وأعيانها ورؤساء المجاهدين المحترمين الذين اجتمعوا من أنحاء البلاد، وقد تم انتخاب أعضاء مجلس الجمهورية ، وأن الأمة الطرابلسية تعتبر نفسها حائزة لاستقلالها، الذى اكتسبته بدماء أبنائها وقوتها ، منذ سبع سنين وسعيدة بالوصول إلى هذه الغاية التى هى أشرف ما تصل إليه الأمم، وتهنئ أبناءها بتمام نجاحهم واتحادهم، على الثبات فى الدفاع عن وطنهم وحكومة الجمهورية الجديدة والتوفيق من الله تعالى وحده"[3].

---

(1) محمد إمحمد الطوير ، ثورة الشيخ غومة المحمودي على الحكم العثماني فى ولاية طرابلس الغرب 1835-1858 ، الطبعة الثانية ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس – ليبيا، 195م.

(2) رفعت عبد العزيز . مرجع سابق ، ص:216.

(3) مذكرات عبد الرحمن عزام ، مرجع سابق ، الحلقة رقم 16.

وكان البلاغ الثانى الذى أذاعه مجلس الجمهورية: هو بلاغ محلى موجه إلى الضباط الوطنيين. لكى يقدموا الطاعة للحكومة الجديدة. والقيام بما تعرضه عليهم من الخدمات العامة والدفاع عن شرف الوطن . ثم عكف المجتمعون وأصدروا قرارات من بينها تعيين مدير للأمن وقائد عام للجيش الجمهورى هو اللواء (الفخرى) "عبدالقادر الغنأي" وهو ضابط تركى من أصل ليبى. والذى كان تعيينه مجاملة دينية؛ لأنه مرسل من الدولة العثمانية : إذ أن تصرفاته تدل على عدم حماسه لحرب الإيطاليين وأنه يميل إلى المسالمة معهم والتى وصلت إلى حد الخيانة كما سيرد شرحه، وقد كان قد صرح فى مؤتمر مسلاتة بأن سياسة الملاينة مع إيطاليا هى آنسب سياسة، حينما كان يدار النقاش حول فكرة إقامة جمهورية من أجل مداومة الحرب ضد إيطاليا، كما حاول أن يقلل من شأن إقامة جمهورية بقوله: " إن هذا النوع من الأنظمة متعذر فى بلد لم يبلغ أهله من التقدم درجة يستطيعون عندها أن يفهموا ماكانت تنطوى عليه الجمهورية من معان دقيقة[1]، كما صرح الغنأي بأن إيطاليا لن تتقبل الجمهورية وأن إعلانها سوف يقف حجر عثرة فى سبيل التفاهم مع إيطاليا" . ويشتم رأي من الدكتور "محمد فؤاد شكري" أن "عبدالقادر الغنأي" مرسل من الأستانة للترويج لعملية التصالح مع إيطاليا خصوصًا بعد هزيمة تركيا ، وأنه فى كل تصرفاته كان يعمل من أجل ذلك[2].

وكان البلاغ الثالث: الذى أصدرته الجمهورية الطرابلسية موجهًا إلى رئيس الحكومة الإيطالية بواسطة القيادة الإيطالية الموجودة فى الخمس، ويتضمن هذا البلاغ طلب الاعتراف بالجمهورية الطرابلسية من طرف الطليان ، وجاء فى ملحق هذا البلاغ دعوة الحكومة الإيطالية إلى عقد هدنة تجرى خلالها مفاوضات للصلح إذا سبق ذلك اعتراف بالجمهورية.

أما النقطة الثانية: فى الملحق الذى يحتوى على عشر نقاط، فكانت تفيد بأن الجمهورية الطرابلسية هى جمهورية مستقلة ولن تقبل أي إتفاق يعقد فى غيابها بين إيطاليا وأي دولة أخرى فى أمر يخص ليبيا . كما نصت مادة أخرى على مسئولية الجانب الإيطالي فى ايصال ما ترسله الحكومة الجديدة من خطابات لسفراء الدول الأجنبية بطرابلس (التى تقع تحت السيطرة الإيطالية) ودون أن تفتحه للاطلاع عليه، وتهدد الجمهورية بأنها سوف تلجأ إلى أسلوب آخر لو وجدت غير ذلك. وتتعرض النقاط الأخرى بملحق البلاغ لمسائل أخرى من بينها : القواعد التى يمكن أن تدور حولها المفاوضات وتحديد مكان التفاوض وضرورة الابتعاد عن الشواطئ الطرابلسية بالنسبة للأسطول الإيطالي واعتبار الضباط الأتراك والألمان

---

(1) من أقوال الحاج عبد السلام الصغير المريض . شريط رقم 40/6 . المكتبة السمعية بمركز الجهاد . طرابلس.

(2) محمد فؤاد شكري . السنوسية دين ودولة . مرجع سابق . ص: 182.

والنمساويين الموجودين فى طرابلس هم بمثابة ضيوف لدى الجمهورية لحين الاتفاق على ترحيلهم إلى دولهم .

كما أرسلت عدة رسائل أخرى لكل من بريطانيا، وفرنسا، وللرئيس ويلسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، يطلبون فيها الاعتراف بالجمهورية[1].

ونظرًا لظروف المقاومة وأهمية العمل على عدم توقفها . فقد قرر الزعماء توزيع أنفسهم على مناطقهم فيكون كل زعيم بمثابة حاكم مقيم لمنطقته ومسئول عنها: فتوجه سليمان البارونى إلى الزاوية . وأحمد المريض إلى ترهونة، وعبدالنبى بالخير إلى بنى وليد، وأما رمضان فقد أقام فى مسلاتة نظرًا لقربها من مركز الجمهورية فى العزيزية، وأيضًا لاتبعد عن الحد الفاصل بينه وبين الإيطاليين فى الخمس؛ وذلك ليتمكن من مراقبتهم ورصد تحركاتهم .

ولقد كان رد الإيطاليين على بلاغ إعلان الجمهورية الطرابلسية بالرفض إذ أسرعت القيادة الإيطالية فى الخمس بالرد دون الرجوع إلى حكومتها فى روما،فأعلنت رفضها القاطع الاعتراف بالجمهورية الطرابلسية وهددت بالحرب، انطلاقًا من كون العنصر الليبي لم يكن معها على مائدة المفاوضات لتسلم البلاد الليبية من الأتراك للإيطاليين وأعقبوا ردهم المتعجرف والمتعالى بتحليق طائراتهم على الزاوية الغربية . وغيرها من المناطق المجاورة وأسقطت المنشورات التى تهدد الأهالي بالفناء إن هم انقادوا لزعماء الجمهورية، ولكن زعماءهم كانوا قد لحقوا بهم يعيشون بينهم، كل زعيم بين عشيرته كما سبق وأوضحنا فقوّوا من عزائمهم ورفعوا من معنوياتهم ودفعوهم إلى الثبات فى وجه إيطاليا مفسرين بذلك أثرهذه المنشورات[2] وكانت الحرب الأوربية قد وضعت أوزارها مع موعد إعلان الجمهورية الطرابلسية، وعلم الحزب الاشتراكى بالنبأ، وكان رد الفعل بالنسبة للاشتراكيين مخالفًا لرأي الحكومة نظرًا لحالة الاضطراب الذى يجتاح إيطاليا فى أعقاب الحرب التى أنهكتها، وأثقلت كاهل الشعب الإيطالي بالضرائب ، وطلب الاشتراكيون من الحكومة وقف سياسة العنف التى تنتج عنها إراقة الدماء ، واستنزاف خيرات إيطاليا.

وكانت الحكومة الإيطالية قد أرسلت بعض التعزيزات إلى طرابلس بالفعل وبدأت تدخل مع المجاهدين فى معارك محدودة ، وتناور فى نفس الوقت مع الزعماء الطرابلسيين وتظهر رضوخها مع الحزب الإشتراكى وتوافق على التفاوض فانتهزت فرصة وصول " أكرم بك " ابن رجب باشا" الذى كان والده واليًا على طرابلس إلى الجمهورية الطرابلسية بصفته مندوبًا للدولة العثمانية ويحمل أوامرها التى تدعو كل من ينتسب للدولة العثمانية بتسليم نفسه إلى

---

(1) الطاهر الزاوي ، المرجع السابق ، ص: 324 – 382.

(2) محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، مرجع سابق ، 180.

الإيطاليين لترحيلهم إلى تركيا، وينصح المواطنين بإيقاف المقاومة التى لم تعد لها جدوى[1]، وكان " آكرم بك " إزاء ما شاهده من تصميم لدى زعماء البلاد وما عرفه عنهم من إعلان الجمهورية والإعداد للحرب ومداومة القتال أصبح يتعلل بالقول :" أن الأوامر التى يحملها كتبت تحت ضغط الحلفاء كلما تكلم عن الانسحاب إلى الأستانة .

ولقد قرر الأمير عثمان وقتها آن ينفذ آمر دولته الذى كان قد آخره وسار ناحية الغرب عن طريق الجبل لتسليم نفسه إلى السلطات الفرنسية فى تونس ، وكان يرافقه عدد من الأتراك وكان معه ياوره ، وأركان حربه . وقام زعماء الجمهورية الأربعة بتوديعهم ، ونشرت هذه الأخبار بجريدة الرجل الحر: " لسان حال الجمهورية الطرابلسية "[2].

وتم ذلك فى الوقت الذى رفض فيه بعض الضباط الأتراك مغادرة "طرابلس" مثل "عبدالله تمسكت "الذى قرر البقاء فى ليبيا إلى أن يتركها مضطرًا أو يموت مع العرب مدافعًا عن حريتهم .

وكان "آكرم بك" السابق ذكره قد نقل رغبة الإيطاليين فى الصلح إلى الزعماء الليبيين الذين رفضوا هذا العرض؛ لعلمهم بأن الإيطاليين غير جادين فيه وأنهم يراوغون حتى يتمكنوا من معاودة القتال، واضطرت الحكومة الإيطالية عن طريق " تارديتى " مدير المكتب السياسى الإيطالي أن ترسل خطابًا إلى أعضاء مجلس إدارة الجمهورية تظهر فيه بطريقة رسمية ميل الإيطاليين للتفاوض، وأن إيطاليا تطلب ذلك وهى لاتزال ذات جيش ضخم وامكانيات حربية ومالية واقتصادية عظيمة ، ولكن رد الليبيين اتسم بالقوة وإظهار الاستعداد للحرب وعدم الخوف من التهديد فقال:" مع ترحيبنا بإجراءات الصلح فينبغى أن يكون هذا الصلح كافلاً للشعب حقوقه المشروعة فى حريته.. وأمنه واستقلاله، وأن الليبيين سوف لن يرضخوا للتهديد أو الوعيد بالقوة إذا لم يستجب لمطالب الجمهورية "[3].

والحقيقة التى يجب أن تقال هنا : إن الإيطاليين لم يلجأوا إلى طلب التفاوض إلا بعد أن بذلوا محاولات فاشلة على المستويين العسكرى والسياسى، فلقد شنت القوات العسكرية الإيطالية هجمات فاشلة على معسكرات الجهاد فى المنطقة الغربية. ودارت هناك معارك شهيرة مثل: بئر ترينة و"الرأس الأحمر" وذلك أوائل عام 1919 حيث قامت بقصف المواقع قصفًا شديدًا ومستمرًا ثم قامت بزحف كبير ، ولكن قوات المجاهدين تمكنت من الصمود.

---

(1) آمين سعيد . مرجع سابق . ص: 337.

(2) الطاهر الزاوي . مرجع سابق. ص: 240 -243.

(3) المرجع نفسه . ونفس الصفحة.

الخيانة ودورها فى هذا الهجوم:

وكان "عبدالقادر الغناي" قائد عام جيش الجمهورية قد تحاور مع الإيطاليين تحت بند سياسة الملاينة التى يؤمن بها - والتى سبق الكلام عنها - وتمكنت إيطاليا بالمناورات السياسية حول شخص" الغناي" أن تجعله ينقاد لهم، ويقوم بعمل الصلح منفردًا معهم فى المنطقة الغربية وبشكل يخالف قرارات مجلس الجمهورية التى تنص على عدم تخويل أحد من الزعماء عقد صلح بمفرده أو يصدر قرار يخص البلاد.

وكان قد تم التوقيع على هذا الصلح يوم 24 من ديسمبر 1918 مما تسبب فى إيقاع الفوضى بين صفوف المجاهدين: بسبب سحب غالبية الجنود والضباط من مواقعهم على خط النار فى الزاوية، وانضمام الغناي إلى صفوف الايطاليين[1].

وعلى إثر وصول هذه الأنباء إلى أعضاء مجلس إدارة الجمهورية: تحرك البارونى بسرعة واتصل ببقية الزعماء ليمدوه بالرجال والسلاح. وكان أول من وصل إليه بقواته "أحمد المريض على الفور . كما تسلم البارونى رسالة من رمضان السويحلى تفيد أن "الجبخانة والنقود فى الطريق إليه مع "عبد النبى بالخير " وأنه يقوم بجمع القوة مالاً ورجالاً وسوف يوجهها إليه بالسرعة الممكنة، ويبدى استعداده لأية تضحية كما كان دائمًا[2].

ووصل السويحلى بالفعل إلى العزيزية: فتكامل بذلك وجود أعضاء مجلس الجمهورية إلى جانب بقية الضباط وقادة الجهاد فأعطوا الجبهة المنهارة تماسكًا وقوة، وصدرقرار بتكليف الضابط "عمر رضا المدفعى" بقيادة الجيش الذى كان قد انسحب من جنزور بعد نبأ تسليم الزاوية للإيطاليين.

وقد أدرك ساسة إيطاليا أنهم كانوا واهمين فى تقدير قوة المجاهدين بعد أن قاموا بجس نبض قوتهم ، وبناء عليه اضطر الإيطاليون إلى الإذعان لطلب عقد الصلح مع العرب بعد أن فشلت القوات الإيطالية فى القضاء على جزء هام من قوات الجمهورية عن طريق الخيانة ، ولقد شرح" عبدالرحمن عزام " تفاصيل المقاومة العنيفة للمجاهدين، والتى أشاد فيها بأمثال الضابط المصرى الشجاع "إبراهيم عوض" والمجاهد الليبي " عبدالعاطى الجرم " والضابط السنوسى العسيلى " ويقول :" عزام " عن المجاهدين الليبيين الذين صمدوا أمام قذف الطائرات الإيطالية فى غاراتها على معسكرات العزيزية : " استمر المجاهدون العرب فى صمودهم يملأ قلوبهم الإيمان ويسعون إلى إحدى الحسنيين ، إما النصر وطرد الباغى من أرضهم، وإما الشهادة فى سبيل الوطن "[3].

---

(1) زعيمة الباروني ، صفحات خالدة من الجهاد الليبي ، م. الفرجاني ، طرابلس ، 1964، ص: 316.
الشيخ محمود المسلاتي شريط رقم(47/2) المكتبة السمعية ، مركز الجهاد الليبي ، طرابلس.

(2) زعيمة الباروني ، نفس المصدر السابق ، ص: 316 ، 317.

(3) عبدالرحمن عزام مذكرات مجلة المصور المصرية 1950.

مفاوضات خلة الزيتونة (سواني بني آدم) 1919م

تشاور أعضاء مجلس الجمهورية فيما بينهم واستقر رأيهم على انتخاب هيئة للتفاوض مع الايطاليين نيابة عنهم. ولايجوز لها عقد آي إتفاق إلا بعد الرجوع إلى المجلس، وتتكون هيئة المفاوضين من[1]:

1- أحمد المريض 2- الهادى كعبار .

3- الصويعى الخيتونى 4- محمد فكينى .

5- على بن تنتوش

وبدأت المفاوضات فى خلة الزيتونة فى مارس 1919 ولكنها انقطعت بعد شهر دون إمكان الوصول إلى وضع شروط للصلح؛ بسبب تعنت إيطاليا لحقوق العرب فى الحرية والاستقلال . وكل ما لوحوا به هو السماح للعرب بالاشتراك فى وظائف الإدارة ومنح الوعود بنشر التعليم والعمران ورد الأملاك المصادرة إلى أصحابها والعفو العام ، وكان رد مجلس الجمهورية على مسألة العفو العام على النحو التالي:

"إن العفو العام ليس ثمنا للضحايا والدماء التى أريقت فى سبيل الحرية، وهو لا يعوض العرب عن اغتصاب أوطانهم ، وإننا وإن كنا ننتظر أن يدفع الإيطاليون ثمن العفو عنهم ، لأنهم أتوا إلى البلاد فخربوها ودمروها وظلموا أهلها ، فإنه لاقيمة للتلويح بالعفو فى نظر قوم تعاهدوا على التضحية فى سبيل حريتهم، فإننا نريد السلم ونبغض سفك الدماء ولكن : "إذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانًا" . وكان هذا الرد قد وجه فى خطاب إلى الحكومة الإيطالية، وأن كلماته تؤكد عظمة صمود هذه الجمهورية أمام مناورات العدو.

وحسبت إيطاليا أن التلويح بالقوة سوف يلين الجانب العربى فاستغل الإيطاليون فرصة الجولة الأولى من المباحثات ، وبدأوا يحركون قواتهم فى بعض النواحى مع المجاهدين وكانت النتيجة أنهم اضطروا إلى طلب معاودة المباحثات[2].

ويحق بنا هنا أن نقيم الموقف بالنسبة للعرب ونتساءل . هل كانت لدى العرب الليبيين القوة التى تمكنهم من صد هجوم الإيطاليين بعد أن فرغت إيطاليا من الحروب فى أوربا وبدأت ترسل التعزيزات إلى طرابلس؟

والإجابة فى رأينا بالإيجاب لسبب بسيط وهو: إن العتاد العسكرى كان متوفرًا لديهم مما حصلوه من المعارك التى انتصروا فيها فى أعقاب الثورة المسلحة التى انطلقت من القبلة والجنوب ووصلت حتى القرضابية ، بالإضافة إلى ما تركه الأتراك من عتاد عسكرى والذى

(1) الطاهر الزاوي ، مصدر سابق ، ص: 349.

(2) محمد فؤاد شكري ، مرجع سابق ، ص: 195.

كانت تأتى به الغواصات الألمانية، ولكى يكون تقييمنا موضوعيًا . فإنه من الواجب ذكر أحد السلبيات التى تؤثر على الموقف الليبي، وهى أنه على الساحة العالمية لم تعترف بالجمهورية الطرابلسية أي دولة من الدول الأوربية. هذه واحدة. والثانية هى: أن المنطقة الشرقية. قد استسلمت بعد هزيمة السنوسيين أمام الإنجليز فى الصحراء المصرية ودخول إدريس فى صلح معهم ومع الإيطاليين (صلح عكرمة) والثالثة: أن جارتي ليبيا من الشرق والغرب (مصر وتونس) كانتا محتلتين وليس هناك إمكانية مشاركتهما فى مقاومة الإيطاليين.

ورغم هذا فإن شجاعة الليبيين وصمودهم قد ألجأت الإيطاليين لطلب الصلح تهدئة للموقف السياسى: لحين الانتهاء تمامًا من تصفية حسابات الحرب العالمية الأولى مع الدول الحلفاء والدول المحاربة لها . ويعترف "جراتسيانى" بالمعارك التى أشعلها الجانب الإيطالي للضغط على الليبيين أثناء المفاوضات حتى يقبلوا شروطهم :' وفى يوم 17 مارس صدر الأمر بالقيام بعمليات الزحف على " سوانى بن آدم " التى تكررت عدة مرات، ثم أوقفت بسبب المفاوضات التى كان المكتب السياسى يقوم بها مع زعماء الثورة للوصول إلى صلح سلمى [1].

إيطاليا تسعى للتفاوض والصلح مع حكومة الجمهورية الطرابلسية:

كان الوفد الإيطالي قد طمع فى تنازلات أكثر بعد تلقيه عرض الجمهورية بتكوين إمارة يرأسها أمير مسلم خاضعة للنفوذ الإيطالي . فعاد الوفد الليبي للمطالبة بالاعتراف بالجمهورية . ولقد فعل ذلك إزاء تعنت الجانب الإيطالي، وكان[2] الجانب العربى يرى فى هذا الحل عدم تعريض هيبة الدولة الإيطالية للامتهان وإن كان هذا فى الواقع يعنى الانسحاب من جانب الطرفين ، وفى يوم 17 أبريل 1919 ، التأمت المفاوضات مرة ثانية فى منطقة "سوانى بن آدم " غرب طرابلس ، بحوالي 17 كلم .

ولم تطل المفاوضات فى هذه الجولة ، فلقد تم الاتفاق فى يوم 21 أبريل 1919 على الصلح، وكان هذا يعتبر انتصارًا كبيرًا للمجاهدين ، وثمنًا غاليًا لجهاد طويل استمر سبع سنوات متواصلة، وأجبر العدو الإيطالي على أن يصدر ما سمي "بالقانون الأساسى لطرابلس" أو الدستور الطرابلسى ، والذى أعطى حقوقًا سياسية وحريات دينية، وحكم عن طريق مجلس نيابى وحكومة يطلق عليها طرابلس الغرب ، ولم يحدد القانون الأساسى جنسية الحاكم الذى يرأس هذه الحكومة، وشعر المواطن الليبي أنه لايقل عن الإيطالي من ناحية

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 41.

(2) زعيمة الباروني ، المصدر السابق ، ص: 325.

– وأيضًا محمد فؤاد شكري ، ص: 243.

المساواة أمام هذا القانون[1].

وقام مجلس رئاسة الجمهورية الأربعة بالتوقيع على صيغة القانون الأساسى الطرابلسى والذى اشتملت مواده على مايزيد عن أربعين فصلاً فى غرة شهر يونيو 1919 . ووقع عليه من الجانب الإيطالي رئيس الدائرة العسكرية الجنرال " تارديتى ورئيس هيئة الأركان "باسكانوا كما تم التصديق النهائى عليه من قبل ملك إيطاليا .

وتشكلت وفقًا للقانون الخاص بطرابلس حكومة عرفت باسم "حكومة القطر الطرابلسى" مكونة من عشرة أعضاء: ثمانية من العرب، واثنان من الإيطاليين. وتم حل مجلس رئاسة الجمهورية بموجب هذا التشكيل الجديد آملاً فى تحقيق مكاسب جديدة عن طريق الحكومة التى حلت مكان الجمهورية التى اعتقد أنها قد أدت الغرض الذى أنشئت من أجله: وهو تنظيم مقاومة العدو الإيطالي وبعد آن نظمت آمور الجهاد ، جلس المفاوض الليبي على مائدة المفاوضات يعرض مطالب شعبه انطلاقًا من العمليات العسكرية البطولية التى أدارتها قيادة الجمهورية وقد وصف "جراتسيانى" هذا الإتفاق بأنه حل سياسى مشين للإيطاليين بصفتهم شعبًا كبيرًا خرج من الحرب العالمية منتصرًا[2].

ثم يتحسر "جراتسيانى" على ما كان من الممكن أن تقوم به قواتهم قبل إبرامهم هذا الإتفاق. ويقول: "بينما كانت القيادات والجيوش فى ليلة 17 من آبريل مستعدة للزحف إلى الأمام للحصول على الانتصار العسكرى المأمول والذى كانوا يتلهفون عليه، وكان شأنه الانتقام لكل الهوان والإذلال الذى تحملوه من 1915 وما بعدها . آذيع خبر الصلح المعقود مع الثوار . وتوقفت الأعمال الحربية نتيجة لذلك " ويستطرد : "…. ويتلاشى نهائيًا كل ظل لسيادتنا الفعلية على طرابلس الغرب، وآصبح السبيل ممهدًا للطمات جديدة شديدة تتلقاها . وذلك بفضل سياسة التنازلات التى كانت على غرار تلك السياسة التى اتبعت فى إيطاليا 1919 ، فقد كان ذلك الصلح من جانبنا تسليمًا حقيقيًا"[3].

نتائج الصلح مع الإيطاليين فى القطر الطرابلسي:

بعد عقد "صلح بنى آدم" بين الجمهورية الطرابلسية والإيطاليين، وأعلن القانون الأساسى (الدستور) فى 9 يونيو 1919 ونال الأهالي فى طرابلس حقوقًا لم يكونوا ينعمون بها من قبل (منذ بدء الإحتلال الإيطالي فى ليبيا) تم الإتفاق على إنشاء مراكز اتصال أعلن عنها فى كل مكان : فى "الزاوية الغربية"، وفى (العزيزية، وجنزور - ومصراتة، وسرت. وترهونة، وغريان .

---

(1) محمد سعيد فشيكة . مرجع سابق . وبه القانون الأساسي الطرابلس الخاص ببرقة . ص: 207.
(2) جراتسياني . مرجع سابق . ص: 43.
(3) جراتسياني . نفس المرجع السابق . ص: 45.

والريانية، وتالوت، وبنى وليد)، وتقرر عدم دخول الإيطاليين هذه المراكز، ويكتفى بممثل لهم برتبة ضابط يقوم بمهمة الاتصال بين العرب وحكومة الولاية ومعه بعض الجنود لحراسته. كما قرر الجانبان تبادل الأسرى، وكان من بين الأسرى العرب لدى الإيطاليين إخوة رمضان السويحلى، أحمد ومحمد وسعدون وكذلك "التهامى قليصة "وغيرهم كما أطلق " رمضان" الأسرى الإيطاليين الذين كانوا لديه . كما كان من بين مزايا القانون الأساسى حق العرب فى تجنيد عدد من الوطنيين للخدمة العسكرية، ودخول الزعماء الليبيين لطرابلس وبمناسبة ما جاء فى القانون الأساسى لطرابلس عن قيام حكومة وطنية يكون مقرها مدينة طرابلس، اجتمع رأي الزعماء على دخول طابور من الثوار يضم 1500 فارس من المجاهدين الممتطين جميعهم خيولهم العربية الأصيلة، وفى مقدمتهم رمضان السويحلى والزعماء الآخرون . وكان رمضان وهو ممتطيًا جواده يخشى غدر أعدائه الإيطاليين؛ ولذلك فإنه لم يشارك فى هذا العرض إلا بعد أن أخذ الإيطاليون يضغطون عليه: وهم يرددون أمام الجميع أنه لابد من الإحتفال بتعيين أعضاء الحكومة الوطنية الجديدة وأنه لابد من حضور جميع الأعضاء الموقعين على الدستور وكان بالطبع رمضان من بينهم[1].

ويصف كل من "الشيخ الطاهر الزاوى و"محمد مسعود فشيكة هذا اليوم بأنه كان يوم الفرحة الكبرى فى تاريخ طرابلس الجهادى طوال أيام الاحتلال الإيطالي، حيث يظهر جمهور الطرابلسيين فى أبهى حللهم ، فى الوقت الذى غصت فيه شرفات المنازل وأسطح نوافذها بالنسوة والفتيات العربيات وهن يزغردن ويهتفن:

(ينصر جيش الجمهورية   اللى خلى الطليان رعية)

ولقد استقبل الوالى الإيطالي الجنرال " تارديتى" بمكتبه بالسراي الحمراء الزعماء الطرابلسيين الذين كان يقدمهم له "رمضان السويحلى" ثم اجتمع بهم، وفى أعقاب الاجتماع صدر بلاغ من مكتب الوالى الإيطالي تضمن أسماء الأعضاء الثمانية المعينين من بين قادة طرابلس الوطنيين بناء على ما ورد بالقانون الأساسى لطرابلس (الدستور)، وذكر أنه قد حصل الإتفاق بين الطرفين على تشكيل الحكومة الوطنية، وتم تذييل البلاغ بالآتى :" إن الذوات الآتى أسماؤهم قد صار تعيينهم أعضاء لمجلس حكومة القطر الطرابلسى وهم: عمر بك أبو دبوس وأحمد بك الشتيوى، وعلى بك الشنطة، وأحمد بك الفساطوى، ومحمد بك الصويعى والحاج محمد فكينى، ومختار بك كعبار، ومحمد بك بن الفقيه حسن "ثم ذكر" وسيتم تعيين مخصصاتهم بأمر آخر ' وتحرر فى طر[illegible] [illegible]ستمبر عام 1919 والتوقيع الوالى "تارديتى "[2].

---

(1) آمين سعيد ، مرجع سابق ، ص: 387 . 2- الطاهر [illegible] 379.
- وأيضًا : محمد مسعود فشيكة ، مرجع سابق ، ص: 211.
(2) محمد فؤاد شكري ، مرجع سابق ، ص: 249.

الخداع الايطالي:

ولم يكن هذا البلاغ سوى حبر على ورق، وتبين أنه كان خداعًا للوطنيين يظهر أن إيطاليا ترغب فى منح الحكم الذاتى للوطنيين بطرابلس، ويظهر ميل الإيطاليين إلى عقد اتفاق معهم ينهى حالة الخلاف، ويعيد السيوف إلى أغمادها بنفس الأسلوب الذى تم به الاتفاق مع برقة ومنحت فيه "قانون أساسى" كطرابلس .

ولقد ثبت أيضًا أن هذا الاتفاق مع الوطنيين كان يقصد به خداع الحزب الإشتراكى بروما والذى يعارض السياسة الاستعمارية للحكومة الإيطالية ، وحتى يمكن للحكومة أن تحصل على الموافقة على الاعتمادات الكبيرة المطلوبة لولاية طرابلس، والتى قيل أنها من أجل إضفاء السلام على الولاية ، وإصلاح ما أفقدته الحروب وتعمير الأراضى وإقامة المبانى . بينما كان الهدف الحقيقى هو الدعم العسكرى للولاية لإعادة إحتلال طرابلس والذى أطلق عليه الإيطاليون اسم الاسترداد Reconquista.[1]

وكان الزعماء الطرابلسيون قد طلبوا أن تكون إقامتهم بطرابلس واتخذ "الهادى كعبار" بالفعل مكتبا له فى القلعة ، كما ظل سليمان البارونى وأحمد المريض وعبدى النبى بالخير فى طرابلس ، بينما رفض "رمضان السويحلى" البقاء فى طرابلس وخرج وبصحبته رجاله المسلحون النظاميون والضابط المغامر الشهير "عبدالله تمسكت" ونصب خيامه فى "سوانى المشاشطة" التى تقع قرب جنزور (من ضواحى طرابلس ناحية الغرب) كما اتخذ "رمضان السويحلى" مركز قيادته فى نفس الموقع ، ويقال: إنه كان يخفى أكياس الذخيرة وسط أكياس علف الخيول.

وبدأت المؤامرات الإيطالية حول معسكر رمضان محاولة إغرائه بضم جيشه إلى جيش الإيطاليين بطرابلس زاعمين أن القانون الأساسى قد وحد بين الجانبين العربى والإيطالي فى كل الأمور ، وهدفهم من ذلك أن ينفض عن "رمضان " كل من حوله من الناس أو المجاهدين حتى يمكن القبض عليه وقت الضرورة أو فى الوقت المناسب لمحاسبته عن خيانته لهم يوم " القرضابية " وحينما لاحت لرمضان خيوط المؤامرة أخذ يحذر رجاله من العاقبة السيئة للانقياد للإيطاليين والاستماع لدعاياتهم المغرضة[2].

وإزاء ذلك " قرر رمضان " مغادرة الموقع والانتقال إلى "مسلاتة" حيث يتوفر الأمان فى منطقته وبين أهله، وبعيدًا عن تواجد الإيطاليين وأخذ يغرى رجال المعسكر بأن من يصحبه إلى

---

(1) لوثروب ستودارد وشكيب أرسلان . المرجع السابق ، م2 ، ج4 ، ص: 378.
- الطاهر الزاوي . المرجع السابق ، ص: 387.
(2) الطاهر الزاوي . المرجع السابق . ص: 387.

مسلاتة سوف يكون رمضان مسئولاً عن تموينه وملابسه وذخيرته وسلاحه . واقتنع أناس كثيرون بذلك وتركوا الموقع وانصرفوا بعيداً عن قيادة الإيطاليين بطرابلس فذهب فريق منهم مع " رمضان " وفريق آخر مع عبدالله تمسكت" الذى جعل معسكره فى " غريان " وفريق آخر رحل إلى ترهونة حيث زعمائهم هناك.

وكان رمضان يقوم بالاتصال بالزعماء الآخرين فى مناطقهم: لكى ينبههم إلى مؤامرات الإيطاليين ويحذرهم من غدرهم، ومن أمثلة ذلك: اتصاله "بخليفة بن عسكر" فى الجبل الغربى. وعندما علم منه بقيام الإيطاليين باعتقال بعض رجال الجبل الغربى. قام رمضان باعتقال الإيطاليين الموجودين بمحطة اللاسلكى فى مصراتة، واستولى على ما معهم من سلاح وذخيرة.

ولم تمض أيام قليلة على حفل تنصيب الزعماء الطرابلسيين كأعضاء للحكومة الوطنية الجديدة، حتى بدأت بوادر تشير إلى عزم الإيطاليين على نقض الإتفاق الذى وردت نصوصه بالقانون الأساسى. وكانت الدلائل تشير إلى ذلك . وتمثلت فى التصرفات الآتية :

1- التسويف فى الاستجابة لمطلب القادة الطرابلسيين بتخصيص مقر للحكومة الجديدة، ومقر آخر للمجلس النيابى الذى نص على إنشائه فى القانون الأساسى لطرابلس وبرقة.

2- إصرار الوالى الإيطالي على ألا تأخذ توصيات أعضاء مجلس النواب والذي لم يتم في الواقع تشكيله في طرابلس شكل قرارات، بل تظل مجرد آراء إستشارية مخالفًا بذلك المادة (15 من القانون الاساسى)، والأدهى من ذلك أنه حينما استقال أربعة من النواب احتجاجًا على عدم تنفيذ هذه المادة، قبلت استقالتهم ببساطة شديدة . كما أقال الإيطاليون فى نفس الوقت أربعة من أعضاء مجلس الحكومة الطرابلسية آخرين. رغم أنهم وافقوا على آن تظل التوصيات استشارية ورغم أنهم لم يقدموا استقالات.

وكان الزعماء قبل آن يغادر رمضان طرابلس إلى مسلاتة قد عقدوا اجتماعًا وشكلوا حزبًا أطلق عليه " حزب الإصلاح الوطنى " وكانت الأهداف التى نص عليها تشكيل الحزب فى 30سبتمبر 1919 هى :

1- الدفاع عن المكاسب الوطنية التى نص عليها القانون الأساسى والعمل على إيقاظ وعى الجماهير السياسى .

2- خلق قاعدة شعبي[illegible] [illegible]عمل على استمرار الثورة وتكون نواة لحزب وطنى سياسى يدافع عن القضية الوطنيه سي[illegible] [illegible] عل[illegible] بناء اقتصادها، وعلى نشر التعليم فيها. هذا وقد أسندت الرئاسة الفعلية لهذا الحزب إلى "أحمد المريض" والرئاسة

الشرفية إلى "رمضان السويحلي"[1] .

ولقد أصدر حزب الإصلاح جريدة تكون لسان حال الحزب الجديد، وسميت جريدة " اللواء الطرابلسي " وأشرف على تحريرها أحد أعيان المدينة هو "عثمان القيزانى" ولقد أحدثت اللواء الطرابلسى حركة ثقافية واسعة ، كما أحدثت ردودًا سياسية ذات آثار بليغة والتفّ الناس حولها لدرجة أن الإيطاليين تورطوا فى القبض على رئيس تحريرها " عثمان القيزانى "[2] وفى أعقاب ذلك كتب "أحمد المريض" بصفته رئيس الحزب الذى يصدر هذه الجريدة إلى المتصرف الإيطالي يطلب الإفراج عن رئيس تحرير جريدة اللواء الطرابلسى[3] .

ولقد تم العثور على تقرير عن الأثر الذى أحدثته هذه الجريدة فى كسب الرأي العام الإيطالي إلى جانب قضية الليبيين، وحقهم فى مقاومة العدو الجاثم على أرضهم ، وفى إقامة الحجة على الحكومة الإيطالية فى عدم تطبيقها للقانون الأساسى، ومنتقدة تصرفاتها مع عبدالرحمن عزام ووقفتها من المستنيرين من حزب "الإصلاح الوطنى" وجريدته، كما يتضح من التقرير الذى وقع عليه وكتبه " عثمان القيزانى " نفسه أن مقالات الجريدة كانت تترجم إلى الإيطالية وتنشر إلى جانب النص العربى، ويذكر التقرير أن الهدف من صدور الجريدة باللغتين هو تقوية العلائق بين الشعبين الإيطالي والعربى[4]. وهذا النشاط بالطبع يندرج تحت بند الكفاح السياسي.

مؤتمر غريان (نوفمبر 1920) ومشاكل حكومة هيئة الإصلاح المركزية:

بعد أن انتظر الطرابلسيون أن تفى الحكومة الإيطالية بما منحته من حقوق سياسية وردت "بالقانون الأساسى " الذى أصدرته لصالح كل من طرابلس وبرقة - دون جدوى - ولما تأكد لهم خداع الإيطاليين ومحاولاتهم استخدام أساليب دنيئة لبذر بذور الفتنة بين الزعماء ومحاولات شراء النفوس الضعيفة بالمال والذهب والسلاح؛ للعمل على إيقاد نار الحرب بين القبائل المختلفة ، كالفتنة التى أحدثوها بالجبل الغربى بين العرب والبربر والحرب بين ورفلة ومصراتة ، لما تأكد ذلك بادر عقلاء الناس بعقد مؤتمر عام دعوا إليه فى غريان بعد أن كاد الإيطاليون أن يحققوا أهدافهم فى إفساد جبهة الوطنيين[5] .

ولقد ضم هذا المؤتمر نخبة من زعماء الوطن تبادلوا فيه الرأي حول كيفية إنقاذ البلاد من

---

(1) توجد صور لمكاتب كثيرة بتوقيع أحمد المريض ، ورمضان السويحلي، ضمن رسائل الحزب، ووثائقه الموجودة بملف أحمد المريض بمركز بحوث الجهاد الليبي، قسم الوثائق العربية.

(2) وثيقة رقم (16) ملف أحمد المريض ، مركز بحوث الجهاد الليبي ، قسم الوثائق العربية.

(3) وثيقة رقم (36) ملف أحمد المريض، مركز بحوث الجهاد الليبي ، قسم الوثائق العربية.

(4) وثيقة رقم (19) ملف أحمد المريض ، مركز بحوث الجهاد الليبي ، قسم الوثائق العربية.

(5) شكيب أرسلان ، مرجع سابق ، ص: 378.

الفتنة والفوضى والحروب الداخلية . وبعد مداولات استمرت خمسة عشر يوما. أصدروا البيان التالي: إن الحالة التى آلت إليها البلاد لايمكن أن تتحسن إلا بإقامة حكومة قادرة ومؤسسة على ما يحتمه الشرع الإسلامى من الأصول تحت زعامة رجل مسلم منتخب من الأمةلايعزل إلا بحجة شرعية وإقرار مجلس نواب ، تكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكملها بموجب دستور تقرّه الأمة بواسطة نوابها ، وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة[1].

كما انتخب المؤتمر حكومة وطنية أطلق عليها اسم " هيئة الإصلاح " وكان قد سبق عقد مؤتر غريان مؤتمر تحضيرى عقد فى العزيزية فى أكتوبر 1920، حضره أعضاء من مصراتة والزاوية وزليطن، وغيرها ولم ينفض المؤتمر إلابعد آسبوع كامل أصدر بعده القرارات التالية:

1- انتخاب وفد أوكل إليه مهمة الإصلاح بين الزنتان وخصومهم من سكان جادو ونالوت وغيرهم ، وأطلق عليه " وفد الإصلاح "

2- الشروع فى انتخاب أعضاء لمؤتمر غريان .

3- تقسيم البلاد إلى مناطق، وتحديد أعضاء كل منطقة لضمان تمثيل كل المناطق فى المؤتمر .

4- إرسال الدعوة إلى جميع من تم اختياره من جميع المناطق للاشتراك فى مؤتمر غريان أو فى وفد الإصلاح الذين تم اختيارهم.

وكان قد تم اختيار وفد الإصلاح من : الشيخ الطاهر الزاوى وعدد آخر من العلماء والمشائخ، وكان كل واحد من هؤلاء يمثل منطقته والمناطق المجاورة لها إذا لم يوجد فيها ممثل مناسب، وكان قد تم تمثيل المناطق الساحلية بأسرها بينما تعذر ذلك بالنسبة لزوارة والجبل الغربى بسبب حالة الحرب المستمرة آنذاك بين الزنتان والرجبان من جهة وزجال خليفة بن عسكر من جهة ثانية ، كما أن الوفد الذى تشكل تعذر عليه الاتصال بهما[2].

وكان أعضاء وفد الإصلاح قد قاموا بزيارة المناطق المختلفة بالجبل الغربى ووجدوا منهم استجابة للصلح ، بينما تعذر الحصول على موافقة بالصلح من الزنتان والرجبان ، وبذلك عاد الوفد دون إتمام مهمته.

قرارات مؤتمر غريان نوفمبر 1920:

بعد اختيار المؤتمر "أحمد المريض " رئيسًا له وعدد كبير معه أعضاء للمؤتمر وعبدالرحمن

---

(1) نقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص: 138.

(2) الطاهر الزاوي ، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، مرجع سابق ، ص: 418.

عزام مستشارًا سياسيًا له . اجتمع المؤتمر فى ربيع الأول من سنة 1339 هـ الموافق نوفمبر 1920 م، ودامت اجتماعاته خمسة عشر يومًا. والأعضاء يتناقشون فى مصلحة الوطن ويعملون من أجل ترسيخ الوحدة الوطنية . ويبحثون سويًا عن الأسلوب الذى يواجهون به مؤامرات العدو الإيطالي وإرغامه على تنفيذ مواد القانون الأساسى بعد أن بدأ يتراجع عن تنفيذه.

وكان قد تخلف عن حضور اجتماع المؤتمر زعيمان من الزعماء : أولهما: عبدالنبى بالخير والذى كان تخلفه بسبب انشغاله بالآثار المترتبة على الحرب بينه وبين رمضان السويحلى والتى قتل فيها رمضان . والثانى: "سليمان البارونى" الذى كان مشغولاً بالحرب القائمة بالجبل الغربى – موطنه الأصلى – علمًا بأن أحمد المريض كان قد أرسل للشيخ سليمان البارونى يعلن له تنازله له عن رئاسة المؤتمر ويطلب منه الحضور.

ومن المعروف أيضًا أن شخصية " أحمد المريض[1] كانت الشخصية التى يمكنها أن تملأ الفراغ الذى خلقه فى طرابلس "رمضان السويحلى" بعد موته. وكان من بين قرارات المؤتمر إرسال وفد إلى روما للمطالبة بتنفيذ قرارات مؤتمر غريان.

كما قام المؤتمر قبل أن ينقضى بانتخاب حكومة وطنية أطلق عليها اسم "هيئة الإصلاح المركزية" بناء على قرار من المؤتمر، وكانت الحكومة تضم اثنى عشر عضوًا من كبار الشخصيات الوطنية : من بينهم " بشير السعداوى " وعثمان القيزانى، ومحمد فكينى، ومحمد فرحات الزاوى والصويعى الخيتونى... وغيرهم"[2]. كما قرر المؤتمر توحيد الجهاد بين برقة وطرابلس، وشكّل وفد طرابلس لمؤتمر سرت لهذا الغرض .

وفد مؤتمر غريان إلى روما ونتائج مساعيه هناك:

بعد أن شكل الوفد من "محمد فرحات الزاوى" رئيسًا، ومحمد نورى السعداوى، والصادق بن الحاج وخالد القرقنى، أعضاء، أرسل المؤتمر عن طريق مستشاره كتابًا يبلغ فيه الحاكم الإيطالي (مركتيلى) قرارات المؤتمر لكى يبلغها إلى حكومته فى روما، وانقضى المؤتمر وذهب كل عضو من المؤتمر إلى منطقته؛ لكى يعلم الأهالي بقرارات المؤتمر ويباشر هناك مهام عمله الوطنى الذى أوصى به المؤتمر.

وتوجه أعضاء الوفد المكلف بالسفر إلى روما لمقابلة الحاكم الإيطالي لطرابلس ليستأذنه فى السفر إلى روما، فما كان من (ماركتيلى) إلا أن اعترض بشدة وأغلظ فى القول. وأرسل

---

(1) ضمن الوثائق المرفقة بالرسالة . تقرير مفصل عن حياة أحمد المريض.

(2) أمين سعيد . مرجع سابق . ج3 . ص : 347.

– جاك بيشون . مرجع سابق . ص: 173.

إلى روما يهدد بالاستقالة إذا هى قبلت التفاوض مع هذا الوفد. وبعد جدال طويل وأمام إصرار أعضاء الوفد رخص لهم بالسفر. وكان قد وضع فى طريقهم عراقيل شتى وكل ما يعوق دون تأدية مهمتهم حتى يتسرب اليأس إلى نفوسهم. وفى ديسمبر 1920 وصل الوفد إلى روما، وبمجرد الوصول بدأ اتصالاته برجال الحكومة الإيطالية ولكنه فشل فى الوصول إليهم. وأمام غلق الأبواب الخاصة بالمسئولين فى وجوههم ترك أعضاء الوفد العاصمة، وبدأوا يتجهون إلى المدن الأخرى ويحاولون الاتصال برؤساء الأحزاب ومحررى الصحف ، وتمكنوا بالفعل من الإعلان عن مطالبهم، ومطالب وطنهم فى بعض الصحف. كما تمكنوا بعد جهد كبير من مقابلة المسؤولين بالحزب الاشتراكى المعارض والذى عرف عنه من السابق المناداة بسياسة الملاينة ومعارضته الشدة مع الشعب الليبي . ولكن أعضاء الوفد هذه المرة صدموا حينما وجدوا الحزب الاشتراكى يتنكر لمبادئه السابقة مدعيًا أنه يخاف غضبة الشعب الإيطالي منه إن هو ساعد الوفد القادم من طرابلس بسبب أن الأسرى الإيطاليين مازالوا فى حوزة المجاهدين الليبيين، وسعى الوفد على الفور بالاتصال بالحكومة الوطنية فى طرابلس يطلب منهم إطلاق سراح الأسرى الإيطاليين كتعبير عن حسن نوايا الليبيين ، ولكن اتضح أن الوفد تسرع فى هذا التصرف ، إذ أن الاشتراكيين لم يقدروا هذه الخطوة وأخلفوا وعودهم التى قطعوها على أنفسهم. ولم يستجيبوا لأي مطلب من مطالب الوفد الموفد من قبل هيئة الإصلاح المركزية ومن مؤتمر غريان الوطنى. بل أن الوفد الوطنى قد وجد فى روما وفدًا آخر شكله الحاكم الإيطالي فى طرابلس من شخصيات غير وطنية وغير مخلصة للقضية الوطنية لكى يتكلم باسم الشعب وهم لايعبرون عنه ولاعن رغباته، وهم: "حسن باشا القرمانلى" و مصطفى بن قدارة " و"محمود عزيز " وحميدة الزمرلى " وعلى بن شعبان " . وأخذ هذا الوفد يناوئ الوفد المرسل من قبل الزعماء الوطنيين، ويصرحون علنًا أنهم لا يوافقون على القرارات التى اتخذها مؤتمر غريان فى مطالبته بالاستقلال عن إيطاليا وادعوا بأن هذا المطلب ليس مطلب الشعب، وادعوا لأنفسهم وحدهم حق التعبير عن مطالب الشعب .

ومضى وفد مؤتمر غريان الوطنى يقاوم هذا التيار الرخيص والخيانى ويطالب بحرية الوطن واستقلاله . ويعلن فى كل مكان أن الأمة لايصلح من شأنها إلا تنفيذ قرارات مؤتمر غريان الذى يمثل كل جهاد طرابلس خير تمثيل ، وأنه لايمكن الاتفاق مع الإيطاليين إلا على أساس هذه القرارات وكان الوفد المزور يعلن رفضه لكل ذلك ويعارض أمام الرأي العام الإيطالي كل ما يعلنه الوفد الوطنى .

واضطر الوفد الوطنى إزاء ذلك إلى العودة إلى طرابلس محطم النفس ، وتحرج الموقف بعد عودة الوفد. وبدأ العسكريون الإيطاليون فى طرابلس يظهرون نشاطًا معاديًا من أجل قمع

الحركة الوطنية. وبدأت حركة اعتقالات واسعة لكل من يؤيد أو ينتمى إلى حزب "الإصلاح الوطنى" وكان من بين المعتقلين كما سبق وذكرنا " عثمان القيزانى " رئيس تحرير جريدة اللواء الطرابلسي لسان حال الحزب[1].

مؤتمرسرت(يناير 1922)

قبل الإفاضة فى الكلام عن هذا المؤتمر الذى عقد تنفيذاً لقرار الوحدة بين برقة وطرابلس الذى صدر عن مؤتمر غريان، يهمنا أولاً استعراض تاريخ العلاقات بين القطرين منذ الفتنة التى كانت قد حدثت عام 1916 بين طرابلس وبرقة بسبب الخلاف الذى كان قد تفجر بين رمضان السويحلى حاكم مصراتة وصفى الدين السنوسى قائد عام جيوش السنوسيين فى منطقة سرت، وكان الخلاف قد حدث فى أعقاب معركة القرضابية بسبب الخلاف على توزيع الغنائم، وقامت بين الطرفين اشتباكات، انتهت بخروج صفى الدين بجيوشه من سرت، واحتلال رمضان السويحلى لها، وكان رمضان قد قام بإعدام " أحمد التواتى " بعد محاكمته بدعوى أنه تسبب فى الفتنة التى أدت إلى الحرب بين الطرفين، وكان "أحمد التواتى" نائبًا لصفى الدين[2].

وحين تسلم إدريس السنوسى السلطة على برقة خلفًا لابن عمه " أحمد الشريف " أرسل فرقة من السنوسيين لاحتلال سرت وطرد مندوب مصراتة منها، ولكن سليمان البارونى الذى كان قد عاد إلى طرابلس بفرمان من قبل السلطان العثمانى ليصير حاكمًا عليها ، توسط فى الأمر واستجاب له إدريس وسحب فرقته من سرت التى عادت إلى الإنضواء تحت سيطرة رمضان مرة ثانية .

ومنذ ذلك الوقت والقطيعة قائمة بين طرابلس وبرقة إلى أن قرر مؤتمر غريان فى نوفمبر 1920 توحيد العمل بين القطرين ، وشكل وفدا للتفاوض مع البرقاويين الذين شكلوا هم أيضًا وفدًا ، واتفق الوفدان على أن يلتقيا فى " سرت" .

وكان قد سبق هذا الإجراء فى الحقيقة ، أن كثيرًا من المجاهدين المخلصين فى كل من طرابلس وبرقة قدأدركوا أن استمرار القطيعة بين القطرين لايزيد العدو إلا الإمعان فى التنكيل بالبلاد ، وأن فرقتهم سوف لن تؤدى إلا إلى مزيد من الخسائر، وأن كفاحهم سوف يضعف العدو ويرغمه على احترام تعهداته لهم، وكان قد هالهم ما يقوم به العدو من نقض إتفاقاته وعهوده مع الليبيين، وأن أسلوب العدو فى اتفاقاته التى عقدها مع إدريس قد كبلته بالمعاهدات التى تعمدوا أن يجعلوها تخص برقة بمفردها وكأنها دولة أخرى لاعلاقة بينها

(1) وثيقة بملف " أحمد المريض " يطلب فيها رئيس هيئة الإصلاح المركزية بالإفراج عن "عثمان القيزاني".
(2) الطاهر الزاوي ، عمر المختار ، مؤسسة الفرجاني ، طرابلس ، ط2 سنة 1970 ، ص: 57 -61.

وبين طرابلس وكانه لايضمها تراب وطن واحد ، وخاصة بعد أن أختاره الإيطاليون أميرًا على جزء من برقة التى قسموها إلى قسمين . قسم ساحلى خصب لهم وقسم صحراوى للأمير السنوسى .

وكان أن بدأ الوطنيون التشاور فيما بينهم واكتشفوا أن هناك ميلاً لدى الطرفين للإتفاق، ولذلك فإنه حينما تشكل الوفدان، أسرع كل منهما إلى الاجتماع فى "سرت" وكان ذلك فى جمادى الأولى 1340 هـ الموافق يناير 1922 م . وبعد أن بحثوا أسباب الخلاف بينهما اتفقوا على توحيد الكلمة[1]. وصدرت قرارات مؤتمرهم على النحو التالي :

1- يجب أن نوحد كلمتنا ضد العدو الغاصب لبلادنا .

2- يجب أن يكون عدونا واحدًا وصديقنا واحدًا .

3- إن كافة ما وقع بين الطرفين من التجاوزات لايطالب به أحد الآخر . إلى أن تستقر حالة الوطن وتتعين وضعية البلاد العمومية . ومع ذلك يجب أن يسعى الطرفان فى المسامحة بين العربان ، ومن يتعدى بعد الآن فعلى الحكومة التابع لها أن تعاقبه بما يستحق .

4- كل من يخالف الجماعة ويدس الدسائس لأخيه، على الحكومة المنسوب إليها إعدامه ومصادرة أمواله حسب الشريعة الإسلامية.

5- يرى الطرفان أن مصلحة الوطن وضرورة الدفاع ضد العدو المشترك تقضى بتوحيد الزعامة فى البلاد، ولذلك يجعلان غايتهما انتخاب أمير مسلم تكون له السلطة الدينية، والمدنية داخل دستور ترضاه الأمة[2].

6- يتخذ الطرفان الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الغاية المذكورة فى المادة الخامسة، وأن تتم توليته كأمير بإرادة الأمة .

7- ومتى تحققت الغاية المذكورة فى المادة الخامسة ، يجب انتخاب مجلس تأسيسى من الفريقين لوضع القانون الأساسى والنظم اللازمة لإدارة البلاد، وقبل ذلك وتمهيدًا لهذه الأعمال يجب على الفريقين أن يرسل كل منهما مندوبًا للبلد الآخر لأجل أن يشتركا فى سياسة البلاد والتدابير المقتضاة للدفاع عن الوطن .

8- يتعهد الطرفان بألا يعترفوا للعدو بسلطة، وأن يمنعوه من بسط نفوذه خارج الأماكن المتحصن فيها الآن، وفى حالة وقوع حرب يتضافر الفريقان على حرب العدو. وألا يعقد صلح أو هدنة إلا بموافقة الفريقين.

---

(1) أمين سعيد . المرجع السابق ، ج3 ، ص: 346.

(2) النص الكامل لاتفاق سرت في كتاب : ن إ . بروشين . مرجع سابق . ص: 182 -183 .

9- إذا خرج العدو من حصونه مهاجمًا جهة من الجهات ، وجب على الجهة الأخرى أن تمد المهاجم بالمهمات الحربية والمال وأن تنذر العدو بالكف عن التجاوز ، وإذا لم يكف تهاجمه هى بدورها .

10- تجتمع هيئة منتخبة من آهالي طرابلس وبرقة مرتين فى كل سنة فى شهرى المحرم ورجب للنظر فى مصالح البلاد .

11- يشترط أن توافق على هذه المعاهدة كل من حكومة برقة والهيئة المركزية فى جهة طرابلس.

12- تكون مهمة الهيئة المذكورة فى المادة العاشرة تأييد العلائق الودية بين الطرفين، وتأييد تنفيذ هذه الإتفاقية[1] .

قصر سرت، يوم السبت 22 من جمادى الأولى 1340 هـ الموافق 21 يناير 1922 .

- التوقيعات -

عن طرابلس	عن برقة
أحمد السويحلى	صالح الأطيوش

وتبع هذين التوقيعين توقيعات بقية أعضاء المؤتمر من الطرفين وكان بينهم "عبدالرحمن عزام".

ويقول الطاهر الزاوى الذى شهد هذه الفترة: إنه بينما كان الوفدان مجتمعين فى "سرت" نزل الجيش الإيطالي فى ميناء قصر أحمد بمصراتة ، واستؤنفت الحرب، ووقعت معارك من أشد ما حدث فى مصراتة من معارك سابقة ، ولم تنفذ برقة شيئًا من مقررات سرت سوى إرسال ممثلها كما نصت المادة السابقة، وهو الشيخ "عبدالعزيز العيساوى".

وفى جمادى الآخرة من هذه السنة حصلت هدنة بين الإيطاليين والطرابلسيين وشرعوا فى مفاوضات للوصول إلى إتفاق لوقف القتال ، وفى هذه الأثناء اجتمعت هيئة الاصلاح المركزية برئاسة أحمد المريض وقررت أن تضع إيطاليا أمام الأمر الواقع بتنفيذها قرارات مؤتمر غريان. ومؤتمر سرت والخاص منها بتعيين أمير مسلم يقود الأمة الواحدة من أقصى حدودها فى الشرق إلى أقصى حدودها فى الغرب، ولما لم يكن من الممكن إذ ذاك أن تفكر الأمة فى اختيار غير "إدريس السنوسى" نظرًا لكون أهل برقة لايخضعون لغير السنوسيين . ولأن إيطاليا كانت قد هيأته لذلك بتنصيبه أميرًا على جزء من برقة بموجب اتفاقية الرجمة 1920/10/25 ولذلك فإن طرابلس لم تجد بدًا من اختيار إدريس السنوسى أميرًا فى هذه الظروف الصعبة التى اشتدت فيها وطأة العدو عليها . وحين أبلغ المفاوض الإيطالي بذلك

(1) الطاهر الزاوي،جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط2 . 1973 ، ص.430 -433.

رفض بالطبع، وأصرّ الطرابلسيون على تنفيذ قرارهم وأصرّ الطليان على الرفض . وتعطلت المفاوضات بين الطرابلسيين والإيطاليين واستؤنفت الحرب بينهما يوم الجمعة من أواخر شعبان 1340هـ لعام 1922م[1].

وأرسل الطرابلسيون وفدًا من ثلاثة أعضاء ، كان من بينهم الشيخ " الطاهر الزاوى إلى إدريس فى إجدابيا يطلبون قدومه ليبايعه أهل طرابلس بالإمارة، ووصل الوفد فى شوال من نفس العام وتقابل مع إدريس وأبلغه دعوة الأمة الطرابلسية لمبايعته، فاعتذر عن الذهاب معهم لأن صحته عليله، وأخرّ إجابة الدعوة إلى الخريف حتى يعتدل الجو ، ثم أرسلوا إليه وفدا آخر فى شهر صفر من السنة التالية 1341 هـ ، وكان الوفد يحمل كتاب البيعة فوصل إجدابيا فى ربيع الأول وقدم البيعة لإدريس فقبلها فى يوم 1922/7/28وقطع على نفسه العهد أن يقف حياته على خدمة الوطن[2].

ولقد حمّل إدريس الوفد ردًا على كتاب البيعة جاء فيه : ... إنه رأي إقرار الأمورعلى ماهى عليه حتى تجتمع هيئة وطنية لوضع نظام البلاد . وأنه لذلك يكلف الهيئة المركزية أن تستمر على إدارة البلاد الطرابلسية، لما أبدت من الحمية والعدل والدراية ". وأبدى إدريس الثقة العظيمة "فى حكمة رئيس الهيئة المركزية أحمد بك المريض ورفاقه الكرام "[3]. وسافر إدريس بعد ذلك إلى مصر عن طريق الجغبوب بالجمال، تاركًا وراءه أبناء الوطن يتعرضون لقصف الطائرات الإيطالية بالمنطقة الغربية.

وكان فى رأينا أن هذا الحل هو الوحيد الذى يمكن لإدريس أن ينفذه : أن يوافق على البيعة لكى لايحدث بينه وبين قادة وأهالي طرابلس أي نفور أو إقلال من ثقتهم فيه إذا ما رفض مبدأ الوحدة بين القطرين ، وفى الوقت نفسه فهو لم يكن راغبًا فى خصومة سافرة مع الإيطاليين الذين كانوا حتى وقتها يهادنونه .

ويفسر " إينفانز بريتشارد " ومحمد الأخضر العيساوى " تردد إدريس فى الإستجابة للدعوة والسفر إلى طرابلس للمبايعة على الفور أنه لم يكن قد عرض الأمر بعد على أهالي إجدابيا وشيوخ البدو هناك والذين يرجع لهم فى كل الأمور، بدليل أنه بعد ذلك دعى إلى إجتماع كبير فى " جردس العبيد " فى أكتوبر 1922 م ، وبعدها قبل البيعة والدعوة بعد أن ألحّ عليه مستشاروه ، فلقد كان يتوقع أن تشن إيطاليا الحرب عليه بعد موافقته على البيعة .

ويدافع "العيساوى " عن إدريس فى عدم تنفيذ البيعة والسفر إلى طرابلس بحجة المرض .

(1) الطاهر الزاوي ، عمر المختار ، مرجع سابق ، ص: 63.
- وأيضًا محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص: 219.
(2) الطاهر الزاوي ، المصدر السابق ، ص : 65 ، وبه نص كتاب البيعة، محمد فؤاد شكري ، ص: 221.
(3) محمد فؤاد شكري ، المصدر السابق ، ص: 222.

ويقول آنه كان مريضًا بالفعل، وفى حاجة إلى السفر للعلاج فى مصر[1].

والحقيقة التى لاتخفى على آحد أن إدريس السنوسى قد سافر إلى مصر فى اليوم الثانى من شهر جمادى الأولى 1341 هـ ووصل إليها يوم 8 من جمادى الأخرة ، وذهب إليه هناك " عمر المختار " يستفسر منه إذا كان سيعود إلى برقة لتنفيذ البيعة بالسفر إلى طرابلس حتى يكون آميرًا على القطرين وتمت هذه الزيارة فى مارس 1923 م أم أنه لاينوى العودة، وعلى الليبيين آن يتولوا أمورهم ومصالحهم بأنفسهم ، ولكن إدريس لم يعط عمر المختار جوابًا شافيًا على هذا الاستفسار أو أنه لم يحسم الأمر أمام عمر المختار ، فعاد إلى برقة ليتشاور مع إخوانه من قادة الجهاد وشيوخ الزوايا[2]ونظموا المقاومة ضد العدو الإيطالي الذى كان قد بدأ حربه من جديد لاستعادة البلاد ، وكان إدريس قد أناب عنه " الرضا السنوسى " آخاه فى مقره فى " جالو " لإدارة شئون الحرب ، كما أناب عنه " صفى الدين السنوسى " فى إدارة شؤون البلاد البرقاوية[3].

وكانت إيطاليا، بعد أن علمت بخروج إدريس سرًا من برقة متوجهًا إلى مصر، وقبوله بيعة الطرابلسيين ، قد تريثت قليلاً، ثم عزمت أمرها على إزالة كل آثر لهذا الأمير السنوسى الذى نصبوه على صحراء إجدابيا، ففى مارس 1923 قامت إيطاليا بالاستيلاء على الأدوار المختلطة وعلى الدور السنوسى فى" خولان " ومراكز إدارة إدريس فى إجدابيا وقامت بأسر الكثير من السنوسيين وتم ذلك دون إعلان مسبق أو إنذار .

وكان حزب الفاشست بزعامة " موسولينى " قد استولى على السلطة فى روما فى أكتوبر 1922 وبذلك تهيأ للإيطاليين إعادة احتلال ليبيا تطبيقًا لمبادئ الحزب الفاشى التى تنص على استخدام العنف والشدة مع المستعمرات الإيطالية وعدم الإيمان بالديمقراطية وسياسة السلم والتفاوض والتنازلات .

وعليه أعلن الوالى الجديد فى برقة "بونجفانى" فى أبريل 1923 " أن جميع الاتفاقيات التى عقدتها الحكومة مع السنوسيين باطلة وملغاة" .

عودة الخلافات القبلية وآثارها على مسار الجهاد :

رغم المكاسب التى حصل عليها المجاهدون فى صلح "بني آدم" فى طرابلس والدستور الذى منح طرابلس ميزات مدنية إدارية كثيرة، ورغم النشاط السياسى الذى تمثل فى حزب

---

(1) إيفانز بريتشارد . سنسيو برقة ، مرجع سابق ، ص: 264.
– وأيضًا محمد الأخضر العيساوي ، كشف الستار عمافي كتاب عمر المختار ، مرجع سابق ، ص: 45.
(2) محمد الطيب الأشهب ، كتاب عمر المختار ، القاهرة مرجع سابق ، ص: 57، 63 ، وتوجد به رسالتان إحداهما لأحمد الشريف يشكو له ترك إدريس الجهاد والأخرى رد أحمد الشريف الذي يعده فيه بالعودة.
(3) آمين سعيد ، المرجع السابق ، ص: 278.

الإصلاح الوطني" الذى أنشأته طرابلس. والنشاط الدعائي الصحفي والمستنير لجريدة اللواء لسان حال الحزب . والتى قامت بدورها فى توعية الرأي العام للتمسك بالألفة والتحذير من التنازع الذى يؤدى إلى الفرقة ، ويقضى على الصمود أمام العدو المتربص بالبلاد ، رغم كل هذا فقد عادت الخلافات القبلية والعصبية ، وعاد التناحر بين الزعماء بتأثير الدسائس الايطالية. وكان العدو قد لجأ إلى سلاح الفتنة الفتاك بعد أن فشل فى استعمال سلاح الحرب العسكرية المسلحة[1].

فقد تحرك بعض الحاقدين على الزعماء الذين نجحوا نجاحًا باهرًا من الناحيتين السياسية والعسكرية ، وكان تحرك هؤلاء الحاقدين بتدبير من الإيطاليين أنفسهم مستغلين ما حصل من أحداث، كعدم ظهور اسمى الزعمين الكبيرين (سليمان البارونى وعبدالنبى بالخير) بين الزعماء الثمانية الذين تشكلت منهم الحكومة الوطنية التى انبعثت عن صلح بنى آدم.

فبخصوص سليمان البارونى : قام هؤلاء العملاء بتسريب أنباء لأعيان الجبل الغربى تقول: أن البارونى قد أبعد عن الحكومة الوطنية بمكائد ونفوذ الزعماء الآخرين المجاورين لهم ممن هم فى مجلس شورى الجمهورية بسبب الضغائن السابقة وصدامات 1916 التى سبق الحديث عنها. وكان "جراتسيانى " قد تحدث عنها وذكر أسبابها حينما قال :" إنها كانت تعيينات جهوية فى إحدى المناصب الإدارية للحكومة الوطنية ". بينما هؤلاء الزعماء أنفسهم اتهموا "البارونى" برفضه الإشتراك معهم فى عضوية الحكومة الوطنية: لأنه كان يسعى خفية مع الإيطاليين ليقيموا له حكمًا مستقلاً فى الجبل الغربى يكون أميرًا عليه . ولم يكن ذلك بالطبع سوى فرية بثها العدو وإشاعة روج لها: بغرض إحداث الفتنة فى الجبل الغربى وفى طرابلس الغرب بأسرها جريًا على أسلوب الاستعمار " فرق تسد " .

والحقيقة أن الشيخ سليمان البارونى ، كان قد اعتزل العمل السياسى بعد توقيع القانون الأساسى ، اعتقادًا منه أن مهمته قد انتهت بعقد الصلح وحلول عصر من الوفاق والسلام وغادر طرابلس إلى الأستانة ليتقلد منصب العضوية فى مجلس المبعوثان العثمانى الذى كان فيه قبل أن يأتى للجهاد[2].

وكان قد نتج عن هذه الظنون والفتن التى روج لها العدو ، حزازات فى النفوس، وعدوات بين أهل الوطن الواحد، مما تسبب فى تفتيت الوحدة الوطنية، وكان ذلك أهم العوامل التى مهدت أمام الإيطاليين سبل إعادة احتلال جميع نواحى طرابلس وفزان فى العملية التى أطلقوا عليها " الاسترداد " .

---

(1) جراتسياني . نحو فزان . مرجع سابق . ص: 62.

(2) أبو القاسم إبراهيم البارونى . حياة سليمان باشا . مرجع سابق . ص: 105.

وأما بالنسبة لعبد النبى بالخير والسبب فى عدم ظهور اسمه هو الآخر بين أسماء الثمانية الذين تم اختيارهم أعضاء فى الحكومة الوطنية وعدم حضوره الحفل الذى أقيم فى السرايا لتولية هؤلاء الأعضاء بمقر الوالى الإيطالي ، فإنه كان بسبب ذهابه إلى بنى وليد لتحضير مجاهدين من " ورفلة " وإرسالهم إلى جهة طرابلس أسوة بالزعماء الذين قصدوا جهاتهم وبلدانهم لهذا الغرض استعدادًا لمحاربة الإيطاليين الذين رفضوا بلاغ الجمهورية وهددوا وتوعدوا كما سبق وذكرنا .

وكان هؤلاء قد اضطروا إلى التوقيع باسم " عبدالنبى بالخير " حينما لم تجد معه وسائل الإلحاح للحضور معهم : لأنه كان من أعضاء مجلس الجمهورية الذين تم التفاوض باسمهم ، وكان ادعاءًا من "عبدالنبى" شبه بالادعاء الذى أبداه لعدم حضور معركة القرضابية، وإن كانت المصادر العربية تجمع على أن "عبدالنبى" حينما سئل عن عدم الحضور قال :" إننى أخشى أن يغتالنى رمضان السويحلى " ويعقبون بأن "عبدالنبى بالخير" لم يذكر السبب الذى دعاه لمثل هذا القول.

ولكن نحن نتساءل: لماذا يقول "عبدالنبى بالخير" هذا القول؟ وقد كان المذكوران صديقين منذ تعارفا بواسطة شخص ثالث عرف باسم (التومى أكسوم). ثم اشترك القائدان سويًا فى الجهاد منذ وطئت أقدام المستعمرين أرض الوطن، ولكى نتعرف على الأسباب التى أدت إلى تحول هذه الصداقة بينهما إلى عداوة، يجب أن نعرف أولاً شخصية "عبدالنبى بالخير" والطريق الذى سار فيه حتى النهاية[1] .

لقد كان "عبدالنبى" من الفريق الذى يميل إلى سياسة الملاينة مع الإيطاليين والتفاوض من أجل الاستقلال الذى منحهم إياه الحكم العثمانى حينما تصالح مع إيطاليا فى (صلح أوشى لوزان)، ولم يكن "عبدالنبى" يختلف عن الفريق من الزعماء الذين نهجوا هذا المنهج الاستسلامى مثل الشيخ " عبدالرزاق البشتى" "ومصطفى بن قدارة " " ومحمد فرحات الزاوى " وسلطان بن شعبان" و"حسونة القرمانلى" و"الشيخ أحمد الفساطوى" و"عمر المنتصر" و"الهادى كعبار" ، غيرأن هؤلاء لم يوغلوا فى الاختلاط مع الطليان والعمل معهم مثلما فعل " عبدالنبى بالخير " إلا أن " عبدالنبى " لم يجاهر برأيه كغيره ، وإنما تظاهر بالانضمام إلى الفريق الذى يؤيد الحرب ضد العدو وهذا الفريق - كما سبق وذكرنا - كان يرأسه "سليمان البارونى" .

وحينما انتهت تجربتهم فى حرب العدو بالهزيمة فى معركة (جندوبة) "بالأصابعة" بالجبل الغربى . هداه تفكيره (عبد النبى بالخير) الفطرى إلى الاستفادة من الموقف إلى أبعد الحدود

---

(1) محمد مسعود فشيكة . مصدر سابق . ص. 230.

بعد أن استقرت الأحوال فأيقن أن طرابلس سوف تخضع بعد الصلح للطليان وأنه وفقًا للمبدأ الميكافيللى" القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة ، قرر "عبدالنبى بالخير" الانضواء فى خدمة الطليان فصار مستشارًا لهم فى شؤون طرابلس السياسية والاجتماعية . وقد أوضح جراتسيانى" ذلك حينما قال :" كان عبدالنبى مكارًا وحاذقًا عندما أعلن ارتباطه وإخلاصه للحكومة الإيطالية[1] .

ولقد وصل الأمر بعبد النبى بالخير بعد ذلك أن صحب حملة الإيطاليين لاحتلال "فزان" سنة 1913م كخبير فى جميع أحوالها الساسية والاجتماعية وتوسط للإيطاليين لدى " أحمد سيف النصر بالضغط عليه حتى لايتعرض للحملة ويقاوم تقدمها مقابل تعيينه من قبل الإيطاليين متصرفًا على " الجفرة " ثم عاد " عبدالنبى " للتواطؤ مع الإيطاليين حتى تولى هو منصب المتصرف على الجفرة ويطالبهم بنفى " أحمد سيف النصر " وأولاده الخمسة إلى زوارة[2].

وبعد أن قضى الطليان مصالحهم وأهدافهم فى احتلال فزان استبقوه معهم كمستشار لهم فى طرابلس حيث شارك معهم فى التخطيط للحملة التى أعدت لمعركة " القرضابية " وعرفهم على شخصية رمضان السويحلى، وإن كان البعض يرى أن الذى عرفهم برمضان هو المدعو أحمد المنتصر وليس عبدالنبى بالخير .

---

(1) جراتسياني . المرجع السابق . ص: 236.

(2) الطاهر :زاوي . جهاد الأبطال . مرجع سابق . 181.

الفصل الخامس

معارك إعادة احتلال المناطق الغربية من ليبيا

1922 - 1924

(*) أسباب تجدد حركة المقاومة في 1922 م

(*) مؤتمر فندق الشريف 1922 م .

(*) احتلال الزاوية والعزيزية والجبل الغربى 1922م

(*) احتلال سرت 1924 م .

(*) معارك : المشرك (4 مايو 1923) والكراريم والطابونية ومزدة وبئر الحشادية (18 نوفمبر 1924 م) .

تعرف المرحلة الثانية من تاريخ حركة الجهاد في ليبيا بين سنتى 1922 – 1931م باسم حرب إعادة الاحتلال، وهى الفترة التى تمكنت فيها القوات الإيطالية الغازية من استعادة فرض الهيمنة الاستعمارية على الأراضى الليبية بعد أن كانت قد أُجبرت على الانسحاب من معظم المناطق الساحلية والجنوبية في أعقاب الهزائم الساحقة التى لحقت بأفرادها في معارك القاهرة بسبها سنة 1914م ، والقرضابية سنة1915 م .

أسباب تجدد حركة المقاومة في سنة 1922 م :

من أهم الأسباب التى كانت وراء اندلاع معارك الجهاد في ليبيا سنة 1922م ما يلى :

1- استعادة القوات الإيطالية لتنظيم صفوفها في أعقاب إشتراكها في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الحلفاء الذين كانوا قد خرجوا منتصرين فيها بالرغم من الخسائر المادية التى لحقت بها في الأرواح والمعدات .

2- معرفة إيطاليا بقدرات المجاهدين المختلفة بعد آن كانت قد جلست عن قرب مع زعمائهم آثناء المفاوضات السلمية التى عقدت في الزويتينة سنة 1916، وعكرمة سنة 1917 ، وسوانى بني آدم سنة 1919 ، والرجمة ، سنة 1920، وأبو مريم سنة 1921 ، وفندق الشريف سنة 1922م .

3- ظهور الخلافات الحادة بين بعض زعماء حركة الجهاد؛ مما أدى إلى مصرع البعض منهم في وقت كان فيه الوطن بأشد الحاجة إلى كل قطرة دم تسيل من آجل تحريره.

4- تردى الوضع السياسى في إيطاليا على إثر وقوع الأزمة الوزارية، وتشكيل حكومة جديدة برئاسة السنيور"فاكتا" الذى أسند وزارة المستعمرات إلى السنيور "أمندولا " في سنة 1922 م في الوقت الذى آخذ فيه الرآى العام الإيطالي يتطلع إلى وصول حزب الفاشست إلى كرسى رئاسة الوزارة في روما .

5- انشغال دول العالم الكبرى بتسوية الأوضاع السياسية التى نتجت عن انتهاء الحرب العالمية الأولى في سنة 1918م ، وفرض الانتداب على الدول التى كانت تخضع لألمانيا. والدولة العثمانية الأمر الذى أعطى الفرصة لإيطاليا كى تعجل باحتلال الأراضي الليبية في آعقاب حرمانها من الحصول على أية أراضٍ كانت تخضع لدول الوفاق في محاولة منها لكسب الرآى العام الإيطالي الذى آخذ يحس بمدى الإهانة إلى وجهت إلى

حكومته من طرف بريطانيا وفرنسا اللتين انفردتا بمعظم الأراضى التى وضعت تحت الانتداب .

معركة قصر أحمد بمصراتة في 26 من يناير 1922 م :

وعلى إثر علم إيطاليا باجتماع زعماء المجاهدين بمنطقة سرت بهدف توحيد جهودهم من أجل تحرير تراب الوطن قرر الوالي "فولبى" أن تشن القوات الإيطالية هجومًا لمفاجأة زعماء المجاهدين دون أن يتمكنوا من التصدى له بإعداد حملة سرية تنطلق من مدينة طرابلس باتجاه ميناء قصر أحمد بمصراتة الذى كان يربط بين مواقع المجاهدين داخل الأراضى الليبية والخارج حيث كانت المساعدات الخارجية تصل عن طريقه .

وضمت قوات الحملة العسكرية الإيطالية المتجهة إلى مصراتة الأصناف التالية:

(أ) كتيبتين من الجنود الأريتريين.

(ب) فرقة من رجال المدافع الرشاشة.

(ج) بطارية للمدافع الجبلية.

(د) فرقة مختلطة من فرق المهندسين.

(هـ) فرقة وحدة صحية.

(و) فرقة من رجال الضبطية.

وقد بلغت أعداد قطع الأسلحة حوالي 1500 بندقية ، وأربعة مدافع جبلية من عيار 65 بالإضافة إلى 34 مدفعًا من المدافع الرشاشة المعروفة باسم المتراليوز.

ووضعت القيادة الإيطالية تحت تصرف رجال الحملة:

(أ) الباخرة " برازيل " والباخرة " أمالفي ".

(ب) المدمرة " لاتشييرى " والمدمرة " أورفيو ".

(ج) حاملة المدافع " آباسترو"وحاملة للمدافع الأخرى المسماة "دى لوتى".

(د) زورقين من طراز " ماس ".

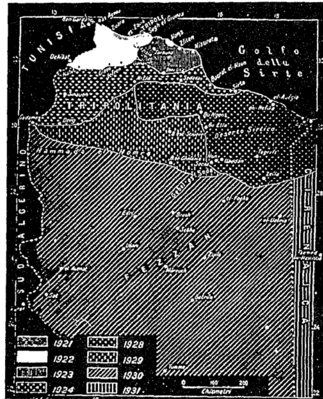
بالإضافة إلى وسائل النزول إلى البر كان عددها عشر قطع منها ستة قوارب مزودة بمجاديف تابعة للباخرة "برازيل" [1].

وحرصًا من القيادة الإيطالية على عدم تسرب أخبار الحملة إلى مصراتة قامت بإغلاق جميع مخارج مدينة طرابلس ليلة 24 - 25 من يناير 1922م ، في الوقت الذى صدرت فيه الأوامر للجنود ورجال الخدمات بركوب السفن خلال الساعات الأولى من صباح يوم 25 من

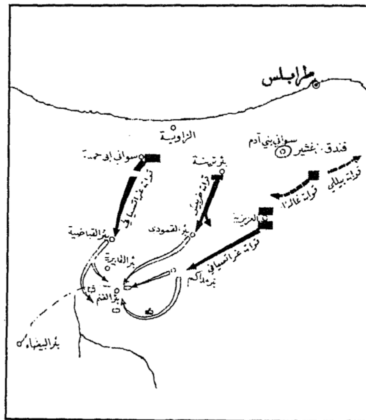
---

(1) رودلفو جراتسياني ، نحو فزان ، ترجمة طه فوزي ، مكتبة الصايغ ، القاهرة ، مصر ، 1976م. ، ص: 54 -55.

خريطة بيانية لمراحل إعادة احتلال برقة (1922-1931)



خريطة بيانية لمراحل إعادة احتلال طرابلس (1922-1931)



يناير حيث آخذ أفراد الحملة في مغادرة ميناء مدينة طرابلس بعد الظهر .

وكانت الباخرة "برازيل" آخر سفينة تحركت في تمام الساعة السابعة مساء. وعلى ظهرها قائد الحملة والوالي الإيطالي رفقة آركان حربه الذين وصلوا في فجر اليوم التالى أمام شاطئ مصراتة بالشكل الذى تتطلبه عملية الرسو التى بدأت في الساعة السابعة إلاّ ربعًا حينما آنزلت آول وحدة من رجال الحرس الملكى "الكاربنييرى" ، ورجال الضبطية ونحو عشرة من الجنود الأرتريين رفقة مدفع رشاش والذين تمكنوا من رفع العلم الإيطالي على حصن صغير كان مواجهًا للساحل[1].

ثم آعقب نزول المجموعة المذكورة إلى البر نزول فصيلة أخرى من جنود الكاربنييرى، ونصف الفرقة الأريترية من السفينة "باسترو" ونزول فرقتين كاملتين إلى البر في الوقت الذى بدآ فيه البحر يضطرب مما جعل عملية الإنزال فيها متعسرة حتى الساعة الثالثة والنصف مساء عندما اكتملت فيه عملية النزول إلى البر وسط إطلاق نار غزيرة من المجاهدين الذين كانوا قد وفدوا إلى أرض المعركة بكل سرعة فور علمهم بنزول القوات الإيطالية في قصر أحمد حيث تسابق الجند والمجاهدون وفي مقدمتهم سعدون السويحلى إلى آرض المعركة التى أشتد إطلاق الرصاص فيها عند الساعة العاشرة وهو ما آكده الوالي "الكونت فولبى" بقوله :

"بدآ البحر يضطرب وبينما كانت أعمال النزول إلى البر تزداد صعوبة ساعة بعد آخرى. إبتدآ نشاط المجاهدين حوالي الساعة العاشرة، حيث أطلقوا نيرانًا حامية من بنادقهم انهالت بشدة حتى على المنطقة التى كان ينزل فيها جنودنا من سفنهم"[2].

وبالرغم من سيطرة القوات الإيطالية على حصن " بايستروكى " وعلى الخنادق القديمة التى حفرت في سنة 1912 منذ الساعات الأولى من بداية النزول إلى شاطئ قصر أحمد فإن شدة نيران المجاهدين ، واضطراب البحر الذى ساعد على عرقلة عملية النزول بشكل مباشر مما آدى إلى غرق عوامات مشحونة بالمهمات، مع تعرض المدمرات والزوارق للخطر على إثر هبوب العواصف الهوجاء قرب الساحل؛ والتى أدت إلى إدخال الذعر الشديد في نفوس الضباط والجنود الإيطاليين؛ الأمر الذى دعا قائد الحملة إلى آن يطلب النجدة المستعجلة من القيادة الإيطالية في طرابلس التى أرسلت على وجه السرعة في يومى 29 – 31 من يناير 1922م على ظهر السفينتين "كانونا" و "أمالفي" المكونة من الفرقة التاسعة عشرة الأريترية

---

(1) المرجع نفسه ، ص :55 : محمد إمحمد الطوير " معركة قصر أحمد بمصراتة من 26 يناير الى 11 فبراير . 1922 م " مجلة الشعب المسلح ، ليبيا ، العدد 81 ، لسنة 1986 ، ص : 62.

(2) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص· 57 : الطاهر أحمد الزاوي ، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، دار الفتح ، بيروت، لبنان ، 1973 ، 43 –44.

المختلطة، وفرقة من المشاة ، وفصيلة ليبية جبلية ، وقسم من بطارية المدافع الثقيلة [1].

وصلت قوات النجدة إلى مياه ميناء قصر أحمد والتى تضم 2725 جنديًا، والبارجة عما نويل الثالث" بالإضافة إلى بعض السفن الحربية التى أخذت في قصف مواقع المجاهدين الذين قدرت أعدادهم بنحو 2000 مجاهد قدموا من مناطق مصراتة ، وزليطن ، والخمس ، وسرت ، والزاوية ، حيث كان المجاهد "عبدالعاطى الجرم" مقيمًا بالزاوية والتى منها انتقل مع المجاهدين إلى مصراتة على إثر علمه بنشوب معركة قصر آحمد[2].

وتصدى المجاهدون للقوات الإيطالية منذ الأيام الأولى بحفر الخنادق لتهديد مواصلات العدو، وشن هجمات مركزة على المواقع الإيطالية مستخدمين مدفعين رشاشين ، وبعض مدافع الميدان ، والقنابل ، والبنادق ، بالإضافة إلى مدفع من عيار37مم ، وثلاثة مدافع من عيار 70-75-87 مم .

وأدى موقف المجاهدين البطولى إلى فشل جزء كبير من خطة القيادة الإيطالية الرامية لاحتلال الميناء المذكور مما دفع بالإيطاليين إلى القيام بشن هجوم كبير على مواقع المجاهدين يوم الرابع من فبراير 1922 بواسطة فصيلتين إريتريتين انطلقتا فى آثناء الليل في صمت تام لأجل مفاجأة المجاهدين الذين تمكنوا من استعادة مواقعهم الأولى التى كانوا قد انسحبوا منها بفعل القصف الشديد الذى تعرضوا له من قبل المدفعية الإيطالية مستخدمين مختلف الأسلحة حتى آجبروا القوات الإيطالية على الانسحاب من مواقعها المتقدمة بالرغم من سقوط 23 شهيدًا من بين صفوفهم [3].

وعزلت قوات المجاهدين موقع أبى شعيفة عن ميناء قصر أحمد حيث ظلت المعركة دائرة بين الكر والفر ، حتى يوم السبت 11 فبراير 1922 ، حينما نشبت المعركة الكبرى بمنطقة قصر آحمد استخدمت فيها القوات الإيطالية البوارج الحربية ، والسيارات المصفحة ، والمدافع الرشاشة ، والجنود المشاة .

وقد أشتبك المجاهدون مع القوات الإيطالية في معركة حامية الوطيس ظلت مشتدة من الصباح إلى المساء حينما تراجعت قوات العدو إلى أماكن إنطلاقها بعد أن مُنيت بأفدح الخسائر في الأرواح والمعدات وزادت أعداد الشهداء في معركة قصر أحمد عن 500 مجاهد بالإضافة إلى أكثر من 300 جريح بينما كانت خسائر القوات الإيطالية 142 قتيلاً و328 جريحًا

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 58.

(2) مقابلة مع الشيباني مبروك دراق ، بتاريخ 5 أغسطس 1982 م ، شريط 30/2 مكتبة مركز الجهاد الليبي الصوتية ، الذي كان قد رافق الشيخ عبد العاطي الجرم من الزاوية الى مصراتة.

(3) صلاح الدين السوري ، وآخرون ، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي ، الجزء الثاني، مركز دراسة جهاد الليبيين ، 1984 ، ص: 226.

كان من بين القتلى الكولونيل "ماريانى" [1].

ومن نتائج معارك قصر أحمد بمصراتة انسحاب المجاهدين من منطقة الميناء إلى منطقة زاوية الشيخ أحمد زروق التى تم دفن معظم الشهداء بمقبرتها مثل: الشيخ عبد العاطى الجرم حيث تجسدت في هذه المعركة روح البطولة والفداء من سائر أبناء ليبيا الذين شاركوا بكل قوة في مقارنة القوات الإيطالية دون أن يخشوا مما كان لدى قوات العدو من قوات برية وبحرية وجوية رهيبة، كانت تقوم بقصف المنطقة دون هوادة تحت إشراف الوالي مباشرة "الكونت فولبى"، وقائد المعركة الكولونيل "بيتسارى" .

وكانت لمعارك قصر أحمد الصدى الكبير في نفوس سكان المناطق الأخرى الذين قاموا بقطع السكك الحديدية في الزاوية ، وجنزور ، والعزيزية ، ومحاصرة هذه الأماكن كرد فعل منهم على غزو القوات الإيطالية بمصراتة خلافًا لبنود صلح بنى آدم سنة 1919 [2].

مؤتمر فندق الشريف 1922 م :

واضطر الوالي "فولبى" إلى دعوة المجاهدين لوقف إطلاق النار بمنطقة قصر أحمد بمصراتة ، والزاوية والعزيزية ، حيث قام المجاهدون صباح يوم 19 مارس 1922 م بالاستيلاء على الزاوية من أيدى القوات الإيطالية تحت قيادة الشيخ محمد فرحات الزاوى ، وعزل الحامية الإيطالية الموجودة داخل بلدة العزيزية في الوقت الذى كانت فيه تجمعات المجاهدين قد بلغت نحو 4300 مسلح موزعين بين: زوارة 700 مجاهد ، ومنطقة سوانى بنى آدم وجنزور 1700 مجاهد ، والعزيزية 1200 مجاهد ومنطقة بئر وادى المجينين وترهونة 400 مجاهد ، وبمنطقة بئر ترينة وورشفانة 300 مجاهد[3].

وطالب الوالي المذكور بوقف القتال وبعقد هدنة بين الطرفين وقد وافقه على طلبه أحمد المريض رئيس هيئة الإصلاح المركزية ، بإعلان الهدنة المؤقتة بداية من يوم 28 فبراير ولمدة 40 يومًا.

وتم تحديد منطقة النواحى الأربع لتكون مكانًا للاجتماع وهو فندق الشريف القريب من سوانى بن آدم التى شهدت عقد صلح سنة1919م لقرب هذا المكان من مدينة طرابلس.

وفي الوقت الذى حضر فيه من الجانب الإيطالي وفد صغير المستوى يضم السنيور "بيلا"

---

(1) كان المجاهد عبد العاطي الجرم من أبرز الزعماء الذين نالوا الشهادة في المعركة ، أنظر : محمد إمحمد الطوير " المجاهد عبد العاطي الجرم من أعلام الجهاد الليبي " مجلة الإخاء ، طرابلس – ليبيا ، 1991م ، ص: 40 -55.

(2) صلاح الدين السوري وآخرون ، المرجع السابق ، ص: 226 – 227.

(3) الطاهر الزاوي ، جهاد الأبطال ، ص: 438 ، رفعت عبد العزيز سيد أحمد ، الجهاد الليبي في عشر سنوات من 1922 ن. رسالة دكتوراة ، غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، مصر ، 1986م.

ممثلاً عن الوالي والسنيور "رابكس" الذى كان يتقن اللغة العربية: وليقوم بأعمال الترجمة بينما كان الوفد الوطنى قد ضم معظم أعضاء هيئة الإصلاح المركزية برئاسة أحمد المريض إلى جانب الشيخ محمد فرحات الزاوى، والصادق بن الحاج ، وعبدالرحمن عزام ، وعثمان القيزانى. وخالد القرقنى، والصويعى الخيتونى. وحسين بن جابر، وعمر بودبوس، ومحمد بن عمر. وعبد السلام الجدايمى، وسالم البحباح وغيرهم من الأعيان الذين ظلوا يتداولون الرآي فيما كان يعرضه الإيطاليون من حلول التى اتسمت بالمراوغة ؛ وعدم الموافقة على تنفيذ بنود صلح بنى آدم [1].

ولذا اعترض زعماء المجاهدين على دعوة إيطاليا بطلب فك الحصار على أفراد قواتها المحاصرة دون قيامها أولاً بسحب القوات المرابطة في قصر أحمد. والقبول بتنفيذ قرارات مؤتمر غريان ، ومؤتمر سرت بإقامة حكومة وطنية تحت رئاسة رجل مسلم وهو ما أعلنت إيطاليا عن رفضه؛ مما آدى إلى فشل مؤتمر فندق الشريف، وقيام كل طرف بالاستعداد لاستئناف الحرب حيث سارعت إيطاليا بحشد قوة تزيد عن 6000 جندى مزودة بالأسلحة الحديثة ، ومدعمة بالمجندين الليبيين ، إلى صفوف القوات الإيطالية والأرترية [2].

وكانت القوات الإيطالية قد أستكملت استعداداتها للهجوم على منطقة الزاوية، والعزيزية، لاستكمال احتلال المنطقة الغربية بعدما كانت عملية الاحتلال الإيطالي مقتصرة على مدينة طرابلس ، وزوارة ، والخمس ، وميناء قصر أحمد بمصراتة سنة 1922م .

احتلال الزاوية في 25 من أبريل 1922 م :

شكلت الزاوية موقعًا إستراتيجيًا هامًا لوقوعها بين مدينة طرابلس والحدود التونسية والبحر المتوسط والجبل الغربى بالإضافة إلى وفرة الإنتاج الزراعى والحيوانى، وكثرة السكان الأمر الذى يجعل عملية الاستيلاء عليها مفيدة لأي طرف، وخاصة خلال الفترة الحاسمة في تاريخ حركة الجهاد الواقعة بين 1914 و1918م والتى آتخذها المجاهدون مركزًا لقيادتهم بالمنطقة الغربية لأجل مهاجمة المواقع الإيطالية بمنطقة جنزور وزوارة[3].

وقام المجاهدون بمهاجمة المواقع الإيطالية في عدة مواقع إستراتيجية مثل : قطع السكة الحديدية بين طرابلس والعزيزية في التاسع من أبريل 1922م لعزل الحامية الموجودة بالأخيرة

---

(1) الطاهر الزاوي ، المرجع السابق ، ص: 440 –441.

(2) انظر حول مفاوضات مؤتمر فندق الشريف : محمد إمحمد الطوير ، " مؤتمر فندق الشريف سنة 1922م مجلة الشعب المسلح ، العدد رقم 81 لسنة 1986 م ، ص: 44 –50 : محمد سعيد القشاط ، معارك الدفاع عن الجبل الغربي ، دار الجماهيرية للنشر ، طرابلس – ليبيا ، ص: 57 – 89.

(3) صلاح الدين السوري ، وآخرون ، المرجع السابق ، ص: 163 – 195 حيث خاض المجاهدون الكثير من المعارك في صياد العجيلات ، والجميل والزاوية ، الواقعة في غرب مدينة طرابلس.

والتى بلغ عددها 775 جنديًا في الوقت الذى كان فيه قد تم قطع خط السكة الحديدية قرب سوانى بنى آدم يوم الثامن من فبراير 1922، والهجوم على القطار المصفح وقتل بعض حراسه في اليوم التالى. كما تعرض هذا القطار إلى هجوم آخر عنيف يوم العاشر من فبراير على بعد أربعة كيلو مترات من سوانى بن آدم الأمر الذى أدى إلى نشوب معركة قصيرة بين المجاهدين وحراس القطار مما أضطر القيادة الإيطالية إلى استخدام الطائرات في نقل المعدات ، والأفراد ، والتموين إلى الحامية المحاصرة في العزيزية [1].

كما قامت مجموعات آخرى من المجاهدين بمهاجمة مركزشرطة جنزور في العاشر من فبراير 1922م وأسر أفراد المركز الذين تم نقلهم إلى ترهونة.

ثم تواصلت هجمات المجاهدين على المواقع الإيطالية في صياد والماية وسيدى عبد الجليل والزاوية التى تم قطع خط السكة الحديدية التى يمر بها، ويربط بين طرابلس وزوارة، واحتلال الزاوية في 19 من مارس 1922 تحت قيادة محمد فرحات الزاوى بفترة قصيرة من الزمن بالرغم من وجود ألف جندى إيطالي تمكنوا من الهرب تحت جنح الليل .

وعلى إثر تجدد حركة المقاومة بأنحاء المنطقة الغربية من البلاد في أعقاب معركة قصر آحمد بمصراتة قبلت إيطاليا بوقف إطلاق النار بمصراتة والخُمس والزاوية إعتبارًا من أول مارس ولمدة 40 يومًا [2].

وجرت بمنطقة فندق الشريف مفاوضات مباشرة بين الإيطاليين والمجاهدين أيام 25 و28 و30 من مارس 1922م واليوم الخامس من أبريل الذى شهد الجلسة الختامية والتى شارك فيها المجاهدون : أحمد المريض، و أحمد السويحلى، ومحمد فرحات الزاوى، وعثمان القيزانى، وعبدالرحمن عزام وغيرهم في الوقت الذى شارك فيه من الجانب الإيطالي السنيور "بللى" و "رابكس" أحد موظفي ديوان الوالي والذى كان يقوم بدور المترجم دون مشاركة الوالي مباشرة في المفاوضات مما أثار عدم الثقة في النوايا الإيطالية ، وأدى قطع المفاوضات التى آرادت إيطاليا أن تبث بواسطتها في نفوس المجاهدين روح اليأس عن طريق استعراض القوة التى تمتلكها من طائرات ، ومدفعية ، ودبابات، وقنابل حارقة وكثرة في الجنود ، والسفن الحربية، بالإضافة إلى استخدام إيطاليا أسلوب التهديد بالقضاء على زعماء المجاهدين والاستيلاء على أموالهم ، وممتلكاتهم ، وإعلان الأحكام العسكرية [3].

ولما تأكد الزعماء المجاهدون من سوء نية القيادة الإيطالية التى تعمل على خداعهم بإظهار

---

(1) حراتسياني ، المرجع السابق ، ص 63.

(2) رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 78.

(3) محمد سعيد القشاط ، معارك الدفاع عن الجبل الغربي ، دار الجماهيرية ، طرابلس، ليبيا ، 1983 ، ص: 57 ، 89 .

– رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 80.

حسن النية الزائف ومطالبتها للمجاهدين بالإسراع في فك الحصار المضروب على المواقع الإيطالية: طالب المجاهدون وبكل إصرار على قيامهم بتوحيد برقة وطرابلس تحت قيادة سياسية وعسكرية واحدة بناء على مؤتمرى غريان سنة1920م وسرت 1922م .

لذا أنقضت مدة الهدنة في العاشرمن أبريل 1922م وانتهت مفاوضات فندق الشريف دون التوصل إلى نتيجة تذكر، وبدأ كل طرف يستعد لخوض المعارك من جديد فبينما قدرت القيادة الإيطالية أعداد المجاهدين بنحو 4300 مجاهد موزعين في جنوب زوارة ، وسوانى بنى آدم وجنزور، وبن غشير، والعزيزية، وترهونة والزاوية وبئر ترينة، فإن أعداد القوات الإيطالية كانت تقدر بحوالي 6000 جندى مزودة بمختلف الأسلحة الحديثة، بالإضافة إلى المجندين "الباندة" من الليبيين والتى من بينها أربع عشرة كتيبة، وخمسين فرقة من الفرسان، وثلاث بطاريات مدفعية، وثمانى سيارات مزودة بالمدافع الرشاشة[1].

وبادر المجاهدون بشن الهجوم تحت قيادة الشيخ محمد فرحات الزاوى ومساعدة عبدالله تمسكت الذى كان من الضباط الأتراك العثمانيين الذين ظلوا يواصلون مقاومة الغزو الإيطالي فوق الأراضي لمساندة أبناء منطقة الزاوية من الضباط والمشائخ والأعيان حيث قام هؤلاء بشن هجوم على القوات الإيطالية المتمركزة في قصر الزاوية ، ومحطة القطار ، وحصن الرأس الأحمر بالرغم من قصف المدمرة روما لتجمعات المجاهدين الذين نجحوا في تحرير مدينة الزاوية في أعقاب الهجوم الذى قاموا بشنه يوم 14 أبريل 1922م .

وقامت القيادة الإيطالية بوضع خطة تقوم على فك الحصار المضروب على الحامية الإيطالية بالعزيزية وإرغام المجاهدين على الانسحاب من الزاوية، ثم الانتقال منها إلى احتلال الجبل الغربى، وترهونة، ومصراتة وورفلة [2].

وتحركت القوات باتجاه الزاوية من طرابلس تحت قيادة الكلونيل "كاتور"، ومن زوارة تحت قيادة الكولونيل "جراتسيانى" كما قامت قوات إيطالية أخرى بمهاجمة الزاوية من جهة البحر بالنزول من المدمرة روما لإسناد القوات الأخرى.

وتعرضت القوات الإيطالية القادمة من طرابلس إلى تصدى المجاهدين في قرقوزة الواقعة في مشارف الزاوية، كما تعرضت القوات التى نزلت إلى شاطئ البحر لهجمات المجاهدين الذين خاضوا معها معركة سيدى بن نصر بن ربوح، في الوقت الذى خاض فيه المجاهدون معركة القبى بالمنطقة الغربية من الزاوية التى شهدت معركة فاصلة دافع فيها المجاهدون بكل شدة حتى نفذت الذخيرة التى في حوزتهم أمام قوات جراتسيانى: مما أدى إلى استشهاد نحو

(1) حراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 64 -65 ، الطاهر الزاوي ، المرجع السابق ، ص. 438 - 439 . محمد إمحمد الطوير، من معارك الزاوية ،1917 -1922 . مركز جهاد الليبيين . طرابلس - ليبيا . 1988 . ص 37 -40

(2) حليفة منحمد التليسي . ما بعد القرضابية ، المرجع السابق ، ص: 61.

مائة مجاهد سيطر على إثرها الإيطاليون على الزاوية يوم 25 من أبريل 1922 وارتكبوا فيها أبشع الجرائم مثل تنفيذ أحكام الإعدام الجائرة في بعض زعماء الجهاد وصدور الأحكام المؤيدة ولمدة طويلة مع مصادرة الأراضي والأموال وغيرها من الأعمال الانتقامية الأخرى (1).

وكان استخدام سلاح الطيران ، والمدمرة روما ، وسلاح الفرسان ضد المجاهدين بمدينة الزاوية من الأسباب التى ساعدت القوات الإيطالية على الإسراع باحتلال الزاوية ، حيث قامت الطائرات مع القطع البحرية بخمسين غارة بالقنابل وباثنين وخمسين عملية استطلاعية ، وبواحد وعشرين رحلة جوية لإلقاء المنشورات على الأهالي ، وبثلاث غارات بالمدافع الرشاشة بالإضافة إلى عمليات النقل والاتصال خلال الفترة من10-28 من أبريل 1922 (2).

احتلال العزيزية في 30 من أبريل 1922 م:

اتجهت أنظار القيادة الإيطالية إلى فك الحصار على الحامية الإيطالية الموجودة في العزيزية الواقعة إلى الجنوب الشرقى من الزاوية بمسافة نحو ستين كيلو مترًا ، وهى ذات الموقع الاستراتيجى بين مدينتي غريان وطرابلس وكانت تمثل المحطة النهائية لخط سكة الحديد الذى يربط مدينة طرابلس باتجاه الجبل الغربى ، وتكونت الحملة الإيطالية المتجهة إلى العزيزية من الآتى :

أولاً: قوات الكلونيل "جراتسيانى" التى تضم عدد 1250 جندى و80 حصانًا. وأربع قطع مدفعية.

ثانيًا: قوات الكولونيل "كوتور" وتضم 200 جندى من المشاة و80 فارسًا ، وأربع قطع مدفعية.

ثالثًا: قوات الكولونيل "جالينا" وتضم 1400 جندى من المشاة ، و100 فارس ، و250 من الهجانة "الجمالة" وأربع قطع مدفعية .

رابعًا : قوات الرائد «أمودا» التى تضم 300 فارس(3).

وأمام تقدم زحف الفرق العسكرية الأربعة على منطقة العزيزية؛ تم تراجع المجاهدين إلى الشرق من العزيزية باتجاه بئر عبازة، وسيدى السائح، وبئر المرغنى. الأمر الذى سهل على قوات الحملة الإيطالية احتلال العزيزية يوم 30 من أبريل استكمالاً لاحتلال منطقة الزاوية(4).

---

(1) محمد إمحمد الطوير ، المرجع السابق ، ص: 85 -98 ، والذي يصف طبيعة الأحكام: الطاهر الزاوي ، المرجع السابق، ص: 458 -450 والذي كان شاهد عيان عن المعارك.

(2) خليفة محمد التليسي ، معجم معارك الجهاد في ليبيا ، 1911 -1931 ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، 1980م، ص: 254 - 255.

(3) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 71 ، رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 239.

(4) خليفة محمد التليسي ، معجم معارك الجهاد ، المرجع السابق ، ص: 358 ، 360.

احتلال منطقة بئر الغنم والجوش:

وبعد أن نجحت القوات الإيطالية في احتلال العزيزية الواقعة عى الطريق الذى يربط بين بئـر الغنم وغـريان وترهونـة ، وطرابلس أعـدت القيـادة الإيطاليـة قـوة مماثلة تصـدى لهـا المجاهدون في معـارك طاحنة خـلال الفتـرة من 13 إلى 19 مـايو 1922 كـانت فيـهـا خسـائر المجاهدين 470 شخصًا بين شهيد وجريح بينما كانت خسائر القوات الإيطالية 72 قتيلاً و192 جريحًا و15 مفقودًا.

وتعرف معركة بئر الغنم باسم معركة رأس القفة لدى سكان المنطقة الذين أقاموا نصبًا تذكاريًا لها لإحياء ذكرى الشهداء.

واشتبكت القوات الإيطالية المتمركزة في سيدى السائح وبئر المرغنى ، وبئر عبازة مع القوات الإيطالية في معارك ضارية استخدمت فيها الطائرات لقصف مواقع المجاهدين الذين آجبروا على الانسـحـاب باتجـاه ترهونة في الوقت الذى اصطدمت فـيـه قـوات الكولونيل "بيللى" مع مجموعة من المجاهدين في عدة مناطق مثل معركة بئر كوكة يوم 30 من مايو 1922، ومعركة فندق الشيبانى في الأول من شهر يونيو 1922م استعدادًا لاحتلال غريان؛ ولتغطية وشغل قوات المجاهدين عن القوة الإيطاليـة الكبيرة الزاحفة من زوارة تحت قيادة الكولونيل "جراتسيـانى" باتجاه الجبل الغربى لأجل توسيع رقعة الاحتلال الإيطالي، وتأمين مواقعهم الساحلية، والتمهيد. للتوغل في المناطق الجنوبية الليبية، ولإبعاد الخطر عن المناطق الغربية من طرابلس[1].

وقام الكولونيل "جراتسيانى" الذى أسندت إليه قيادة الحملة الكبرى على الجبل الغربى بتركيز قواته في الوطية الواقعة إلى الغرب من زوارة بداية من 29 مايو 1922 في الوقت الذى قام فيـه الجنرال "بادوليـو" المكلف بمراجـعـة الخطط العسكرية لهذه الحملة الكبرى بزيارة تفتيشية للمواقع الأمـامـيـة في العسة والوطية لضمـان النتائج الإيجابية المترتبة عن حركة الزحف الإيطالي على الجبل الغربى الذى سبقته تحركات عسكرية إيطالية على السفوح الشمالية بمنطقة بئر الغنم وبئر كوكة، والوديان الواقعة إلى جنوب غرب غريان، والعزيزية[2].

وفي الثـانى من يونيـو 1922 وصلت قـوات الحـملة الإيطاليـة تحت قـيـادة الكولونيل "جراتسيانى" إلى آبار الحمراء الواقعة قرب وادي الوخيم فأكتشف قيام المجاهدين بردمها لحرمان العدو من الاستفادة بمياهها فواصلت القوات الإيطالية الزحف نحو سوانى الكردى التى كانت قليلة المياه ومحاطة برمال واسعة فاندفعت منها إلى آبار الوخيم التى وصلتها ليلة الثالث من يونيو 1922 حيث كان المجاهدون بانتظارها فهجموا عليها بكل قوة ، وظلت المعركة

---

(1) خليفة محمد التليسي . بعد القرضابية . المرجع السابق . ص: 73 -74.

(2) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، المرجع السابق . ص:177-242.

مستمرة حتى مساء اليوم التالى استخدم الإيطاليون فيها سلاح الطيران لقصف المجاهدين الذين أرغموا القوات الإيطالية على الانسحاب إلى سوانى الكردى بعد أن فقدت بعض القتلى والجرحى والأسرى من جنودها[1].

وتراجع المجاهدون من وادى الوخيم نحو الجوش والسلامات، وشكشوك استعدادًا لاستئناف المعارك التى اندلعت من جديد يوم 12 يونيو بهجوم القوات الإيطالية على بلدة الجوش تصدى لها المجاهدون في معركة طاحنة استمرت من الصباح إلى الظهر انسحب على إثرها المجاهدون باتجاه الجبل الغربى[2].

احتلال الجبل الغربى:

وبعد أن تمكنت قوات جراتسيانى من احتلال الجوش تحركت لاحتلال السلامات، وهى قرية صغيرة تقع في بداية سفح الجبل . وأراد المجاهدون منع وصول قوات العدو منها إلى الجبل الغربى خاصة في أعقاب وصول قوات الكولونيل "كورو" إلى جادو ونالوت عن طريق بشول وتيجى وكاباو التى تقع إلى الغرب من الجوش دون مقاومة مستغلة الظروف الصعبة التى كانت تمر بها حركة الجهاد خاصة قدوم معظم مجاهدى الجبل: ليشاركوا في معارك وادى الوخيم والجوش لمنع تقدم قوات العدو إلى الجبل الغربى[3] ولكن الإيطاليين فرضوا على الأهالي عدم التحرك وحجزوهم في مناطق حددوها لهم بما يشبه المعتقلات: لكي يمنعوهم من المشاركة في المعارك الدائرة.

وبدأت معركة السلامات من صباح يوم 18 من يونيو 1922 م وظلت مستمرة حتى الساعة الرابعة مساء من أجل السيطرة على المنفذ الهام لأجل تأمين زحف القوات الإيطالية إلى الجبل الغربى تكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات[4].

معركة صفيت واحتلال يفرن:

توقفت العمليات العسكرية في أعقاب معركة السلامات ووصول القوات الإيطالية إلى نالوت بعد أن فقد الإيطاليون الكثير من الخسائر في الأرواح والمعدات وقدرت المصادر الإيطالية خسائر المجاهدين في معارك الوخيم، والجوش ، والسلامات بنحو 580 شهيدًا.

وقد انتهز السفاح "جراتسيانى" وصوله إلى الجانب الغربى من الجبل بمطالبة القيادة

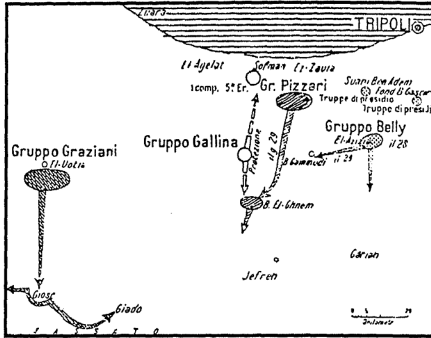
---

(1) المرجع نفسه ، ص: 525.

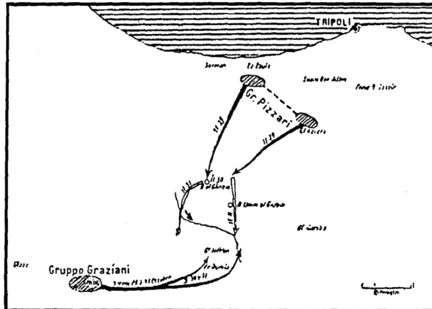
(2) المرجع نفسه ، ص: 205 ، جراتسياني نحو فزان ، المرجع السابق ، ص: 95 – 96 ، الذي يعترف بفداحة الخسائر التي لحقت بأفراد قواته بمعركة الجوش سواء الضباط أو الجنود.

(3) رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 249.

(4) خليفة محمد التليسي ، معجم معارك الجهاد ، ص: 280.



عملية إعادة احتلال الجوش ونالوت وجادو (29–30 مايو 1992) وقد انطلقت فيها قوات غراتسياني من الوطية نحو الجوش ونالوت وجادو كما انطلقت فيها قوات بتسارى من جنوبى الزاوية نحو بئر الغنم وقوات بيللى من العزيزية . وشكلت قوات غالينا الحماية والإسناد.



عملية إعادة احتلال يفرن (28/31 أكتوبر 1922) وقد انطلقت قوات غراتسيانى من جادو كما تحركت قوات بتسارى من الزاوية والعزيزية لقطع خط الرجعة على المجاهدين .

الإيطالية إلى الإسراع باحتلال يفرن وغريان بالإضافة إلى غدامس ومزدة وترهونة بالزحف نحو الشرق خاصة بعد أن أصدر الوالي "فولبي" مرسومًا رقم 622 المؤرخ في 17 يوليو 1922 ، والمتعلق بإسناد مهمة قيادة القوات الإيطالية المتمركزة فوق الجبل إلى "جراتسياني" الذى كان يطالب باستمرار الزحف على يفرن وغريان[1] كما قام الوالي "فولبي" بإصدار مرسوم مؤرخ في 17 يوليو 1922م يتعلق بالأحكام العرفية و تطبيق قانون العقوبات العسكرية في كل مناطق طرابلس الغرب كالزاوية، التى شهدت قيام محكمة خاصة ضمنت اختصاصات استثنائية والحكم بمصادرة ممتلكات المجاهدين[2].

ونجح جراتسيانى في العمل على بث روح الفرقة بين سكان يفرن وغريان والمناطق المحيطة بها باستمالة بعض القبائل وانحيازها إليه تحت التهديد تجنبًا للإبادة الجماعية كما سبق للسكان القاطنين داخل المناطق التى سبق استعادة احتلالها في سنة 1922 كالزاوية والعزيزية وبئر الغنم والجوش حيث تركزت جهود الكولونيل جراتسيانى في القيام بأعمال إرهابية واسعة النطاق من أجل نشر الخوف بين الناس ، والتشكيك في قدرة المقاومة على حماية المواطنين بسلب ونهب كل ما تصل إليه أيدى القوات الإيطالية من ثروة مادية ، وخلق روح اليأس وملاحقة رجال المقاومة، والقضاء عليها وتجريد أفراد القبائل من الأسلحة[3].

وبينما كانت القوات الإيطالية المتمركزة فوق الجبل الغربى تمارس الأعمال الإجرامية لإضعاف قدرة الصمود لدى المجاهدين الذين كانوا مازالوا متمركزين بمنطقة يفرن وخاصة حول صفيت، وأم الجرسان والقلعة استعدادًا لمواجهة قوات الكولونيل "جراتسيانى" التى أخذت تقوم بتحركات بين مدن وقرى المنطقة الغربية من الجبل بنقل قسم من أفرادها إلى العوينية وهى بلدة تقع إلى الغرب من يفرن من أجل التشبث بالبقاء في الجبل والزحف منه على المناطق الأخرى.

وفي يوم 28 من أكتوبر 1922 م بدأت قوات الكولونيل "جراتسيانى" التحرك من جادو إلى الريانية باتجاه يفرن بعد أن ضمنت الحماية لجناحها الأيسر مع زوارة، في الوقت الذى كانت فيه قوات إيطالية أخرى تتحرك من قواعدها في جنوب الزاوية ، والعزيزية في اتجاه بئر الغنم، وبئر أم الجوابى وتضم 2200 جندى من المشاة و300 من الجنود الفرسان مع مدفعين تحت قيادة الكولونيل "بيتسارى".

وتصدى المجاهدون للقوات الإيطالية في معارك عنيفة مثل: بئر الغنم، وبئر مداكم من الشمال، وأم الجرسان، وصفيت من جنوب يفرن، وتمكنت القوات الإيطالية من إجبار المجاهدين

(1) خليفة محمد التليسي ، بعد القرضابية ، ص: 100 – 101 ، محمد إمحمد الطوير ، أعلام الجهاد الليبي ، خالد القرقني " مجلة الإخاء ، العدد الخامس عشرلسنة 1987 م، ص:76-96.

(2) المرجع نفسه ، ص: 97 -98 . والذي يؤكد صدور أحكام بإعدام عدة أشخاص من المجاهدين بالزاوية ، مثل محمد زكي معتيق ، وإمحمد الدريدي ، وعبيدة زكري.

(3) محمد إمحمد الطوير ، معارك الزاوية ، المرجع السابق ، ص: 80 –84 ؛ خليفة التليسي ، المرجع السابق، ص: 116 -117.

على الانسحاب باتجاه ككلة، والأصابعة وغريان دون انتظام بعد أن فقدوا نحو 230 شهيدًا[1].

معركة قصر القواليش في الأول من نوفمبر 1922 م:

يقع قصر القواليش إلى الشرق من بلدة ككلة وبالقرب من وادى زارت، وبئر كردمين، وبطومة الشيخ ومسجد وشان. وهى من المناطق المشهورة بالأحداث التاريخية منذ القرن التاسع عشر الميلادى فى أثناء الحكم العثمانى[2].

كما كانت منطقة القصرالتى تقع وسط منطقة وعرة من الصخور والوديان قد شهدت معركة حاسمة بين القوات الإيطالية والمجاهدين في الرابع من يونيو1915م أرغمت فيها القوات الإيطالية على الانسحاب نهائيًا من الجبل الغربى في أعقاب معركة القرضابية 1915 [3].

ونظرًا لقبول آهالي ككلة المجاورة لقصر القواليش بالصلح في آعقاب معارك يفرن بوساطة من خليفة خالد الذى كان ضابطًا مع المجاهدين ثم تحول في سنة 1913 إلى جانب الإيطاليين وأحد أبناء ككلة، فإن القوات الإيطالية اجتازت يوم 31 من أكتوبر بلدة ككلة دون معارك باتجاه قصرالقواليش الذى يمثل نقطة الدفاع الأولى للقبيلة "القواليش" والتى كانت تستخدم هذا المبنى الحصين مخزنًا لمنتوجاتها من الشعير وغيره .

وتصدى المجاهدون للقوات الإيطالية المكونة من نحو 500 فارس، كانت زاحفة نحو منطقة القصر في معركة طاحنة ظلت مستمرة بكل ضراوة من الصباح إلى المساء، قاتل فيها آبناء القواليش بكل شجاعة حتى نفذت الذخيرة الحربية من أغلبهم، ونال الشهادة العديد منهم [4].

---

(1) حليفة محمد التليسي . بعد القرضابية ، المرجع السابق . ص: 120 . محمد إمحمد الطوير "معركة صفيت "مجلة الشعب المسلح،العدد 65. لسنة 1984، ص:23 – 26.

(2) آنظر محمد إمحمد الطوير . ثورة الشيخ غومة المحمودي . ضد الحكم العثماني في ليبيا (1835 – 1858) . مستورات الفرجاني . الطبعة الثانية ، 1995 ، ص: 197. 205.

(3) ما زالت قبور المجاهدين الذين نالوا الشهادة في هذه المعركة موجودة بجوار النصب التذكاري الخاص بذكرى المعركة وهم : الشيخ أبو القاسم بن فرج والشيخ رمضان بن حسن ومحمد بن صالح . ومحمد الحقوق . وعلي بن سعيد.

(4) مقابلة مع على شويكات بموقع المعركة بتاريخ29من إبريل 1991م رفقة طلبة قسم التاريخ بكلية التربية بجامعة السابع من آبريل بالزاوية . آثناء زيارتهم لقصر القواليش . وشاهدوا عن قرب بقايا عظام بعض الشهداء بقصر القواليش الذي صار مهجورًا منذ تاريخ المعركة. ومن المجاهدين الذين نالوا الشهادة هم :

1- على الغويل.

2- إمحمد محمد شويكات الذي ما زالت عظامه موجودة بالمكان الذي استشهد فيه وهو يدافع عن القصر كما آكد لي ذلك ابنه الحاج على شويكات.

3- أبو القاسم [illegible]

4- خميس بن إبراهيم.

5- على بن عامر عمق.

ومازالت عظام على الغويل وامحمد محمد شويكات [illegible] الدفن على إثر هجرة آقاربهما . وسيطرة الإيطاليين على المنطقة (محمد سعيد القشاط ، المرجع السابق ، 147- 151 ، جراتسياني ، المرجع السابق، ص: 109 : خليفة التليسي . بعد القرضابية . ص: 119).

احتلال غريان في 17 نوفمبر 1922 م:

سـارعت القـيـادة الإيطاليـة في أعـقـاب احـتـلال يفـرن يوم31من أكـتـوبر 1922م بزيادة الاستعدادات العسكرية لاحتلال غريان التى تقع إلى الشرق من يفرن، وتمثل أكبر مدن الجبل الغربى منتهزة حدوث الانقسام الكبير في صفوف الزعامات الوطنية على إثر قبول بعض المشائخ من الأعيان من أهالي غريان بالصلح مع إيطاليا، وعدم الدخول في المعارك ضد أفراد قواتها القادمة من يفرن حيث تزعم الهادى كعبار الجانب المؤيد لسياسة الاستسلام دون الحرب بحجة عدم قدرة سكان غريان على التصدى لقوات الغزو الإيطالي المكونة من المجموعات الآتية:

1- قوات "جراتسيانى" المكونة من 3500 جندى مشاة و350 فارسًا وأربعة قطع مدفعية.

2- قوات "بيتسارى" 2300 جندى مشاة مع 300 جندى من الفرسان، ومدفعين.

3- قوات "بيللى" المكونة من 600 جندى مشاة و100 فارس، ومدفعين.

4- القوات الإيطالية القادمة من العزيزية باتجاه غريان وتضم 450 جنديًا من المشاة.

وتقوم الخطة الإيطالية بزحف قوات "جراتسيانى" على غريان من الجنوب والغرب لقطع الطريق إلى الجنوب "القبلة" ولمنع وصول الإمدادات القادمة من المجاهدين، بينما تقوم قوات بيتسارى بشن الهجمات عن غريان من الناحية الشمالية "الجفارة : عن طريق الوديان المؤدية إليها من الشمال في حين تقوم قوات بيللى باحتلال بوغيلان، وهى الموقع الذى يتحكم في الصعود إلى الجبل الغربى عن طريق العزيزية في الوقت الذى تقوم فيه القوات الإيطالية القادمة من العزيزية باتجاه غريان بتوجيه ضربات شديدة لمواقع المجاهدين الأمامية في ترهونة بمنطقة سيدى السائح لمنعهم من نجدة المجاهدين فى غريان. وطالب الهادى كعبار من الإيطاليين في مقابل السلام أن يعترفوا لأهالي غريان ببعض المطالب وهى:

1- العفو الشامل عن جميع أهالي غريان.

2- تطبيق القانون الأساسى المتفق عليه في صلح بنى آدم 1919م.

3- عدم إعلان أية حالة حصار في غريان.

4- الاعتراف بجميع الموظفين وتثبيتهم في وظائفهم.

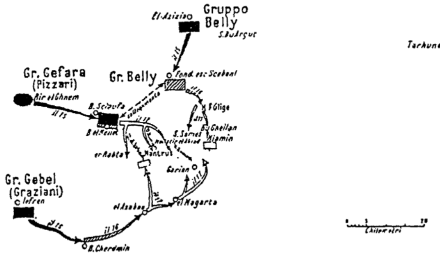
5- عدم تسليم الأسلحة في المدة القريبة القادمة.

6- دفع المرتبات المتأخرة لجميع موظفي غريان.

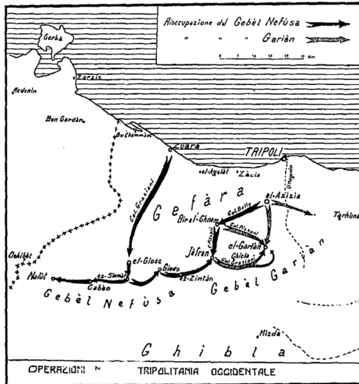
7- إيجاد النظام الإدارى الأنسب لمنطقة غريان.

8- إصلاح خط السكة الحديدية بين غريان والعزيزية.

9- منح أوسع قسط من حرية التجارة بين غريان وطرابلس.



عملية إعادة احتلال غريان (15-1922/11/17) وقد انطلقت قوات غراتسياني من يفرن، وقوات بتسارى من بئر الغنم ، وقوات بيللى من العزيزية .



احتلال جبل نفوسة
احتلال غريان
طرابلس
زوارة
أبوكماش
الزاوية
العجيلات
ترهونة
بئر الغنم
يفرن
جادو
الجوش
كاباو
جبل نفوسة
جبل غريان
مزدة
القبلة

10- إلغاء الحراسة على الأملاك الخاصة في غريان[1].

ورأت القيادة الإيطالية في مطالب أهالي غريان تحت قيادة الهادى كعبار تهديدًا لها، واعتبرت ذلك وقاحة يجب الوقوف عندها بعدم قبول الشروط أو التفاوض الأمر الذى دفع بالهادى كعبار إلى أن يبعث رسالة إلى جراتسيانى الموجود في يفرن أكد له فيها حرصه على عدم مقاومة القوات الإيطالية بل أنه سوف يحارب معها بمجرد بدء الزحف على غريان[2].

ونجحت سياسة الترهيب والترغيب التى اتبعتها القيادة الإيطالية في مواجهة تصدى أهالي غريان بتطبيق شعار "فرق تسد" الذى جنب القوات الإيطالية خوض المعارك الطاحنة وسط المناطق الجبلية، والظروف الاجتماعية الصعبة التى عادت بالفائدة على إيطاليا. وخاصة منها الخلافات القبلية، والجهوية التى ساعدت الكولونيل جراتسيانى على تقسيم الصف الأمر الذى ساعده على احتلال غريان يوم 17 نوفمبر سنة 1922م دون معارك بالاتفاق مع أهلها الذين تعرضوا للانتقام بما في ذلك الهادى كعبار وابنه، حيث تم أعدامهما بمصراتة بعد محاكمة جائرة في شهر يناير 1923 التى نقلاً إليها من غريان ثم الخمس لردع بقية الزعماء[3]. فى الوقت الذى قدم فيه مجاهدو منطقة «الجفارة» 360 شهيدًا[4] فى ملحمة وطنية واحدة هي معركة «رأس غزال» يوم 1923/1/31 ومن قبيلة واحدة هى «قماطة» من لحمات الخلفات والرحبات والعرفات وأولاد سلطان وغيرها.

احتلال ترهونة يوم 6 فبراير 1923 م :

وبعد أن سيطرت القوات الإيطالية على مدينة غريان دون معارك عدا الاشتباك الذى وقع بمنطقة الكليبة وأُلحقت فيه بعض الخسائر بالطرفين سواء في الأرواح أو المعدات . اصطدم المجاهدون بالقوات الإيطالية بمنطقة الكور في جنوب غريان فى أثناء زحف الإيطايين إلى ترهونة يوم الثانى من فبراير 1922م .

ونظرًا لأهمية موقع ترهونة كمركز لقيادة هيئة الإصلاح المركزية، في أعقاب احتلال المناطق الغربية والجبلية من الأراضى الليبية، فإن القيادة الإيطالية أعدت خطة كبيرة لتطويق

---

(1) جراتسياني . المرجع السابق، ص: 140 – 148 ، رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 252 -256 .
- الطاهر أحمد الزاوي . المرجع السابق ، ص: 462 -463.

(2) انظر تفاصيل المراسلات التي تمت بين الهادي كعبار والكولونيل جراتسياني في كتاب : نحو فزان . المرجع السابق ، ص:140 -148 : الطاهر أحمد الزاوي : المرجع السابق ، ص: 463.

(3) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 156 : رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 254 -255 : محمد إمحمد الطوير . الشيخ محمد فرحات الزاوي أحد قادة الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي ، دار الجماهيرية ، 1993، ص: 128 – 129، حيث كان جراتسياني قد أكد للهادي كعبار ضمان حياته ولكنه غدر به فور احتلال فزان.

(4) جراتسياني، نحو فزان، مرجع سابق ص133.
- التليسي، معجم معارك الجهاد، مرجع سابق ص398.

المجاهدين المتمركزين بمنطقة ترهونة على النحو التالى:

1- قوات "جراتسيانى" التى تضم 3700 جندى من المشاة، و350 فارسًا، وأربعة مدافع.

2- قوات "بيتسارى" تخرج من تاجوراء لاحتلال مسلاتة الواقعة إلى الشمال من ترهونة وتضم هذه القوات 3100 جندى من المشاة و300 فارس، وأربعة مدافع.

3- قوات "بيللى" وتضم 1400 جندى من المشاة و200 فارس تخرج من العزيزية باتجاه ترهونة مرورًا بسيدى أبى عرقوب في الوقت الذ ى تخرج فيه قوات جراتسيانى من غريان باتجاه ترهونة عن طريق وادى ويف[1].

واشتبك المجاهدون مع قوات العدو في معركة وادى ويف، ومعركة وادى الكور لمنعها من الوصول إلى ترهونة عن طريق غريان، ثم دارت معركة ثالثة في وادى ملغة على مشارف ترهونة تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة[2].

وتشير المصادر الإيطالية إلى أربع عشرة معركة شملت: المناطق الساحلية، ومسلاتة والعزيزية وجنوب غريان التى خاضها المجاهدون في إطار الدفاع عن منطقة ترهونة مثل معارك: سيدى أبو عرقوب، وسيدى الوليد، ووادى ملغة، وسيدى الجيلانى، والمسفين، ومقلب الماء ، وقصر الحجرة، ووادى الرمل، وقصر القره بوللى ، وفندق العلوص، وفندق النقازة، وسيدى الخمرى ، ومعركة مسلاتة "القصبات" ، ومعركة جبل مسد ، وقصر الداوون في يوم 6 فبراير 1923م وهو اليوم الذى تمكنت فيه القوات الإيطالية من احتلال ترهونة ولكن بعد خسائر فادحة في الأرواح والمعدات زاد فيها عدد الشهداء عن400 شهيد[3].

وباحتلال ترهونة تكون القوات الإيطالية قد سيطرت على منطقة الجبل الغربى، والمنطقة الساحلية الواقعة إلى الغرب من الخمس ، وانسحاب قيادة المجاهدين باتجاه زليطن ثم مصراتة ومنها إلى السدادة للإشراف على استمرار المقاومة من جديد .

وتقدر خسائر المجاهدين والإيطاليين خلال الفترة من 29 يناير إلى السادس من فبراير 1923م بعدد 1500 شخص في أربع عشرة معركة دارت وسط أراضى وعرة مثل: ممرات ملغا والكور ، ووادى ويف والأكوام ، والداوون وبوغيلان ، التى كانت قد شهدت زحف القوات الإيطالية على ترهونة من مختلف المناطق [4].

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 139 ، صلاح الدين السوري وآخرون المرجع السابق ، ص: 235.

(2) محمد سعيد القشاط ، المرجع السابق ، ص: 166 ، والذي أشار الى مصرع بعض المجاهدين مثل الفقيه أحمد بن أحمد انفيص ، وخليفة بن إمبارك ، وصالح بن إمبارك والشريف بن سليم عبد الله ، وسالم كريتي ، ومحمد السليني، وعامر بن عامر بالإضافة إلى عشرة أشخاص من مجاهدي الجعافرة.

(3) خليفة محمد التليسي ، معجم معارك الجهاد ، المرجع السابق ، ص: 192 ، 193 م، جراتسياني ، المرجع السابق ، ص:164.

(4) رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 258 ، 260.

احتلال زليطن في 23 فبراير، 1923 م :

وعلى إثر احتلال ترهونة في السادس من فبراير تحت قيادة الكولونيل "جراتسياني" ومساندة الكولونيل "بيتساري" ، والكولونيل "بيللي" بادرت القوات الإيطالية باستغلال حالة المجاهدين المنهكة بمواصلة الزحف باتجاه زليطن ، ومصراتة لاستكمال احتلال المنطقة الغربية من الأراضي الليبية ، ومنع المجاهدين من استعادة تنظيم صفوفهم .

وتحركت لهذا الغرض قوة من الخمس تحت قيادة الكولونيل "بيتساري" وتتألف من 3000 جندي مشاة و300 فارس ، وأربع قطع مدفعية في الوقت الذي تخرج فيه قوة إيطالية أخرى تحت قيادة الكولونيل "جراتسياني" من ترهونة وتضم 3500 جندي مشاة و350 فارس ، وأربع قطع مدفعية لمواجهة المجاهدين في جنوب زليطن.

وتصدى المجاهدون لقوات الكلونيل "بيتساري" في معركة طاحنة برأس الحمَّام، ومعركة رأس القطَّار ومعركة كعام، ومعركة سيدي صالح في حين تعرضت قوات الكولونيل "جراتسياني" إلى هجوم المجاهدين في وادي ماجر وألحقوا بها بعض الخسائر في الأرواح والمعدات .

وأمام كثرة أفراد قوات العدو المكونة من نحو 8000 جندي أمام 800 مجاهد بالإضافة إلى مساندة الطيران للقوات الإيطالية إلى جانب السفن الحربية تمكنت هذه القوات من دخول زليطن يوم 23 فبراير 1922م التي كان قد انسحب منها المجاهدون باتجاه مصراتة[1].

احتلال مصراتة في 26 فبراير 1923 م :

اتخذت القوات الإيطالية من زليطن قاعدة متقدمة للزحف على مصراتة في الوقت الذي قررت فيه قيادة المجاهدين الإسراع بالانسحاب من مصراتة وعدم التصدي لقوات العدو داخلها لصعوبة الدفاع عنها في أعقاب احتلال المناطق الساحلية التي تقع إلى الغرب من مصراتة في يد العدو.

ونجحت قيادة المجاهدين في نقل الأمتعة والأسلحة، والذخيرة من مخازن المجاهدين بمصراتة إلى منطقة السدادة في جنوب البلاد، كما سمحت حكومة مصراتة المحلية للأهالي بالانسحاب من المدينة تجنبًا للمخاطر خاصة وأن العدو هذه المرة سوف يحاصر مصراتة من البر والبحر.

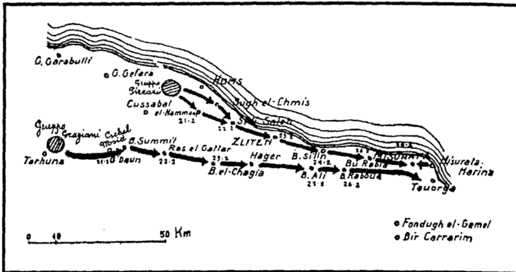
وبينما توقفت قوات "جراتسياني" في جنوب زليطن أولاً فإن قوات "بيتساري"، واصلت زحفها نحو الشرق بمحاذاة الطريق الساحلية باتجاه مصراتة والمكونة من الجنود المشاة

---

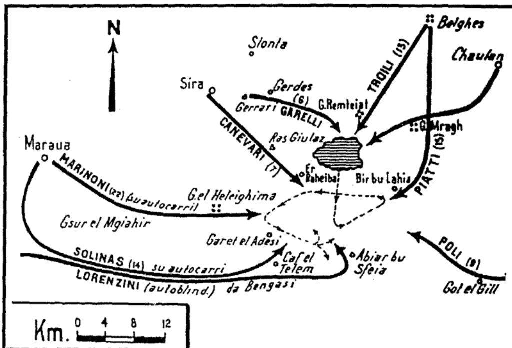
(1) خليفة محمد التليسي ، معجم معارك الجهاد ، ص: 265 ، 266.

العملية الحربية لإعادة احتلال الجبل الغربي (يونيو – نوفمبر 1922)

العملية الحربية لإعادة احتلال ترهونة (9يناير – 6 فبراير 1923)



العملية الحربية لإعادة احتلال زليطن ومصراتة (21-26 فبراير 1923)



هجوم العدو على معسكر (دور) الحاسة والعبيدات بالجبل الأخضر (1927)

والفرسان والبحرية والطيران من أجل تضييق الخناق على المجاهدين وإجبارهم على الإسراع بالانسحاب قبل أن يتم تطويق المنطقة وتعرض الأهالي إلى الإبادة الجماعية[1] وتولى الكولونيل "بيتسارى" عملية اقتحام مصراتة هذه المرة دون الكولونيل "جراتسيانى" عن قصد من القيادة الإيطالية نظرًا لأن الكولونيل "بيتسارى" كان قد وقع أسيرًا لدى مجاهدى مصراتة من قبل وظل لفترة من الزمن مسجونًا من طرف رمضان السويحلى حتى تم إطلاق سراحه فى أثناء وجود هيئة الإصلاح المركزية بروما برئاسة الشيخ محمد فرحات الزاوى في سنة1921 [2].

وقام الكولونيل "بيتسارى" ، بتقسيم قواته المتجهة إلى مصراتة على ثلاث وحدات أسند قيادة وحدتين خفيفتين منها إلى الكولونيل "روجيرى" والكولونيل "جالينا"، وتولى الكولونيل "بيتسارى" قيادة القوة الثالثة الرئيسية التى واجهت مقاومة محدودة ومتقطعة الأمر الذى ساعد قوات الحملة الإيطالية على دخول مصراتة يوم 26 فبراير 1923م من جهة الغيران تحت قيادة الكولونيل "روجيرى" في الوقت الذى كانت فيه قوات الكولونيل "جراتسيانى" قد توقفت عن الزحف باتجاه مصراتة عند سيدى أبى روية ثم العودة إلى ترهونة بعد أن أطمأنت إلى خلو مصراتة من رجال حركة المقاومة الذين انسحبوا باتجاه الجنوب[3]. وكانت القيادة الإيطالية التى كانت قد ذاقت الكثير من الهزائم على أيدى المجاهدين بمصراتة وخاصة في يوم 26 من يناير 1922 بمعركة قصر أحمد؛ فإن هذه القيادة قد أسندت عملية احتلال مصراتة إلى الكولونيل "بيتسارى" الذى كان قد ذاق مرارة الهزيمة والأسر على أيدى المجاهدين لأجل الرفع من معنوية القوات الإيطالية ولإحباط نفسية المجاهدين بعد أن ظل حلم سيطرة إيطاليا على مصراتة يراود القيادة العسكرية منذ انسحابها منها في سنة 1915 م ، وصارت مصراتة تمثل لها سجلاً حافلاً بالهزائم.

وتمت ترقية الكولونيل "جراتسيانى" ، والكولونيل "بيتسارى" إلى رتبة جنرال تقديرًا للجهود التى بذلاها في تحقيق الاحتلال ، والسيطرة على المناطق الغربية من ليبيا وفي إطار الاحتفال باحتلال مصراتة أبرق الوالي "فولبى" إلى وزير المستعمرات الجديد في روما السنيور "فدرزونى" يشعره بانسحاب المجاهدين من أمام القوات الإيطالية بمصراتة إحدى مراكز حركة المقاومة منذ عدة سنوات .

وأكد الوزير "فدرزونى" وزير المستعمرات الفاشستى، أن احتلال مصراتة يعبر عن مدى قوة إيطاليا التى لاتقهر[4].

---

(1) خليفة محمد التليسي . بعد القرضابية ، ص: 165.

(2) المرجع نفسه . ص: 166.

(3) الطاهر أحمد الزاوي . المرجع السابق . ص: 472 – 474 : خليفة محمد التليسي ، المرجع السابق . 166–167.

(4) رفعت عبد العزيز . المرجع السابق . ص: 264 . 265 : خليفة محمد التليسي . المرجع السابق . ص: 169.

معركة المشرك في الرابع من مايو 1923 م:

ونتيجة لوقوع مصراتة في أيدى القوات الإيطالية وانسحاب المجاهدين من مواقعهم الدفاعية بمنطقة قصر أحمد والمكونة من خنادق صغيرة وكبيرة وممرات خفية. وخطوط لإقامة المدفعية والرشاشات ومواقع دفاعية أمامية، حيث أضطرت قيادة المجاهدين إلى الانسحاب عن هذه المواقع الحصينة خوفًا من تطويق قوات العدو لها من كافة الجهات، و كان الانسحاب أمرًا ضروريًا والذى تم تنفيذه بكل دقة ونظام[1].

وشعر المجاهدون بمدى خطورة وصول القوات الإيطالية إلى مصراتة؛ لذلك قاموا بإعادة تنظيم صفوفهم لمنع قوات العدو من الخروج إلى جنوب مصراتة مركز تجمع المجاهدين والأسر الأخرى، وتولى محمد سعدون السويحلى قيادة المجاهدين الذين قدرت أعدادهم بنحو ألف شخص من المشاة و300 من الفرسان اتخذوا من منطقة سوانى المشرك والتى تعرف باسم تاجموت مركزًا للتصدى أمام القوات الإيطالية القادمة من مصراتة تحت قيادة الكولونيل "روجينى" والمكونة من 1300 جندى من المشاة و200 فارس ومدفعين[2].

وخرجت الحملة الإيطالية باتجاه سوانى المشرك في اليوم الأول من مايو تحت قيادة الكولونيل (روجينى) قائد منطقة مصراتة رفقة 1300 جندى من المشاة و200 فارس ومدفعين.

وتحركت القوات الإيطالية في شكل مجموعتين اتجهت الأولى إلى فندق الجمل. والثانية: إلى بئر جيمى – القدرية مما سهل على هذه القوات سرعة الحركة ووصول الكولونيل (روجينى) إلى تاورغاء دون مصاعب تذكر، ثم اتجه منها إلى سوانى المشرك حيث كان يتمركز المجاهدون الذين دخلوا في معركة ضارية ضد القوات الإيطالية القادمة استخدمت فيها مختلف أنواع الأسلحة بما في ذلك السلاح الأبيض كالحراب .

وظلت معركة المشرك دائرة من الصباح إلى مساء يوم الرابع من مايو 1922 م وسط منطقة خالية من الكثبان الرملية والتلال مما سهل على القوات الإيطالية تضييق الخناق على المجاهدين وأسفرت المعركة عن سقوط نحو 150 شهيدًا كان محمد سعدون السويحلى قائد المعركة على رأسهم إلى جانب بعض الضباط والجنود والمتطوعين الآخرين[3]

وفى أعقاب معركة المشرك اتجه المجاهدون إلى السدادة التى تقع بمنطقة ورفلة حاملين معهم جثث بعض الشهداء، مثل: محمد سعدون الذين مازالت قبورهم موجودة بمنطقة السدادة

---

(1) المرجع نفسه . ص: 170 – 171.

(2) الطاهر احمد الزاوي ، المرجع السابق ، ص: 474 ، حيث يؤكد آن قائد المجاهدين محمد سعدون كان قد بقي في اسيوطة بعد خروجه من مصراتة ، ثم انتقل من اسيوطة الى ام العرفج ، سواني المشرك التي شهدت اندلاع المعركة الكبرى.

(3) خليفة التليسي ، بعد القرضابية ، ص: 173 : الطاهر الزاوي ، المرجع ، والذي كان قد عاصر أحداث المعركة فوصف الكثير من جوانبها مثل أسماء الشهداء والجرحى.

وسط الصحراء.

وآدى موت المجاهد محمد سعدون إلى ضعف قوة المجاهدين المعنوية والمادية مما: أدى إلى سوء آحوالهم. وفتور في العزائم خاصة بعد آن آسندت قيادة المجاهدين إلى ابراهيم بن رمضان السويحلى الذى لم يجاوز سن السابعة عشرة: مما تسبب في انتقادات بعض المجاهدين لوجود من هو آكبر منه سنًا وآدرى بشؤون الحرب والقيادة، ولكن القائد الصغير إبراهيم السويحلى ظل في وظيفته مسترشدًا ببعض الآراء تحت إشراف عمه آحمد السويحلى الذى كان يتمتع بمركز قيادى واجتماعى[1].

وبالرغم من المصاعب التى تعرضت لها حركة الجهاد على إثر وقوع معركة المشرك في الرابع من مايو 1923 فإن قيادة المجاهدين المتمثلة في هيئة الإصلاح المركزية قد استطاعت بعد سقوط ترهونة وزليطن ومصراتة آن تقوم باستعادة تنظيم صفوف المجاهدين المتواجدين بمنطقة السدادة بعيدًا عن مرمى المدفعية الإيطالية؛ ولذا فهى صالحة لتكون ملتقى لتجمعات المجاهدين ، والانطلاق لشن الهجمات على المواقع الإيطالية بمناطق مصراتة، وزليطن، وترهونة بفضل بقية الآمل التى ظلت تدعو المجاهدين إلى توحيد حركة المقاومة، ومعاودة الجهاد ضد الإيطاليين من أجل تحرير المناطق المحتلة، وعزل الحاميات الإيطالية الموجودة في ترهونة، ومسلاتة، وزليطن ، ومصراتة والخمس ثم التوغل إلى داخل المناطق الجبلية .

وانتهزت قيادة المجاهدين وجود عدد كبير من المجاهدين بمنطقة السدادة. وقامت بالإسراع في إعداد قوة من الفرسان والمشاة آسندت لها مهمة زعزعة وضع الاحتلال وتهديده في شكل معارك طاحنة امتدت إلى سفوح غريان والعزيزية وترهونة، ومسلاتة، وزليطن. ومصراتة. بتهديد مواصلات العدو وعزل حامياته ليسهل الانفراد بها، وتوجيه الضربات إليها[2].

وقامت قيادة المجاهدين قبل الشروع في المقاومة بإجراء اتصالات واسعة مع العناصر القيادية لجمع الشمل، وإقناع بعض الزعماء بالخروج عن الحياد والانضمام إلى المقاومة. وتفويت الفرصة على القوات الإيطالية لكي لاتقوم بالهجوم من المناطق الشرقية على المناطق الوسطى والغربية من الأراضي الليبية، ولمنع تكوين كماشة ضد حركة الجهاد في المنطقة الوسطى بتحريك القوات الإيطالية من بنغازى وسرت في وقت كانت فيه المعارك قد اندلعت بين المجاهدين والإيطاليين على إثر العمليات العسكرية التى كانت تجرى بمنطقة اجدابيا مركز حركة الجهاد بالمنطقة الشرقية[3].

---

(1) المرجع نفسه ، ص: 478 ؛ محمد إمحمد الطوير ، "إبراهيم السويحلي أصغر قادة حركة الجهاد الليبي" مجلة الأخاء ، العدد الثامن عشرلسنة 1989 ، ص: 52 -65.

(2) خليفة محمد التليسي ، بعد القرضابية ، ص: 177 ، 178.

(3) المرجع نفسه ، ص: 178 ، 179.

ويعترف الكولونيل "ميتزتى" الذى تولى قيادة بعض العمليات الحربية في صيف سنة 1923م إثر غياب الجنرال "جراتسيانى" في روما مع قائد الجيش الإيطالي الجنرال " ترانتو " والوالي "فولبى" أن خطة المجاهدين كانت بارعة، وتهدف إلى إعادة الوضع الذى واجه الحاميات الإيطالية في سنة 1915 وعرضها للإبادة آحيانًا وللأسر والتشرد أحيانًا آخرى[1].

وقامت القيادة الإيطالية بوضع خطة عسكرية لمواجهة تصاعد حركة المقاومة من جديد تقضى بأن تقوم القوات الإيطالية الموجودة في غريان بالتحرك باتجاه ترهونة، ومسلاتة، وزليطن ، ومصراتة التى كانت تشهد زحف رجال حركة المقاومة عليها في الوقت الذى اعتمدت فيه القوات الإيطالية على المجندين الليبيين "الباندة" في حامية نالوت ومزدة والمناطق الواقعة بينهما؛ حيث تحركت القوات الإيطالية تحت قيادة الكولونيل "ميتزتى" من غريان في اليوم التاسع من سبتمبر 1923 باتجاه ترهونة بمساعدة قوات "مرجينوتى" وقوات "جالينا" فضلاً عن قوات "جراتسيانى" فيما بعد.

ومن ترهونة استأنفت قوات "ميتزتى" الزحف يوم 13 سبتمبر باتجاه الشرق ولكن المجاهدين تصدوا لها على مقربة من بئرالفرجانى الذى يقع إلى الشرق من ترهونة بمسافة قصيرة لمنع تقدم هذه القوات.

وقد دارت معركة عنيفة أجبرت القوات الإيطالية على وقف تحركاتها باتجاه قصر الداوون ومسلاتة حتى ظهر 14 سبتمبر حينما وصلت قوات "ميتزتى" إلى مسلاتة بعد آن تعرضت إلى بعض الخسائر في الأرواح والمعدات خاصة فوق جبل مسد[2].

ودخلت القوات الإيطالية تحت قيادة "مرجينوتى" في معركة بمنطقة القطّار. كما شاركت قوات "ميتزتى" يوم 15 من سبتمبر قوات مرجينوتى في مقاومة المجاهدين المتمركزين بمنطقة القطّار ثم العودة إلى زليطن يوم 18 من الشهر نفسه.

وشاركت قوات "جالينا" في التصدى للمجاهدين داخل المناطق الواسعة بالقرب من جبل القطّار. ووادى قصر الجفارة، ووادى سليمان لإجبار المجاهدين على عدم العودة إلى ترهونة وزليطن.

وقامت قوات "ميتزتى" يوم 21- من سبتمبر بمهاجمة المجاهدين المتمركزين في منطقة بئر الفلاجة بجنوب مصراتة[3].

ونظرًا لاشتداد الهجمات من طرف المجاهدين في صيف 1923م قامت القيادات الإيطالية بوضع خطة جديدة لإجبار المجاهدين على التراجع، واستدعت لذلك أكبر القادة حيث وصل جراتسيانى من روما وهو يحمل رتبة جنرال"لواء" هذه المرة مع وظيفة قائد منطقة الجبل الغربى.

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 190 -191.

(2) الطاهر احمد الزاوي، المرجع السابق ، ص: 495 ؛ جراتسياني ، المرجع السابق، ص: 191 - 192 .

(3) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 192 - 193.

وتحركت قوات "جراتسيانى" من ترهونة يوم الرابع من أكتوبر باتجاه وادى ويف الذى منه دخلت هذه القوات في معركة حامية ببئر الواعر[1]، عادت بعدها قوات "جراتسيانى" إلى غريان يوم السابع من آكتوبر 1923 م.

وتمكنت القيادة الإيطالية من المحافظة على منطقة الجبل الغربى دون حدوث تغيير كبير يذكر بوقف مهاجمة المجاهدين ، واستمرار مرور وسائل المواصلات بين غريان والعزيزية ، واسترجاع خمسة آلاف رأس من الماشية كان المجاهدون قد استولوا عليها من أهالي غريان[2] ويؤكد الجنرال جراتسيانى حدوث مصادمات دامية بين المجاهدين، والقوات الإيطالية بين يومى 6 -11 أكتوبر 1923 خاصة تلك المصادمات التى وقعت على المرتفعات الواقعة جنوب جبل مسد يوم 6 من آكتوبر ، ويوم 7 من آكتوبر الذى دارت فيه معركة في جنوب قصر العقوبية. ثم معركة سيدى "زلى في جنوب زليطن[3].

وقد أدت هذه التحركات الإيطالية الموجهة ضد ازدياد حركة المقاومة إلى التقاء القوات القادمة من الجفارة وزليطن في الخمس مع تشديد الخناق على منطقتي زليطن وترهونة من مهاجمة المجاهدين . وتقدمت القوات الإيطالية تحت قيادة الكولونيل "جالينا" إلى مرتفعات رأس الأجرد الواقعة إلى الجنوب من زليطن بحوالي 30 كيلو مترًا بعد آن أجبرت المجاهدين على الانسحاب من بئر سيدى سرور في يوم 14 أكتوبر والوصول إلى وادى ماجر .

معركة الكراريم في 13 أكتوبر 1923 م:

وفي إطار اتساع دائرة المعارك تمكن المجاهدون من الاقتراب من غريان، وترهونة وزليطن، ومصراتة ومهاجمة المواقع الإيطالية بكل شجاعة كما حدث في يوم 27 من سبتمبر 1923م حينما قاموا بمهاجمة سيارة إيطالية في فوليجة كانت متجهة من العزيزية إلى غريان، وقاموا بقتل جندى إيطالي وآسر اثنين أرسلا إلى قصر حكومة المجاهدين في نفذ. ولكن قوات المجاهدين التابعة إلى عبدالنبى بالخير اعترضت طريقهما وأبقاهما عنده في ورفلة.

كما تمكنت مجموعات من المجاهدين من الاقتراب من مدينة مصراتة في شكل ثلاث مجموعات، ووصلت زاوية المحجوب الواقعة إلى الغرب من مصراتة بحوالي عشرة كيلومترات فقط ، بينما وصلت المجموعة الثانية إلى سيدى عبدالرؤوف، والمجموعة الثالثة إلى رأس فندق الجمل والكراريم. وتعترف الوثائق الإيطالية بأن المجاهدين أظهروا خلال فصل الصيف من سنة 1923م مقاومة عنيفة وقيادة منظمة تتميز بالكر والفر، واستغلال كل الظروف المتاحة

---

(1) المرجع نفسه ، ص: 193 .

(2) صلاح الدين السوري وآخرون ، المرجع السابق ، ص: 236 ؛ جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 194 .

(3) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 194 .

كغياب المسئولين الإيطاليين من العسكريين والمدنيين عن الأراضي الليبية، والاستفادة من حلول فصل الصيف الذى يؤثر على حركة القوات الإيطالية . بالإضافة إلى حاجة هذه القوات إلى الراحة بعد الإعياء الذى لحق بها من جراء العمليات السابقة؛ الأمر الذى ساعد المجاهدين على تجميع نحو 1200 مجاهد تمكنوا من الوصول إلى تاورغاء والمرابطة بها بعدد500 مجاهد، وسيدى عبد الرؤوف ومرابطة 500 مجاهد بها ، وفندق الجمل ، وبئر الزروق والكراريم التى تقع إلى الشرق من مصراتة بحوالي 50 كيلو متر، ولاتزيد المسافة التى تقع بين فندق الجمل والكراريم عن خمسة كيلومترات وسط منطقة منبسطة من الأراضي ، وقدرت آعداد المجاهدين الذين وصلوا إلى هذه المناطق بنحو 700 مجاهد من المشاة و200 مجاهد من الفرسان، ومدفعين ورشاشين[1].

وتمكنت مجموعة من المجاهدين أن تصل إلى زاوية المحجوب إحدى ضواحى مصراتة من ناحية الغرب لأجل محاصرة المنطقة، ولمنع وصول المدد إليها من طرابلس. وبعد يومين من محاصرة زاوية المحجوب التى كانت تتمركز بها قوة إيطالية وعددًا من المجندين الليبيين برئاسة على الكريتلى الذى تم القبض عليه مع عدد من المجندين معه ، وأرسلوا إلى قيادة المجاهدين في نفذ حيث تمت محاكمة على الكريتلى وإعدامه بتهمة الخيانة العظمى[2].

وغنم المجاهدون بعض قطع الأسلحة والذخيرة وألحقوا بالقوة الإيطالية الكثير من الخسائر في أفرادها[3].

وجاء في وصف أحد شهود العيان الذى رافق إبراهيم رمضان السويحلى، وعون سوف المحمودى في الهجوم على زاوية المحجوب أن قوات المجاهدين بعد أن أخذت استراحة لمدة شهرين في نفذ عادوا إلى وادى ميمون، ونزلوا على تاجموت، وقاموا بإرسال دورية إلى بئر دوفان، وأخرى: إلى بئر ساسو، وثالثة: إلى تاورغاء ، ولماعلموا بوجود معسكر لقوات العدو في سوانى العوكلى بالقرب من رأس جديد قاموا بشن هجوم قبيل الفجر تمكنوا فيه من قتل وأسر معظم أفراد القوة الإيطالية ، ثم زحف المجاهدون على أسوار مصراتة "الكردون" ولم تنقطع مدافع العدو بعيدة المدى والمتمركزة في قوز التيك من قذفها لقنابلها طيلة مدة الحصار التى جرح فيها آحد آفراد المجاهدين بجروح طفيفة[4].

---

(1) الطاهر آحمد الزاوي ، المرجع السابق ، ص: 496 : خليفة محمد التليسي ، بعد القرضابية ، ص: 201 الذي يشير إلى الضابط الطاهر شلابي قائد المجاهدين وإلي ركاب السيارة الإيطالية وهم القبطان بيتزي ، والقبطان لولو والملازم تابورا والملازم تاجي مع جندي ايطالي وآخر أريتري.

(2) خليفة محمد التليسي ، ما بعد القرضابية ، ص: 204.

(3) محمد إمحمد الطوير، المجاهد ابراهيم السويحلي أصغر قادة الجهاد الليبي "مجلة الإخاء"، المرجع السابق ، ص: 65-50 .

(4) المرجع نفسه ، والصفحات : حسن علي خشيم ، صفحات من جهادنا الوطني ، طرابلس-ليبيا،1974، ص،93-95 : الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال ، ص. 495.

أما معركة الكراريم التى كانت تمثل أكبر المعارك التى جرت في أعقاب معركة المشرك فقد شارك في قيادتها إبراهيم السويحلى ، وعون سوف المحمودى بالإضافة إلى بعض القيادات الأخرى من الضباط والمشائخ والأعيان والتى كانت خطة المجاهدين فيها تتلخص في إقامة خط الدفاع الأول عند فندق الجمل الواقع إلى الغرب من بئر الكراريم على بعد خمسة كيلومترات بينما كان خط الدفاع الثانى بأرض بئر الكراريم .

وكانت القيادة الإيطالية فور تأكدها من وجود المجاهدين بالمناطق المذكورة أرسلت حملة عسكرية تحت قيادة الكولونيل "ميتزتى" قائد منطقة مصراتة تضم عدة كتائب مسلحة مزودة بالطائرات والمدفعية، والرشاشات للعمل على تطويق المجاهدين وإجبارهم على الاستسلام.

ولكن المجاهدين دخلوا مع قوات "ميتزيتى" في معركة بمنطقة بئر الكراريم التى اشتعلت نيرانها منذ الظهر ، وظلت متواصلة حتى مساء اليوم نفسه 13 أكتوبر 1923م تصدى فيها المجاهدون بكل قوة لزحف القوات الإيطالية المزودة بالمدفعية والطائرات.

وأمام ازدياد شن الهجمات على خط الدفاع الأول في فندق الجمل انسحب المجاهدون إلى خط الدفاع الثانى للمجاهدين في بئرالكراريم مما زاد من شدة المعركة لأجل تحقيق الانتصار أو الاستشهاد.

وقام العدو بمهاجمة مواقع المجاهدين بمساعدة قصف الطائرات في الوقت الذى يعمل فيه فرسانه على تطويق المجاهدين من الخلف لمنع انسحابهم إلى تاورغاء؛ مما أدى إلى انسحاب المجاهدين من أرض المعركة تحت حماية الفرسان باتجاه ميمون حاملين معهم الجرحى والمدفع الذى كان معهم تحت قيادة عبدالله الشركسى تاركين نحو 373 شهيدًا بأرض المعركة بينما كات خسائر العدو فادحة وجسيمة[1].

وكانت معركة الكراريم تمثل خاتمة المعارك الكبيرة التى جرت بمنطقة مصراتة وأصيب فيها المجاهدون بخسائر كبيرة بسبب استخدام قوات "ميتزتى" لسلاح الطيران على نطاق واسع والذى أدى إلى حسم المعركة لصالح القوات الإيطالية وجرح عون سوف المحمودى وإبراهيم السويحلى .

وفي نفس الوقت الذى كان فيه المجاهدون ينسحبون من الكراريم بمنطقة مصراتة كان فيه قسم آخر من المجاهدين يخوضون في معركة طاحنة يوم 14 من أكتوبر 1923م ضد قوات الكولونيل "جالينا" بمناطق جنوب زليطن قرب وادى ماجر عند سيدى سرور والتى وصل منها إلى قصور الضرائر ، ووادى المعذر بمنطقة ترهونة[2].

(1) الطاهر الزاوي ، المرجع السابق ، ص: 478 ؛ جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 196 ؛ حسن على خشيم ، المرجع السابق ، ص: 94 -95.

(2) خليفة محمد التليسي ، بعد القرضابية ، ص: 206 -207.

وخلال اندلاع المعارك بمنطقتي زليطن ومصراتة شهدت منطقة الجبل الغربى. شن بعض الهجمات التى قام بها المجاهدون يوم 27 من آكتوبر على منطقة الزنتان وألحقوا بالقوات الإيطالية الكثير من الخسائر .

كما شهدت منطقة نالوت مهاجمة المجاهدين تحت قيادة أمود أحد قادة الطوارق يوم 17 من نوفمبر 1923 بمهاجمة القوات الإيطالية المتمركزة في أولاد محمود وإلحاق أفدح الخسائر بها ، في حين قام إبراهيم بن آمود المذكور بصفته نائب والده بمحاولة مهاجمة القوات الإيطالية داخل نالوت عن طريق وادى الثلث، ولكن اكتشف أمره من قبل الحامية الإيطالية: مما أدى إلى قيام معركة طاحنة تعرض فيها المجاهدون لخسارة كبيرة[1]

وعليه تمكنت القوات الإيطالية في نهاية شهر نوفمبر 1923 من إبعاد قوة المجاهدين عن المناطق الساحلية الغربية والجبلية بالرغم من عودة المجاهدين إليها في صيف 1923 م وخاضوا الكثير من المعارك الطاحنة كالمعارك التى دارت بمناطق نالوت والزنتان ، وغريان ، والعزيزية وترهونة ، وزليطن ، ومصراتة والتى نتج عنها زعزعة مباشرة للقوات الإيطالية التى آخذت تشعر بالقلق والخوف من مغبة عودة الوضع العسكرى والسياسى إلى ماكان عليه في سنة 1915 حينما آجبرت هذه القوات على الانسحاب من قواعدها الداخلية إلى المناطق الساحلية.

احتلال ورفلة في 27 ديسمبر 1923 م

وبالرغم من عدم مشاركة مجاهدى ورفلة في التصدى للقوات الإيطالية منذ استئناف حركة الجهاد في سنة 1922 على إثر الخلاف الذى نشب بين عبدالنبى بالخير من أعيان ورفلة، ورمضان السويحلى من زعماء مصراتة في سنة1920م فإن إيطاليا كانت قد قررت التخلص من مجاهدى ورفلة تحت قيادة عبدالنبى بالخير خاصة على إثر وصول آلاف من الأهالي النازحين القادمين من المناطق الساحلية والجبلية وفضلوا الإقامة في وديان ميمون ، وسوف الجين والسدادة ، ونفذ بمنطقة ورفلة حيث نجحت هيئة الإصلاح المركزية في توجيه مجموعات مسلحة من هؤلاء المهاجرين لشن هجمات على سكان المناطق المحتلة لأجل نشر الخوف بينهم، ولفقد الثقة في الحكومة الإيطالية.

كما كانت إيطاليا تهدف من احتلال ورفلة إلى توسيع دائرة احتلالها، وإجبار السكان النازحين على العودة الى مناطقهم أو الهجرة إلى قلب الصحراء رفقة زعمائهم[2].

وحتى تتمكن القيادة [illegible] احتلال ورفلة ذات الموقع الاستراتيجى العام. وملتقى

---

(1) المرجع نفسه ، ص: 207 : جراتسياني المرجع السابق ، 196 . . .
(2) المرجع نفسه ، ص: 202 ، 203.

احتلال ورقلة

لطرق القوافل فإن الخطة العسكرية التى وضعت في الخصوص تقوم على إرسال وحدتين من القوات الإيطالية تتحرك من مصراتة وغريان تحت قيادة الجنرال "جراتسيانى" بحيث يخترق المحور الأول: أراضي مصراتة باتجاه وادى نفد ثم ينعطف على بنى وليد على الطريق الجنوبى الشرقى بينما يتجه المحورالثانى: من غريان باتجاه مزدة ثم وادى سوف الجين ومنه إلى بنى وليد عن طريق ترهونة من أجل عزل المناطق الشمالية من ورفلة واحتلالها ولكن القيادة الإيطالية أدخلت تعديلاً هامًا على الخطة المذكورة بالعدول عن الزحف على مزدة من غريان وأن تكون ترهونة مركزًا لتجمع القوات باتجاه بنى وليد لأجل تجنب حدوث الخوف لدى قبائل المنطقة[1].

وضمت الحملة الإيطالية بصفة عامة 9900 جندى من المشاة و1333 فارسًا ، واستخدام 5700 حيوان لنقل المعدات والجنود، وعشرة مدافع بالإضافة إلى قوة إحتياطية من الفرسان وبعض الطائرات ، وقام بمساعدة الجنرال "جراتسيانى" العديد من كبار الضباط مثل: الكولونيل " مريوتى " و"مالتا"، و"فولبى"، و"جالينا"[2].

وبدأت هذه القوات بالزحف على نفد يوم 22 من ديسمبر1923، ثم على السدادة مركز تجمع المجاهدين يوم 23 من الشهر نفسه. وفي 24 من الشهر المذكور وصلت القوات الإيطالية القادمة من مصراتة إلى قصر ميمون.

ويعترف الجنرال "جراتسيانى" بأن تجميع هذه الأعداد الكبيرة من أفراد القوات الإيطالية ساعد على شل حركة مقاومة المجاهدين الذين تعرضوا للمباغتة في السدادة من طرف قوات "ميزتى" ، ولذلك تخلوا عن أرض المعركة تاركين وراءهم عدة آلاف من رؤوس الماشية . ومخزن صغير من التموين ، والمهمات الأخرى على إثر إدراك زعماء المجاهدين لاستحالة المقاومة بعدد ضئيل يعمل العدو على تطويقه ، وأسره ، وتوجه المجاهدون إلى سرت من السدادة التى اجتمعوا بها لدراسة الخريطة العسكرية للبلاد[3].

وكانت معركة السدادة تمثل الضربة الخاطفة التى وجهت إلى المجاهدين في هذه المرحلة

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 203 - 204.

(2) المرجع نفسه ، ص: 205 - 211 الذي يشير الى أسماء الوحدات الإيطالية وأماكن انطلاقها وأسماء قادتها ، وأماكن تجمعها مما يدل على أهمية ورفلة، مثل : فصيلة "فرقة" المالِيشيا الفاشستية السردينية ومعها قسم المدفعية وفرقة طلائع قناصة سردينيا، وفرقة مونتي فيليتو ، والكتيبة الليبية الأولى والثانية والثالثة ، والخامسة والسادسة والثامنة والتاسعة . والكتـ[illegible] بترية الثانية ، والسادسة ، والكتيبة المختلطة السابعة عشر والثامنة عشر والتاسعة عشر ، والعشرون . وطابور السواري "الفرسان" الأول والثاني والثالث والرابع والخامس . والسادس . والسابع . فرقة الباهيس. وفرقة الهجانة "الجمالة" والبطارية الليبية والثانية والثالثة . وغيرها من الفرق الأخرى.

(3) محمد إمحمد الطوير " إبراهيم السويحلي أصغر قادة حركة الجهـ[illegible] ـع الـ[illegible]ـابق، ص: 58 حيث كان من بين زعماء الجهاد الذين اتجهوا من السدادة إلى سرت كل من: الشيخ محمد فرحات الزاوي . ومحمد سوف المحمودي . وأحمد المريض ، وعمر أبو دبوس ، والمبروك المنتصر ، والمختار كعبار.

التى فقدوا فيها معظم مالديهم من أسلحة وذخيرة وماشية والتى من بينها أربعة مدافع وقاذفة قنابل . وخمسة رشاشات، و550 صندوقًا من ذخيرة المدافع والبنادق [1].

وتحركت قوات "ميتزتى" من السدادة في اتجاه بنى وليد سالكة مناطق القطّار ووادى ميمون. ووادى تمسلة وطريق الضمرية باتجاه قصر ميمون وسط مقاومة محدودة من المجاهدين التابعين لبقايا المحلات التى كانت قد هاجرت إلى هذه المنطقة في الوقت الذى كانت فيه جماعات من سكان ورفلة ترفع الراية البيضاء مؤكدة عدم نية عبدالنبى بالخير في التصدى لقوات ميتزتى[2] وهى مناورة بارعة كان الهدف منها إحداث المفاجأة أمام القوات الإيطالية بإطلاق النار عليها وإلحاق الهزيمة بها كما حدث في القرضابية سنة 1915 ، ولكن القيادة الإيطالية كانت تنبهت إلى نوايا عبدالنبى بالخير الذى كان قد تميز بمواقفه الحذرة كانسحابه من حملة الكولونيل ميانى المتجهة إلى سرت، ثم الموقف الذى اتخذه من الحامية الإيطالية في أعقاب معركة القرضابية سنة 1915 بالإضافة إلى ما تميز به من مراوغة في مفاوضاته ، واتصالاته مع إيطاليا خاصة في مؤتمر صلح بنى آدم في عام 1919 [3].

وبانتهاء معركة السدادة التى كانت في شكل هجوم فجائى للمجاهدين تحول معظمهم إلى سرت بينما تحولت وجهة القوات الإيطالية تحت قيادة الكولونيل ميتزتى باتجاه ورفلة ، ولم تتعرض هذه القوات إلا لبعض المصاعب المحدودة كالحصول على الماء؛ مما أصاب أفراد الجيش بالإنهاك منذ يوم 25 من أكتوبر 1923م ، وكانت معركة "وادى غبين" من أول المعارك التى جرت حول بنى وليد من الشرق ، والتى تمكنت فيها القوات الإيطالية من إجبار المجاهدين على الانسحاب ، والتقدم باتجاه بنى وليد[4].

أما قوات الجنرال جراتسيانى فقد تحركت من قصر غلبون فجر يوم 27 من ديسمبر بعد أن فشل في دعوة عبدالنبى بالخير إلى إعلان استسلام ورفلة للقوات الإيطالية.

ودارت معركة عنيفة بوادى دينار تصدى فيها المجاهدون تحت قيادة عبدالنبى بالخير إلى قوات جراتسيانى بكل ضراوة من الساعة الثامنة والنصف صباحًا وحتى الساعة الثانية ظهرًا عندما أخذ المجاهدون في الانسحاب باتجاه الجنوب على إثر قيام القوات الإيطالية في

---

(1) خليفة محمد التليسي ، عد القرضابية ، ص: 221.

(2) المرجع نفسه ، ص: 221.

(3) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 217 -219 ؛ خليفة محمد التليسي ، بعد القرضابية ، ص: 213 والذي يشير إلى محاولة المجاهدين في القيام بمحاولات للتقريب بين عبد النبي بالخير وأحمد السويحلي ، ووصف السنيور "بومبيو جراردي" الذي كان أسرلدى المجاهدين في السدادة إن عبد النبي كان يمثل لدى الزعماء المجاهدين سرًا يصعب النفاذ إليه وكشفه. ولم تفلح معه مهارة عبد الرحمن عزام ، المرجع نفسه ، ص: 218.

(4) رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 283 ، حيث كانت المعركة قد دارت تحت قيادة الهادي بن يونس الذي أسر في هذه المعركة بعد أن جرح بها ، ونال الشهادة من المجاهدين : محمد عبد الرحيم إجدوبة ، وعبد الحميد عبدالرحيم.

بالسيطرة على أرض المعركة والوصول إلى القصر ورفع العلم عليه [1].

وانسحب عبدالنبى بالخير مع بقية المجاهدين إلى الشميخ في جنوب بنى وليد ولكن القوات الإيطالية وصلت إلى المنطقة تحت قيادة الكلونيل " مالتا " يوم26 من ديسمبر 1923 لأجل قطع خط الرجعة على المجاهدين في أعقاب معارك ورفلة والتى أدت إلى احتلال بنى وليد يوم 27 من ديسمبر، والشميخ في يوم 28 من الشهر نفسه.

وكانت خسائر القوات الإيطالية حوالي ثلاثين قتيلاً، و108 من الجرحى ، و25 جنديًا مفقودًا في حين قُدرت فيه خسائر المجاهدين بمائة شهيد وشهيدة، و29 من الجرحى. واستيلاء الإيطاليين عن ثلاثة مدافع وخمس رشاشات وكميات من البنادق والذخيرة، وأباح الجنرال جراتسيانى مدينة بنى وليد لجنوده لمدة ثلاثة ايام، تم حرق المنازل ونهب الأرزاق والاعتداء على الحرمات[2].

احتلال غدامس:

وحتى تتمكن القوات الإيطاليــة من فرض الاحتلال المباشر على كامل المنطقة الغربية والجبل الغربي؛ فإن هذه القيادة العسكرية وجهت قوة كبيرة من نالوت يوم 4 فبراير 1924 باتجاه سيناون التى استولت عليها في 7 فبراير، ثم استولت على غدامس في 15 من الشهر نفسه بعد معركة وادى الوطية يوم 12 فبراير1924 [3] .

وكان أهالي غدامس قد عقدوا اجتماعًا قرروا فيه عدم المقاومة لقلة عدد الرجال والسلاح واستحالة وصول المدد إلى غدامس لبعدها عن العمران، واحتلال المناطق الشمالية بأيدى الإيطاليين مع قربها من الحدود التونسية والجزائرية التى ترابط بهما قوات الجيش الفرنسى المتواطئ مع الإيطاليين[4].

معركة الطابونية 9 مارس، 1924م

وبعد أن أطمأنت القوات الإيطالية على تثبيت أقدامها بمناطق غدامس، والجبل الغربى اتجهت أنظارها لاحتلال القبلة وهى المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الجبل الغربى والتى

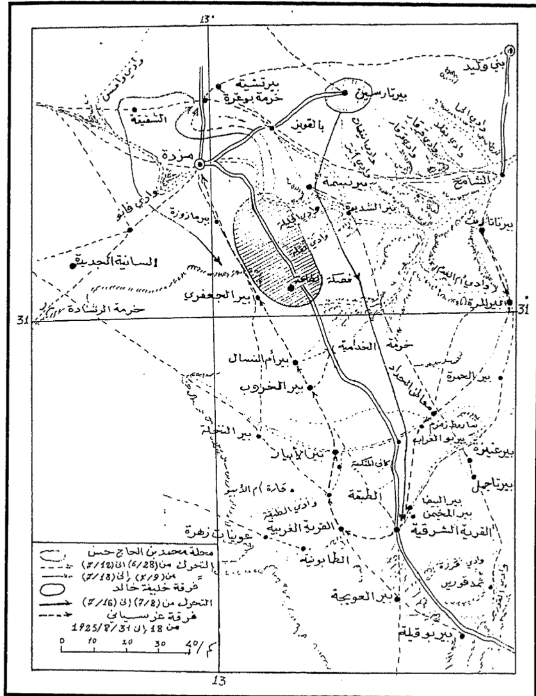
---

(1) عمر محمد إزبيدة ، احتلال منطقة تجمع المجاهدين ببني وليد وما حولها 1923، مركز دراسة جهاد الليبيين ، 1988. ص: 109 - 116.

(2) محمد المرزوقي ، عبد النبي بالخير، داهية السياسية وفارس الجهاد، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس ، 1978، ص:169.

(3) جراتسياني ، نحو فزان ، ص: 255 ، الذي يشير إلى القوة الإيطالية التي احتلت غدامس تحت قيادة النقيب فوليتي مع كتيبة أريترية وفرقة من الهجانة وأخرى غير نظامية.

(4) بشير قاسم بوشع ، غدامس ، ملامح وصور ، دار لبنان ، بيروت ، لبنان، 1973 م، ص: 113 والذي يؤكد أن سيدي بن قاسم بن عمر آثر المقاومة والإستشهاد ولم يوافق على الاستسلام ، الذي عارضه بشدة.



أكبر العمليات العسكرية فى منطقة (القرية - الطابونية)

تحولت إلى مركز كبير لتجمع الأهالي النازحين من الزنتان والرجبان وبعض سكان المناطق الأخرى.

وتولى الرائد "أيتورى فاليانى" قيادة هذه الحملة المؤلفة من 900 جندى من المشاة و170 فارسًا وبطارية مدفعية حيث آتجهت القوة الإيطالية من جادو بالجبل الغربى في الأول من مارس1924ووصلت إلى موقع المجاهدين ببئر ناصرة والطابونية في التاسع من مارس1924م.

وتصدى المجاهدون لهذه القوة في معركة طاحنة استمرت حتى المساء، حينما شن المجاهدون هجومًا عنيفًا نتج عنه مقتل عدد من الإيطاليين والمجندين معهم مثل: آحمد العياط الذى كان مقتله يمثل خسارة كبيرة للقوات الإيطالية كما خسر المجاهدون في هذه المعركة 90 شهيدًا واستيلاء القوات الإيطالية على نحو "10000"عشرة آلاف رأس من الماشية[1].

وتصف المصادر الإيطالية، مقتل آحمد العياط بأنه كان يمثل خسارة كبيرة لإيطاليا، ولو قدر له البقاء على قيد الحياة لقدم لها أكبر المساعدات في احتلال منطقة القبلة[2].

لقد كان آحمد العياط يقاتل وهو على صهوة جواده ضد المجاهدين إلى جانب القوات الإيطالية حينما شاهد جماعة على رأس تل صغير وظن – العياط – أنها فرصة ثمينة: لتحقيق حلمه في الانتقام من أعداء إيطاليا فأندفع صوبهم في تهور ولكن ما آن تعرف عليه المجاهدون حتى أمطروه بوابل من نيران بنادقهم؛ فأردوه قتيلاً، وكان قاتله قد تعرضت من قبل قبيلته للقتل من طرف أحمد العياط حتى أنه كاد أن يبيدها[3].

وتجدرالإشارة إلى أن القوات الإيطالية قد نجحت في زرع الفتن والخلافات بين صفوف المجاهدين بواسطة بعض الأشخاص مثل: آحمد العياط الذى انضم إليهم بداية من سنة 1921م بعدما كان يقاتل قبل ذلك في صفوف المجاهدين ومقربًا من رمضان السويحلى الذى عينه في سنة 1919م قائمقام في فزان بينما كان خليفة الزاوى متصرفًا هناك ، واستخدم آحمد العياط الحيلة ضد خليفة الزاوى بادعائه الذهاب إلى مصراتة لأجل أن يتباحث مع رمضان السويحلى. ولكنه توجه إلى طرابلس وأعلن عن ولائه للإيطاليين مدعيًا لهم بوجود سلطته ونفوذه على سكان فزان دون خليفة الزاوى الذى يعتبره خصمًا عنيدًا له[4].

---

(1) خليفة محمد التليسي ، معجم معارك الجهاد ، ص: 343.

(2) جراتسياني ، نفس المرجع السابق ، ص: 263.

(3) بيلارديني ، القبلة ، بحوث ودراسات استعمارية ، الطبعة الحجرية ، 1935 ، ترجمة عبد الرحمن سالم العجيلي ، مخطوط ، مركز دراسة جهاد الليبيين ، 195 ، رفعت عبد العزيز،المرجع السابق،ص: 304 ،خليفة محمد التليسي ، معجم المعارك ، ص: 342.

(4) بيلارديني ، المرجع السابق ، ص: 196 – 197 : رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 304-305 والذي يشير إلى انضمام أحمد العياط إلى الإيطاليين الذين عينوه متصرفًا على فزان. ومنافسًا لخليفة الزاوي ولكنه لم يستطع ذلك وحاربه خليفة الزاوي في الشويرف وطرده من فزان.

معركة ودي الخيل في 12 مارس 1924 م:

تقع منطقة ودي الخيل بين بئر الطابونية والمنطقة الجبلية غريان وجادو، فبعد آن أمضى الجيش الإيطالي ليلته في موقع الطابونية توجه نحو ودي الخيل لتأمين الحصول على المياه واستيفاء المعلومات عن الأماكن التى آلتجأ إليها المجاهدون بعد معركة الطابونية. ولكن المجاهدين قاموا بهجوم مفاجئ على القوات الإيطالية آشترك فيه نحو 350 مجاهدًا تحت قيادة سالم بن عبدالنبى الزنتانى.

وتمكن المجاهدون من إجبار القوات الإيطالية على الانسحاب باتجاه الطابونية بعد آن لحقت بها الكثير من الخسائر بالرغم من استخدام الطائرات في قصف مواقع المجاهدين واستشهد 60 مجاهدًا بفعل القنابل السامة، وقصف الطائرات على مواقع المجاهدين الذين لحقت بهم الخسائر الجسيمة في الأرواح والماشية والمؤن والعتاد[1].

معركة مزدة في 10 مايو 1924 م:

وبعد معركتى الطابونية ووادي الخيل تمكن المجاهدون من إعادة تنظيم صفوفهم من جديد بمنطقة مزدة مما أثار خوف القيادة الإيطالية التى رآت إرسال قوة تضم 300 جندى غير نظامى تحت قيادة "مورو" الذى اتجه بهم إلى ناحية مزدة قادمًا من غريان، والمناطق المجاورة لها في الوقت الذى قامت فيه قوة إيطالية أخرى تحت قيادة "بيانى" يوم 11 يونيو بالتحرك نحو مزدة ، كما أرسلت القيادة الإيطالية إلى مزدة قوة إيطالية ثالثة تحت قيادة "غاليونى".

وخاض المجاهدون معركة عنيفة ضد القوات الإيطالية التى استخدمت سلاح الطيران وكانت خسائر الإيطاليين قد بلغت 29 قتيلاً، و105 من الجرحى في معركة مزدة[2].

ولم تعرف خسائر المجاهدين في الأرواح والأموال، وإن كانت حالة الخداع التى اتبعتها إيطاليا قد أدت إلى انقسام بين المجاهدين وانضمام البعض إلى الجانب الإيطالي كالشيخ آحمد الشريف المناع[3].

معركة بئر الحشادية، في 18 نوفمبر 1924 م:

بعد معارك وادي دينار ووادى غبي في 27 من ديسمبر 1923، ثم معركة الشميخ انتهز المجاهدون الذين قدرت آعدادهم بنحو 600 مجاهد ينتمون إلى قبائل أولاد سليمان ،

(1) خليفة محمد التليسي ، معجم المعارك ، ص: 528.

(2) صلاح الدين السوري وآخرون ، المرجع السابق ، ص: 242 –243.

(3) رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 315.

والقـذاذفـة، وورفلـة، ومـاجـر ، وزلـة ، الذين أشـرف أحـمـد سـيف النصـر على تجـمـيـعـهم ، وتسليحهم بعدد اثنين من المدافع الرشاشة، وآخر من عيار 37 مم.

وبئـر الحشـادية من أهم آبار الميـاه بوادى نفـذ والذى أتخذت القوات الإيطالية بالقـرب منه مراكزًا لتجمعاتها.

وانتـهـز المجـاهـدون صـدور قـرار الحكومـة الإيطاليـة بالهـجـوم على سـرت، وإعـداد خطة عسكرية تقوم على حماية هذا الهجوم بأن تعمل القوات المرابطة في جنوب منطقة ورفلة بالحيلولة دون تسرب المجاهدين إلى داخل منطقة العمليات بمراقبة كامل منطقة وادى سوف الجين. والسـيطرة على مـواقع الميـاه ، بواسطة توزيـع وحـدات صـغـيـرة فـي النقـاط الهـامـة بالتـعـاون مع القـوات الإيطاليـة المتـمـركـزة بوسط بنى وليـد والمناطق المحيطة بهـا. وتورعت القوات المخصصة لحمـاية وادى بنى وليد خلال شهر نوفمبر على السـدادة، وبتر تالة، وبئـر الحشادية.

وشنّ المجاهدون هجومًا خاطفًا في يوم 19 نوفمبر 1924 على القوات الإيطالية المتمركزة حول بئـر الحـشـادية في السـاعـة التـاسـعـة صـبـاحًـا بعـد أن كـانت قـوة المجـاهـدين قـد أخـذت تقترب فى أثناء الليل من المواقع الإيطاليـة، وأخذت المفاجأة القوات الإيطاليـة التى تعرضت إلى إطلاق نيران المجاهدين ، ودارت المعركة الطاحنة التى سيطر فيها المجاهدون على أرض المعركـة وسقط الكثيـر من الضبـاط والجنود الإيطاليين، وكاد المجـاهـدون أن يقضـوا عليـهم جميعًا لولا تدخل القوات الإيطالية المرابطة في السدادة على إثر ما ترامى إليها من صدى البـارود ، حيث قامت هذه القوة القـادمـة بضرب مؤخـرة المجاهدين ، والسيطرة على الموقف ولكن بعد أن لحقت بهم الكثيـر من الخسائـر في الأرواح بين ضبـاط وجنود مثل: قـائد القـوة الإيطالية في بئـر الحشادية " ديل جودينشى " الذى قتل أثناء المعركة وجرح الضابط "فيولى" والملازم أول "ياريا" بالإضـافـة إلى مـقـتل 48 جنديًا وجـرح 50 جنديًا آخر بين صف ضـابط وجندى بينمـا كانت خسائر المجاهدين مـائة وخمسين شهيـدًا وستين بندقية ومدفع رشـاش وكمية من الذخيرة.

ولم يتمكن المجاهدون من نقل الشهداء لعدم وجود وسـائل النقل الكافية في وسط المنطقة الوعرة المسـالك واكتفـوا بنقل الجـرحى إلى غـدير الماء بمنطقـة شناط الذى كان قد تركوا به حاجاتهم " الثقيلة " حيث انتقلوا عائدين من أرض المعركة إلى غدير ماء شناط الذى قضوا به يوم 20 من نوفمبر استعدادًا لأي هجوم قد يشنه عليهم العدو[1]

(1) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد، ص: 152 -153 : رفعت عبدالعزيز، المرجع السابق ، ص: 292 -293.

احتلال سرت في 22 نوفمبر 1924 م :

وعلى إثر فرض السيطرة الإيطالية على مناطق الطابونية ، ومزدة ، والمناطق المحيطة بهما. وورفلة والجبل الغربى قررت القيادة الإيطالية ملاحقة المجاهدين الذين اتجهوا إلى سرت تحت قيادة إبراهيم السويحلى.

وكانت قوة المجاهدين تضم حوالي أربعمائة مجاهد ومدفعين وثلاثين صندوقًا من الذخيرة، ورشاشين، وقد عمل إبراهيم السويحلى على أن يتصدى للقوات الإيطالية فى أثناء زحفها على سرت والذى أقام له مواقع أمامية في ثمد حسان وأبى رثمة الواقعتين إلى الغرب من سرت وتمكنت القوات الإيطالية من احتلال بويرات الحسون تحت قيادة الكولونيل "ميتزتى" قائد منطقة مصراتة كخطوة أولى باتجاه احتلال منطقة سرت حيث أقام الإيطاليون الحصون والاستحكامات بمنطقة بويرات الحسون بالإضافة إلى تشييد محطة لاسلكية "راديو" ومخازن. وحفروا بعض الآبار ، وأنشأوا مطارًا صغيرًا ، وقاموا بإصلاح المراسى البحرية الصغيرة التى توجد بالمنطقة لأجل تأمين وصول الإمدادات والمؤن عن طريق المراكب البحرية الصغيرة استعدادًا لاحتلال سرت في شكل هجوم مفاجئ يشن على مواقع المجاهدين المتمركزين بالمواقع المذكورة[1].

واختارت القوات الإيطالية بداية تاريخ تحركها باتجاه سرت في الأول من شهر نوفمبر 1924م وسط جملة من الاحتياطات لضمان تحقيق المفاجأة للمجاهدين بتطويق مواقعهم في سرت واحتلالها دون خسائر تذكر، والاتجاه منها إلى قصر أبى هادى الذى يعسكر به المجاهدون الذين تعرضوا لمهاجمة قوات الكولونيل "ميتزتى" على غرة، ونشبت معركة في 23 من نوفمبر 1924 كانت فيها خسائر المجاهدين مرتفعة في الأرواح والمعدات لعدم التكافؤ في القوة البشرية والعتاد حيث كانت القوات الإيطالية الزاحفة على سرت تتألف من 150 ضابطًا و3500 جندى[2].

وقدرت جملة خسائر المجاهدين باستشهاد 47 مجاهدًا مع جرح عدد آخر في معركة قصر أبى هادى ، والتى كانت تمثل آخر المعارك التى جرت بالمناطق الساحلية من الأراضي الليبية حيث كانت القوات الإيطالية قد أخذت تستعد للتوغل باتجاه المناطق الداخلية وسط حالة من الاستعدادات البشرية والعسكرية والمادية خوفًا من تجنب حدوث هزيمة لهم كما حدث في سنة

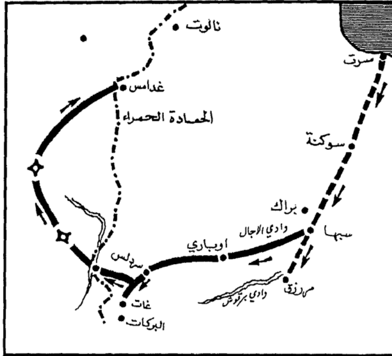
---

(1) خليفة محمد التليسي . بعد القرضابية ، ص: 230 –231.

(2) الطاهر احمد الزاوي . جهاد الأبطال . ص: 208 والذي يصف مقتل إبراهيم السويحلي بأنه كان مؤامرة عن مقتله مع إثني عشر رجلاً من رفاقه بعد أن قتل من أعدائه عشرين رجلاً. محمد امحمد الطوير "ابراهيم السويحلي أصغر قادة حركة الجهاد" ، المرجع السابق والصفحات.

1914م وسنة 1915م .

أما إبراهيم السويحلى قائد المجاهدين في أبى هادى فإنه قد اتجه إلى فزان ولكنه قتل في طريق " الرواغة " وسط منطقة وعرة المسالك بإطلاق النار عليه يوم 19 مارس 1925م من طرف خصومه[1].



(1) خليفة محمد التليسي ، بعد القرضابية ، ص: 230 -231.
الطاهر أحمد الزاوي ، بالمرجع نفسه والصفحة.

الفصل السادس

معارك مناطق إجدابيا والواحات

1923 - 1928

(*) احتلال إجدابيا في 21 من أبريل 1923 م .

(*) معركة بئر بلال في 10 يونيو و3 سبتمبر 1923 م .

(*) معارك خط عرض 29 شمالاً .

(*) استسلام محمدالرضا السنوسى وأثره على استمرار المعارك.

(*) استئناف معارك خليج سرت والواحات الوسطى .

(*) احتلال النوفلية في 9 يناير 1928م.

(*) عمليات المرحلة الثانية من خط عرض 29 شمالاً .

(*) احتلال واحات الجفرة يومى 13 – 14 فبراير 1928 م.

(*) احتلال زلة في 22 فبراير 1928 م .

(*) معركة تاقرفت في 25 فبراير 1928 م .

احتلال إجدابيا 21 أبريل 1923 م :

كانت إجدابيا قد تحررت من القوات الإيطالية في أعقاب هزيمة الإيطاليين في وادى مرسيط، والقرضابية في سنة 1915، وأصبحت مركزًا لتجميع المجاهدين في الخليج والواحات خاصة في أعقاب عقد مفاوضات الزويتينة 1916 وعقد معاهدات عكرمة سنة 1917م . والرجمة سنة 1920 م، وأبو مريم سنة 1921م والتى نتج عنها قيام نوع من التقارب بين محمد إدريس السنوسى وبين الإدارة الإيطالية التى سمحت له بإقامة إدارة خاصة في مدينة إجدابيا يكون لها برلمان، وحكومة، وأدوار مختلطة من العرب والإيطاليين بهدف تصفية الأدوار التى كانت تضم العناصر العربية المقاتلة والمختارة من بين أبناء القبائل بالمناطق الشرقية من الأراضي الليبية والتى كان لها أكبر الأثر في استمرار حركة الجهاد بالجبل الأخضر والواحات الوسطى والجنوبية[1].

ونظرًا لحالة الاستسلام التى قبل بها محمد إدريس السنوسى في علاقاته مع إيطاليا وزيارته لروما 1920 فإنه لم يقم بالدعوة للجهاد في أعقاب بدء القوات الإيطالية في حرب طاحنة تهدف إلى استعادة احتلال الأراضي الليبية خاصة بعد أن سيطر الفاشست على الحكم في روما سنة 1922م [2].

ومن الأسباب التى دفعت بإيطاليا إلى مهاجمة إجدابيا ما يلى :

1- تراجع المجاهدين داخل المناطق الساحلية باتجاه المناطق الداخلية أمام هجمات القوات الإيطالية بداية من سنة 1922 والتى تم فيها إعادة احتلال المناطق الساحلية والجبلية بالرغم من الخسائر التى لحقت بها .

2- الانقسامات الحادة التى وقعت في صفوف مجاهدى المنطقة الشرقية على إثر القبول بالاتفاقيات الأربعة المذكورة والتى كان آخرها صلح أبو مريم سنة 1921.

3- عدم إظهار الشدة في مفاوضة المجاهدين للإيطاليين سواء داخل المناطق الشرقية أو المناطق الغربية كما حدث في مؤتمري سوانى بنى آدم 1919م والرجمة 1920م .

4- وصول الحزب الفاشستى إلى الحكم في روما والذى يعمل على تقوية الجبهة الداخلية

---

(1) رفعت عبد العزيز ، عشر سنوات من الجهاد ، رسالة ما جستير غير منشورة ، ص: 185 -199 .

(2) أ.ج جرانت وهارلد تمبرلي ، ولويس إسكندر ، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين،1789-1950 ، ترجمة على أبو درة ، مصر ، 1967 م ، ص: 373.

بتصعيد حرب إعادة الاحتلال في ليبيا التى عجزالإيطاليون منذ 1911م في فرض الهيمنة عليها [1].

5- خلو إجدابيا من محمد إدريس السنوسى بهجرته إلى مصر في سنة 1922م ولإسباب مختلفة دون أن يتولى بنفسه مقاومة الغزو الإيطالي .

6- عجز المجاهدين في العثور على حليف جديد يقوم بتزويدهم بالسلاح كما كان عليه الحال من قبل مع الدولة العثمانية منذ سنة 1911: وألمانيا بين سنتى 1914 - 1918م.

ورأت الحكومة الإيطالية في استمرار دور إجدابيا كعاصمة للإمارة السنوسية بموجب اتفاقية الرجمة لسنة 1920م تهديدًا لخطة إعادة احتلال المناطق الشرقية من الأراضى الليبية خاصة بعد أن ظهرت فكرة محاولة توحيد القيادة داخل حركة الجهاد لتشمل كافة أنحاء ليبيا أثناء عقد مؤتمر غريان في شهر نوفمبر سنة 1920م .

ومن العوامل التى دفعت بإيطاليا إلى الإسراع في مهاجمة إجدابيا النجاح الكبير الذى حققته قواتها في هجومها على الأدوار المختلطة يوم 6 مارس 1923م والتى كانت متمركزة في الأبيار والمخيلى، وسلنطة، وعكرمة بهدف تجريد معظم العرب الليبيين من أسلحتهم وقتل عدد منهم، وأسر عدد آخر.

كما رأت القيادة الإيطالية أن تجمع المجاهدين حول إجدابيا في أدوار المغاربة ، والعواقير وغيرها كانت تشكل عقبة كبيرة أمام تقدم القوات الإيطالية لمباشرة العمليات العسكرية بمنطقة خليج سرت والواحات لأجل إنزال الخسائر الفادحة بالمجاهدين وإجبارهم على التوجه إلى الدواخل لتشتيت شملهم وسط المناطق النائية، ليسهل القضاء على من يتبقى منهم على قيد الحياة تطبيقًا لسياسة الفاشست الجديدة التى تتمثل في البطش وعدم إظهار الضعف والمهادنة مع المجاهدين[2].

وفي الوقت الذى كانت فيه حركة الجهاد بالمناطق الغربية تمر بمصاعب هامة خلال شهر أبريل 1923م ، بانسحاب المجاهدين إلى وادى نفذ والسدادة واستيلاء القوات الإيطالية على مصراتة وزليطن وترهونة وغريان وسائر مناطق الجبل الغربى. بادرت القوات الإيطالية إلى إعداد حملة كبيرة تحت قيادة الكولونيل "رونيكيتى" شاركت فيها مختلف أنواع الأسلحة من طيران ومدفعية وفرسان ومشاة، حيث قام العدو بتركيز هذه القوات في كركورة والشليظيمة بمناطق بنغازى أولاً ثم الزحف منها في أربع تشكيلات من كركورة والشليظمية، وإنتيلات وبيضافم[3].

---

(1) جراتسياني، برقة الهادئة، ترجمة سالم عمر، بنغازي - ليبيا ، 1974 م ، ص: 29.

(2) جراتسياني ، نحو فزان ، المرجع السابق ، ص: 32 : رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 154.

(3) محمد الأشهب ، عمر المختار ، مطبعة الهواري : القاهرة - مصر ، 1956 ، ص:43 ؛ خليفة محمد التليسي ، معجم معارك الجهاد ، ص: 106 - 107.

وقد تجمعت هذه القوات في يوم 20 من أبريل 1923 في الزويتينة، وسيدى فرج والسبيكة، ثم زحفت على هيئة قوس تطويقى باتجاه إجدابيا التى شهدت اندلاع معركة عنيفة دافع فيها المجاهدون دفاع الأبطال عند أبواب إجدابيا واستخدم فيها الإيطاليون سلاح الطيران لقصف تجمعات المجاهدين ، وخيام البادية ، وإتلاف المحاصيل وهلاك الماشية.

وظلت المعركة مشتعلة منذ الساعات الأولى من صباح 21 أبريل حينما أخذت الطائرات الإيطالية ، تقوم بطلعات متوالية فوق مواقع المجاهدين الذين تعرضوا لقصف هذه الطائرات بالإضافة إلى القصف المدفعى المتواصل من القوات الإيطالية المهاجمة التى تمكنت من الزحف باتجاه إجدابيا من جهة إنتلات في الشمال الشرقى.

واشتبك المجاهدون مع القوات الغازية في معركة طاحنة دامت عدة ساعات متواصلة وصلت فيها قوات إيطالية احتياطية من الجهة الغربية لتطويق مواقع المجاهدين وتشديد الحصار عليهم من جميع الجهات غير أن المجاهدين تمكنوا من تفويت الفرصة على العدو والانسحاب باتجاه الغرب إلى منطقتى الشعفة وأبى جدارية واتجاه الجنوب إلى جالو وأوجلة[1].

وكانت خسائر المجاهدين مرتفعة في الأرواح والأموال باستشهاد نحو 300 مجاهد ، وحرق الخيام والمحاصيل الزراعية ، وقتل الماشية وردم آبار المياه بالمنطقة مما ساعد القوات الإيطالية في الاستيلاء على إجدابيا وسط نشوة من الفرح لما يمثله يوم 21 من أبريل من ذكرى هامة وهو تاريخ تأسيس روما.

وفور احتلال إجدابيا أعلن والي برقة السنيور "بون جوفانى" سقوط كل المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بين إيطاليا والمجاهدين ، وكذلك سقوط كل الإمتيازات الممنوحة لأفراد الأسرة السنوسية بعد أن كانت حكومة روما الفاشستية قد أخذت عدة قرارات تنظيمية على إثر تعيين السنيور "فيدرزونى" وزيرًا للمستعمرات الذى دعا من طرفه إلى روما حاكم برقة السنيور "بيكارى" وعين بدلاً منه الجنرال "بون جوفانى" كأول حاكم فاشستى للمنطقة الشرقية من ليبيا بداية من يناير 1923م .

معركتي بئر بلال في 10 يونيو و3 سبتمبر 1923 م :

اتجهت أنظار القوات الإيطالية بعد احتلال إجدابيا إلى الضغط على قبائل المغاربة التى تقطن المنطقة المحيطة بمدينة إجدابيا لإخضاعهم للحكومة الإيطالية؛ لأهمية وجوده بهذه المنطقة ولأجل الوصول إلى مرسى البريقة الذى يمثل القاعدة البحرية الهامة لأية عملية تالية.

---

(1) خليفة محمد التليسي، معارك الجهاد الليبي من خلال الخطط الحربية الإيطالية ، طرابلس - ليبيا ، 1980 م ، ص: 130 - 131 ؛ رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 156.

وأسندت القيادة الإيطالية إلى الرائد "ميللى" قيادة القوة الإيطالية المكونة من الكتيبة الأريترية السابعة والتى تضم 400 جندى من المشاة ، بالإضافة إلى سرية من الفرسان ، وفرقة آلية تحت قيادة الكابتن "تلجر"[1].

وتقوم الخطة العسكرية الإيطالية على أن تزحف قوات "ميللى" بمحاذاة الساحل (إجدابيا ـ القرين – مرسى البريقة) بينما تسير قوات تلجر الآلية بحركة دائرية واسعة تجنبًا للمرور داخل المناطق الرملية الواقعة بين بئر قطيفة وبئر بلال، ولكن ما كادت القوة الإيطالية تصل إلى بئر بلال يوم العاشر من يونيو 1923م حتى وجدت نفسها محاطة بقوة من المجاهدين الذين أمطروها بوابل من النيران ، ثم دخلوا معها في معركة طاحنة تعرضت فيها القوة الإيطالية، للإبادة شبه الكاملة، وغنم المجاهدون أسلحتها وعتادها ، ولم تفلح قوات " ميللى " التى تحركت إلى أرض المعركة ببئر بلال لنجدة قوات "تلجر" حيث تعرضت هذه القوة لمهاجمة قوات المجاهدين عند أبى قرادة – قرب الساحل – وألحقوا بها هزيمة نكراء، وأرغموها على الانسحاب باتجاه أجدابيا ، ولم تذكر المصادر الإيطالية جملة الخسائر التى تعرض لها أفراد القوات الإيطالية في العاشر من يونيو 1923، والتى كان الماجور " ميللى" أحد قادة المعركة من بين القتلى مع معظم أفراد القوة عدا القليل ممن لجأوا إلى الشاطئ محتمين بأطلال قصر قديم إلى حين نقلهم بواسطة الزوارق الحربية[2].

ويرر الإيطاليون هزيمتهم في هذه المعركة بسوء الأحوال الجوية وهياج البحر الذى عطل الاستعانة بسلاح الطيران وعطل وصول المدمرة الحربية "برنيشى" من ميناء بنغازى لأجل القيام بالتغطية البحرية المطلوبة كما يرجع الإيطاليون هزيمتهم إلى عدم الدقة في تقدير قوة المجاهدين والتى كانت لاتزيد عن 750 مجاهدًا تحت قيادة قجة عبدالله الذى كان قد وصل من تشاد مع السنوسيين وساهم بكل فعالية في مقاومة الغزو الإيطالي على الأراضي الليبية[3].

وقد اعترف الجنرال "جراتسيانى" بهزيمة القوات الإيطالية في معركة بئر بلال ووصفها بالهزيمة الموجعة والمفجعة التى تفاخر الليبيون بها[4].

ولأجل أن يمحو الإيطاليون آثار هزيمة قواتهم في العاشر من يونيو 1923م قاموا بالإعداد لعمل عسكرى كبير اشتركت فيه بالطائرات التى أخذت تقوم بطلعات جوية تقصف فيها تجمعات سكان منطقتى بئر بلال ومرسى البريقة ولتتعرف على وجهة المجاهدين وأماكن

---

(1) خليفة محمد التـ[illegible]ـسي . المرجع السابق ، ص: 140.

(2) محمد فؤاد شكري ، السنوسية ، دين ودولة ، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر ، 1948 م ، ص: 174 ، خليفة محمد التليسي . المرجع السابق ، ص: 140 – 141 : رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 163.

(3) الطاهر أحمد الزاوي ، عمر المختار ، مؤسسة الفرجاني ، طرابلس – ليبيا ، 1970م ، ص: 176 – 177 ، والذي يشير إلى بعض أسماء الشهداء مثل: الهادي الحرنة والشيخ نصر الأعمى.

(4) جراتسياني ، برقة الهادئة . المرجع السابق ، ص: 32.

تجمعاتهم وأعدادهم حيث كانت هذه الطلعات بصورة متكررة بلغت 17 غارة بالقنابل خلال شهر يوليو وحده من بين 57 طلعة جوية تركزت كلها على المنطقة الواقعة بين بئر القطيفة والبريقة.

وحتى تتجنب القوات الإيطالية الهزيمة النكراء على أيدى المجاهدين مرة ثانية بهذه المنطقة فإنها قررت في منتصف أغسطس 1923 أن تقوم بإحتلال مرسى البريقة عن طريق البحر بالنزول في البريقة والتى يتم منها الهجوم على بئر بلال في المرحلة الثانية بالتنسيق مع القوات الإيطالية المرابطة في إجدابيا لأجل أن تنجح هذه الحملة في محو آثار الهزيمة السابقة في بئر بلال ومرسى البريقة، ودفن قتلى الإيطاليين والأريتريين. واسترداد المعدات الآلية من سيارات وغيرها والتى عرفت المعركة باسمها وهى "الكراهب"[1].

وتحركت السفن الإيطالية باتجاه مرسى البريقة وقوتها 1800 جندى و200 دابة مع كافة التجهيزات اللازمة في يوم 20 أغسطس ونزلت في مرسى البريقة فجر يوم 21 اغسطس تحت غطاء جوى .

وبدأت هذه القوات في اليوم نفسه بالاسراع في جمع جثث القتلى الإيطاليين منذ العاشر من يونيو 1923 والمنتشرين داخل المواقع القريبة بأبى قرادة دون أن تواجه نيران المجاهدين مما أعطى لها الفرصة في جمع المزيد من جثث القتلى، ولكن في يوم 25 من أغسطس اشتبكت القوات الإيطالية في معركة طاحنة مع قوات المجاهدين تحت قيادة قجة عبدالله والمقدرة أعدادهم بنحو 300 مجاهد وهى لاتتكافأ مع القوات الإيطالية من حيث العدد والعدة؛ مما أدى إلى انسحاب المجاهدين باتجاه الجنوب وساعد ذلك الإيطاليين على الاستمرار في جمع جثث موتاهم الذين بلغت أعدادهم 189 جثة بما في ذلك جثة الماجور "ميللى" وغيره من الضباط.

وفي فجر يوم الثانى من سبتمبر 1923م تحركت قوة إيطالية كبيرة من إجدابيا باتجاه بئر بلال تحت قيادة الكولونيل "أزونى" وتضم 59 ضابطًا و172 جنديًا إيطاليًا و2351 جنديًا من غير الإيطاليين بالإضافةإلى 7 مصفحات و108 عربة نقل و571 دابة لنقل الأمتعة والمعدات الحربية[2].

ووصلت طلائع هذه القوات إلى بئر بلال في يوم الثالث من الشهر نفسه حيث تصدى لها المجاهدون في معركة عنيفة استمرت أربع ساعات انسحب على إثرها المجاهدون بعد آن نجحوا في إحباط محاولة تطويقهم وتحولوا إلى مواقع أخرى بعد أن سقط منهم 152 شهيدًا وجرح 200 مجاهد حسب المصادر الإيطالية التى سكتت عن ذكر الخسائر الإيطالية كعادتها في أغلب المعارك.

---

(1) الطاهر أحمد الزاوي ، المرجع السابق ، ص: 176 : خليفة محمد التليسي ، المرجع السابق. ص: 142 .

(2) خليفة محمد التليسي،المرجع السابق،142-143 ، والذي يشير الى انصراف القوات الإيطالية في أعقاب معركة بئر بلال الثانية إلى مواصلة البحث عن حثث القتلى في المعركة السابقة . ثم أقامت نصبًا تذكاريًا لهم بالموقع.

وتشير بعض المصادر التاريخية العربية إلى النتيجة التى أسفرت عنها معركة بئر بلال الثانية بأنها ترجع إلى الخلاف الذى حدث بين الضباط النظاميين وعلى رأسهم محمد الشويخ، والضباط المتطوعين بسبب ما حدث من تنافس بينهما في أعقاب المعركتين السابقتين، وإنعكاس ذلك على الجنود الذين فضلوا الانسحاب من المعركة دون علم القيادة التى كانت تضم عمر المختار وصالح الأطيوش وقجة عبدالله المعروف بالسودانى حيث كان الشيخ صالح الأطيوش أبرز زعماء المغاربة الذين يقطنون المنطقة الغربية من إجدابيا، والشيخ الفضيل المهشهش الذى كان من رفاق الشيخ عمر المختار قد شارك في معركتى مرسى البريقة وبئر بلال يوم العاشر والحادى عشر من يونيو 1923م.

معارك خط عرض 29 درجة شمالاً :

تعرف معارك خط عرض 29 درجة شمالاً بأنها تمثل المشروع الذى آخطرت به وزارة المستعمرات في روما حاكم برقة بتاريخ التاسع من نوفمبر 1925م، وهو جزء من برنامج يهدف إلى مواصلة العمليات الاستعمارية التى بدأت منذ سنة 1922م .

ويقصد باسم عمليات خط 29 درجة شمالاً استعادة احتلال المناطق الساحلية الواقعة بين إجدابيا وسرت والتى تمتد جنوبًا لتشمل منطقة الواحات مثل: مرادة، وجالو، وأوجلة، والجفرة وغيرها من الواحات الأخرى.

وحتى تتمكن القوات الإيطالية من احتلال هذه الأراضي الواسعة فإن عليها ملاحقة تجمعات المجاهدين وحرمانهم من الاتصال بالمناطق الساحلية.

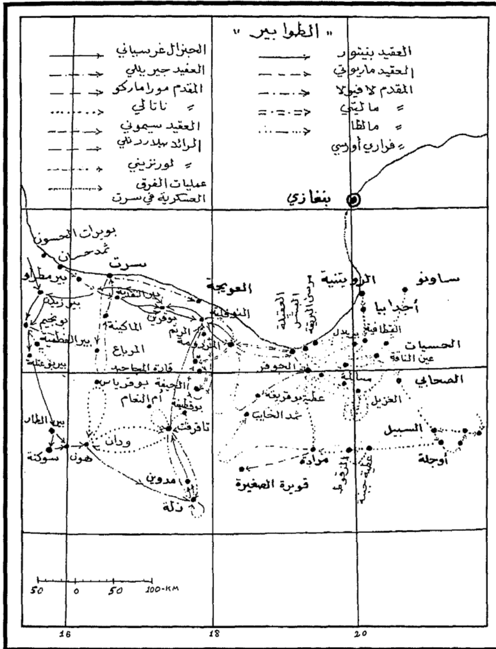
ومن أهداف الحملة العسكرية الإيطالية على مناطق خط عرض 29 درجة شمالاً ما يلى :

أ- توجيه ضربة قوية لتجمعات المجاهدين في المنطقة الساحلية الممتدة بين إجدابيا وسرت.

ب- ربط المنطقة المحتلة الشرقية (برقة) بالمنطقة الغربية (طرابلس) لأجل وضع الأراضي الليبية تحت الإدارة الموحدة.

جـ- الاتجاه جنوبًا بهدف توسيع دائرة الاحتلال لتشمل مناطق فزان التى صارت تضم المزيد من المهاجرين.

ولما كانت قبيلة المغاربة تنقسم إلى فرعين رئيسيين هما فرع الرعيضات وفرع الشماخ فإن الإدارة عملت على نثر بذور الانقسام بين صفوفهم بتكثيف الاتصالات معهم ، وتحريك القوات العسكرية نحوهم.



العمليات الكاملة في خط عرض ٢٩

مفاوضات بئر الجديد 11 يونيو 1927 :

وفي الوقت الذى رفض فيه صالح الأطيوش زعيم المغاربة الرعيضات الاستسلام لإيطاليا قام فيه والي برقة "تروتسى" بتكليف الشيخ الشارف الغرياني بإجراء مفاوضات مع رؤساء المغاربة والعواقير لينصحهم بترك الحرب والاستسلام للحكومة الإيطالية بدعوى ميل الوالي الجديد للصلح مع المجاهدين .

وتمكن الشيخ الشارف الغرياني رفقة السنيور "أولمى" متصرف إجدابيا في يوم 12 مايو سنة 1927م من توجيه رسالة تهديد إلى الشيخ عبدالسلام الكزة زعيم العواقير مؤكداً له أن والي برقة " تروتسى " سوف لن يتوان عن استخدام القوة لإخماد المقاومة بالمنطقة الأمر الذى دفع الشيخ الكزة إلى جمع شيوخ المغاربة والشماخ لمناقشتهم في مضمون رسالة الوالي المذكور حيث وافق المذكورون على عقد اجتماع للمصالحة بحضره السنيور " أولمى " متصرف إجدابيا[1].

وكانت أهداف إيطاليا من إجراء المفاوضات مع المجاهدين إحداث فتنة تتمكن من خلالها العمل على إحباط العزائم ، واختلاف الآراء بين مؤيد للتفاوض ورافض لإلقاء السلاح وسط الدعاية الزائفة .

وبدأت مفاوضات الصلح يوم 11 يونيو 1927م ، بمنطقة بئر الجديد بالقرب من إجدابيا وحضره الشيخ الشارف الغرياني مع مشائخ القبائل والأعيان، ومحمد الرضا السنوسى وكيل محمد إدريس السنوسى الذى كان متواجداً بالقرب من موقع المفاوضات في الوقت الذى كان فيه أخوه محمد إدريس السنوسى قد غادرالأراضى الليبية في شهر ديسمبر 1922م إلى مصر عن طريق الجغبوب.

وكان الإيطاليون يأملون من مفاوضات بئر الجديد استقطاب زعماء السنوسيين، والحصول على تنازلات هامة لصالح المجهود الحربى الإيطالي .

وقد أظهر المشائخ الذين حضروا الاجتماع الرغبة في السلام ، وأظهروا تقديرهم لإفتتاح سوق إجدابيا أمام قبائل المغاربة والعواقير مع السماح لرجال البادية باستخدام آبار ساون وجوف المطر التى كان الإيطاليون قد قاموا باحتلالهما.

وأكد الوفد الإيطالي على حسن نوايا حكومته وطالب بتسليم الأسلحة دون قيد أو شرط إلى إيطاليا .

وطالب المجاهدون من الحكومة الإيطالية ،أن تعترف بالسيد محمد الصديق السنوسى

---

(1) محمد الأشهب ، برقة بين الأمس واليوم ، المرجع السابق ، ص: 446 ؛ رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق، ص:326.

كممثل للسنوسيين ولكن الشيخ الشارف الغرياني الذى كان مكلفًا من طرف الوالي تروتسى بحضور الاجتماع رفض طلب المشائخ لأنه يتعارض مع التعليمات التى تلقاها[1].

وبعد مناقشات طويلة طالب المجاهدون بالآتى :

1- تقديم إخطار مسبق لكل من ينوى التوجه إلى المناطق المحررة من المناطق المحتلة .

2- إيقاف العدوان الإيطالي في داخل المناطق الشرقية دون استثناء الجبل الأخضر.

3- منع الدخول لسوق إجدابيا إلآ لمن كان مزودًا بإذن من أحد المشائخ المنتخبين من الآهالي.

4- السماح بدخول البضائع الكافية إلى إجدابيا .

5- اعفاء الراغبين في التجارة بأسواق إجدابيا من دفع الضرائب .

6- يعمل بهذه الشروط لمدة ثلاثة أشهر يتم خلالها عقد اجتماع موسع لأجل الوصول إلى التفاهم المتبادل[2].

ورفضت الإدارة الإيطالية الموافقة على المطالب المقدمة إليها من مشائخ المغاربة الشماخ والعواقير . لأجل أحداث المزيد من الانقسامات بين المشائخ الذين آخذوا في آعقاب اجتماع بئر الجديد يواجهون بعضهم بعضًا بمسؤولية هذا الأمر الذى تم في غير حيطة ولاحذر .

وعمل مشائخ المغاربة الشماخ على تأكيد مواصلة علاقاتهم الطيبة مع إيطاليا وهو ما أشارت إليه الوثيقة التى وصلت من طرفهم إلى حكومة إجدابيا في يوم 20 يوليو معتذرين لما وقع وطالبوا باستئناف المحادثات في إجدابيا بل آن البعض منهم وصل إلى إجدابيا طالبين البقاء بها انتظارًا لوصول شيوخ آخرين لعقد الاجتماع المنتظر[3].

وفي 31 من أغسطس 1927 وصل إلى إجدابيا ثلاثة عشر شيخًا من شيوخ المغاربة الشماخ كان من بينهم الشيخ محمد الحرنة صاحب النفوذ الواسع والذى لم يسبق له أى اتصال بإيطاليا نتيجة للدور الكبير الذى كان يقوم به الشيخ الشارف الغريانى بتخطيط من الكومنتور " أولمى" متصرف إجدابيا الأمر الذى أدى إلى عقد اجتماع موسع في الأول من سبتمبر، شارك فيه ثلاثون من أبرز شيوخ وأعيان قبيلة المغاربة الشماخ والذين كان في طليعتهم كل من: محمد الحرنة، وسعيد بن يونس، وسالم بوباسل، ومنصور نشاء، وفرج الحتش بو بكوشة، وعبد السلام راجعة، وموسى الرقعى، وفي اليوم الثانى من بدء الاجتماعات وافق الحاضرون على مايلى:

---

(1) إتيليو تروتسي، برقة المهدأة ترجمة خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس - تونس ، 1991 م، ص:156 -157 ، ويصف برقة المهدأة اجتماع الجديد بآنه جرى في يوم الاثنين 12 محرم 1346 -11 يوليو 1927 بحضور الشارف الغرياني الذي أجتمع بالبعثة الموفدة من منطقتي برقة البيضاء وبرقة الحمراء لإقامة علاقات طيبة مع الحكومة.

(2) المرجع نفسه ، ص: 158 -159 . والذي يشير إلى أن هذه الشروط قد وقع عليها ستة من الزعماء المغاربة الشماخ وعبد السلام الكزة وبو مازق دون أن يوقع عليها زعماء المغاربة الرعيضات.

(3) المرجع نفسه ، ص: 160 -161 .

1- الانفصال الكامل عن الإدارة السنوسية .

2- تسليم الأسلحة .

3- إقرار مسئولية الشيوخ في حفظ الأمن مع التعهد بمرافقة القوات الإيطالية عند الحاجة.

4- تعهد المشائخ بضمان مسلك الأشخاص الموجودين بالمنطقة مثل جماعات البراعصة[1].

ثم قام هؤلاء الشيوخ المستسلمون بزيارة بنغازى في الثامن من سبتمبر 1927 ولم يتم استقبالهم من طرف الوالي تروتسى الذى لم ينس لهم المشاركة في معركتي مرسى البريقة وبئر بلال خلال سنة 1923م .

وفي يوم 21 من سبتمبر تعهد المشائخ المذكورون لوالي برقة بالآتى :

1- تسليم الأسلحة خلال المدة التى يحددها الوالي .

2- الالتزام بالعودة إلى موطن القبائل وتنظيمها من أجل المشاركة في العمليات العسكرية إلى جانب القوات الإيطالية .

3- إبقاء بعض الشيوخ بإجدابيا كمستشارين ومرافقين للحكومة الإيطالية في آى مكان تنوى التوجه إليه .

4- الالتزام بترك حيواناتهم بمناطق الرعى الحالية بالقرب من إجدابيا .

وقام الوالي "تروتسى" باستقبال شيوخ المغاربة الشماخ والعواقير في أعقاب التوقيع على المضبطة، ثم أذن الوالي المذكور بسفر هؤلاء المشائخ إلى إجدابيا، ومنها العودة إلى نجوعهم إستعدادًا لمرافقة الجيوش المخصصة لعمليات الاحتلال الجديدة[2].

وأن ماحدث من تآمر إيطالي على صفوف حركة الجهاد بمناطق إجدابيا؛ أدى إلى تحقيق الأهداف الإيطالية المرجوة منها حيث استأنفت القوات الإيطالية سيرها يوم 28 من سبتمبر باتجاه العقيلة بعد أن دعمت بكتيبة أريترية مجتازة مناطق المغاربة دون خطر ، ورفع العلم الإيطالي فوق بلدة العقيلة تحت حماية الأسطول البحرى لتجنب المفاجآت ، ولإضفاء القوة حتى يتم إنشاء قاعدة للعمليات الحربية القادمة في خط عرض 29 درجة شمالاً .

واتجهت أنظار الإدارة الإيطالية في أعقاب خضوع جانب كبير من مشايخ المغاربة الشماخ إلى العمل على استقطاب محمد الصديق السنوسى الذى كان والده محمد الرضا السنوسى يقيم هو أيضًا في المناطق الجنوبية من إجدابيا.

وتخلى محمد الصديق السنوسى عن تهديد المشائخ المساندين لإيطاليا وطلب منهم أن

---

(1) المرجع نفسه ، ص: 254 ، إتيليو تروتسي .

(2) المرجع نفسه ، ص: 167 ، 168 ، محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، 452.

يسلكوا بحرية الطريقة التى يرونها ، كما قام والده محمد الرضا بإرسال خطابات في 27 من أكتوبر إلى بنغازى عن طريق الشيخ عبدالعزيز العيساوى الزنتانى الذى كان لمدة طويلة مستشارًا لدى الشيخ المهدى السنوسى والد محمد إدريس ومحمد الرضا ، كما شارك هذا الشيخ أحمد الشريف ومحمد إدريس السنوسى فيما بعد بتقديم الخدمات في خارج برقة في الوقت الذى كان فيه محمد الرضا السنوسى يتميز بضعف سلطته وفتور همته بالرغم من كونه الرئيس الشرعى للحركة السنوسية ، بحكم تفويض السلطات الصادرة إليه من أخيه محمد إدريس وباعتباره ابن محمد المهدى وسليل الشيخ محمد بن على السنوسى المؤسس الأول للدعوة السنوسية[1].

وأشار محمد الرضا في رسالته إلى الوالي بأنه قد أوفد العيساوى نيابة عنه وهو مكلف بالتحدث في كل ما يخصه وسوف يفعل كل مايطلب منه في سبيل تهدئة البلاد، وفي حالة عدم رغبة إيطاليا في الاستفادة من عمله فإنه يفضل إلتزام الهدوء بالقول والفعل. وكانت رسالة محمد الرضا السنوسى مؤرخة في 29 من سبتمبر 1927 بواحة جالو.

وطالب الشيخ عبدالعزيز العيساوى الرد على الرسالة التى حملها مؤكدًا وعده بالعودة إلى بنغازى صحبة الرضا المقيم بواحة جالو.

وغادر الشيخ المذكور بنغازى في 16 نوفمبر حاملاً رد الوالي تروتسى الذى أعرب له عن استعداد حكومته باستقباله بما يليق به في بنغازى ، وسوف لن يتأخر في تقديم التشريعات اللازمة والمعاملة الحسنة له ولأبنائه[2].

وانتهزت إيطاليا حالة استسلام المغاربة الشماخ والعواقير قرب إجدابيا ، ومراسلة محمد الرضا السنوسى ، وقامت بالاتصال مع زعيم المغاربة الرعيضات صالح الأطيوش مؤكدة له وقف العمليات العسكرية بمنطقة اجدابيا وفتح سوق سرت أمام مغاربة الرعيضات أسوة بما تم من فتح لسوق إجدابيا أمام مغاربة الشماخ ، حيث كان الجنرال "ميتزتى" أبرز قادة المنطقة الشرقية يشرف بنفسه على هذه الاتصالات لحمل الأطيوش على القبول بالوجود الإيطالي ، كما كان الجنرال "جراتسيانى" قد قام بإجراء اتصالات مع صالح الأطيوش استمرت بين شهري يوليو وديسمبر 1927 بهدف إحداث المباغتة لزعيم المغاربة الرعيضات إذ كان قد وصل آخر خطاب إلى سرت يوم 8 يناير 1928 م بعد أن كادت القوات الإيطالية التى خرجت من ثمد حسان في اليوم الثالث من يناير أن تقبض عليه على إثر قيامها بمحاصرة النوفلية[3].

---

(1) المرجع نفسه ، ص: 173 - 174.

(2) انظر نص الرسالة والرد عليها بالإضافة الى تعليق الوالي عليها في كتاب: برقة الخضراء للوالي إتيليو تروتسى المشار إليه. ص: 175 -182.

(3) جراتسياني . نحو فزان . المرجع السابق . ص: 305.

ويصف الجنرال "جراتسيانى" الرسالة التى وصلت من صالح الأطيوش بأنها كانت تتضمن جملة من شروط التسوية مع الإيطاليين من أهمها : أن يتم تعيينه حاكمًا على منطقة سرت ، وأن تكون تحت إمرته كتيبة من ألف مسلح الأمر الذى زاد من غضب الجنرال "جراتسيانى" على زعيم المغاربة الرعيضات وقام بوصفه بالغطرسة وعدم الفهم والجشع ، خاصة بعد أن استفاد هذا الزعيم مع أفراد قبيلته من الأسواق التى فتحها أمامه الإيطاليون قرب إجدابيا ، وقام الشيخ صالح الأطيوش بتزويد معسكر المجاهدين بالمؤن وبيع الفائض عنده من الحيوانات ومنتوجاتها مما زاد من حقد الإيطاليين عليه[1].

استسلام محمد الرضا السنوسي وأثره على استمرار المعارك:

وجدت إيطاليا في تسليم مشائخ المغاربة الشماخ ومشائخ العواقير الفرصة المناسبة في تشجيع محمد الصديق السنوسى ،ووالده محمد الرضا على القبول بالدخول في مفاوضات تهدف إلى الاستسلام للإدارة الإيطالية .

وتمكن الإيطاليون من التأثير على محمد الرضا بواسطة الشيخ الشارف الغريانى الذى حمل إليه رسالة يؤكد له فيها إصرار إيطاليا على احتلال واحة جالو بعد أن خضع مشائخ المغاربة الشماخ ، وأن والي برقة يخيره بين الاستعداد لمحاربة القوات الإيطالية القادمة إلى جالو الخالية من المجاهدين وبين الرحيل من جالو إلى أى مكان آخر ، وأما الدخول في مباحثات مع إيطاليا من أجل الوصول إلى تفاهم معها .

وكما سبق القول: فإن محمد الرضا السنوسى اختار الشيخ عبدالعزيز العيساوى الذى أوكل إليه القبول بمفاوضة الإيطاليين بشرط الإبقاء على الزوايا السنوسية واحترام الإخوان السنوسيين مع الإعتراف بحق محمد الرضا في تعيين مشائخ الزوايا ، وأن يبقى محمد الرضا في بنغازى[2].

فى وأثناء توجه الشيخ عبد العزيز العيساوى إلى بنغازى من جالو مر ببئر «بالطفل» الذى كان به معسكر للمجاهدين رفقة محمد الصديق السنوسى الذى حمله هو الآخر رسالة إلى الوالي ورسالة أخرى إلى الشيخ الشارف الغريانى يؤكد فيهما الرغبة في التفاهم مع إيطاليا مثل والده.

وأكد الوالي لمندوب محمد الرضا عن مقدار سعادته باستقباله في بنغازى ، وتعهد له بضمان سلامته من المخاطر[3].

---

(1) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص: 305 -306 ؛ رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 335 -336.

(2) محمد الأخضر العيساوي ، رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار ، القاهرة - مصر ، 1936 م .

(3) إتيليو تروتسي ، المرجع السابق ، ص: 178 -179 ؛ محمد فؤاد شكري المرجع السابق ، ص: 287 .

وغادر الشيخ عبدالعزيز العيساوى في 16 نوفمبر مدينة بنغازى باتجاه واحة جالو حيث مرّ بموقع محمد الصديق في بئر بالطفل وطمأنه بنتيجة محادثاته مع الإدارة الإيطالية في بنغازى كما طمأن والده كذلك؛ مما دفع بالوالد إلى تكليف الشيخ عبدالعزيز العيساوى بالعودة إلى بنغازى في يوم 25 ديسمبر 1927 حاملاً رسالة من محمد الرضا إلى الوالي تروتسى مؤكدًا له: أنه يطمئن إلى وعود الحكومة الإيطالية[1].

وألحّ الشيخ عبدالعزيز العيساوى بالسماح له بالسفر إلى جالو قبل مغادرة محمد الرضا لها رغم صعوبة تجميع الإبل اللازمة بالرغم من تدفق القوات الإيطالية والإمدادات الأخرى إلى إجدابيا؛ بهدف توجيه ضربة إلى المجاهدين المتمركزين بمنطقة سرت من أولاد سليمان ، والرعيضات وغيرهم من أفراد قبائل المنطقة، وتقرر أن تبدأ العمليات في منطقة سرت يوم 27 من ديسمبر من جانب قوات برقة، وفي اليوم الثانى من يناير من جانب قوات طرابلس الغرب في الوقت الذى تحركت فيه قوة إيطالية من المهارى بقيادة الملازم "توريللى" من مقرها بواحة الجغبوب التى وصلت إلى واحة جخرة شمال واحة جالو وقامت بمباغتة نجوع البادية هناك ثم عادت إلى الجغبوب بعد أن قطعت مسافة أكثر من 500 كيلو متر[2].

ورغم وصول رسالة محمد الرضا إلى الوالي تروتسى فى آثناء اقتراب القوة الإيطالية القادمة من الجغبوب إلى واحة جالو وأسر آربعة أشخاص من سكان واحة جخرة فإن محمد الرضا السنوسى لم يتراجع في استمرار المفاوضات مع إيطاليا، بل أن الشيخ إدريس بو حليقة شيخ قبيلة الزوية من أكبر قبائل منطقة الواحات قد وصل إلى إجدابيا في يوم 25 من ديسمبر يحمل رسالة من محمد الرضا إلى القيادة الإيطالية ، تتضمن التوجيه بإعادة الأشياء التى استولت عليها القوة الإيطالية فى أثناء مهاجمة واحة جخرة.

وأكد الشيخ إدريس بو حليقة شيخ قبيلة الزوية بأن محمد الرضا في طريقه إلى بئر بالطفل من جالو لأجل الاجتماع بالشيخ عمر المختار، وصالح الأطيوش، وعمر سيف النصر لدور هؤلاء في حركة الجهاد، وباعتبارهم من الزعماء الذين كانوا مؤيدين للدعوة السنوسية[3].

---

(1) إتيليو تروتسي ، المرجع السابق . ص: 186 –187 والذي ينشر نص الرسالة كاملة مثل قوله : لقد كانت لحظة سعيدة تلك التي حظيت فيها بشرف إستسلام رسالتكم المؤرخة في 10 نوفمبر 1927 ، وقد شعرت بأقصى درجات البهجة لقراءتها لأنها أكدت لي صحتكم الغالية ولطفكم التام بالإضافة الى أن مانقله الى ممثلكم، قد هيأ لي مزيداً من الإعجاب بشهامتكم.

(2) المرجع نفسه . ص: 185 . والذي يؤكد أن القوة الإيطالية قد قطعت المسافة خلال 14 يومًا الواقعة بين 15-29 ديسمبر 1927.

(3) إتيليو تروتسي ، المرجع السابق . ص: 187 –188.

وكان الشيخ إدريس بو حليقة قد حمل رسالة موقعة بأختام أعيان جالو يؤيدون فيها إجراء المفاوضات السلمية مع إيطاليا والتى تتفق مع الإجراءات التى كان يقوم بها محمد الصديق السنوسى ووالده محمد الرضا قبل أن يذهب إلى بنغازى المحتلة منذ سنة 1911 م والذى كان يهدف من اجتماعه بزعماء المجاهدين لتبادل الرأي فيما يتعلق بالحوار المباشر مع إيطاليا وكان موقف أكثر هؤلاء المجتمعين مساندًا لمبدأ التفاوض وعدم إضاعة الفرصة بسبب سوء الحالة الاقتصادية على إثر عدم سقوط الأمطار، ولإغلاق الحدود مع مصر، وهى أسباب ثانوية، كان يمكن التغلب عليها في وجود القيادة الرائدة ولكن لمّاً كان محمد الرضا عاجزًا في السيطرة على النظام والدفع بالمجاهدين إلى خوض المعارك ظهرت مثل هذه الأسباب الواهية التى قدمت أجلّ الخدمات لإيطاليا التى كانت بحاجة إلى مساندة كل مواطن ليبى إلى جانب قواتها.

وفي الثانى من يناير 1928 وصل محمد الرضا السنوسى إلى بئر بالطفل، وكان برفقته الشيخ عبدالعزيز العيساوى وبعض الشيوخ الآخرين وكان بانتظاره الكومندتور " أولمى" الذى جاء من إجدابيا بسيارة وبدون حرس معه.

وآخبر الرضا بأن دولة الوالي"تروتسى" قد وصل إلى إجدابيا يوم أمس لأجل استقباله. وأن التقاليد العسكرية وحدها هى التى منعته من الحضورإلى هنا دون حراسة بسبب الاتفاقية التى عقدت مؤخرًا مع الوطنيين والتى أدعى أنه جازف وخالفها من أجل إستقبال الرضا في بئر بالطفل . وإبلاغه بأن الوالي في انتظاره بإجدابيا، وادعى" أولمى" للرضا بأنه كان قد وقع في أيدى المجاهدين بمجرد خروجه من إجدابيا وأنه رجاهم أن يحملوه إلى محمد الرضا الوكيل العام، وقال "أولمى" للرضا :

وإن شئتم أن أبقى هنا بدلاً منكم كرهينة حتى تعودوا بعد مقابلتكم للوالي فإنى على استعداد لذلك[1].

وبحضور الشيخ أبى قادومة ومحمد الصديق السنوسى ،وأربعة من الفرسان، وحسين البسيكرى ، والشيخ عبدالعزيز العيساوى ، وعبدالله الغريانى أخو الشارف الغريانى أعلن محمد الرضا بأنه واثق في كرم الحكومة الإيطالية ويضع نفسه وأبناءه والطريقة السنوسية تحت تصرف الحكومة.

وفي اليوم الثالث من يناير: لحق الرضا رفقة الشيخ عبدالعزيز العيساوى بالكومندتور "أولمى" الذى واصل السفر معه حتى القطيفة في شمال بئر بلال وهناك قام حوالي خمسة

---

(1) محمد شكري، المرجع السابق، ص: 288 ؛ محمد الأشهب، المرجع السابق ، ص: 437 . تروتسي ، المرجع السابق ، ص: 192 .

عشر فارسًا بإيقاف قافلة الرضا دون أن يتعرضو لها بأذى بعد أن تعرفوا على أفراد القافلة حيث آمرهم محمد الرضا بالعودة إلى قبائلهم والتخلى عن كل عمل عدائى. وفي الساعة الثالثة من اليوم نفسه وصلت قافلة الرضا إلى إجدابيا معلنًا استسلامه لإيطاليا[1].

وكانت القوة الإيطالية، التى خرجت من إجدابيا في اليوم الأول من يناير 1928 باتجاه العقيلة تحت قيادة الجنرال "ميتزتى" لأجل إشعار محمد الرضا أن الحكومة الإيطالية قد قبلت بمبادرته الاستسلامية كعمل شخصى لامن أجل الحصول على إحلال السلام حتى لاتتسب إليه سلطة لا تريد إيطاليا أن تعترف له بها، وأن يرى الرضا في تحركات القوات الإيطالية قوة إيطاليا الصارمة[2].

وأكد الوالي "تروتسى" معارضة الكثير من زعماء حركة الجهاد بمناطق إجدابيا لعملية استسلام محمد الرضا مثل: عبدالحميد العبار من العواقير ، وبو شديق بو مازق من البراعصة الذين حاولوا إقناع الرضا بالعدول عن استسلامه غير أن تدخل الشيخ عبدالعزيز العيساوى وإغراءات إيطاليا له قد دفعت بالرضا إلى الإسراع بالحضور إلى إجدابيا الذى كان يمثل حدثًا هامًا في تاريخ حركة الجهاد بمنطقة إجدابيا بصفة خاصة والأراضى الليبية بصفة عامة، وهو ما أكدته البرقية التى أرسل بها والي بنغازى إلى "بينيتو موسولينى" (الدوتشى) في روما فور وصول الرضا إلى إجدابيا حيث ستكون لهذا الحدث نتائج طيبة وآثار حسنة وسيساعد في علاج داء برقة المعضل ، لقد أعلن الرضا خضوعه بلا شروط بعد أن كان منذ أربعة أعوام يمثل الزعيم الفعلى لحركة الجهاد في برقة[3].

وفور دخول محمد الرضا إلى إجدابيا أنزل بمحل محاط بالحرس دون آن يسمح له بالاتصال مع الآخرين عدا بالشارف الغريانى وحسين البسيكرى ، ثم نقل إلى بنغازى تحت حراسة مشددة، ومنها نقل إلى إيطاليا منفيًا يوم 14 يناير 1928 م رفقة مستشاره عبدالعزيز العيساوى حيث ظل منفيًا بجزيرة " بياتسا أرميرينا " بالرغم من مطالبة الوالي "تروتسى" بأن يبقى محمد الرضا معزولاً عن الآخرين داخل مدينة بنغازى[4].

إن محمد الرضا السنوسى وقع في خدعة الإيطاليين دون أن يأخذ العبرة من تعاملهم مع زعماء المجاهدين بمناطق: الزاوية، والجبل الغربى، ومصراتة، وترهونة،

(1) المرجع السابق ، ص: 193.

(2) المرجع نفسه ، ص: 193 -194.

(3) محمد الأخضر العيساوي ، المرجع السابق ، ص: 74.

(4) إتيليو تروتسي ، المرجع السابق ، ص: 195 . والذي يقول صراحة ، بأنني لم أكن معارضًا لفكرة نقل الرضا إلى إيطاليا .. ولكنني كنت أرغب أن يتم ذلك بعد شهرين أو ثلاثة أشهر من إقامته في بنغازي.

وورفلة، والجبل الأخضر حيث تم إعدام العديد من المجاهدين[1].

وترتب على إرسال محمد الرضا السنوسى منفيًا إلى إيطاليا حدوث حالة من الذعر الشديد بين المجاهدين وخاصة بين أفراد أسرته الذين نصحهم بالاستسلام للقوات الإيطالية وهو ما أكده الرضا في رسالته إلى ابنه محمد الصديق بو مازن الذى كان يتوقع أن يمنعه قجة عبدالله وبو شديق بو مازن من التحول إلى صفوف الإيطاليين؛ لذا نصحه بأن يقترب من المواقع الإيطالية في جوف المطر .

وطلب من ابنه الحسن الذى كان واقفًا إلى جانب الشيخ عمر المختار بالجبل الأخضر أن يتخلى عن حركة الجهاد ويلتحق بأخواله.

وقد استلم محمد الصديق رسالة والده في معطن سلمى وأرسل برده السريع عليها قائلاً له: سوف يتحرك على الفور نحو الشمال متجهًا إلى أبى نقرة ومعطن المنشى وهو على استعداد لزيارة إجدابيا مشيرًا في رسالته إلى أن قجة عبدالله قد حضر من جالو وأنه أخذ يعمل بتعليمات أحمد الشريف السنوسى ومحمد العابد السنوسى وصار يدعو الناس بالاتجاه نحو المناطق الغربية من إجدابيا.

وكان محمد الصديق عندما حرر هذه الرسالة يعتقد بأن والده مازال في بنغازى حرًا طليقًا دون أن يذهب ضحية لمكائد إيطاليا ، وأنه قد أسر وأبعد إلى إيطالية[2].

وكان الحسن وهو الابن الثانى للرضا قد قبل بأوامر والده الصادرة إليه والمتعلقة بإيقاف الحرب لأجل أن يتمتع بالعفو المقدم من طرف إيطاليا مما أحدث خلافًا حادًا في صفوف المجاهدين بمنطقة الجبل الأخضر في الوقت الذى طلب فيه قجة عبدالله الحصول على ضمان شخصى لاستسلامه عن طريق مندوبه الذى أرسله في يوم 11 يناير 1928 إلى حسين البسيكرى حيث رحبت وزارة المستعمرات الإيطالية بقدومه إلى بنغازى ووصفته بأنه من أمهر وأبرز قادة السنوسيين ولايمكن مقارنته بأى من قادة حركة الجهاد الآخرين؛ ولذا فإنه من الملائم ملاحقة ومتابعة رغبته في الاستسلام مع إبعاده بعد ذلك إلى إيطاليا ولكن نبأ سفر

---

(1) قسم الأدلة الجنائية - طرابلس ، ليبيا ، الذي يضم الأحكام الصادرة عن المجاهدين العرب الليبيين فى أثناء الغزو الإيطالي (1911-1934) ومن أمثلة الأشخاص الذين صدرت عليهم أحكام الإعدام ما يلي : محمد زكي معيتيق في سنة 1922 م ، وأعبيدة زكري المحجوبي سنة 1922 م ، وامحمد الدريدي 1922 ، وخليفة بن عسكر ، 1922 ، وعبد المولى محمد الكلباش سنة 1922 م ، وعلى محمد بلوط 1923 ، ويونس مسعود أبو خريص 1923م . وامعيتيق عقيلة صالح سنة 1923م، ومحمد عبد السلام سويدان 1923 م وصالح على تنتوش سنة 1925م ، ومنصور محمد علي الحاج سنة 1923م ، ومحمد مسعود سليمان سنة 1923م ، وصبحي أبو القاسم القمودي احميد سنة 1923م . ومعتوق محمد يوسف محمد يوسف سنة 1923م ، وعمر أحمد عجاج سنة 1915م ، وعلى أحمد خليفه . سنة 1924، ومحمد أرحومة هويسة سنة 1922 ، وعلى منصور سليمان سنة 1924 ، وخليفة سالم زقيدة ، وأحمد الحاج الغرياني سنة 1923م ، وضو مسعود إعيان سنة 1923 ومحمد عبد الله القنفوذ سنة 1923 م ، وعبدالرحمن أبو القاسم شلابي سنة 1922 ، وامحمد هويسة سنة 1922 ، ومنصور حسين بن أحمد سنة 1922 .

(2) إتيليو تروتسي ، المرجع السابق ، ص: 196 -197 .

محمد الرضا إلى إيطاليا منفيًا منع قجة عبدالله من القدوم إلى السلطات الإيطالية[1].

أما آثر استسلام محمد الرضا في الأوساط المختلفة داخل مدينة بنغازى فهى كانت إيجابية؛ طمعًا منهم في العودة إلى الحياة العادية: لتحقيق المزيد من المكاسب المادية لهم . ويقول الوالي "تروتسى" : إن جميع الآراء والأحكام التى قدمها المتصرفون الإيطاليون عقب وصول محمد الرضا السنوسى إلى بنغازى كانت مجمعة على تقدير أهمية الحدث الذى يرون فيه بشيرًا بنتائج هامة في الوقت الذى رأت فيه القيادة الإيطالية الفرصة المناسبة لبداية عمليات خط عرض 29 درجة شمالاً لأجل تحقيق جملة من الأهداف الاستراتيجية . والسياسية والتى تعمل على ربط المناطق الشرقية والغربية من ليبيا تحت القيادة المباشرة ، وإبعاد التهديدات المحتملة على المواقع الإيطالية بالمنطقة الوسطى وإبعاد رجال حركة المقاومة عن المناطق الساحلية والنزوح إلى المناطق الجنوبية كالكفرة[2] .

استئناف معارك خليج سرت والواحات الوسطى:

من المعروف أن منطقة خليج سرت تمثل المنطقة الوسطى من الأراضى الليبية . والتى تشكل حلقة اتصال بين الإدارة الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب، وفي ولاية برقة ولذا كان لابد من توحيد جهود الولايتين في معارك حرب إعادة الاحتلال باتجاه مناطق الواحات مثل: مرادة والفقها، وزلة وجالو، وأوجلة ، وجخرة وهون، وسوكنة، وودان والتى تمثل أبرز ميدان لعمليات خط عرض 29 شمالاً حيث أصدرت حكومة روما بتعليماتها إلى كل من والي برقة ووالي طرابلس بالاستعداد لهذه العمليات الواسعة في وسط الصحراء دون إمكانية توفير غطاء بحرى حربى للقوات الإيطالية المهاجمة كما كان يحدث من قبل خلال المعارك التى دارت بالمناطق الساحلية فى أثناء حرب إعادة الاحتلال بداية من سنة 1922 م.

وبعد مناقشات وافية للمشروع المذكور من طرف والي المناطق الشرقية ووالي المناطق الغربية، والحكومة المركزية الإيطالية في روما تقرر في نهاية سنة 1927 م الاتفاق على الخطة المقدمة في الاجتماع الذى عقد برئاسة وزير المستعمرات "فيدرزونى" وحضور والي طرابلس الغرب إلى جانب حضور والي برقة تجنبا لعدم تكرار الخطأ الذى وقعت فيه القوات الإيطالية بين سنتى 1914 و1915 بالمناطق الوسطى والجنوبية والتى كان من أبرز كوارثها هزيمة القرضابية يوم 29 من أبريل 1915 [3].

---

(1) المرجع نفسه ، ص: 198 الذي أشار الى محاولة استسلام قجة عبد الله دون غيره من المصادر الأخرى وهو خلاف ما أشار إليه الصديق في رسالته المشار إليها.

(2) خليفة محمد التليسي ، بعد القرضابية ، المرجع السابق ، ص: 243.

(3) جراتسياني ، نحو فزان ، المرجع السابق ، ص: 304 : خليفة محمد التليسي ، المرجع السابق ، 239 – 240.

وقدرت القيادة الإيطالية أعداد المجاهدين داخل المناطق الواقعة إلى الجنوب من سرت بالأعداد الآتية:

1- المغاربة الرعيضات 1800 مجاهد يتركزون بوادى العقر بمنطقة سرت.

2- مغاربة الشماخ 2500 مجاهد يقيمون بمنطقة وادي الفارغ بإجدابيا والذين سبق لهم أن أعلنوا عن قبولهم بالإدارة الإيطالية ولكنهم لم يقوموا بتسليم أسلحتهم لذا اعتبرتهم القيادة الإيطالية في عداد قوات المجاهدين.

3- القذاذفة 300 مسلح بمنطقة بئر القرين .

4- أولاد سليمان 1500 مجاهد تقيم بمناطق سوكنة وهون وودان وزلة .

5- المشاشية 100 مجاهد بمنطقة الشاطئ .

6- أولاد أبى سيف 200 مجاهد .

7- الزنتان والرجبان 300 مجاهد .

8- الحساونة والعثامنة 700 مجاهد .

9- المقارحة 300 مجاهد بوادى الآجال .

10- ورفلة 300 مجاهد بين مرزق وسبها[1].

أى أن المجموع الكلى لأعداد المجاهدين حسب التقديرات الرسمية الإيطالية 8000 مجاهد موزعين على مناطق واسعة. ويلاحظ على هذه الإحصائية أنها تتميز بالمبالغة في العدد لبعض القبائل مثل: مغاربة الشماخ، وقسمت عمليات خط عرض 29 شمالا والتى تقرر أن تبدأ مع سنة 1928 م إلى ثلاث مراحل هى:

المرحلة الأولى: والتى تبدأ من أول يناير 1928 ، وتستمر إلى الخامس من فبراير 1928 يتم فيها التحرك باتجاه (النوفلية - مردومة) بواسطة القوات العاملة في طرابلس الغرب وبرقة، والوادى الفارغ بواسطة القوات الإيطالية المنطلقة من برقة إلى مردومة لتلتقى بالقوات المنطلقة من سرت .

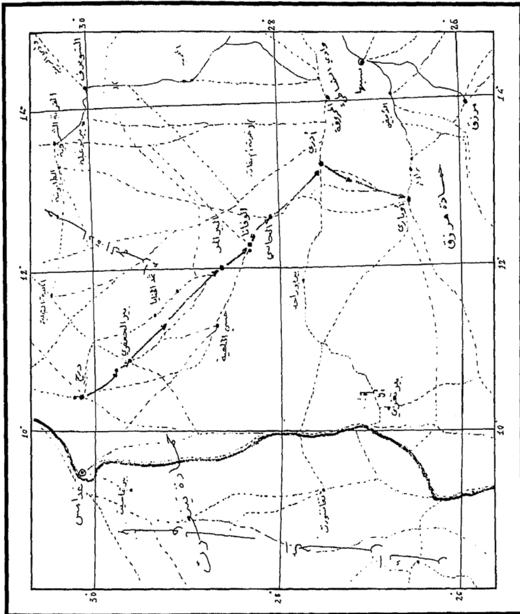
المرحلة الثانية: تبدأ من28 يناير وحتى 18 مارس 1928 م، والتى تم فيها احتلال الجفرة (هون -سوكنة - ودان)، وزلة بواسطة قوات ولاية طرابلس الغرب ، واحتلال واحات جالو وأوجلة، وجخرة، ومرادة بواسطة القوات الإيطالية المنطلقة من ولاية برقة.

المرحلة الثالثة: من 4 - 30 مايو 1928 والتى تتمثل في عمليات تمشيطية بين النوفلية ، وزلة، ومرادة، وبين سرت وبونجيم، وودان واحتلال أبار تاقرفت.



---

(1) خليفة محمد التليسي . المرجع السابق . ص: 241 -242.


غدامس
درج
الشويرف
أدري
أوباري
سبها
مرزق
حمادة مرزق

ثانيًا

حركة الجهاد الوطنى الليبى

(1922 - 1931)

عمليات المرحلة الأولى من خط عرض 29 درجة شمالاً:

اهتمت القيادة الإيطالية بهذه العمليات فاختارت بأن يتولى الجنرال "جراتسيانى " مع الكولونيل" بنتور " والكولونيل " لافبولا " قيادة عمليات الوحدات العسكرية الثلاثة. وضمنت الوحدة الإيطالية التى أسندت قيادتها إلى الجنرال "جراتسيانى" أربع كتائب هى : الكتيبة الليبية الأولى والرابعة والكتيبة الأريترية العشرون والخامسة والعشرون بالإضافة إلى وحدتين من وحدات الصحراء الثالثة والرابعة ، وطابورين من الخيالة ، ووحدة غير نظامية من الجفرة، والبطارية المدفعية الليبية، وقافلة من حوالي 2900 جمل .

وكانت وجهة هذه الوحدة المقاتلة القيام بالعمليات الحربية في منطقة سرت الشرقية والتى تضم المغاربة الرعيضات وغيرهم من المجاهدين. وكان يساعد الجنرال "جراتسيانى" في قيادة هذا المحور الكبير الكولونيل "ماريوتى" ، والكولونيل "جالينا" والدوق "بولبى"[1].

أما الوحدة الإيطالية أو الفيلق (ب) كما أطلق عليها الجنرال "جراتسيانى" فهى كانت تحت قيادة الكولونيل "بنتور" والتى تضم ثلاث كتائب هى الكتيبة الليبية السادسة والسابعة والعاشرة مع الكتيبة التاسعة عشر الأريتيرية ، وطابور من السوارى وآخر من الخيالة وبطارية ليبية . والقافلة الناقلة للتموين وغيره.

وكانت وجهة هذه القوة واحة سوكنة، وضم الفيلق (جـ) الإحتياطى كل من الكتيبة السادسة والعشرين الأريترية ، والطابور الرابع والسابع من السوارى وهم الفرسان الذين يرتدون الزى العسكرى الإيطالي في حين يطلق اسم السباهيس على الفرسان الذين يرتدون الزى الليبى ويقاتلون إلى جانب الإيطاليين.

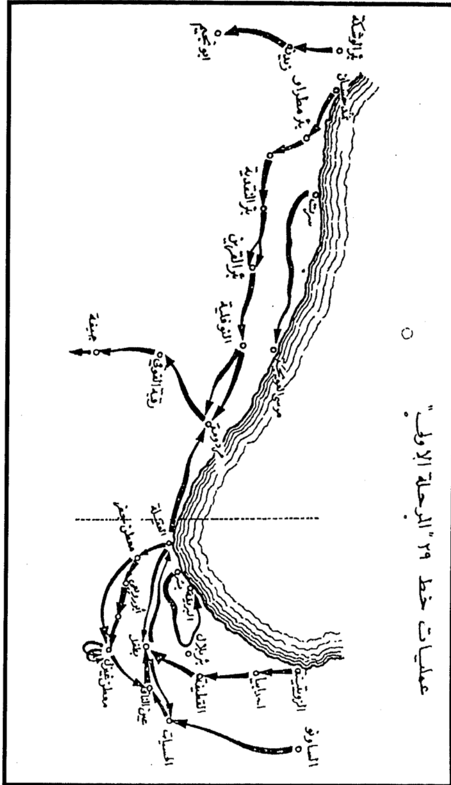
وتولى الجنرال "لوويجى تشيكونتى" الخاضع لقوات ولاية طرابلس الغرب الإشراف وقيادة القوات المشتركة بين ولايتى طرابلس الغرب وبرقة والمتجهة نحو مردومة.

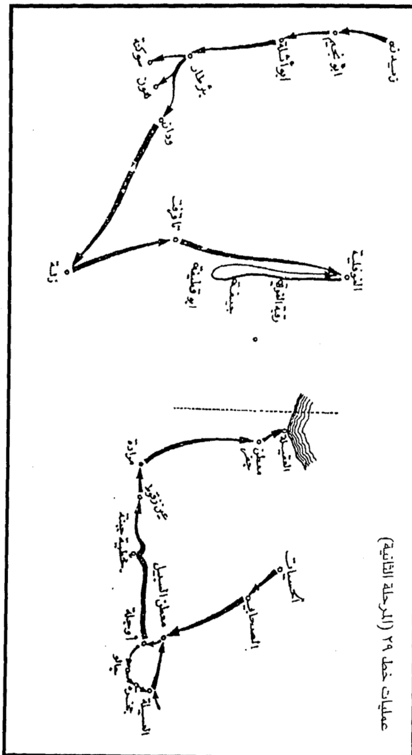
وبدأت قوات الفيلق " أ" والتى كانت تحت قيادة الجنرال "جراتسيانى" بالتحرك في اليوم الثالث من يناير باتجاه " بئر عطراو " من قاعدة تمركزها في "ثمد حسان "[2] .

---

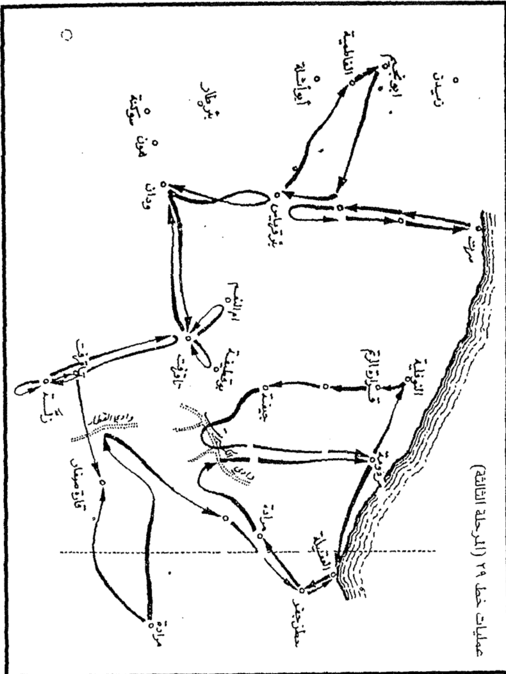
(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 306 – 307.

(2) خليفة محمد التليسي ، المرجع السابق ، ص: 245 ؛ جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 308 –311.


عمليات خط ٢٩ "المرحلة الأولى"
بئر الوشكة
زيدنة
ابو نجيم
تمد حسان
بئر مطراو
بئر النقدية
بئر القرين
النوفلية
سرت
رقبة الفوقي
جيفة
العقيلة
معطن جعفر
معطن غيزل
بطفل
عين الناقة
الحسيات
الساونو
الزويتينة
اجدابيا
القطيفة
بئر بلال
البريقة



عمليات خط ٢٩ (الرحلة الثانية)



عمليات خط ٢٩ (المرحلة الثالثة)

احتلال النوفلية 9 يناير 1928

تحرك الفيلق (ب) ضمن خطة المرحلة الأولى في اليوم الرابع من يناير إلى بئر الزيدن من بئر الوشكة ثم اتجه منها إلى بلدة أبى نجيم التى وصلها في اليوم السادس دون مقاومة لانسحاب المجاهدين منها . والتى كانت تضم جثث قتلى الجنود والضباط الإيطاليين الذين قتلوا سنة 1915 (1).

وبعد احتلال واحة بو نجيم واصل الفيلق زحفه أيام 4 – 7 عن طريق خط آبار سرت الجنوبى وهى بئر النقدية ، وبئر القرين حيث تم تطهير منطقة وادى هراوة من المجاهدين بمناورة سريعة وعلى حين غفلة من الآمر الذى أدى إلى نزع سلاح أهالي ورفلة والحسون الذين كانوا يخضعون في قيادتهم لزعيم المغاربة الرعيضات في الوقت الذى يقول فيه الجنرال "جراتسيانى" بأنهم كانوا على اتصال مع الإيطاليين في سرت بطريق المراسلة(2).

وفي اليوم الثامن استأنف الفيلق الإيطالي تحت قيادة الجنرال "جراتسيانى" الزحف باتجاه بئر "أم الدواوي" لأجل ملاحقة قوات المغاربة الرعيضات وتكونت هذه الحملة من ثلاث كتائب وبطارية مدافع، وطوابير صحراوية، ومن الخيالة السباهيس .

وبدأت هذه القوة الخفيفة بعد آن تخلت عن أفراد القافلة وقوات "جالينا" ، وقوات دوق "بوليي" . وبعض الكتائب الأخرى في آم الدواوي في يوم 9 يناير بالزحف باتجاه النوفلية المركز الرئيسى لقبائل المغاربة الذين إنسحبوا من المنطقة دون معارك عدا وقوع اشتباك محدود بين مجموعة صغيرة من فرسان المجاهدين والقوات الإيطالية والذى أدى إلى احتلال النوفلية دون مقاومة تذكر لخلو جميع الأراضى المحيطة بها تجنبًا لانتقام قوات العدو والذى كان يأمل في مهاجمة مواقع المجاهدين بهذه القوات الكبيرة ، ولكن عملية الانسحاب إلى الجنوب فوتت عليه الفرصة حيث تمكن صالح الأطيوش من الانسحاب رفقة نجوع البادية بالاتجاه إلى بئر "جيقة" دون آن يستمع إلى المنشورات التى كانت الطائرات تلقى بها في صباح الثامن من يناير 1928.

وقامت القوات الإيطالية بملاحقة المجاهدين المنسحبين باتجاه الجنوب من النوفلية بواسطة الفرسان والطائرات ولكن فشلت كل هذه الجهود الإيطالية فشلت في تطويق المجاهدين ولم تلحق آى ضرر عدا ببعض رؤوس الماشية والخيام والاستيلاء على حوالي 100 بندقية، ولذا تأسف الجنرال "جراتسيانى" على هذه النتيجة(3).

---

(1) المرجع نفسه ، ص: 308 . والذي يشير الى أسماء الضباط القتلى في المعركة التي جرت في فبراير 1915 ، وهم الملازم براندي ، والملازم بروكوبيو . والنقيب دي ما نداتو.

(2) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 308.

(3) خليفة محمد التليسي ، المرجع السابق ، ص: 146 : جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 310 – 311.

ويعترف الجنرال "جراتسياني" بأن قرار قائد المجاهدين المغاربة صالح الأطيوش بالانسحاب كان قرارًا حكيمًا لأن الدخول في معركة خاسرة من أجل إنقاذ الهيبة بوصفه ذا سلطة واسعة كان سيسبب له الخسائر الفادحة في الأرواح والمعدات والأموال بالرغم من استيلاء القوات الإيطالية على نحو عشرين ألف رأس من الماشية بفعل قصف الطائرات لهم.

وشكل الجنرال "جراتسياني" قوة إيطالية خفيفة تحت قيادة الكولونيل "ماليتى" تحركت من النوفلية يوم 10 يناير باتجاه مواقع المجاهدين الذين كانوا تحت قيادة صالح الأطيوش حيث وصلت قوات "ماليتى" إلى مردومة من بعد ظهر نفس اليوم الذى تحركت فيه من النوفلية.

وقد اتصل الكولونيل "ماليتى" في مردومة بالقوات الإيطالية القادمة من برقة وسارت السيارات المصفحة التابعة للقوتين باتجاه جيفة أيام 11 و 12 و 13 ولكنه رجع إلى مردومة يوم 17 يناير في ظروف جوية سيئة اختلط فيه الماء والهواء حسب تعبير "جراتسيانى"[1].

وفي يومى 14 –15 استأنفت القوات الإيطالية المنطلقة من ولاية برقة وولاية طرابلس الغرب تحركها بعد أن انضمت لبعضها البعض، ثم سارت إحداها إلى النوفلية والأخرى إلى العقيلة.

وقامت القوات الإيطالية المنطلقة من ولاية طرابلس، في يوم 16 من يناير 1928م بالانقسام إلى فيلقين الشرقى تحت قيادة ضابط برتبة كولونيل ، والفيلق الجنوبى تحت قيادة الجنرال "جراتسيانى".

وقد بقي الفيلق الشرقى "ماريوتى" في النوفلية تحت تصرف قيادة القوات القائمة بالعمليات العسكرية والتى كان مقرها سرت بينما اتجه فيلق الجنوب خلال الفترة من 18 – 21 يناير باتجاه بئر آم الدواي وبئر القرين وبئر الهمالية، وانتقل من النوفلية إلى قصر بو هادى لكى يعيد تنظيم قواته التي لحق بها الإرهاق دون اللحاق بالمجاهدين المغاربة[2].

أما الفيلق (ب) من الحملة الإيطالية الأولى فإنه قد تعرض لهجمات بعض فصائل المجاهدين داخل الأراضى المجاورة لواحة أبى نجيم وخاصة الاشتباك الذى وقع في بئر الفاطمية يوم السابع من يناير 1928 [3].

وكان الكولونيل "بينتور" قائد الفيلق (ب) يعمل من أجل تنظيم الدفاع عن واحة أبو نجيم التى تمثل نقطة العبور المباشر بالاتجاه إلى الجفرة التى تضم واحات هون ، وسوكنة ، وودان الغنية بمواردها المائية والتمور .

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 312 – 313 : خليفة محمد التليسي ، بعد القرضابية، ص: 245.

(2) المرجع نفسه ، ص: 314.

(3) خليفة محمد التليسي ، معارك الجهاد ، المرجع السابق ، ص: 167.

وقام الفيلق (جـ) الذى كان يشكل القسم الثالث من عمليات المرحلة الأولى بالزحف في الثامن من يناير 1928 من سرت تحت قيادة الكولونيل " بينتور " على بئر القرضابية ، ثم انتقل في اليوم التاسع من بئر القرضابية إلى بئر التوجية ومنه اتجه في اليوم العاشر إلى بئر الأحمر الذى تمكن فيه من مباغتة مجموعة من المجاهدين على مقربة من بلدة سلطان ، ثم انتقل إلى مرسى العويجة التى تقع عبر مسافة عشرين كيلو مترًا شمالى زاوية النوفلية[1].

وانتهت عمليات المرحلة الأولى دون حدوث معارك طاحنة ، وتمكن على إثرها الإيطاليون من السيطرة على الساحل الشرقى الشمالى وحتى مردومة دون أن تتمكن من القبض على صالح الأطيوش ، وأصبحت بلدة النوفلية وبلدة أبى نجيم قاعدتين لتحركات القوات الإيطالية باتجاه الجنوب في الوقت الذى كانت فيه القوات الإيطالية القادمة من برقة تنزع السلاح من مغاربة الشماخ الذين كانوا قد عقدوا علاقات سلمية مع إيطاليا[2].

عمليات المرحلة الثانية من خط عرض 29 درجة شمالاً:

كانت قوات الفيلق (أ) قد انتقلت في 21 من يناير 1928 م إلى منطقة قصر بوهادى لإعادة تنظيم صفوفها ، ثم انضمت هذه القوات إلى قوات الفيلق (ب) في تشكيلة موحدة تحت قيادة الجنرال جراتسيانى الذى انتقل على رأس قوات الفيلقين إلى واحة بو نجيم في الرابع من فبراير عن طريق " روبباينة " و " زكيرية " " والزيون ، وسانية بن عيسى[3] .

وبدأ الزحف في التاسع من فبراير 1928 ، باتجاه الجفرة عن طريق خرمة المحلة ، وأبو أثلة، ووادى زمام ، وبئر طار ومنه إلى سوكنة ، وهون ، وودان ، وتعرض أفراد الحملة إلى بعض المصاعب في نقص المياه والي هبوب الرياح العاتية المصحوبة بسقوط الأمطار.

احتلال واحات الجفرة يومي 13 و 14 فبراير 1928 م

وتمكنت القوات الإيطالية التى خرجت من أبى نجيم من الوصول إلى بئر طار الذى يقع إلى الشمال من واحات الجفرة ، وقد علمت هذه القوات بانسحاب المجاهدين من سوكنة وبأن عبد الجليل سيف النصر الذى كان يتولى قيادة حركة المقاومة بالمنطقة قد انسحبت منها إلى هون

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 315.

(2) المرجع نفسه ، ص: 316 –317 : خليفةمحمد التليسي ، بعد القرضابية ، ص: 245.

(3) جراتسياني، المرجع السابق ، ص: 318 الذي يعطي وصفًا كاملاً لأفراد الجيش الكبير والمكون من : الجنرال "جراتسياني" القائد العام، والكولونيل "جالينا" قائد الفيلق (أ) ، ويضم الفيلق (أ) الكتيبة الأريترية الخامسة والعشرين. أما الفيلق (ب) فقد أسندت قيادته الى الكولونيل "بينتو" ، والذي يضم : الكتيبة السادسة، والكتيبة الأريترية السابعة عشرة . وضم فيلق البطاريات الليبية الثانية والبطارية الصحراوية في حين ضم الفيلق الخفيف الراكب تحت قيادة دوق "بولبي" ويتألف من : الكتيبتين الثالثة والرابعة الصحراويتين ، وطابور من الخيالة السباهيس، وطابور الخيالة السواري ، وجماعة الجفرة غير النظامية مع كمية من التموين تكون كافية مدة عشرين يومًا للجنرال والدواب.

رفقة المجاهدين دون أن يعلم بتحركات القوات الإيطالية بسبب رداءة الأحوال الجوية التى منعت أفراد قواته من التحرك ، كما أن رداءة الجو منعت الطائرات الإيطالية من التحليق في سماء المنطقة: مما ساهم في عدم إخطار المجاهدين بتحركات القوات الإيطالية المتجهة نحو الجفرة[1].

وعلى إثر علم الجنرال "جراتسيانى" بانسحاب المجاهدين من سوكنة، وهون، وودان انتقل الفيلق (ب) تحت قيادة الكولونيل " بينتور " مع البطارية الثانية، والطابور الخامس للسوارى إلى سوكنة واحتلها دون معارك ، وقطع اتصالاتها مع هون في الوقت الذى تحرك فيه الجنرال "جراتسيانى" باتجاه هون فى أثناء الليل ، وقام بمحاصرتها صباح يوم 14 فبراير. ومنع الأهالي من الخروج مما دفعهم إلى الاستسلام، ودون معارك وقاموا بتسليم أسلحتهم لقوات الجنرال "جراتسيانى" في الحال الذى آمر من طرفه الأمير دوق "بوليي" بالاتجاه صوب واحة ودان والاستيلاء عليها والقبض على عبدالجليل سيف النصر الذى تمكنت القوات الإيطالية من اللحاق بمؤخرة أفراد قواته في ودان ، ودخلت معها في معركة عنيفة قام على إثرها سكان ودان بالإستسلام لقوات الأمير الإيطالي .

كما لحقت قوات الجفرة غير النظامية بقوات عبدالجليل سيف النصر المنسحبين ، وآنزلت بها بعض الخسائر في الأشخاص والدواب والأسلحة تحت قيادة خليفة الزاوى[2] ؛ ولكثرة تموينها المحمول على قافلة مكونة من 3524 جملاً.

احتلال زلة في 22 فبراير 1928م.

وتمثل واحة زلة أقرب نقطة تقع إلى الشرق من واحة ودان ، والتى كانت تشهد تجمعات هامة من المجاهدين المتمركزين بمنطقة جيفة وتاقرفت ، وعليه تشكلت القوات الإيطالية المتجهة إلى زلة من الجنرال "جراتسيانى" المكلف بالقيادة العامة لهذه الحملة بمساعدة الكولونيل جالينا " والكولونيل " أوتابلينى " .

وتكونت قوات الحملة من : الكتيبة الليبية الأولى ، والكتيبة الليبية السادسة ، والكتيبة الأريترية رقم 25 ، والطابور الصحراوى الثالث والرابع تحت قيادة الأمير "بوليى" بالإضافة إلى طابور الخيالة السباهيس ، وجماعة الجفرة غير النظامية وسيارتي نقل مسلحتين للاستكشاف ، وبطارية صحراوية .

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 320.

(2) كان خليفة إمحمد الشاوش من الزاوية ولذا عرف بالزاوي ، وقد سبق له آن درس في استنابول العلوم العسكرية،وشارك في حركة الجهاد، وتولى إدارة شؤون فزان بين سنتي 1918 ، 1925 م وحتى تم طرده منها على أيدي عبد الجليل سيف النصر وبعض زعماء الجهاد الآخرين الأمر الذي دفع به الى تقديم نفسه للإيطاليين ثم العودة معهم لاحتلال فزان والانتقام من خصومه، جراتسياني، المرجع السابق ، ص: 321.

وتهدف القيادة الإيطالية من تشكيل هذه القوة الكبيرة إلى احتلال زلة ، ثم الاتجاه بعدها إلى الشمال لتطويق المجاهدين المتمركزين جنوب النوفلية تحت قيادة صالح الأطيوش وعبد الجليل سيف النصر حيث كان مغاربة الرعيضات وأولاد سليمان وقبائل المناطق الأخرى متواجدين بين جيفة وزلة على مسيرة أربعة أيام إلى الشرق من زلة[1].

وقد بدأت القيادة الإيطالية الزحف من ودان باتجاه زلة في الوقت الذى سوف تخرج فيه قوات الكولونيل "ماريوتى" من النوفلية باتجاه جيفة للمشاركة في مهاجمة مواقع المجاهدين بها بناء على اقتراح من الجنرال "جراتسيانى" .

ورغم بعد المسافة بين ودان وزلة فإن القوات الإيطالية لم تتعرض لأي هجوم يذكر عدا حالة من إطلاق النار حدثت خلال الليلة الأولى من تحرك الحملة دون إلحاق أية أضرار بالأفراد أوالمعدات، ولكن حالة من الذعر انتشرت بين أفراد الحملة التى تعطلت تلك الليلة عن الزحف.

وعندما اقتربت قوات الحملة من زلة التقت ببعض قوافل المجاهدين المنسحبين من الجهة الشمالية الشرقية إلى الجهة الجنوبية الشرقية صوب جبال الهروج، ودخل أفراد القوات الإيطالية تحت قيادة الأمير دوق "بوليي" في معركة نتج عنها أسر ثلاثين مجاهدًا ، واستشهاد مثلهم ، وغنيمة 15 بندقية من المجاهدين ومدفعًا رشاشًا، و150 جملاً[2].

وهذه الخسائر في صفوف المجاهدين جاءت نتيجة لمباغتة القوات الايطالية لهم فى أثناء انتقالهم جنوبًا وليس في وضع دفاعى .

وقامت القوات الإيطالية بمحاصرة زلة بحركة إلتفاف من الجهة الجنوبية الشرقية تحت قيادة الدوق "بوليي" ، ومن الجهة الشمالية الشرقية تحت قيادة الكلونيل " جالينا".

ودخلت القوات الإيطالية إلى واحة زلة ظهر يوم 22 فبراير دون معارك وقام سكان الواحة بتسليم 200 بندقية ومدفع من عيار 37 تركه عبدالجليل سيف النصر الذى غادر زلة فور سماعه طلقات الرصاص الصادرة من البنادق الإيطالية فى أثناء اقترابها من زلة على أثر المفاجأة التى حدثت له[3].

وتمكن 200 مجاهد كانوا يخضعون لقيادة عبدالجليل من الاشتباك مع قوة إيطالية تسير بمحاذات الجناح الأيمن لقوات الحملة الإيطالية الرئيسية فى أثناء انسحابها إلى جبال الهروج ليلاً وتولى عبدالجليل سيف النصر إدارة المعركة مباشرة بنفسه والتى ظلت متقطعة على طول

---

(1) جراتسياني، المرجع السابق . ص: 322 - 323.

(2) جراتسياني ، المرجع السابق ، 328.

(3) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 328 -329 والذي يشير الى أن عبد الجليل سيف النصر قد لاذ بالفرار بعد أن ترك غذاءه على النار بواحة زلة.

المسافة الواقعة بين زلة وجبال الهروج والتى تقدر بمسافة 25 كيلو مترًا .

وتمكنت القوات الإيطالية من الدخول إلى واحة زلة في منتصف ليلة 22 من فبراير 1928م بعد أن أجبرت المجاهدين على الانسحاب باتجاه جبال الهروج واستيلاء القوات الإيطالية على عشر بنادق وأسر رجلين ، ووصف الجنرال "جراتسيانى" أحدهما بأنه رجل كريتلى من أهالي كانديا عاصمة جزيرة كريت كان قد وصل إلى برقة ، وظل يقاتل في صفوف الإيطاليين منذ سنة 1923 انتقل بعدها إلى صفوف المجاهدين بالمنطقة الوسطى وتولى قيادة حرس عبدالجليل سيف النصر[1].

وفي إطار الاستعدادات التى اتخذتها القيادة الإيطالية لأجل تطويق المجاهدين المتمركزين بين مناطق النوفلية وزلة وخاصة بمنطقتى جيفة وتاقرفت؛ فإن الجنرال "جراتسيانى" أصدر أوامره إلى الكولونيل " ماريوتى " بالتحرك في يوم 23 من فبراير من النوفلية على رأس قوة تضم ، الكتيبة الليبية الرابعة وسريتين من الكتيبة 26 الأريترية ، ووحدة مدفعية ليبية ، والفرقة الرابعة سوارى للضغط على تجمعات المغاربة الرعيضات في الوقت الذى تتحرك فيه الحملة الإيطالية تحت قيادة الجنرال "جراتسيانى" من زلة يوم 23 من فبراير باتجاه مدوين ثم تاقرفت .

وأسند الجنرال "جراتسيانى" إلى الكولونيل " ماليتى " مهمة قيادة القوة التى ستبقى بواحة زلة والمكونة من الكتيبة الليبية الأولى مع خمسين رجلاً من الفرسان السابهيس ،وفصيلة صحراوية تضم 65 هجانًا وسيارتى نقل مسلحتين، ومحطة راديو و300 صندوق من التموين ، مع 1000 قذيفة مدفع عيار 65 بالإضافة إلى مهمات أخرى[2].

وبعد ظهر يوم22 وصباح يوم 23 من فبراير1928م قامت الحملة الإيطالية باستعدادات سريعة لأجل مواصلة السفر بالاتجاه شمالاً مرورًا بواحة عين مدوين التى تقع على بعد35 كيلو مترًا شمال زلة.

وتشكلت قوات الحملة الإيطالية المنطلقة من زلة تحت قيادة الجنرال جراتسيانى على النحو التالى:

-كتائب المشاة تحت قيادة الكولونيل "جالينا" .

- الكتيبة الليبية السادسة .

- الكتيبة الأريترية 25 .

- مجموعة راكبة تحت قيادة دوق "بوليي" .

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 230.

(2) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 331 والذي يؤكد بأنه أعطى أوامره لقائد القوة الإيطالية بالاستيلاء على تمور المواطنين وعلى محصولي الشعير والقمح لاستعمالهما كمراع للدواب.

- 50 فارسًا من السابهيس .
- مجموعة من الجنود غير النظاميين من الجفرة .
- قسم من المدفعية الصحراوية .
- قافلة تكفي لحمل مؤونة لمدة ستة أيام[1].

وتحركت هذه الحملة العسكرية من زلة إلى مدوين في الساعة الثانية عشرة ظهر يوم 23 فبراير 1928 م حيث وصل أفراد الحملة إلى واحة عين مدوين فى ليل اليوم نفسه بعد آن قطعت مسافة 35 كيلو مترًا إلى الشمال من زلة، وصارت منطقة حطية تاقرفت تقع على بعد 15 كيلو مترًا فقط .

وحطية تاقرفت هى آرض سبخية ذات أشجار الأثل ، والغردق ، والقطف ، والضمران ، والرفس ، وذات كثبان رملية ، وبها آبار وفيرة المياه العذبة جذبت إليها جموع المجاهدين منذ بدء عمليات خط عرض 29 شمالاً[2].

وبوصول القوات الإيطالية إلى عين مدوين بعد ظهر يوم 23 فبراير استأنف الإيطاليون سيرهم صباح يوم 24 من فبراير باتجاه حطية تاقرفت ، وقاموا بمداهمة قطيع من الأغنام بين مدوين وتاقرفت دون القبض على رعاته الذين تمكنوا من الفرار ، وقاموا بتبليغ المجاهدين عن وجود القوات الإيطالية بالقرب منهم[3].

معركة تاقرفت في فبراير 1928م:

وفي فجر يوم 25 من فبراير استأنفت الحملة الإيطالية مسيرتها وسط احتياطات أمنية مشددة نحو حطية تاقرفت على آمل مفاجأة المجاهدين الذين وصلوا من المناطق القريبة من حطية تاقرفت بعد أن علموا بحركة سير القوات الإيطالية الزاحفة من زلة باتجاه جنوب تاقرفت ، وقاموا بتوزيع أنفسهم على الأماكن المناسبة التى تساعدهم في الدفاع عن أبار المياه ، وتم توزيع 335 مجاهدا قدموا من مختلف القبائل على النحو التالى :

- نجوع أولاد سليمان في الشرق من حطية تاقرفت .
- نجوع القذاذفة والجماعات وبعض القبائل الأخرى في الوسط .
- نجوع الطبول من الغرب[4].

---

(1) صلاح الدين السوري ، وآخرون ، المرجع السابق ، ص: 262.

(2) الطاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص: 118 صلاح الدين السوري و آخرون المرجع السابق، ص: 263.

(3) المرجع نفسه ، ص: 262 -262.

(4) المرجع نفسه ، ص: 264 والذي يشير إلى إعداد المجاهدين بنحو 335 شخصًا بينما قدرهم الجنرال "جراتسياني بنحو 1500 مجاهد وهو عدد بعيد عن الحقيقة في الوقت الذي كانت فيه أعداد الإيطاليين حوالي 4000 شخص.

وتقدمت قوات الحملة الإيطالية بعد نزولها إلى تاقرفت على النحو التالى:

القوات الصحراوية والخيالة من الأمام والجانبين وفصيل من الكتيبة الليبية السادسة في الاستطلاع تتبعهم الكتيبة الأريترية 25 والكتيبة الليبية السادسة ، وكانت هذه القوات تتحرك إلى الأمام قريبة من بعضها البعض بمساندة قسم من المدفعية، بينما كانت القافلة المكونة من نحو 300 جمل تسير على جانبى الطريق الصحراوية في حين كان يسير في مؤخرة القوات الزاحفةجماعات الجفرة غير النظامية، ورجال الخيالة من السباهيس للحراسة ، واتخذ الجنرال جراتسيانى موضع قيادته خلف الكتائب المذكورة وأمام المدفعية حيث استمر زحف قوات الحملة الإيطالية في جنوب حطية تاقرفت باتجاه المجاهدين المتمركزين خلف استحكاماتهم المكونة من الحجارة والكثبان الرملية والكتائب الرملية ، والأحراش التى تكثر في المنطقة[1] .

وترك المجاهدون أفراد القوات الإيطالية يزحفون في طمأنينة داخل الساحة الرملية حتى حوالي الساعة الثامنة صباحًا حينما اشتبكت وحدات المجاهدين مع قوات العدو في معركة طاحنة استمرت حامية الوطيس حتى الساعة الرابعة مساء.

وتصف المصادر الإيطالية مراحل هذه المعركة بأنها مرت بثلاث مراحل هى :

المرحلة الأولى: كانت قد بدأت في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والخمسين حينما اصطدمت الدورية الصحراوية بقيادة الملازم "بوركلير" بعناصر من المجاهدين والتى سارعت إلى نجدتها وحدات الاستطلاع الخفيفة بقيادة الملازم "بيلليزارى " ودوريات السرية الثامنة من الكتيبة الليبية السادسة بقيادة "فابرى" وقد جرح في الحال " بوركللير " وبيلليزارى " ثم قتل الضابط "فابرى" .

وشدد المجاهدون من هجماتهم على مسيرة الجيش الإيطالي، وهدد هذا الهجوم مقر القيادة الإيطالية والقافلة الضخمة مما دفع بالإيطاليين إلى شن هجوم مضاد عند الساعة التاسعة بسريتي الكتيبة الليبية السادسة والسباهيس ، والطابور الصحراوى حيث ظل القتال محتدمًا إلى الساعة الحادية عشر حينما دخلت المعركة إلى المرحلة الثانية والتى ظلت مستمرة إلى الساعة الثانية عشر والنصف حينما بدأت الكتيبة الأريترية 25 تتقدم وتتراجع لكثافة نيران المجاهدين ولأجل الاحتماء بالكتيبة الليبية السادسة ، في الوقت الذى آخذت فيه القيادة الإيطالية تعمل على إعادة تنظيم أفراد القيادة الإيطالية للمرحلة الثالثة[2] التى تركز فيها ضغط المجاهدين على الجانب الأيمن لقوات العدو الذى قام بنقل أربع رشاشات لصد ضغط

---

(1) رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص: 358 ، جراتسياني المرجع السابق ، ص: 341.

(2) صلاح الدين السوري وآخرون ، المرجع السابق ، ص: 266 –267.

مجاهدى أولاد سليمان والذى أرفقه بهجوم عام شاركت فيه كل القوات الإيطالية بما في ذلك رجال القافلة باتجاه آبار المياه في الساعة الرابعة مساء بعد تسع ساعات من القتال المستمر انسحب على إثرها المجاهدون باتجاه جبال الهروج، وصعدت القوات الإيطالية إلى الحد الشمالى من حطية تاقرفت[1].

وكانت خسائر المجاهدين والإيطاليين مرتفعة في هذه المعركة التى اختلفت فيها المصادر الإيطالية في تقدير خسائرها من حيث ذكر الجنرال "جراتسيانى" أن قواته قد خسرت خمس ضباط و78 من صف الضباط بينما أشارت روايات المجاهدين إلى أن عدد الشهداء كان 75 شهيدًا والجرحى 82 مجاهدًا.

وبالرغم من قيام الخيالة السابهيس بتعقب المجاهدين حتى الساعات الأخيرة من يوم 25 فبراير يوم معركة تاقرفت؛ فإن المجاهدين تمكنوا رفقة أفراد أسرهم من الانسحاب دون خسائر تذكر ودون أن يتم العثور على أحد في الوقت الذى انشغل فيه الإيطاليون بمعالجة الجرحى ودفن القتلى من الجنود ونقل جثث خمسة من الضباط القتلى[2] إلى طرابلس ثم منها تابعت سيرها إلى روما لتتلقى تحيات التكريم أمام الملك والدوتشى (موسولينى) .

وفي حوالي الساعة التاسعة استأنفت القوات الإيطالية الزحف نحو الشمال باتجاه النوفلية في وسط عمليات واسعة من الاستطلاع لضمان الوصول بسلامة حيث اشتركت الطائرة 17 طراز روميو في القيام بعمليات استطلاع على مسافة 40 كيلو مترًا في الجهة الشمالية والشمالية الشرقية ولاحظت هذه الطائرة بوجود حوالي 3000 أو 4000 جمل وقامت بإطلاق القنابل عليها ، كما لاحظت الطائرة التى كان يقودها الملازم " كامبى " وجود نحو مائة جمل ونحو مائة خيمة[3].

وتمكنت الحملة الإيطالية من الوصول إلى وادى " أبو الشيوخ " مساء اليوم الأول من بداية الزحف دون مصاعب ، ثم استأنفت الزحف فجر يوم 27 وظلت تتقدم بطيئًا حتى وصلت مساء إلى دور المويلح الذى يمثل المنطقة الوعرة والغير صالحة؛ للدفاع المناسب مما زاد من عدم اطمئنان أفراد القوات الإيطالية ولكن انقضى الليل دون أن يحدث أى شئ يعكر صفوه .

وفي يوم 28 من فبراير 1928 بدأت القوات الإيطالية في مواصلة الزحف عند الفجر والذى ظل متواصلاً حتى المساء بقطع حوالي 30 كيلومترًا شمال دور المويلح . ودخلت القوات الإيطالية في يوم 29 إلى منطقة الوديان المزروعة بالشعير وغيره والتى جعل منها قائد الحملة

---

(1) المرجع نفسه ، ص: 167 -168 ؛ جراتسياني المرجع السابق ، ص: 342 - 252.

(2) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 353 -354.

(3) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 355 ؛ الطاهر أحمد الزاوي ، عمر المختار ، المرجع السابق ، ص: 114-117.

مرعى لحيوانات الحملة .

وتمكنت القوات الإيطالية خلال الأيام الثلاثة الأولى من الزحف باتجاه الشمال وأسر نحو خمسين موظفًا كانوا يعبرون المنطقة رفقة أفراد أسرهم ، كما تم الاستيلاء على 500 جمل محملة ، 45 بندقية[1] .

ثم واصلت الحملة الإيطالية زحفها باتجاه النوفلية خلال أيام (الأول والثانى من شهر مارس) حتى تمكنت من الوصول إلى النوفلية في الساعة الثالثة من يوم 3 مارس بعد أن قطعت 2000 كيلومتر ، واستغرقت مدة الزحف من تاقرفت إلى النوفلية مدة ستة أيام تعرضت فيه لجملة من مخاطر الطريق من أهمها وعورة الأراضي ، ونقص المياه والتموين ، ورداءة الجو في اليوم الثالث من مارس 1928 م ، ووصلت القوة الإيطالية إلى النوفلية تحت قيادة الكولونيل "ماريوتى" وكان قد خرج من النوفلية باتجاه الجنوب يوم 20 من فبراير 1928 م لمساندة قوات جراتسيانى حيث تحركت قوات " ماريوتى " باتجاه " جيفة " من النوفلية يوم 23 من فبراير بزحف سريع وصلت فيه إلى جيفة يوم 23 من الشهر نفسه ، واصطدم للمرة الأولى بالمغاربة ، ثم تابع سيره باتجاه الجنوب للضغط على رجال صالح الأطيوش الذين انسحبوا إلى مرادة وجبال الهروج[2].

واصلت القوة الإيطالية تحت قيادة "ماريوتى" السير بمحاذاة القوات الإيطالية القادمة من زلة إلى حطية تاقرفت يومى 27 و 28 لتأمين الزحف دون مصاعب في الوقت الذى كانت فيه القوات الإيطالية التى خرجت من إجدابيا قد قامت باحتلال واحات أوجلة في يوم 24 فبراير، وواحة جالو يوم 25 فبراير ثم احتلال واحة مرادة في يوم 18 مارس منهية عمليات خط عرض 29 شمالاً والتى كانت معركة تاقرفت من أهم المعارك التى دارت بها والتى أجبر فيها[3]. سكان هذه المناطق على الانسحاب باتجاه الجنوب داخل واحات فزان ووديانها والتى ستشهد هى أيضا زحف القوات الإيطالية تحت قيادة الجنرال "جراتسيانى" خلال عامى 1929 و 1930 وهو ما سوف يتم مناقشته في الفصل التالى .

---

(1) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص: 357.

(2) المرجع نفسه ، ص: 360 –361.

(3) المرجع نفسه ، ص: 365.

الفصل السابع

معارك إعادة احتلال فزان

1929 - 1930

(*) تجدد حركة الجهاد بمناطق خط عرض 29 درجة شمالاً.

(*) استمرار مهاجمة المجاهدين للمواقع الإيطالية 1929 م .

(*) دخول القوات الإيطالية إلى فزان .

(*) احتلال الكفرة في 19 يناير 1931 .

تجدد معارك الجهاد بمناطق خط عرض 29 شمالاً:

كان الإيطاليون قد تمكنوا من إبعاد المجاهدين عن مناطق خط عرض 29 درجة شمالاً بفعل عمليات الإبادة التى ارتكبت في حق السكان كالاستيلاء على قافلة مكونة من 500 جمل محملة، وأسر الكثير من النساء والأطفال ، ولكن المجاهدين تمكنوا من استعادة تنظيم صفوفهم داخل الواحات الجنوبية من فزان البعيدة عن أنظار القوات الإيطالية التى أخذت تعمل على فرض سيطرتها المباشر ة على المناطق الوسطى ، وتقوم بإبادة الكثير من رؤوس الثروة الحيوانية والاستيلاء على المحاصيل الزراعية من قمح وشعير وتمور ، وقام الإيطاليون في أعقاب انتهاء عمليات خط عرض 29 درجة شمالاً ببدء الأعمال التنظيمية ، تمهيدًا لإنشاء الطرق والمراكز الدفاعية خاصة داخل المناطق الواقعة بين النوفلية، وزلة، وهون ، وأبى نجيم، وغيرها من المناطق الأخرى في الوقت الذى نزح فيه الكثير من سكان هذه الواحات كالمغاربة . والزاوية ، وأولاد سليمان ، وورفلة ، والقذاذفة وغيرهم إلى جبال الهروج وواحات فزان التى عادوا منها متسللين إلى المناطق التى خرجوا منها بحثًا عن الأرزاق الخاصة بهم والتى تركوها مخبأة فى أثناء انسحابهم أمام زحف قوات الجنرال "جراتسيانى"[1]. كما كان المجاهدون يهدفون من وراء هجماتهم على المناطق المذكورة العمل على تحرير هذه الواحات .

وقد اشتركت في الهجمات على المجاهدين عدة وحدات عسكرية إيطالية تحت قيادة الجنرال "ميتزتى "والتى من بينها ما يلى :

1- قوات جارتى التى تحركت من العقلية ، وتضم الكتيبة الليبية السادسة ، وأربع سرايا من الرشاشات وخمسين جنديًا على ظهور السيارات .

2- قوات " موراماركو" الذى تحرك من مرادة وتضم الكتيبة الأريترية التاسعة ومن ثلاث سرايا، وثلاث فرق من حاملى الرشاشات .

3- قوات " لورنزينى " التى تحركت من مرادة وتضم فرقة من المصفحات ، وبطارية ، وفرقة الحرس على ظهور السيارات .

4- قوات " سيمونى " الذى تحرك من النوفلية ، وتضم الكتيبة الأريترية التاسعة عشر وفرقة من الخيالة ، وقسم من المدفعية وعشرين سيارة نقل .

---

(1) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 365؛ رفعت عبدالعزيز، المرجع السابق ، ص 371 .

5- قوات "مالقا" تتحرك من زلة ، وتضم الكتيبة الليبية الأولى ، والفرقة الثالثة ، والفرقة الرابعة وقسم من المدفعية.

وتمكنت هذه القوات بين يومي 4 و16 من الدخول إلى الأراضي الواقعة بين النوفلية والعقيلة، ومرادة، وزلة دون أن تصطدم بقوات المجاهدين في الوقت الذى خرجت فيه قوات إيطالية أخرى خلال المدة بين يوم 17 – 24 مايو 1928م بالزحف على المناطق الواقعة بين مردان ، وبئر قرياس ، وبو نجيم، وسرت، ثم تقدمت إلى آبار تاقرفت بين يوم 28و30 مايو في شكل مظاهرة عسكرية لإرهاب الأهالي المجردين من الأسلحة ، ولمنع القيام بنشاط للمجاهدين في غدامس ومزدة، وسوكنة .

معركة خرمة أبى غرة في 12 يونيو 1928 م.

كان الإيطاليون قد فوجئوا ببداية ظهور بعض المجاهدين بمناطق مزدة بعد أن كانوا قد سيطروا على هذه المناطق في سنة 1924 م، ولكن المجاهدين الذين كانوا قد وصلوا إلى وادى الشاطئ بفزان قرروا العودة من أجل شن المعارك على مراكز القوات الإيطالية المتمركزة بمنطقة القبلة والتى تضم مزدة والقريات والشويرف .

وترجع أسباب معركة خرمة آبى غرة إلى انضمام محمد بن حسن المشاى إلى حركة الجهاد بعد أن كان قد ساند من قبل حملات الجنرال جراتسيانى ضد المجاهدين فى أثناء معارك الجبل الغربي عامى 1922 و 1923 م[1] .

وكان محمد بن حسين المشاى قد توجه إلى وادى الشاطئ بعد خلافه مع الإيطاليين حيث رحب به زعماء المجاهدين القاطنين هناك، ولكنهم طلبوا منه الدخول في معركة وجهًا لوجه مع القوات الإيطالية لإثبات خروجه على طاعتهم الأمر الذى دفع به إلى الزحف على بلدة الشويرف على رأس محلة (قوة) من المجاهدين تضم 600 مجاهد .

وسارعت القيادة الإيطالية إلى العمل على احتلال بلدة القريات في آخر مايو 1928 م بواسطةقوة عسكرية ، متحركة تحت قيادة الكولونيل " بولى " ، وبمشاركة وإشراف الجنرال "جراتسيانى" الذى أمر بتأجيل بدء الزحف في يوم 10 يونيو على إثر هبوب رياح القبلى الحارة والتى كانت قد بلغت 50 درجة في الظل[2].

وانتهز المجاهدون عودة القوات الإيطالية إلى مزدة دون مواصلة الزحف إلى الشويرف وقاموا بالانقضاض على القوات الإيطالية المتمركزة في منطقة خرمة أبى غرة يوم 12 يونيو

---

(1) جراتسيانى المرجع نفسه، ص 260 .

(2) المرجع نفسه ، ص 372. محمد إمحمد الطوير، من تاريخنا الوطنى . معركة تاقرفت، مجلة الشعب المسلح، العدد، 74. 1985 م ، ص 43 - 46.

1928 م، وهى ممر كثير الوعورة يقع بين مزدة وغريان.

وكانت القوة الإيطالية تضم أفراد الكتيبة الليبية الثانية، وقوات غير نظامية من المجندين الليبيين قد تعرضت إلى هجمات المجاهدين حيث شهد المكان اندلاع معركة طاحنة ظلت مستمرة حتى غروب شمس ذلك اليوم، حينما وصلت إلى أرض المعركة القوات الإيطالية المرابطة بمزدة ودخلت بكل عنف لإنقاذ الموقف. وكانت خسائر الإيطاليين فادحة زادت عن 16 قتيلاً من المجندين الليبيين[1] وقد وصف "جراتسياني" خسائر القوات الإيطالية بأنها كانت مرتفعة ، وأن هذا اليوم كان داميًا بالنسبة للقوات الإيطالية وللعرب الليبيين دون أن يذكر أية أرقام.

وكان المجاهدون يوم 30 يونيو قد دخلوا في معركة جرت بوادى (للاّ) الذين كانو يعملون على مهاجمة معسكر الإيطاليين في مزدة الذى عجز أفراده في التصدى لهجوم المجاهدين إلا بعد آن تدخلت سرية من القوات الأريترية التى أجبرت المجاهدين على الانسحاب[2] . وكانت معركة وادي (للاّ) مقدمة لمعركة أبي غرة.

أما خسائر معركة وادى للاّ والتى جرت يوم 30 من يونيو 1928 م فإن خسائر المجاهدين فيها كانت حوالي 41 شهيدًا و50 جريحًا[3].

معركة القريات الشرقية في 15 يوليو 1928 م:

تقع القريات الشرقية إلى الجنوب من مزدة وشمال وادى الشاطئ لذا تحول المجاهدون إليها في أعقاب معركة وادى " خرمة آبو غرة ".

وعملت القيادة الإيطالية على توفير حملة كبيرة لملاحقة محلات المجاهدين المتواجدين بمنطقة مزدة حتى لايمتد نشاط حركة المقاومة إلى المناطق الشمالية ولتأكيد السيادة الإيطالية على القبلة .

واعتمدت القيادة الإيطالية على القوات الغير نظامية المكونة من 1000 رجل تحت قيادة خليفة خالد ، وخليفة الزاوى ، وعاكف إمسيك الذين كانوا ضباطًا في القوات العثمانية ثم انقلبوا إلى جانب القوات الإيطالية في أعقاب مؤتمر الصلح سنة 1912 ، وقاموا بتقديم خدمات هامة للعدو الإيطالي . ويشير الجنرال "جراتسياني" إلى اجتماعه بهؤلاء الثلاثة قبل المعركة في غريان دون آن يطلعهم على وجهة سير الحملة إمعانًا في الكتمان .

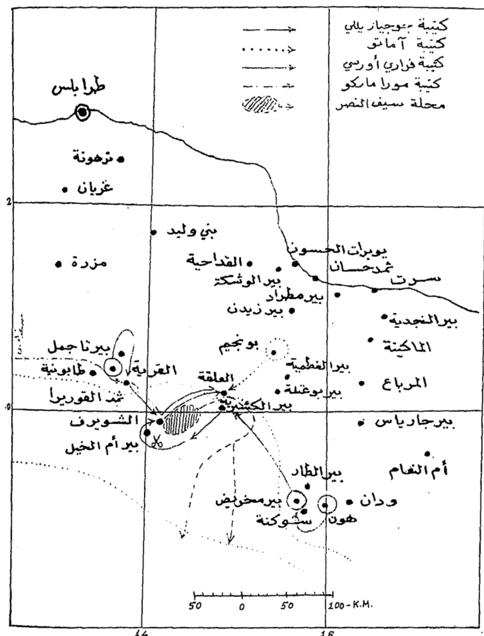
وفي الأسبوع الأول من يوليو 1928 انتهت الاجتماعات التى عقدها الجنرال "جراتسيانى" ،

---

(1) مقابلة أجراها الباحث مع أحد المجندين الذين اشتركوا فى المعركة الى جانب الإيطاليين حيث اعترف بأن أعداد القتلى والجرحى قد زادت عن 500 بين ليبيين وأريتريين وإيطاليين.المقابلة بتاريخ 28 -10 - 1984 م .

(2) خليفة محمد التليسى ، معجم معارك الجهاد ، ص 518 .

(3) رفعت عبدالعزيز ، المرجع السابق ، ص 385 ، 386.



عمليات (الحمادة – الشويرف) المرحلة الثانية

وبدأت في اليوم التاسع منه الاستعدادات للتحرك من بئر تارسين على مواقع المجاهدين حيث استمر الزحف باتجاه الجنوب أيام 11 – 14 يوليو ، وقامت في يوم 15 يوليو بشن هجوم على مواقع المجاهدين في القريات الشرقية[1].

والي جانب اعتماد القيادة الإيطالية في معارك هذه المنطقة على المجندين الليبيين: فإنها اعتمدت على سلاح الطيران في نقل المهام العسكرية والتموين، وفي قصف مواقع المجاهدين، وفي ربط الصلة بين قواتها النظامية وغير النظامية العاملة بالمنطقة لعدم ضمان المواصلات البرية الأمر الذى آدى إلى إسناد مهمة النقل إلى الطيران الذى تابع مراحل المعركة وكان له التأثير المباشر في نتيجة المعركة.[2]

وساهمت الطائرات الإيطالية في معركة القريات الشرقية بإلقاء القنابل ، والضرب بالمدافع الرشاشة ضد مواقع المجاهدين ومخيماتهم ، والتى لم تقتصر على أرض المعركة فقط بل تواصلت بمنطقة بئر جعفر الوعرة، وفي جنوب القريات الشرقية فى أثناء ملاحقة المجاهدين المنسحبين، ويعترف الجنرال "جراتسيانى" بأن إحدى الطائرات التى كان يقودها "الكابتن ماتزينى" قد تم إسقاطها برصاصة بندقية أطلقت نحو محركها من طرف المجاهدين[3].

ويتمثل دور الطائرات الإيطالية في معركة القريات الشرقية ليس في المهام الحربية فقط بل تعداه إلى نقل الجنود والمؤن والتى من بينها الأرقام التالية :

- ساعات طيران عدد 45 ساعة .
- عمليات إستطلاع عدد 140 دقيقة .
- عمليات إلقاء القنابل 15000 عملية .
- طلقات المدافع الرشاشة 3500 طلقة .
- عمليات نقل الجنود 18 عملية .
- عدد الضباط والجنود الذين نقلوا جوًا 220
- عمليات نقل الأغذية والمهمات 28 عملية .
- عمليات نقل الأغذية والمهمات 25000 كيلو جرام .
- الجرحى والمرضى الذين تم نقلهم 28 من أرض المعركة[4].

وكانت مراحل معركة القريات الشرقية قد شهدت مهاجمة القوات الإيطالية ، لمواقع المجاهدين الذين تمكنوا من آن يردوا هذه القوات المهاجمة ويتعقبوها إلى القريات الشرقية من

(1) جراتسيانى ، المرجع السابق،ص347؛ خليفة محمد التليسى ، معجم معارك الجهاد ، المرجع السابق ، ص412 .

(2) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 347 – 376 .

(3) المرجع نفسه ، ص376 .

(4) المرجع نفسه ، ص 377 ؛ خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص413 .

خرمة السريح الواقعة بين القريات الغربية والقريات الشرقية، ولكن الطيران الإيطالي قد ساعد القوات الإيطالية على إجبار المجاهدين على الانسحاب بعد أن فقدوا ثمانية شهداء.

وتمكنت القوات الإيطالية من إجبار المجاهدين على العودة إلى منطقة وادى الشاطئ بفزان من جديد الأمر الذى دفع بالقيادة الإيطالية إلى التخطيط لاستعادة احتلال فزان بعد أن تعرفت عن قرب على قدرات المجاهدين القتالية[1].

معركة بئر عافية في 31 أكتوبر 1928 م:

وتزامنت عودة المجاهدين من وادى الشاطئ بفزان إلى مناطق مزدة في شهر يونيو سنة 1928م مع عودة مجاهدى منطقة "واو" في شرق فزان إلى منطقة الواحات والجفرة ، وزلة التى كانوا متمركزين بها قبل معركة تاقرفت في 25 فبراير 1928 م ، وأختار عبدالجليل سيف النصر واحة هون ليشن هجومًا إنتقاميًا قد يؤدى إلى تحرير واحة هون من القوات الإيطالية المتمركزة بها منذ أن قام المجاهدون بمغادرتها .

وتمكن عبدالجليل سيف النصر من جمع حوالي 700 مجاهد تحركوا من بلدة "واو" نحو الشمال واستقروا مؤقتًا بموقع" تمسة" التى أرسلوا منها عشرة أشخاص لاستطلاع مواقع العدو.

وقد اشتبك هؤلاء الأشخاص مع دورية إيطالية في الثانى من أكتوبر 1928، حيث نبه هذا الحادث القيادة الإيطالية إلى وجود المجاهدين بمناطق الواحات التى أطلق عليها عمليات خط عرض 29 درجة شمالاً التى كانت قد تمت من قبل، وأحرزت فيها القوات الإيطالية تفوقا على المجاهدين[2].

ودفع الاشتباك المذكور القيادة الإيطالية إلى الإسراع باتخاذ إجراءات عسكرية بتحريك قوات الجفرة من هون إلى مدوين عن طريق " شلك " تحت قيادة الكولونيل " أماتو " لأجل مساندة قوات زلة ، وحماية تاقرفت وتعقب المجاهدين خاصة بعد أن ظهرت مجموعات منهم في بئر بغلة يوم الثانى من سبتمبر ،وقامت بمهاجمة القوة الإيطالية المتمركزة بالقرب من البئر كما قامت قوة من المجاهدين مكونة من نحو مائة مجاهد بمهاجمة موقع إيطالي يوم 28 من سبتمبر بموقع خرمة المحلة كانت فيه خسائر القوة الإيطالية فادحة، والمتمثلة في: مقتل أحد الإمباشية وجنديين وصفهما "جراتسيانى" بالممتازين ، بالإضافة إلى عشرة من الجنود القتلى ، وجندى آخر ممتاز وأحد عشرة عسكريًا جرحوا من قوة يبلغ مجموعها أكثر من خمسين رجلاً مما يدل على شدة المعركة[3].

---

(1) رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 390 – 391 .

(2) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 386 : خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 219 – 220 .

(3) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 384 ، 385.

وفي ليلة السادس من أكتوبر 1928 م قام المجاهدون بهجوم سريع على واحة مدوين ونجحوا في التزود بالماء والملح دون أن تلحق بهم أضرار قبل أن تصل إلى المكان قوات الجفرة التى زحفت على واحة مدوين فور سماعها بالخبر، ولكن وصلت متأخرة لانسحاب المجاهدين في اليوم الثانى .

وطالبت القيادة العليا الإيطالية من القوات العاملة بعمليات خط عرض 29 شمالاً أن تعمل على تنفيذ جميع الإجراءات الوقائية بمنتهى الدقة وأن تعمل على مداومة ملاحقة المجاهدين . ووضع أقوى رقابة من عناصر متحركة والتفكير بإقامة أسوار حجرية دفاعية . وأن يكون الضباط والجنود دائمًا متوثبين ويقظين[1].

وفي يوم 22 من أكتوبر 1928 عادت القوات الإيطالية إلى هون بعد أن كانت غادرتها يوم 6 أكتوبر باتجاه واحة مدوين في الوقت الذى قامت فيه قوات إيطالية أخرى بتأمين السيطرة على موارد المياه بمناطق آبار : قطيفة ، والعافية، وزاخم الفقار لأجل تشديد الرقابة على هذه الموارد المائية لمنع وجود المجاهدين عليها للاستفادة منها .

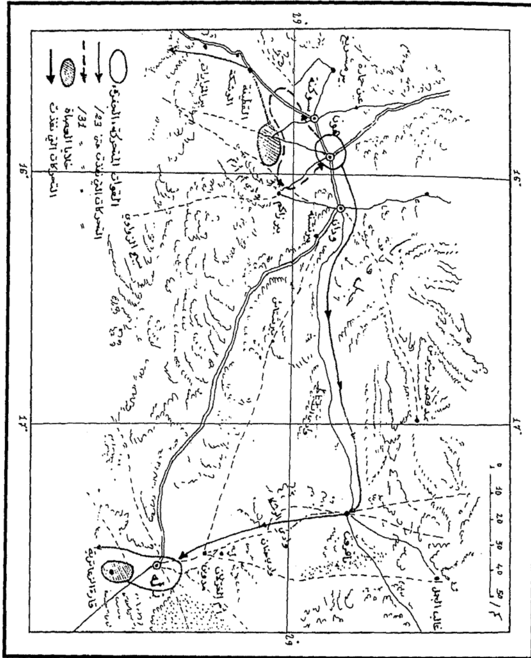
وعلمت القيادة الإيطالية في يوم 25 من أكتوبر بوجود ما يقرب من 800 مجاهد تحت قيادة عبدالجليل سيف النصر بالإضافة إلى قوات أخرى تابعة لزعماء آخرين تتجه نحو الجفرة؛ وعليه تم إرسال قوة من الهجانة يوم 26 من أكتوبر للقيام بعملية استطلاعية في بئر قطيفة جنوب غربى هون فأطلقت عليها النار من بنادق المجاهدين التابعين لعشائر القذاذفة الذين كانوا يقيمون في المناطق المجاورة للبئر المذكور الأمر الذى دفع بالقائد الإيطالي إلى إرسال قوات من الجفرة المتمركزة في واحة هون إلى بئر قطيفة، ولم تلحق هذه القوات بالمجاهدين الذين غادروا المنطقة وكانت أعدادهم 30 رجلاً و15 جملاً ، وقد عادت القوات الإيطالية إلى مقرها في هون[2].

واصطدمت دورية من الهجانة الإيطالية في يوم 29 من أكتوبر مع مجموعة من المجاهدين تضم مائة مجاهد على مسيرة ساعتين ونصف، جنوب شرق بلدة هون وكاد المجاهدون أن يقضوا على أفراد القوة الإيطالية ، لولا وصول نجدة سريعة قامت بها سرية تابعة للكتيبة الليبية السادسة ، للقوات الصحراوية مما ساعد الدورية الإيطالية على العودة إلى معسكرها دون خسائر تذكر، وانسحاب المجاهدين إلى مرتفعات جبل السوداءالذى يقع إلى الجنوب من الجفرة.

---

(1) المرجع نفسه ، ص386 - 387 .

(2) خليفة محمد التليسى، المرجع السابق ، ص 162: جراتسيانى، المرجع السابق ، ص 388.



معركة بير عافية

اندلاع معركة بئر عافية:

وأمام اقتراب المجاهدين من المراكز الإيطالية في الجفرة وقيامهم بشن الهجمات وتحريضهم للأهالي على مقاومة الاحتلال الإيطالي ، ورفض التعاون معه بالإضافة إلى ما أكده أحد المخبرين للقيادة الإيطالية بأن هون أصبحت مراقبة من قبل المجاهدين في يوم 29 أكتوبر، ولذا لم يتمكن من الدخول إليها. الأمر الذى أجبره إلى السير باتجاه مزدة بدلاً من هون. ولذا تحرك قائد منطقة الجفرة الكولونيل " أماتو" في يوم 30 من شهر أكتوبرفي اتجاه المواقع التى يتمركز بها المجاهدون .

وكانت قوات الجفرة تتكون من نحو 1078 جنديًا و9 رشاشات ومدفعين[1].

ويظهر أن الحملة الإيطالية عند خروجها من هون لم تكن تتوقع وجود المجاهدين بالقرب من بئر عافية؛ وإنما جاء تحركها بناء على المعركة التى جرت فى يوم 29 أكتوبر وانسحاب المجاهدين إلى جبل السوداء ، غير أن دوريات الاستطلاع قد أكدت وجود قوات هامة من المجاهدين متمركزة على المرتفعات الواقعة شمال بئر عافية مباشرة .

وبئر عافية يقع بجانب جبل صغير منفصل وسط سهل يمتد إلى الشمال من المرتفعات التى تقع هى أيضًا شمال بئر عافية . وتبعد بئر عافية بمسافة 20 كيلو متر إلى الجنوب من هون ، وينحدر الجبل انحدارًا كبيرًا نحو الشمال والغرب يصعب معها الصعود ، بينما ينحدر نحو الجنوب ، ببطء تجاه السهل في حين ينقسم الجبل إلى قسمين من الناحية الشرقية[2].

وبناء على المعلومات التى وصلت إلى الكولونيل " لويجى آماتو" اتجهت الحملة الإيطالية إلى قارة بئر عافية ووصلت إليها مساء يوم 30 من أكتوبر 1928 م وتمركزت في مواجهة المجاهدين الذين قاموا بإجراء مشاورات حول طريقة الهجوم أو الانسحاب أو بتأجيل الهجوم إلى الصباح، وقرر الأغلبية الإصرار على الهجوم فى أثناء الليل بالرغم من معارضة عبدالجليل سيف النصر تطيرا من الهجوم يوم الأربعاء ولكنه وافق أمام رغبة الآخرين الذين أخذوا يزحفون نحو قارة عافية في تشكيلين لتطويق جبل (قارة) بئر عافية من الجنوب، والشرق[3].

وانتهز المجاهدون فرصة الظلام وبدأوا في النزول من المرتفعات للاقتراب من المواقع التى تحتلها القوات الإيطالية.

وعمل قائد القوات الإيطالية على احتلال التل ثم الدفع بجانب من القوات الغير نظامية

---

(1) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص389 .

(2) المبروك الساعدى و آخرون ، من معارك الجهاد الليبى فى المنطقة الوسطى 1923– 1928 م ، مركز دراسة جهاد الليبيين ، 1983 ، ص69 .

(3) المرجع نفسه ، ص 69 – 70 والذى يذكر أن قدوارة الطبولى مع مجاهدى ورفلة قد اتجه الى جنوب القارة بينما اتجه على بن غيث وإبراهيم عريش مع مجاهدى أولاد سليمان والجماعات الى شرق القارة.

لمهاجمة بقية المرتفعات، ولكن تقدم هذه القوات قد قوبل بنيران حامية من المجاهدين، وهو ما آكد للكولونيل "لويجى أماتو" قرب شن الهجوم الشامل على أفراد قواته إذ سرعان ما بدآ الهجوم قويًا من طرف المجاهدين على مواقع الإيطاليين الذين تعرضوا لنيران كثيفة من البنادق والرشاشات والمدافع وأعادوا تنظيم أنفسهم ، وكروا ثانية بهجوم من الجنوب والغرب بالرغم من أن الجهة الغربية يصعب الصعود إليها أسوة بالجهة الشمالية مما جعل الإيطاليين يطمأنون إليها[1].

وتمكن المجاهدون في هجومهم الثانى من الوصول إلى قمة القارة ، وأن يضعوا أرجلهم بقوة هناك حيث كانت توجد فصائل تابعة للكتيبة الليبية السادسة والفرقة الثانية الصحراوية في الوقت الذى كانت جهود المجاهدين تتجه إلى التقدم على طول القسم الجنوبى من القارة ولكن الإيطاليين قاموا بهجوم مضاد في الساعة الخامسة والنصف صباحًا مما ساعد على تصويب نيران الأسلحة الإيطالية نحو أهدافها الأمر الذى أجبر المجاهدين على الانسحاب باتجاه المرتفعات المشرفة على بئر عافية ، ثم اتجهوا إلى بئر قطيفة ، والي أم العبيد يوم الرابع من نوفمبر وهم في طريقهم إلى جبل السوداء في شكل مجموعات صغيرة للتقليل من أضرار قصف الطائرات الإيطالية لهم في أعقاب انسحابهم من معركة بئر عافية.

أما خسائر المجاهدين في هذه المعركة الطاحنة فإنها كانت بين 70 و 75 شهيدًا وحوالي 100 جريح في حين وصفت المصادر الإيطالية خسائر قوات الجفرة بأنها كانت فادحة في الضباط والجنود[2].

واكتشف الإيطاليون في أعقاب معركة بئر عافية إتفاق أهالي هون مع المجاهدين في تحرير بلادهم؛ مما آدى إلى إعدام 19 شخصًا ونقل سكان هون إلى معتقل بمصراتة.

استمرار مهاجمة المجاهدين للمواقع الإيطالية سنة 1929 م:

وبالرغم من قيام القوات الإيطالية باحتلال سائر المناطق الساحلية والوسطى والممتدة جنوبا حتى غدامس ، ودرج ، والقريات ومزدة ، وواحات الجفرة، وزلة، ومرادة ، وجالو، وأوجلة، وجخرة، والجغبوب والتى آدت إلى انسحاب المجاهدين نحو مناطق فزان، فإن المراكز الإيطالية الموجودة داخل المناطق المذكورة قد شهدت هجمات قوية من المجاهدين خلال سنتى 1928 م و1929.

ففي سنة 1929 م تعرضت العديد من المناطق المحتلة إلى هجمات مركزة ألحقت فيها أكبرالخسائر بالقوات الإيطالية، كما حدث في معركة بئر علاق، يوم 19 من آبريل 1929 م،

(1) المبروك الساعدى وآخرون ، المرجع السابق ، ص 69 .

(2) جراتسياني ، المرجع السابق ، ص 392 ، 393 : مبروك الساعدى وآخرون ، المرجع السابق ، ص 71 - 72 .

ومعركة كاف المتكية في شمال القريات يوم 17 من أبريل 1929 م ، ومعركة أم ملاح القريات يوم 17 من أبريل 1929 ، ومعركة أم ملاح بأعلى وادي زمزم يوم 21 من أبريل ومعركة الملاحة البحرية يوم 6 مايو ، ومعركة آبار الشويرف أيام 26–28 من مايو1929 م.

وجاءت هذه المعارك وغيرها بعد أن قرر زعماء حركة الجهاد الذين اجتمعوا خلال فصل الربيع بفزان وقرروا فيه القيام بشن غارات على الأطراف الجنوبية لمناطق الاحتلال الإيطالي بقصد نشر روح الثورة بين صفوف المواطنين الخاضعين للإدارة الإيطالية[1].

وتمثل معركة تسلمت التى جرت بمنطقة الواحات الشرقية وهى جالو وأوجلة وجخرة بمثابة أكبر المعارك التى دارت بين المجاهدين والإيطاليين في بداية سنة 1929 بعد أن كانت هذه الواحات قد خضعت للقوات الإيطالية يوم 24 فبراير 1928 ، باحتلال أوجلة ثم احتلال واحة جالو في اليوم التالى 25 فبراير والتى مثلت على الدوام عقبة للإيطاليين بقطع طريق الاتصال بين المناطق الساحلية والجنوبية خاصة بعد أن كانت في يوم ما مقرًا لعدد من القادة مثل: عمر المختار.

وكان الشيخ صالح بو كريم من قبيلة الزويَّة قد انفصل بمجموعة من المجاهدين عن العناصر التى قبلت بالوجود الإيطالي، وظل الشيخ المذكور على رأس حوالي 350 مجاهدًا يسيطر على المنطقة التى تضم الواحات بين جخرة وتسلمت.

وشعر الإيطاليون بمدى الخطر الذى يشكله وجود قوات الشيخ صالح بو كريم التى قامت بغزو واحة جخرة والقضاء على مجموعات من أفراد القوات الإيطالية التى أرسلت للمنطقة في مطلع يناير 1929 ، ثم تحولت محلة الشيخ صالح بو كريم نحو المناطق الشمالية من صحراء سرت لإشعال نار حركة المقاومة من جديد، وأعدت القيادة الإيطالية حملة كبيرة لملاحقة المحلة المذكورة ، وقد تألفت القوة الخاصة من 1145 جنديًا من المشاة ، و11 مدفعًا رشاشًا ، مع 6 قطع مدفعية ، وقسمت هذه القوة إلى ثلاث تشكيلات ، الأولى: تحت قيادة الكولونيل " ماللیتى " وقاعدة إنطلاقها واحة جالو، والثانية: تحت قيادة الماجور(الرائد)"توررلى" وقاعدة إنطلاقها بنغازى[2] ، والثالثة: تنطلق من إجدابيا وتتألف من الهجانة (المهارى).

وتحركت القوة المتمركزة بواحة جالو يوم 17 من ينلير 1929 باتجاه الشمال بحثًا عن محلة المجاهدين التى كانت تعسكر قرب وادى حسين .

وحدث أول اصطدام بالقوة الإيطالية صباح 20 يناير في قارة المشرقة التى كانت تقيم بها مؤخرة محلة المجاهدين، ولذا أخذت القوة الإيطالية تلاحق أفراد المحلة حتى بلغت منطقة

---

(1) صلاح الدين السورى ، وآخرون ، المرجع السابق ، 276 .

(2) خليفة محمد التليسى ، معجم معارك الجهاد ، المرجع السابق ، ص 401 – 402 .

"تسلمت" التى شهدت نشوب معركة حامية بين الطرفين، كانت فيها خسائر المجاهدين نحو خمسين مجاهدًا بين شهيد وجريح ،وانسحب الباقون باتجاه الشرق فأصطدموا بالقوات الإيطالية القادمة من تلك الجهة؛ فقرر المجاهدون التصدى إلى النهاية ، بالرغم من أن القوة الإيطالية كانت كبيرة وتفوقهم في العدد والعدة، ولكنهم تحصنوا بالكثبان الرملية ، وأخذوا يطلقون النار على الإيطاليين في معركة حامية الوطيس تعتبر من أهم معارك الجهاد وكانت فيه خسائر المجاهدين 241 شهيدًا وأسر 39 مجاهدًا، وكان قائد المعركة الشيخ صالح بو كريم من بين الشهداء .

وظلت القوات الإيطالية تلاحق أفراد المحلة المنسحبين؛ مما أدى إلى نشوب معركة ثانية في أبى أثلة والسدار حيث استمرت المعركة دائرة إلى الساعة الثامنة، شارك فيها طيران العدو بإلقاء القنابل وملاحقة المجاهدين[1].

ومن المؤكد أن شدة نيران القوات الإيطالية الموجهة على المجاهدين في معركة تسلمت ترجع في جذورها الأولى إلى الخسائر الفادحة التى كانت قد لحقت بالجنود الإيطاليين على أيدى مجاهدى محلة الشيخ صالح بو كريم الذى كانت قواته قد أبادت دورية إيطالية في الثانى من يناير 1929 ، كما كان الشيخ المذكور قد تصدى لقوات الكولونيل "مالليتى" وألحق بها هزيمة فادحة مما اضطره إلى الانسحاب من أرض المعركة الأمر الذى دفع بالقيادة الإيطالية العامة إلى القيام بتشكيل قوة كبيرة ضمت مختلف الأسلحة البرية والجوية ، كما قامت بتدعيم القواعد الجوية في إجدابيا لأجل رصد تحركات محلة الشيخ صالح بو كريم والتى تعرضت للإبادة شبه التامة باستشهاد معظم أفرادها حيث كان قائدها على رأس هؤلاء الشهداء .

وطاردت القوات الإيطالية بقية أفراد المحلة ليس في مناطق تسلمت فقط بل قامت بملاحقتهم رغم استشهاد معظمهم في منطقة أبى أثلة أولاً، ثم بمنطقة السدار التى تقع إلى الجنوب من أبى أثلة يوم 20 من يناير 1929 م ، ومعركة السدار في يوم 21 من يناير على إثر تحول المجاهدين إليها من تسلمت وأبى أثلة[2].

وفي إطار تصعيد حركة المقاومة من جديد داخل المناطق المحتلة من غرب ليبيا فإن مجموعات هامة من المجاهدين نجحت في الوصول إلى الجبل الغربى الذى كانت القوات الإيطالية قد صعدت إليه منذ سنة 1922 م تحت قيادة الجنرال "جراتسيانى" حيث كانت إستراتيجية المجاهدين الذين اجتمعوا في الشاطئ بفزان وقرروا فيه مهاجمة المواقع الايطالية الموجودة بالجبل الغربى ، والقبلة ، والجفرة، وسرت لإشعال نيران حركة المقاومة بين صفوف

(1) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 96- 403 .
(2) خليفة محمد التليسى ،المرجع السابق ، ص96 - 403 .

الأهالي الخاضعين للحكم الإيطالي كما سبقت الإشارة حينما بدأ المجاهدون يجتمعون حول آبار المياه والواحات: مما أدى إلى نشوب عدة معارك طاحنة مثل: معارك تسلمت وأبى أثلة، والسدار خلال يومي 20 – 21 من يناير 1929 م.

ومن التدابير التى تم إعدادها من طرف القيادة الإيطالية إعداد ستة فيالق خفيفة تقوم بمباغتة رجال حركة المقاومة، واتخذت لها مراكز في بو نجيم، ومزدة، ودرج ، وسرت ، وهون، وبنى وليد بالإضافة إلى غريان والقبلة (مزدة)[1].

وصارت هذه القوات جاهزة للعمل منذ الخامس من أبريل 1929 وتحركت في اليوم السابع من (بو نجيم)، ومن القريات نحو الشويرف للبحث عن محلة سيف النصر التى كانت القوات الإيطالية تجهل تحركاتها بالرغم من استخدام الطيران للقيام بعمليات استطلاعية دقيقة في جميع الوديان ولكن كما يقول الجنرال "جراتسيانى" إن النتيجة كانت سلبية تمامًا[2].

كما كانت القيادة الإيطالية تجهل تحركات محلة المجاهدين التى كان يتولى قيادتها محمد بن حسن المشاى والتى غادرت الشاطئ بفزان في اتجاه المناطق الشمالية الغربية حيث ظهرت فجأة بمنطقة بئر علاق التى تقع على مسافة 100 كيلو متر إلى الجنوب من جادو .

وكانت محلة المجاهدين تضم 360 مجاهدًا تمكنوا من شن الهجوم المفاجئ على القوة الإيطالية المتمركزة حول بئر علاق وتضم 50 فارسًا ، وقد أبيد معظم أفرادها إذ قتل 35 جنديًا ولاذ الباقون بالفرار ووصلوا بعد ثلاثة أيام إلى جادو[3].

وتمكن المجاهدون من الحصول على ما كان مع أفراد القوة الإيطالية ببئر علاق من غنائم في يوم 19 أبريل 1929 ، وفي الوقت الذى كانت فيه القوات الإيطالية ، قد تعرضت لخسائر فادحة يوم 17 من أبريل 1929 م ، حينما هاجم المجاهدون القوة الإيطالية المتمركزة حول "كاف المتكية" قد أدت إلى قتل 50 جنديًا مع خسارة 24 جنديًا آخر بينما كانت خسائر المجاهدين 60 شهيدًا و 40 جريحًا لاستخدام القوات الإيطالية لسلاح الطيران على نطاق واسع[4].

وأمام إشتداد الهجمات التى تميزت بالتأثيرات المركزة التى نتج عنها قتل الكثير من أفراد القوات الإيطالية ، وغنيمة ما كان في حوزتهم من أسلحة وذخيرة، وتموين ، وإسعافات بادرت القيادة الإيطالية من جديد لأخذ الاستعدادات العسكرية بكل كثافة؛ لشن غاراتها الواسعة على كامل الأطراف الجنوبية لخط الاحتلال لإجبار المجاهدين الذين قدموا من مناطق فزان على أن يتراجعوا إلى الأراضي الخلفية للمناطق المحتلة وهى واحات فزان حتى يمكن ملاحقتهم

---

(1) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 414 .

(2) المرجع نفسه ، ص414 – 415 .

(3) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 164 .

(4) المرجع نفسه ، ص440 .

هناك فيما بعد.

وبعد كامل الإستعدادات الإيطالية ، لأجل البحث عن مجموعات المجاهدين جرت بعض المعارك الهامة داخل أودية القبلة وشعابها مثل معركة أم الملاح بأعالى وادى زمزم في يوم 23 من أبريل 1929 م ، وهى المكان الذى رابط فيه المجاهدون بعد معركة كاف المتكية التى جرت يوم 17 من آبريل حيث هاجمت القوات الإيطالية هذا الموقع بعد أن مهدت له بغارات جوية على مواقع المجاهدين، ثم قامت القوات الإيطالية بتطويق المكان ، وقد استغرقت المعركة مدة ساعتين انسحب على إثرها المهاجمون نحو بئر الخور بمنطقة الحمادة الحمراء وأم الريش وسط مطاردة حادة من الفرسان الإيطاليين ، وملاحقة الطائرات التى تمكنت من رصد قوة للمجاهدين تتألف من حوالي 200 مسلح قادمة من جيفة فقامت خلال يومى 20 - 21 بتركيز جهودها العسكرية بمرسى العويجة أولاً ثم حركتها نحو مواقع المجاهدين المتمركزين في أم الريش بمنطقة سرت.

وقد تصدى المجاهدون لهذه القوة يوم 22 من أبريل في معركة حامية أسفرت عن استشهاد 32 مجاهدًا مع خسارة بعض الإبل والمؤن[1].

وفي يوم 6 من مايو 1929م، وبعد معركة أم ملاح قامت القوات الإيطالية بعمليات عسكرية أخرى في منطقة القبلة شملت الحمادة الحمراء والمنطقة من بئر النصرة وبئرالكور، والطابونية بهدف ملاحقة جيوب المقاومة التى سببت للإيطاليين إرهاقًا كبيرًا خلال عامى 1928 م، و1929 م.

وقد اصطدم المجاهدون مع القوات الإيطالية في معركة قصيرة، ولكنها تميزت بالشدة في يوم التاسع من مايو بمنطقة الملاحة البحرية أسفرت عن استشهاد 27 مجاهدًا ، واستيلاء الإيطاليين على 200 رأس من الإبل وأسر بعض النساء والاطفال[2].

وترجع الخسارة الكبيرة التى أصابت المجاهدين على إثر مهاجمة القوات الإيطالية لقافلة من المجاهدين كانت تضم النساء والأطفال والذين كانوا متجهين من النصرة إلى الملاحة البحرية في طريقهم إلى وادى الشاطئ بفزان بعد أن قاموا بهجمات مباغتة أحدثت ردود فعل خطيرة داخل الأجهزة العسكرية والسياسية الإيطالية .

ثم ركزت القوات الإيطالية خلال مايو 1929 م ، في البحث عن المجاهدين المتمركزين قرب بلدة الشويرف ، وأعدت لذلك المزيد من الخطط، تقوم على تحريك أفراد قواتها باتجاه "أبونجيم" والقريات ، وهون وآبار الشويرف من أجل تطويق المجاهدين الذين سـ ـنوا لهذه

(1) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 113 ، 114 : صلاح الدين السورى وآخرون،المرجع السابق ، ص274.
(2) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 175 ، 176 .

القوات الغازية في ثلاث معارك حول أبار الشويرف ، وأم الخيل ، وبئر العلقة الواقعة إلى الجنوب من مزدة .

ففي يوم 26 من مايو جرت معركة عنيفة ضد القوات الإيطالية الزاحفة على بئر الشويرف من هون و"أبو نجيم " والقريات للهجوم على تجمع للمجاهدين الذين عملوا خلال الفترات الماضية على تصعيد حركة المقاومة ضد المواقع الإيطالية في الجفرة وهون و" أبو نجيم " والقريات وغيرها، حيث تحول المجاهدون عقب هذه المعركة إلى بئر أم الخيل ولكن القوات الإيطالية ظلت تترصدهم من "ثمد قوريرة" ، وقامت بمهاجمة مواقع المجاهدين بهذه المعركة ، والعمل على تطويقهم لمنع انسحابهم غير أنهم تحولوا إلى بئر العلقة بعد معركة قصيرة.

وخاض المجاهدون معركة ضارية يوم 28 من مايو 1929 بالموقع المذكور استخدم فيها الإيطاليون الطائرات للفتك بالمجاهدين، وأسرهم لمنعهم من النزوح نحو الجنوب .

وتمكن المجاهدون من التحول إلى "بئر قشيرية" بعد أن أصيبوا بخسائر فادحة لعدم التكافؤ في القوى مثل سلاح الطيران؛ مما زاد في عدد الشهداء إلى ما يقرب من 260 مجاهدًا بمعركتى أم الخيل وبئر العلقة فقط[1].

دخول القوات الإيطالية إلى واحات فزان:

وفي أعقاب معارك شهر مايو المشار إليها انسحب المجاهدون نحو فزان بعد أن فقدوا الكثير من الأشخاص والمعدات وقطعان الماشية لقيام الطيران الإيطالي بدور مؤثر في الفتك بالمجاهدين وممتلكاتهم فى أثناء الانسحاب بالإضافة إلى الهجمات السريعة التى قامت بها القوات الإيطالية النظامية وغير النظامية كالفرق الصحراوية والتى تحركت من هون إلى بئر المخرق، والكتيبة الليبية السادسة التى تحركت من " أبو نجيم " وساهمت في إبادة المجاهدين وأفراد أسرهم من الأطفال والنساء .

ويعترف الجنرال "جراتسيانى" بأن المعارك التى دارت بين القوات الإيطالية والمجاهدين خلال سنتى 1928، 1929 م قد كلفت الإيطاليين أفدح الخسائر في الأرواح والمعدات والأموال ولولا إستخدام القوات الإيطالية لأعداد كبيرة من الفرق المقاتلة، والدخول في عدة معارك في وقت واحد لاستنفاذ جهود المجاهدين الذين تعرضوا للتطويق من جانبهم الأيمن مما اضطرهم إلى التقهقر في اتجاه بئر أم الخيل والذين سرعان ما وجدوا أنفسهم محاصرين من جديد بمنطقة بئر العلقة من طرف القوات الإيطالية تحت قيادة " فراري " الذى طلب مساعدة سلاح

---

(1) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص112 ، 158 – 165 ؛ جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص432 ؛ صلاح الدين السورى وآخرون ، المرجع السابق ، ص276 .

الطيران والذى أخذ في قصف قنابله على تجمعات المجاهدين ، وبتصويب رشاشاته إلى أهدافها مما زاد من خسائر المجاهدين الذين آخذتهم المفاجأة حول بئر العلقة فى آثناء تزودهم بالمياه؛ مما آجبر المجاهدين على الانسحاب في شكل مجموعات صغيرة باتجاه واحات ووديان فزان[1].

واتخذت القوات الإيطالية مواقع للزحف منها على فزان بعد أن اطمأنت إلى خلو المناطق الشمالية والوسطى من غرب الأراضي الليبية من تجمعات المجاهدين على وجه الخصوص .

وأعدت القيادة الإيطالية العامة خطة عسكرية هامة تقوم على تشكيل عدة فرق عسكرية تتحرك من درج ، وهون ، والشويرف باتجاه براك وسبها دون أن تتخذ لها طريقًا واحدًا كالذى سار عليه الكولونيل ميانى في سنة 1913 م .

وتكونت الفرق العسكرية الإيطالية الثلاثة على النحو التالى :

أولاً: القوات المتجمعة في درج تحت قيادة الكولونيل"مورامارکو "وتضم التشكيلات الآتية :

- سرب صحراوى .
- سرب من المهارى الغير نظاميين .
- الخدمات .

ثانيًا: القوات المتجمعة في هون وكانت تتكون من الآتى :

- سرب " الكتيبة " الأريترية السابعة عشر .
- المصفحات .
- مجموعات الآليات 268 ناقلة مقسمة على أربع وحدات للمناورات الإحتياطية لتوفير الإمدادات.

ثالثًا: القوات المتجمعة في الشويرف تحت قيادة دوق "بولي" .

وكانت هذه القوات تضم ما يلى :

- السرب الصحراوى الأول .
- المجموعة المدفعية الصحراوية الثانية .
- السرب الصحراوى الثانى .
- المجموعة المدفعية الصحراوية الثالثة .
- قافلة من 700 جمل .
- خدمات أخرى كالتخصصات الصحية والبيطرية ، والمياه ، والاتصالات[2]. وكانت

---

(1) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 135 – 137 .

(2) صلاح الدين السورى وآخرون ، المرجع السابق ، ص 278 – 279 .

عمليات (الحمادة – الشويرف) المرحلة الثالثة



الخطة الإيطالية لهذه القوات المنوط بها احتلال الجنوب الليبى (فزان) تقوم على ثلاث مراحل هى :

1- الزحف على براك وسبها .

2- الزحف على واو الكبير .

3- الزحف على مرزق وأوبارى وغات .

وقبل أن يبدأ هذا الزحف الكبير نحو فزان تحركت القوات الغير نظامية تحت قيادة خليفة الزاوى لأجل التمهيد لخط سير قوات الحملة الإيطالية ولجس نبض رجال حركة المقاومة هناك حيث وصلت قوات المجندين الليبيين الغير نظاميين إلى بلدة الزيغن الواقعة إلى الشمال من سبها في يوم 27 من أغسطس 1929 م في نطاق سعى إيطاليا الخاص بإعادة الاحتلال على فزان والقضاء على رجال حركة المقاومة، وتشير المصادر الإيطالية بأن هذه المعركة قد استمرت طوال اليوم واستشهد فيها 10 من المجاهدين[1].

كما جرت في يوم 29 أغسطس 1929 م معركة أخرى بين القوات الإيطالية غير النظامية والمجاهدون بمنطقة أم العبيد قرب سبها حيث وقعت هذه المعركة بعد معركة الزيغن وذلك فى أثناء عودة القوات الغير نظامية إلى الجفرة في الوقت الذى نشبت فيه معركة عقار الواقعة إلى الغرب من براك في يوم 3 سبتمبر 1929 ، وتصف المصادر الإيطالية هذه المعركة بأنها قد تواصلت لمدة 24 ساعة بدون انقطاع بين 200 مجاهد والقوات الغير نظامية الإيطالية . كما تصدى المجاهدون في معركة أخرى بمنطقة بئر العياط بوادى الشاطئ لهذه القوات العائدة إلى الشمال حيث أقام المجاهدون بهذا الموقع لمهاجمة القوة المذكورة حتى أجبورها على الاستعانة بالطائرات في يوم 18 سبتمبر 1929م ، مما اضطر قوات المجاهدين إلى الجلاء عن منطقة البئر والاحتماء بصحراء فزان[2].

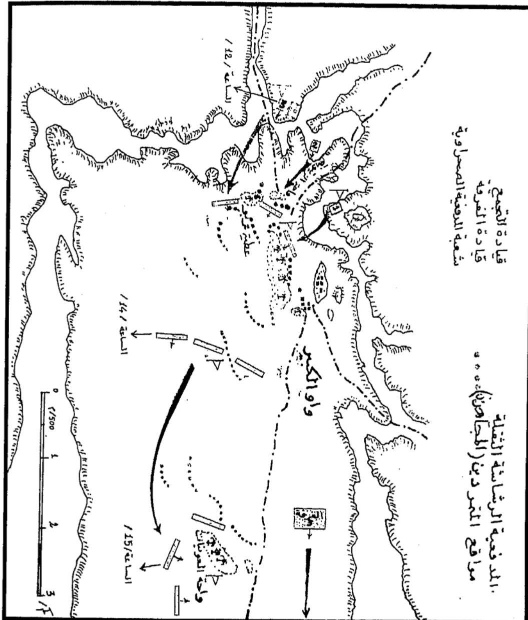
وفي يوم 28 من نوفمبر 1929م بدأت القوات الإيطالية الرئيسية الزحف من بلدة الشويرف باتجاه واحات فزان بمهاجمة تجمعات المجاهدين بمناطق الرملة الغربية ، وفي وادى الآجال ، وفي واحة واو الكبير، وعلى مرتفعات الهروج وهى مناطق بعيدة عن بعضها البعض وسط كثبان الرمال العالية مثل الزلاف.

ووصلت القوات الإيطالية التى كان يتولى قيادتها الأمير دوق بوللى إلى بلدة براك في وادى الشاطئ يوم الخامس من ديسمبر واستولت عليها دون معارك في الوقت الذى تحركت فيه حملتان إيطاليتان من درج ومن هون فاحتلت قوات درج بلدتى"إدرى " وبرغن " واحتلت قوات

---

(1) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 270 .

(2) المرجع نفسه ، ص 114 – 166 ، 270 ، 361 : رفعت عبدالعزيز ، المرجع السابق، ص 478.



معركة واو الكبير

هون بلدة الشب دون حدوث اشتباك مع المجاهدين بينما تحركت قوات "جراتسياني" باتجاه سبها في يوم 14 من ديسمبر 1929م ، حيث تمكنت من الدخول إليها دون معارك واتخذت منها قاعدة للتحركات العسكرية[1].

وكان المجاهدون خلال تقدم القوات الإيطالية إلى فزان متمركزين بين زويلة وأم الأرانب، وبين جبال الهروج وواو الكبير ، وفي الرملة غربي أوباري وهي مجموعات تنتمي إلى الكثير من المناطق الشمالية والوسطى كأولاد سليمان تحت قيادة أبناء سيف النصر في واو الكبير ، والمغاربة الرعيضات تحت قيادة صالح الأطيوش بالمناطق المحيطة بجبل الهروج ، والزنتان ، وأولاد بوسيف ، والمشاشية وبعض الجماعات والزوية والحرارات ، والصيعان والمقارحة وغيرها من القبائل والجماعات الأخرى .

ثم تحركت قوات الجنرال "جراتسياني" من سبها في السادس من يناير 1930 لمواصلة عملية الاحتلال باتجاه أم الأرانب مشيعة بين الناس أنها تنوى احتلال مرزق وهى كانت متجهة نحو واو الكبير عن طريق أم الأرانب بهدف مباغتة عبدالجليل سيف النصر الذى كان متمركزًا مع مجاهدى أولاد سليمان بواحة واو الكبير.

وقد نجحت القوات الإيطالية في مباغتة المجاهدين بهذه الواحة؛ مما أدى إلى عدم حدوث معركة ضد الإيطاليين الذين أجبروا المجاهدين على الانسحاب دون حمل النساء والأطفال والإبل وبقية حاجاتهم الأخرى التى وقعت في أيدى الإيطاليين.

ونتج عن مهاجمة واوالكبير هجرة بعض المجاهدين إلى الواحات الواقعة إلى الشرق والجنوب مثل: تازربو، والكفرة مما حمل الإيطاليين إلى شن غارات جوية على تازربو في31 من يوليو 1930 نتج عنها هجرة المجاهدين إلى واحة الكفرة التى تقع بالقرب من الحدود المصرية والسودانية والتشادية[2].

أما القوات الإيطالية المتمركزة في درج فإنها قد بدأت في التحرك يوم الرابع من يناير 1930 م حيث وصلت إلى إدرى يوم 21 من يناير.

ووفق الخطة الإيطالية كان على القوة الإيطالية التى تولى قيادتها " أماتو" أن تتجه إلى "أوبارى " عن طريق مرزق لتلتقى هناك مع فرقة " بوزللى" القادمة من سبها باتجاه وادى الآجال "الحياة" لمواصلة عملية ملاحقة المجاهدين المتمركزين في غربى فزان خلال شهري يناير وفبراير 1930 م.

وقد واصل الجنرال "جراتسياني" زحفه نحو الجهات الغربية من فزان في يوم 25 من يناير

(1) صلاح الدين السورى وآخرون ، المرجع السابق ، ص 280 ؛ جراتسيانى ، برقة الهادئة ، المرجع السابق ، ص 178.
(2) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

1930 م فوصل إلى أوبارى يوم 28 من الشهر نفسه ، ثم التحقت به قوة صحراوية كانت قد تحركت من إدرى لأجل دعم قوات "جراتسيانى" التى أخذت تزحف وراء جموع المجاهدين المتجهين نحو الحدود الجزائرية والذين قدرت أعدادهم بنحو 1000 شخص .

ولم تحدث آى معارك تذكر بين قوات جراتسيانى، وقوات المجاهدين المنسحبين باتجاه الجزائر عدا اشتباك صغير حدث قرب الحدود بين آفراد من مؤخرة المجاهدين ، والقوات الإيطالية في الوقت الذى كان فيه معظم المجاهدين قد دخلوا إلى الأراضي الجزائرية في يوم 25 من فبراير 1930 م ، حيث وصلت قوات "جراتسيانى" إلى غات دون وقوع أية معارك مما ساعد قوات الجنرال المذكور على احتلال مناطق غات والوصول منها إلى بئر" تومو" على الحدود مع النيجر في نهاية شهر مارس 1930 [1] .

احتلال الكفرة في 19 يناير 1931م:

كانت القوات الإيطالية قد احتلت واحة الجغبوب في يوم 16 فبراير 1926م دون مقاومة وذلك بواسطة قوة إيطالية كبيرة تحت قيادة الكولونيل " رونكتى " وتتكون الحملة من 91 ضابطًا و731 جنديًا إيطاليًا ، و1646 عسكريًا أريتريًا وصوماليًا وليبيًا بالإضافة إلى 36 مدرعة آلية و205 ناقلة جنود ميكانيكية ، و115 دابة من إبل وخيل ، وبغال ، و4 مدافع من نوع 15 و 60 مدفعًا رشاشًا[2].

كما كانت القوات الإيطالية قد تمكنت في نهاية 1929 من احتلال المناطق المحيطة بالجبل الأخضر ، ومحاصرة المجاهدين في مناطق محدودة بداخله ، ولم يبق أمام المجاهدين بعد احتلال واحات فزان بين سنتى 1929 و 1930م إلا واحة الكفرة الواقعة بالجنوب الليبى. والتى أصبحت في أعقاب احتلال المناطق المذكورة مركزًا لتجمع الكثير من المجاهدين وخاصة بعد أن اضطر هؤلاء المجاهدون إلى الانسحاب إلى الكفرة في أعقاب معركة واو الكبير في 13 من يناير 1930 م ، والمناطق المحيطة بواحات مرادة وجالو في يوليو 1930 م حيث اضطر المجاهدون إلى الاحتماء بواحة الكفرة[3].

وقد أشار الجنرال "جراتسيانى" بأن القيادة الإيطالية بعد أن تأكدت من وجود أعداد من المجاهدين في واحتي تازربو والكفرة قامت بإرسال أربع طائرات ألقت ما يزيد عن الطن من القنابل شديدة الانفجار مما آجبر عبدالجليل سيف النصر وصالح الأطيوش إلى الانسحاب

---

(1) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 394 ، 395 .

(2) جراتسيانى ، برقة الهادئة ، المرجع السابق ، ص 36 – 37 .

(3) صلاح الدين السورى وآخرون ، المرجع السابق ، ص 304 ؛ جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 178 ، 179 .

نحو الكفرة التى تعرضت هى أيضًا في يوم 26 من أغسطس 1930 م إلى القصف حيث أغارت الطائرات الإيطالية على منطقة الجوف ، و على منطقة التاج والقى كل سرب قنابله مما أدى إلى حدوث أضرار جسيمة في الممتلكات والأرواح[1].

وشعر زعماء المجاهدين في أعقاب قصف واحات منطقة الكفرة بخطورة الموقف فأخذوا يستعدون لمواجهة الموقف ، وقام عبدالجليل سيف النصر وصالح الأطيوش بتهيئة المجاهدين للدفاع عن الكفرة بعد أن تأكد للجميع أن زحف القوات الإيطالية واقع لامحالة في الوقت القريب على إثر شن الغارات المتتالية على تازربو والكفرة سواء لأجل قصف مواقع المجاهدين أو لاستطلاع وجمع المعلومات .

وبناء على أوامر الوالي " بادوليو " والمتعلقة بملاحقة المجاهدين أينما كانوا، فإن قيادة الحملة على واحة الكفرة قد تشكلت على النحو التالى :

- قيادة الحملة برئاسة الجنرال " رونكتى "
- الدوق "ديللى بوليي"
- النقيب آركان حرب "مينزيو" .
- العقيد الطيار "آ لوردى" قائد القوات الجوية .
- العقيد " ماليتى " قائد الهجانة .
- القوات المدرعة تحت قيادة الرائد "لورينزينى" .
- القوات الجوية تضم عشرين طائرة .
- قوات الهجانة كانت تضم 20 ضابطًا ، و20 صف ضابط ، و837 جنديًا ، و6 مدافع رشاشة ومدفعين من مدافع الجبال .
- مجموعة من الصحراوية تضم 300 جندى بالإضافة إلى 100 مجند من المغاربة .
- قافلة من الجمال قوامها 3000 جمل تحت حراسة الأريتريين لتوصيل التموين وغيره .
- الفرقة الأولى من المدرعات بالمدافع الرشاشة 220 سيارة نقل لحمل المعدات التى لم تستطع حملها الجمال[2].

وتتلخص حركة سير القوات الإيطالية بأن يتم الزحف نحو الكفرة باحتلال بئر "الزيغن" والأبار المحيطة به لضمان توفر المياه لدى قوات الحملة ، وأن تتحرك المجموعة من واو الكبير إلى تازربو بينما تتحرك سرية مدرعة من زلة إلى تازربو مارة بمنطقة ثمد " بوحشيشة" مع سرب صغير من الطائرات يتمركز داخل قاعدة ثمد " بو حشيشة " الإيطالية الرئيسية الزاحفة

---

(1) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 181 - 182 .

(2) جرتسيانى ، المرجع السابق ، ص 196 - 197 .

من إجدابيا باتجاه الكفرة عبر أوجلة ، وجالو وبئر الزيغن ، والهوارى والجوف والتاج حسب الخطة الموضوعة.

وزحفت هذه القوات في شكل ثلاثة مجموعات آلية في معظمها حيث خرج الطابور الرئيسى من إجدابيا مارًا بجالو في حين خرج الطابوران الآخران أحدهما : من زلة والثانى: من واو الكبير .

وقد قطع الطابور الأول 620 كم وهى المسافة بين إجدابيا وبئر الزيغن على مرحلتين الأولى من إجدابيا إلى جالو ، والثانية من جالو إلى بئر الزيغن[1].

وفي نهاية شهر ديسمبر 1930 م ، استأنفت القوات الإيطالية الزحف من واحة جالو إلى بئر الزيغن بعد استراحة لمدة يومين في جالو .

وقد تعرضت قوات الحملة الإيطالية في يوم 22 من ديسمبر إلى ظروف جوية سيئة أربكت حركة سير القافلة وتم تأجيل زحف رجال القافلة إلى يوم31من ديسمبر 1930 م بدلا من يوم28 من الشهر نفسه لكى تلتقى في تازربو يوم11يناير1931م مع قوات إيطالية أخرى قادمة من طرابلس الغرب .

ونظرًا لاستمرار الزوابع الرملية وهطول الأمطار، فإن القافلة تحركت باتجاه الجنوب في اليوم الثانى من يناير 1931 تتقدمها القوات المدرعة وتتبعها سيارات الورش العامة لاصلاح السيارات المتعطلة.[2]

وفي التاسع من يناير 1931 وصلت الحملة إلى بئر الزيغن دون أن تتعرض لأية مصاعب بعد آن قطعت مسافة 400 كيلومتر عدا مائة جمل نفقت من 3500 جمل كانت قد خرجت من جالو ، ووجد الإيطاليون منطقة بئر الزيغن خالية من المجاهدين الذين فضلوا خوض المعركة فوق مرتفعات هضبة الدوارى التى تبعد عن واحة التاج في الكفرة ، ببضع كيلومترات . وبعد استراحة لرجال الحملة في منطقة بئر الزيغن، استأنفت السير باتجاه واحة تازربو التى تم احتلالها في يوم 11 يناير دون مقاومة لخلو المنطقة من المجاهدين .

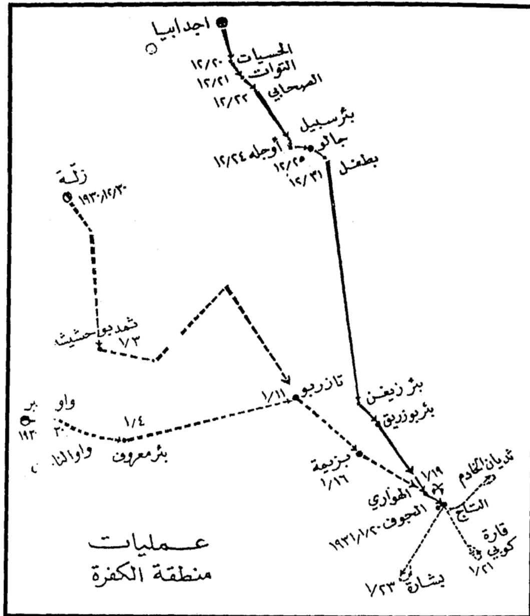
وفي 12 من يناير 1931 م أصدر قائد الحملة الجنرال " رونكتى" أمرًا بتحركات فرقة " كامبيتى " من القوات الصحراوية الطرابلسية ، وسرية "برونو" من القوات البرقاوية للزحف من تازربو على واحة الجوف في الكفرة عن طريق واحة " بزيمة " و" الهوارى " .

أما فرقة " ماليتى " والتى تضم التجمعات الصحراوية تحت قيادة الرائد "بوزللي " ، وسرية

---

(1) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص196– 198 .

(2) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 442 : جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 201 – 202 والذى يصف القافلة المكونة من الجمال والخيول بأنها كانت تسير فى شكل مستطيل عرضه 500 متر وطوله 1500متر .



اجدابيا
الحسيات ١٢/٢٠
التوات ١٢/٢١
الصحابي ١٢/٢٢
بئر سبيل
جالو ١٢/٢٥
أوجله ١٢/٢٤
بطفل ١٢/٣١
زلّة ١٩٣٠/١٢/٣٠
ثمد بوحشيش ١/٣
تازربو ١/١١
بئر زيغن
بئر بوزريق
واو
١/٤
بئر معروف
بزيمة ١/١٦
١/١٩
الهواري
الجوف ١٩٣١/١/٢٠
ثديان الخادم
التاج
قارة كوبي ١/٢١
بشارة ١/٢٣
عمليات
منطقة الكفرة

من الجنود غير النظاميين مكونة من المغاربة الذين كانوا قد خضعوا للاحتلال وعليهم الزحف من بئر الزيغن على الجوف عن طريق "جبل فاضل الهوييرى والتاج" .

وطبقًا لأوامر قائد الحملة تم توزيع أفراد الحملة في شكل فرقة كبيرة لأجل تطويق المجاهدين بمنطقة الكفرة من معظم الجهات في إطار المفاجأة .

وقد ألتحق الجنرال "جراتسيانى" بأفراد الحملة يوم 12 يناير 1931 فى أثناء تواجدها في منطقة بئر الزيغن قادمًا إليها من بنغازى بوصفه نائب حاكم برقة .

وكانت الطائرات الإيطالية تقوم باستطلاع فوق القوات الزاحفة باتجاه الجنوب على جبهة عرضها 30 كيلو مترًا[1].

وفي يوم 18 من يناير 1931 تجمعت قوات " كامبينى " مع قوات العقيد المساعد "ماليتى" في قوة واحدة في الوقت الذى أكدت فيه الطائرات أن المجاهدين مازالوا متواجدين بمناطق الكفرة بالقرب من الجوف مع بعض الخيالة وعددها عشرون تقريبًا وعدد الإبل نحو300 رأس محصورة في حظيرة محاطة بالأحجار ، وأن سكان الواحة كأنها تنتظر وصول القوات الإيطالية الزاحفة، بينما لاحظت الطائرات أن واحة الهوارى تضم عددًا من المجاهدين مقسمين على مجموعات صغيرة بين 20 و30 مجاهدًا قاموا بالإختفاء عن رصد الطائرات لهم، وقد قاموا بإطلاق النار على إحدى الطائرات فأصيبت في أجنحتها بعدة طلقات مما أكد للإيطاليين بوجود رجال المقاومة .

وحينما تعرضت الطائرات الإيطالية لإطلاق النار كانت القوات الإيطالية تبتعد عن منطقة الجوف بالكفرة بمسيرة يوم واحد فقط حيث كان يوم إطلاق النار 18 يناير 1931م .

وفي اليوم التالى 19 من يناير كانت القوات الإيطالية قد أصبحت متماسكة حتى تدخل إلى واحة الكفرة مع بعضها إلى الهوارى ، والهوييرى ثم تحتل واحتى الجوف والتاج[2].

وفي الصباح يوم 19 من يناير 1931م أخذت القوات الإيطالية في تطويق واحات الكفرة من الشمال والجنوب ومن الجنوب الشرقى ، وتمكنت إحدى الطائرات من تحديد وجود تجمعات المجاهدين الذين قدرت أعدادهم بحوالي 400 مجاهد .

وتولى الأمير دوق "بولي" قيادة سلاح الطيران ،أما القوات الزاحفة من الناحية الشمالية ، كانت تحت قيادة العقيد المساعد " ماليتى" وتولى الرائد كامبينى قيادة المنطقى الجنوبية .

وفي حوالي الساعة العاشرة صباحًا تحركت القوات الإيطالية الأمامية للاشتباك مع المجاهدين في المنطقة وبدأت المعركة بكل عنف؛ فأمر العقيد المساعد قائد القوات الزاحفة

---

(1) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 208 – 109 .

(2) جراتسيانى . المرجع السابق . ص 209 .

من الشـمـال جنوده بالتـراجع إلى الخلف حـتى تصطدم قـوات المجـاهدين مع قـوات الـرائد "كامـبينى" قـائد المنطقـة الجنوبيـة لكى تصبح قوات المجـاهدين بين نيـران القـوتين الشمـاليـة والجنوبية.

ويعترف الجنرال "جراتسيانى" باستماتة المجاهدين في الدفاع عن مواقعهم حتى نجحوا في الضغط على الجناح الأيمن للقوات الإيطالية التى أرغمت على التقهقر بعد أن كانت مهاجمة ، وأصبـحت منهـزمة ولولا وصـول القـوات الإيطالية التى كانت قـد وصلت من طرابلس الغـرب والتى أخذت علمًا بالهزيمة عن طريق الطيران لكانت الهزيمة قد حلت نهائيًا بالإيطاليين[1].

ووصف الجنـرال "جراتسيانى" مـراحل المعركة بأنها كانت عنيفة جدًا استنجدت فيها القوات الإيطاليـة بالطائـرات حيث قـامت ثمـانى طائـرات من طراز رومـيـو المقـاتلة مـحـملة بالقنابل بالتحليق فوق منطقـة المعركة وهى واحـة الجـوف وأخذت في إلقاء القنابل واستـعمـال المدافع الرشـاشة ممـا أجبـر المجـاهدين على الانسـحاب إلى منطقـة الهوارى لتجنب المزيد من الغـارات الجوية .

وظلت المعركة دائرة بين الطرفين ففي اليوم التالى وعند الساعة السادسـة عشر والنصف ، وصلت القـوات الإيطاليـة تحت قيـادة العقيـد المسـاعد " مـاليـتى " على بعـد ستة كيلومـترات من منطقـة الهوارى في الوقت الذى تم فيـه استئناف الزحف على التاج لصد مـقاومـة المجـاهدين التى عطلت عملية زحف القوات الإيطالية[2].

وقام المجـاهدون بالانسـحـاب من واحة الهوارى باتجاه واحـة الهويويرى ، وهـى واحـة صغيرة لأجل مواصلة الجـهاد بهـا في نفس اليوم الذى اندلعت فيـه المعـركة بواحـة الجـوف يوم 19 من يناير 1931 م .

وقاموا بمواصلة القتـال حتى اليوم التـالى دافعوا فيه عن أنفسهم، وأفراد أسـرهم وأموالهم بيتًا بيتًا ، ولكن الإيطاليين كانوا أقوى في عتادهم والأكثر في عددهم، ولم تنفع البنادق العادية التى كـانت في حوزة المجـاهدين في صـد الطائـرات والسـيـارات المصـفـحـة؛ ولذا لم يـتـمكن إلا القليل من المجـاهدين أن يبـقـى على قيـد الحـياة في أعـقـاب مـعـارك الدفـاع عن الكفـرة سـواء بالانسـحـاب باتجـاه مصـر، أو السـودان ، أو تـشاد أو الاخـتـفـاء في مـزارع النخيل وسـط الكثـبـان الرملية ترقبًا لفرصـة الانسـحاب خلال الخطوط الإيطالية .

وقـامت القـوات الإيطالية بمـلاحـقـة المجـاهدين المتجـهـين نحو الشـمـال الشـرقى إلى سـيـوة ، ونحـو الشـرق بـاتجـاه الحـدود المصـرية السـودانيـة – جـبـل العـوينات –، ونحـو جبـال تيـبسـتى

(1) المرجع نفسه ، ص 210.

(2) المرجع نفسه ، ص 211 .

بالصحراء الليبية الجنوبية الشرقية ، وشاركت الطائرات في عملية ملاحقة المجاهدين في كل اتجاه بإلقاء القنابل عليهم ومطاردتهم لأجل القضاء عليهم بواسطة ثلاثة أسراب خرجت من زاوية التاج بعد احتلالها باتجاه الشرق والجنوب الشرقى ، والجنوب الغربى بالإضافة إلى الكتيبة الليبية القادمة من طرابلس الغرب التى قامت بتمشيط منطقة الجوف بعد أن احتلتها مستعينة بإرشاد الطائرات لها إلى أماكن وجود مجموعات المجاهدين المنسحبين .

وقد استخدمت القوات الإيطالية القوة المتناهية وهى تتعقب المنسحبين من واحة الكفرة كما حدث فى أثناء مهاجمة مجموعات من المجاهدين عند بئر بشارة ، وأسفرت المطاردة عن أسر خمسين مجاهدًا أُعدم منهم في نفس الموقع وعلى الفور 12 مجاهدًا كان من بينهم "محمد بن عمر الفضيل" ومساعده الخاص "إحميدة بن على الفضيل" ، وأصبحت الجثث والأشلاء المبعثرة للنساء ، والأطفال العزل من السلاح تملأ الطريق إلى معطن بشارة والطريق المتفرعة منه من جراء الغارات الجوية[1].

وفي أعقاب احتلال واحة الكفرة أمر قائد القوات الإيطالية جنوده وضباطه بأن يعيشوا أسبوعًا كاملاً أبيح لهم فيه سلب الأموال والأعراض ، وقتل الأنفس من الرجال والنساء والأطفال ، وما مَن منزل بالكفرة إلا وقد دخله أولئك الأشرار، ولم تراع حرمة النساء ولا الشيوخ العجزة والأطفال الصغار ، فكانت مأساة الكفرة كما يصفها "محمد الأشهب" المعاصر للأحداث بأنها أعظم المآسى الوحشية وأفظعها يسجلها التاريخ لإيطاليا بوجه عام[2].

وإن شدة حركة المقاومة التى أظهرها المجاهدون كان قد أكدها رد فعل القوات الإيطالية ضد الشيوخ والنساء والأطفال وهو ما أكده الجنرال جراتسيانى عندما أشار إلى أن عملية التغلب على المجاهدين قد كلفت قواته خسائر فادحة بفضل وجود قيادة حكيمة من الرجال الأقوياء بين صفوف المجاهدين من أمثال: "صالح الأطيوش" و"عبد الجليل سيف النصر" ، و"حمود بن شغيلى" ، و"أحمد بن شريف" ، وعبد الحميد بومطارى الذين قابلوا القوات الإيطالية الكبيرة بكل عددها وعدتها من دبابات وطائرات ، إنها معركة غير متكافئة[3].

ورغم هذا كله كانوا أشداء أقوياء صامدين لايتقهقرون أبدًا حتى ولو أدى الأمر لفنائهم جميعًا مؤمنين لأنهم أصحاب حق وشجاعة.

وأسفرت معركة الكفرة عن استشهاد مائة مجاهد وأسر ثلاثة عشر مجاهدا بالإضافة إلى عدد من الجرحى ، واستولت القوات الإيطالية على مائة بندقية ، وبعض صناديق من الذخيرة،

(1) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 213 ؛ رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، 503 – 505 .
(2) محمد الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، المرجع السابق ، ص 483 .
(3) جراتسيانى ، برقة الهادئة ، المرجع السابق ن ص 211 .

أما الخسائر الإيطالية حسب المصادر الإيطالية فهى كانت تتمثل في مقتل ضابطين ، وبعض الجنود الأريتريين مع جرح ستة عشر جنديًا أريتريًا ، وقتل بعض جمال القافلة.

وأورد "جراتسيانى" قائمة بجملة خسائر المجاهدين خلال اندلاع معركة الكفرة وأيام مطاردة المجاهدين المنسحبين والتى ظلت مستقرة حتى نهاية شهر يناير 1931 ، وهى على النحو التالى :

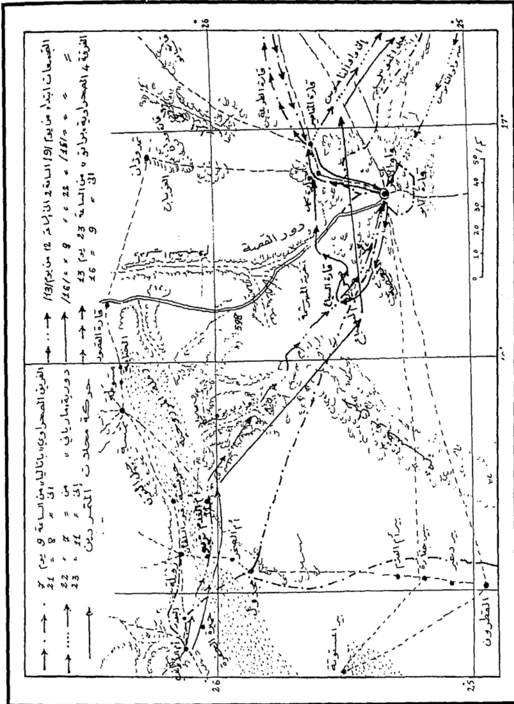
- بنادق أوربية حديثة 318 بندقية .
- بنادق من أنواع مختلفة 35 بندقية .
- بنادق عربية غير صالحة 200 بندقية .
- مدافع رشاشة من نوع (حكيم) 3 مدافع .
- مدافع ميدان من عيار 70 جبلية 3 مدافع .
- قنابل مدافع 787 قنبلة .

بالإضافة إلى مجموعات هامة من المواد المتفجرة ، وعدد كبير من طلقات المدافع[1].

وأعتبرت القيادة الإيطالية عملية احتلال الكفرة من الأعمال المجيدة في تاريخ الحكومة الفاشية استكمالاً لعمليات احتلال الجغبوب ، وعمليات خط عرض 29 درجة شمالاً ، واحتلال واحات فزان وغات وتومو .

ونتج عن احتلال الكفرة قتل وهجرة الكثير من المجاهدين الذين كان لهم الدور البارز في مقاومة الغزو الإيطالي منذ سنة 1911 وحتى سنة 1931 مثل: أبناء سيف النصر ، وصالح الأطيوش ، وكما نتج عن احتلال الكفرة تشديد الحصار على مجاهدى الجبل الأخضر تحت قيادة الشيخ عمر المختار الذى لم يستمر عدا مدة وجيزة في أعقاب سقوط الكفرة حيث تم القبض عليه في شهر سبتمبر 1931 ، ثم إعدامه خلال الشهر نفسه، وهو ما سوف يتم الإشارة إليه في الفصل التالى بأكثر تفصيلاً .

(1) محمد شكرى،المرجع السابق،ص 311 :جراتسيانى، المرجع السابق ، 12 -215، والذى يشير مرة ثانية فى كتابه أن المجاهدين خسرو، 200 قتيل و 160 بندقية،وتم العثور على مخازن للسلاح والذخيرة فى التاج والجوف بها ثلاث مدافع ميدان .



الفصل الثامن

معارك إعادة احتلال الجبل الأخضر

1924 - 1931م

(*) تجدد حركة المقاومة في الجبل الأخضر .

(*) مفاوضات صلح سيدى رحومة 1929 م .

(*) استئناف معارك الجهاد بالجبل الأخضر .

(*) القبض على الشيخ عمر المختار 11 سبتمبر 1931 م .

(*) العوامل التى ساعدت الشيخ عمر المختار على الاستمرار في الجهاد لمدة ثمانى سنوات .

تجدد حركة المقاومة في الجبل الأخضر:

كانت حركة الجهاد داخل المناطق الشرقية من الأراضي الليبية بصفة خاصة والمناطق الغربية بصفة عامة قد تأثرت منذ سنة 1916 بأحداث الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) والتى برزت فيها المؤثرات الخارجية المقدمة من دول الحلفاء ودول المحور.

وتميزت هذه التدخلات بدفع زعماء المجاهدين إلى الدخول في اتفاقيات صلح في الزويتينة سنة 1916 ، وعكرمة سنة 1917 ، وسوانى بنى آدم سنة 1919 ، والرجمة سنة 1920م، وأبو مريم 1921 ، حيث كانت بريطانيا ، والدولة العثمانية ، وفرنسا قد ساعدت بجهودها المختلفة على التوقيع رسميًا على هذه الاتفاقيات، الأمر الذى أدى إلى حصول الطرفين على فترة من الهدنة التى ساعدت القوات الإيطالية على تثبيت أقدامها فوق الأراضي الليبية وخاصة في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الأولى التى كانت فيه القوات الإيطالية بحاجة إلى إعادة تنظيم صفوفها بعد فترة من المعارك الطاحنة التى دارت رحاها بمناطق الحدود الإيطالية النمساوية.

وقد انتهزت إيطاليا فرصة عقد هذه الاتفاقيات وقامت بنزع السلاح من السكان عنوة؛ مما أثار غضب المجاهدين الذين قام البعض منهم بتدمير محطة اللاسلكى الإيطالية في الزويتينة، كما قاموا بمهاجمة المراكز العسكرية الإيطالية، وألحقوا بها أفدح الخسائر في الأرواح والمعدات بالرغم من عدم مساندة محمد إدريس السنوسى لذلك ؛ ومغادرته للأراضي الليبية باتجاه مصر في الثانى من ديسمبر 1922 م مع عدد من مساعديه بواسطة قافلة من الجمال عبرت بهم إجدابيا إلى الجغبوب مرورًا بواحة جالو ثم واحة سيوة التى وصل إليها يوم 30 من الشهر نفسه ، ثم واصل رحلته إلى مرسى مطروح ، ومريوط، والقاهرة ، التى وصل إليها يوم السبت 26 من يناير 1923 [1].

وكان محمد إدريس السنوسى قد أوكل إلى شقيقه محمد الرضا السنوسى بإدارة الأمور نيابة عنه فى أثناء غيابه، وبمساعدة إبن عمه صفي الدين السنوسى ، والشيخ عمر المختار بالجبل الأخضر بالإضافة إلى أحمد المريض رئيس هيئة الإصلاح المركزية بالمنطقة الغربية لحين عقد مؤتمر يتم فيه إقرار دستور واحد بناء على قرار مؤتمر غريان سنة 1920 م، ومؤتمر

---

(1) رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 48 ؛ صحيفة اللواء المصرى ، العدد 287 بتاريخ 28 يناير 1923 م .

سرت سنة 1922 [1].

ومنذ آن تم إجراء الاتصالات المباشرة بين زعماء حركة الجهاد داخل المناطق الغربية والشرقية من الأراضي الليبية خاصة في أعقاب مؤتمر غريان، واندلاع معارك إعادة الاحتلال بمصراتة، والزاوية ثم الجبل الغربي في سنة 1922 م شهدت المناطق الشرقية اندلاع الكثير من الحوادث التى أصبحت المواقع الإيطالية ودورياتهم هدفًا لهجمات المجاهدين مثل : مهاجمة سيارة البريد الإيطالية على مقربة من الزاوية البيضاء ، وحرق بعض الممتلكات الإيطالية ، واغتيال أحد المزارعين الإيطاليين ويدعى " روزونى " والذى أتهم الشيخ صالح العوامى شيخ زاوية بنغازى بالتحريض على قتله ، كما ألصقت بالشيخ المذكور تهمة تدبير الهجوم المسلح على سيارة البريد الإيطالية، المشار إليها فى أثناء مرورها بين المرج وشحات في يوم 14 سبتمبر 1922، وطالبت الإدارة الإيطالية من صفي الدين الذى يعمل كرئيس لمجلس النواب البرقاوى والذى كان قد شُكل تطبيقًا للقانون الأساسى لبرقة أن يقبض على المتهم وإبعاده عن بنغازى[2].

وتمثل معركة البياضة يوم 21 من سبتمبر 1922 م إحدى المعارك التى جرت خلال هذه الفترة حينما استطاع المجاهدون تحت قيادة عيسى الوكواك أن يقوموا بمهاجمة سيارة عسكرية إيطالية كانت تمر بالجبل الأخضر بعد أن وضعوا في طريقها بعض العوائق ، ثم قاموا بقتل عدد من الجنود الإيطاليين والمجندين معهم، والاستيلاء على الأسلحة والأموال التى كانت في حوزة ركاب السيارة الإيطالية[3].

وأعقب حادث البياضة بعض الحوادث الأخرى كالقيام بإحراق مقر البعثة الإيطالية بالزويتينة في 15 من أكتوبر 1922 م ، مما دفع بوزير المستعمرات الإيطالية إلى زيارة بنغازى ومقابلة محمد إدريس السنوسى بمنطقة إجدابيا لاعتقاد إيطاليا أن استمرار المعاملة مع إدريس يؤدى إلى تثبيت نفوذها في ليبيا ولكن السياسة الإيطالية تجاه إدريس سرعان ما تغيرت في أعقاب وصول الفاشست إلى كرسى رئاسة الحكومة في روما حيث بادر الفاشست برئاسة موسولينى إلى عزل والي برقة " بكارى " وقاموا بتعيين " بونيجوفانى " بدلاً منه وطلبوا منه اتباع سياسة الشدة[4].

وقام الوالي المذكور فور وصوله إلى برقة بدعوة مجلس النواب الذى آسس بناء على صدور القانون الأساسى لبرقة للاجتماع في إجدابيا ، وأعلن فيه إلغاء القانون الأساسى وكافة المعاهدات كالرجمة وأبومريم ، مع حل الأدوار " المعسكرات " المختلطة

---

(1) بريتشارد . أ. إيفانز ، سنوسيو برقة، المرجع السابق ، ص 265 : رفعت عبدالعزيز ، المرجع السابق، ص 49 .

(2) محمد فؤاد شكرى، السنوسية، دين ودولة، المرجع السابق، ص 570 : رفعت عبدالعزيز، المرجع السابق، ص 50 - 51.

(3) يوسف البرغثى ، عيسى عبدالسلام الوكواك ، مجلة البحوث التاريخى ، العدد الثانى 1983 ، ص 214.

(4) جراتسيانى ، برقة الهادئة ، المرجع السابق ، ص 29 - 30 .

بإصـــدار أوامـــره للجنـود الإيطـاليين باحـتـلال هـذه المعـسـكـرات وإلقـاء القـبـض على المجاهدين "المحافظين" الذين كانوا يتمسكون ببقاء هذه المعسكرات[1] .

ولم تتـحـقق أهداف "بونجيـوفـانى" والي برقـة الجـديد إذ أن التـرتيـبـات التى اتخـذها المجاهدون لضمـان استمرار المقاومة قد أدت إلى شل الإجراءات الإيطالية الهادفة إلى فرض السيطرة الإيطالية على برقة دون خسائر بالرغم من الاستعدادات الكبيرة التى قاموا بها لأجل استـعـادة اسـتـرجـاع قواعـدهم التى كـانوا قـد فـقـدوها وانسـحـبـوا منهـا في أعـقـاب مـعـركـة القرضابية يوم 29 من أبريل سنة 1915 [2].

وكانت إجدابيـا من المواقع الأولى التى تعرضت لشن الهـجـمات الإيطـاليـة سنة 1923 م في إطار حـرب إعادة الاحـتـلال باعتبارهـا تمثل حصن المجاهدين المنيع الأمر الذى أدى إلى نشوب عدة معارك طاحنة سبقت الإشارة إليها والتى سرعان ما كان لها الصدى الكبير بمناطق الجبل الأخضـر تحت قـيادة الشيخ "عـمـر المخـتـار" وغيره من القـادة الآخـرين "كـالفضـيـل بو عـمـر" ، و"حسين الجويفي"، و"يوسف بو رحيل" ، و"عبد الحميد العبار" ، و"السيد أبو نجوى"[3].

وكان الشيخ عمر المختار قد سافر إلى مصر سنة 1923 على رأس وفد للتباحث مع محمد إدريس السنوسى في شؤون البـلاد ، وما جدّ على ساحتهـا من أحداث تتطلب منه العودة إلى شـرقى ليبيـا ، كما قام الشيخ عـمـر المختار بزيارة محمد الرضـا السنوسى وكيل أخيه محمد إدريس السـنوسى الذى كـان يقـيم بواحـة" جـالـو " لعـرض مـوضـوع اسـتـئـنـاف المعـارك أسـوة بمجاهدى المناطق الغربية الذين كانوا قد دخلوا في معـارك ضارية بالرغم من عقد صلح بنى آدم في سنة 1919 م في الوقت الذى كانت قـد اندلعت فيـه مـعـارك إجدابيـا في 21 من أبريل 1923 م، ومعركة بئر بلال في 10 يونيو ، ومعركة مرسى البريقة في 11 يونيو ومعركة أبى قرادة في 24 من أغسطس ، وبئر بلال الثانية في الثالث من سبتمبر 1923 [4] .

وتمثل معـركة جردس العبيد (الأحرار) الأولى يوم24 سبتمبر 1923 ، والثانية يوم الرابع من ديسـمـبـر1923م من أولى المعـارك العنيـفـة التى دارت في نطاق الجـبـل الأخـضـر نظرًا لاتخـاذ المجاهدين منها مركزا للمقاومة ضد القوات الإيطالية التى كانت تقع إلى الشمال منها[5].

وإلي جـانب مـعـارك جـردس العـبـيـد (الأحـرار) فإن المجـاهدين الذين صـارت لهـم الكثـيـر من المواقع الهـامـة في سـيدى سليم ، وزاوية القـصـور وغـوط السـاس، وأبى عنـان ، والغـريب، ومـراوة،

---

(1) المرجع نفسه ، ص 30 .

(2) خليفة محمد التليسى ، معجم معارك الجهاد ، المرجع السابق ، ص 405 – 510 .

(3) رفعت عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 168 .

(4) خليفة محمد التليسى ، معارك الجهاد الليبى من خلال الخطط الإيطالية ، المرجع السابق ، ص 92 – 93.

(5) خليفة محمد التليسى ، معجم معارك الجهاد ، المرجع السابق ، ص201 .

وجـردس الجـرارى التـى انطلقت منهـا بعض الفـصـائل؛ لإثـارة الرعب بين صـفـوف أفـراد القـوات الإيطالية ، وقطع خطوط اتصالاته ومواصلاته ، ومراقبة تحركاته قاموا خلال سنة 1923 بخوض معركة بئر أحمد قرب إنتيلات في جنوب بنغازى يوم 12 مايو1923 م ، ومعركة سيدى أبو قرباع بالقرب من إجدابيا في يوم 19 يوليو سنة 1923 ، ومعركة وادى القود إلى الشرق من الشليظمية بمنطقة بنغازى يوم 9 من أكتوبر 1923 م، ومعركة الخليطة بالقرب من شحات في الأول من أكتوبر 1923 في نطاق تجدد حركة المقاومة التى نشطت ضد استئناف العمل العسكرى الإيطالي[1].

وأمـام إزدياد نشـاط حـركـة المقـاومـة بمناطق الجـبل الأخـضـر قـام الإيطاليـون بوضع إستراتيجية عسكرية واسعة تهدف إلى مقاومة الأدوار المذكورة بحشد قوات إيطالية كبيرة في المرج ومراوة لأجل ملاحقة المجاهدين بمناطق الجبل الأخضر .

ونشـبت العـديد من المعـارك الطاحنة خـلال سنة 1924 م سـواء داخل الجـبل الأخـضـر أو بالمناطق المحيطة به مثل: معركة سوانى البدين التى نشبت في الأول من يناير 1924 ، ومعركة سلوق بالقرب من بنغازى في 19 من يناير 1924 م ، ومعركة تاكنس في الثالث من فبراير 1924، ومعركة مراوة في 17 من فبراير 1924 حينما قام المجاهدون بشن عدة هجمات على المواقع الإيطالية، وخطوط مواصلاته وقوافله العسكرية ، و معركة غوط الساس بالقرب من جردس العبيد في17 من فبراير 1924 م والتى نشبت على إثر الحصار الذى فرضه المجاهدون على الحامية الإيطالية في جردس العبيد؛ حيث حاولت قوة إيطالية كبيرة فك الحصار ، ونقل التموين ، والعتاد إلى الحامية المعزولة عن بقية المواقع الإيطالية ، وقد استمرت معركة غوط الساس اثنتى عشرة ساعة طبقًا لما تؤكده المصادر الإيطالية نفسها دون أن تفلح القوات الإيطالية في فك الحصار[2].

وفي 20 من مارس 1924 دارت معركة عنيفة بمنطقة علم الحاصر الواقعة على بعد 30 كم إلى الشرق من بلدة الأبيار على إثر قيام قوة إيطالية كانت مرابطة في بلدة المرج بملاحقة المجاهدين؛ حيث واجهت القوة الإيطالية مقاومة في "تاكنس" أولاً ثم في "أم الجوابى" .

وامتدت المعركة حتى منطقة علم الحاصر التى كان بها دور المجاهدين الذين استشهد منهم في هذه المعركة ما يربو على مائة مجاهد.

كمـا دارت في 20 مـارس 1924 مـعـركـة بمنطقـة أم الجـوابى الواقـعـة في جنوب الجـبل الأخضر، حيث كانت هذه المعركة قد وقعت حينما حاولت قوة إيطالية تحت قيادة الجنرال

---

(1) خليفة محمد التليسى ، معجم معارك الجهاد الليبى ، المرجع السابق ، ص 138 ، 223 ، 293 ، 515 .

(2) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 281 ، 282 ، 380 ، خليفة محمد التليسى، معارك الجهاد الليبى من خلال الخطط الحربية الإيطالية ، المرجع السابق، ص 65 – 66 .

"بيتسارى" أن تقوم بعمليات التفاف أوتطويق ضد دور العبيد .

وتصدى المجاهدون للقوات الإيطالية في معركة قصيرة جرت يوم 30 من مارس 1924 في نطاق إعادة فرض السيطرة الإيطالية على الأراضي الليبية ، كما جرت معارك أخرى في قصر طولون يومي 7 – 8 –أبريل 1924 م ، وكانت من المعارك الطاحنة في الوقت الذى قام فيه المجاهدون الذين قدرت أعدادهم بحوالي 500 مجاهد يوم 10 من أبريل 1924 بمهاجمة الحامية الإيطالية المتمركزة في مراوة، استنجدت فيه الحامية الإيطالية بسلاح الطيران مما أدى إلى انسحاب المجاهدين وعودتهم إلى الهجوم على الموقع المذكور في يومي 12 ، 16 أبريل 1924 م والذى ترتب عليه اندلاع معركة سلنطة يوم 18 من أبريل ، ومعركة البويرات يوم 19 من أبريل فى أثناء العمليات العسكرية التى قام بها الجيش الإيطالي ضد دور البراعصة في الفترة الواقعة بين شهرى أبريل ومايو من سنة 1924 م[1].

وخاض المجاهدون ضد القوات الإيطالية معركة طاحنة في سيدى سليم قرب حلوق المرجع يوم 14 من أبريل 1924م ومعركة حلوق الجير يوم 14 من أبريل ، ومعركة بليحوش في جنوب شرق مراوة ، وفي الفترة بين أول شهر أبريل وشهر مايو 1924 شهدت المنطقة الواقعة بين مراوة وسلنطة عدة معارك من أبرزها المعركة التى دارت مساء يوم 15 من أبريل 1924 ، على إثر قيام القوات الإيطالية بمهاجمة قوة من المجاهدين تقدر بحوالي 400 مسلح، وأسفرت هذه المعركة عن استشهاد 36 مجاهدا[2] .

كما خاض المجاهدون خلال شهر أبريل 1924 المزيد من المعارك بعد أن استعادوا تنظيم أنفسهم تحت قيادة الشيخ عمر المختار بمناطق الجبل الأخضر حيث خاضوا معركة وادى المطيقلة في يوم 16 من أبريل ، ومعركة قصر السداشى الذى يقع إلى الجنوب من الجبل الأخضر، ومعرك البويرات في 19 من أبريل قرب سلنطة بالجبل الأخضر والتى كانت معركة حامية تصدى فيها مجاهدوا البراعصة، وغيرهم لأفراد الحملة الإيطالية بكل قوة والحقوا بها بعض الخسائر[3].

وإلى جانب معركة الهيرة والعقابة بشرقي الأبيار والتى دارت 19 من أبريل 1924 ضمن العمليات العسكرية التى تهدف القيادة الإيطالية منها ملاحقة المجاهدين والدفع بهم إلى الدخول معها في معركة فاصلة غير أن هؤلاء المجاهدين تمكنوا في اليوم 19 أبريل من الدخول في معركة أخرى جرت بمنطقة قصر تاكسيس الواقعة إلى الجنوب من مراوة بمسافة 28 كم،

---

(1) المرجع نفسه ، ص135 ، 459 .

(2) المرجع نفسه ، ص 123 .

(3) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 134 – 135 .

والتى أدت إلى إصابة الطرفين بخسائر طفيفة[1].

وتصدى المجاهدون للقوات الإيطالية في وادى القريات إلى الجنوب الشرقى من مراوة بالجبل الأخضر في معركة جرت يوم الرابع من مايو 1925م، ثم قام المجاهدون بخوض معركة "بئر قلود" الذى يقع إلى الشمال الشرقى من زاوية الخروبة بالجبل الأخضر يوم الثامن من مايو 1924 ، ومعركة غوط الذورة الذى يقع على مسافة خمسة عشر كيلومترًا إلى الشرق من تاكنس ، ومعركة زاوية النيان في 11 مايو 1924 م ، والتى تقع إلى الجنوب من مراوة ، ومعركة سيرة المعيزيل في يوم 26 يونيو 1924 ، ومعركة قصر البنية الذى يقع إلى الجنوب الشرقى من المرج في يونيو 1924م، حيث تحركت قوات إيطالية كبيرة من الأبيار ، وسيدى إبراهيم، والمرج للقيام بهجمات على مواقع المجاهدين في منطقة قصر البنية الذين تصدوا لها بكل شجاعة في معركة طاحنة أسفرت عن استشهاد 179 مجاهدًا مع استلاء القوات الإيطالية على ألف رأس من الإبل ، وعشرة آلاف رأس من الماشية.

وتصدى المجاهدون يوم 16 من سبتمبر 1924م للقوات الإيطالية في معركة بمنطقة رقبة الناقة بالقرب من بنينة. وجرت معركة أخرى في 28 ديسمبر 1924 بمنطقة النوقية المحيطة ببنغازى وذلك في إطار العمليات العسكرية التى دارت في سنة 1924م ، بالجبل الأخضر والمناطق المحيطة به.

ونتج عن معارك 1924 استشهاد حوالي 200 مجاهد واستلاء الإيطاليين عى نحو 25 ألف رأس من الأغنام والإبل ، وقتل وجرح عدد كبير من الإيطاليين[2].

وكانت معارك 1924 م تمثل بداية بروز قيادة الشيخ عمر المختار للمجاهدين بمناطق الجبل الأخضر؛ حيث تمكن هذا القائد من إعداد مفارز قتالية أسند قيادتها إلى أبرز مساعديه مثل: يوسف بو رحيل وحسين الجويفي وغيرهما من الزعماء الآخرين الذين امتازوا بمواقفهم البطولية مثل : زعماء العبيدات والحاسة والبراعصة الذين قاموا بالعمل على تثبيت أقدام المجاهدين على سفوح هضاب الجبل الأخضر وخاصة الجنوبية منها لمناعتها، والتى تمكن بواسطتها المجاهدون من التصدى للقوات الإيطالية من مشاة وفرسان ومهاجمة المواقع الإيطالية وقطع خطوط مواصلاتهم على الهضبة السفلى[3] وقام الإيطاليون بالعمل على منع المجاهدين من الاستفادة من التحرك وسط هضبة الجبل الأخضر ذات الأحراج و الوديان العميقة؛ وذلك بتثبيت أقدامهم في شكل قوات تكون كافية وتتخذ لها قواعد ثابتة على حاشية

---

(1) المرجع نفسه ، ص 423 .

(2) محمد لطفي المصرى، تاريخ طرابلس الغرب ، 1946 ، ص68 – 69 .

(3) إيفانز بريتشارد . المرجع السابق ، ص 303 – 304 .

الهضبة لتأمين الاتصالات بين أفراد الحاميات الإيطالية، وإقامة مواقع دفاعية. بالإضافة إلى تحريك قوات أخرى في شكل دوريات من حين لآخر، كانت تقوم بمهاجمة نجوع البادية الخالية إلا من العجزة ، والتى كان يتم قصفها بالطائرات والمدرعات والمدافع الرشاشة الأمر الذى دفع بالمجاهدين إلى نقل معسكراتهم إلى الأطراف الجنوبية من الجبل الأخضر دون الاستقرار في الأطراف الشمالية المقابلة للشريط الساحلى[1] .

وقد ظن الإيطاليون أنهم قد أصبحوا بمأمن عن مهاجمة المجاهدين لمراكز تجمعاتهم الرئيسية في بنغازى والمرج، ودرنة، والبيضاء ، وشحات القريبة من المناطق الساحلية ، ولكن هجمات المجاهدين ظلت متواصلة بالرغم من الأعمال الانتقامية التى كان يتعرض لها سكان الجبل الأخضر بين كل فينة وأخرى ، وخاصة بواسطة الطائرات التى كان من السهل عليها مراقبة تجمعات الأهالي وإجبارهم على النزوح نحو الدواخل بين مراوة والقيقب ذات المياه الوفيرة ، وذات الأراضي غير المستوية التى يصعب على قوات العدو النفاذ إليها والسير فيها باستخدام الآليات بهذه المنطقة.

وقد ساعدت هذه الظروف الطبيعية قوات المجاهدين تحت قيادة الشيخ عمر المختار على إرسال مجموعات صغيرة منهم للقيام بشن هجمات خاطفة على القوات الإيطالية ، ثم تعود لتختفي وسط منطقة وادى الكوف مما جعل قوات العدو الإيطالي تقوم باتخاذ إجراءات عسكرية جديدة لمواجهة أسلوب المجاهدين بإنشاء خط من القلاع العسكرية بمناطق الأبيار ، والمرج ، وشحات لمهاجمة أى تجمع للمجاهدين يشاهد قريب من المواقع الإيطالية بحرق المحاصيل الزراعية ، وإبادة الحيوانات، أو الاستلاء عليها حيث كان رد المجاهدين على الأعمال الانتقامية الإيطالية يتمثل في تجنب مهاجمة القوات الإيطالية الكبيرة ، وملاحقة الدوريات الصغيرة منها ،وتوفير الحماية للعشائر التى تقوم بتزويدهم بالطعام والأموال[2] كما عمل الإيطاليون في سنة 1924 على إقامة قواعد أمامية أخرى لهم بمناطق الجبل الأخضر مثل: جردس الجرارى ، وخولان؛ مما أدى إلى نشوب عدة معارك بهذه المناطق المذكورة خلال شهر أغسطس.

وأمام بروز حركة المقاومة بمناطق الجبل الأخضر تحت قيادة الشيخ عمر المختار بداية من سنة 1923 م، فإن القوات الإيطالية قامت في سنة 1925 م بحشد قوات ضمت 4045 بين ضابط وجندى ، بالإضافة إلى 7594 دابة و104 سيارات وثمانى مصفحات ، ودبابتين لأجل مهاجمة مواقع المجاهدين بمناطق الخروبة ، وغدير أبى عاشر ووادى سمالوس ، وأوبار

---

(1) محمد لطفي المصرى ، المرجع السابق ، ص 88 .

(2) إيريك ساليرنو ، حرب الأبادة في ليبيا ، ترجمة على الصادق حسنين ، دار الجماهيرية، طرابلس – ليبيا ، 1984 م ، ص131 .

بالصفية ، وقصور المجاهير ، والمخيلى ، وبلطة الزلق حيث دارت رحى المعارك الطاحنة بهذه المناطق المذكورة كان من نتائجها تكبد المجاهدين والإيطاليين الكثير من الخسائر، منها: استشهاد 500 مجاهد وأسر 80 مجاهدًا مع استلاء الإيطاليين على 5200 رأس من الإبل و10 آلاف رأس من الماشية و50 بندقية، و350 خيمة لاستخدام الإيطاليين لسلاح الطيران في ملاحقة المجاهدين وإبادة حيواناتهم[1].

رغم استمرار القوات الإيطالية خلال عامى 1924 و 1925 في استخدام الشدة ضد تجمعات المجاهدين وأفراد أسرهم، فإن حركة المقاومة ضد الوجود الإيطالي بمناطق الجبل الأخضر ظلت مستمرة تحت قيادة الشيخ عمر المختار الذى تمكن بفضل قوة شخصيته ، وذكائه المتقد من تحقيق العديد من الانتصارات، ومنع تسرب اليأس إلى الأهالي الذين غرس فيهم حب التضحية في سبيل إعلاء كلمة الله؛ والدفاع عن أرض الوطن مما جعل العدو الإيطالي يجد نفسه في وسط معارك طاحنة شملت سائر أرجاء الجبل الأخضر؛ حيث كان يوجد في كل معسكر للمجاهدين رجال يمتطون خيولهم والبعض منهم بدون فرس – كما كان المعسكر يضم قائد المعسكر أو الدور ، والقاضى الشرعى ، وممول المجاهدين ، والضباط ، وكان الشيخ عمر المختار يمثل القائد الأعلى للمجاهدين الذى يقوم بتوقيع الأوامر ، ويعتمد على مساعدة الشيخ الفضيل بو عمر ، والشيخ يوسف بو رحيل، وغيرهم في إدارة أدوارالمجاهدين[2].

ومن العوامل الأخرى التى ساعدت الشيخ عمر المختار على قيادة المجاهدين لمدة ثمانى سنوات بالجبل الأخضر أنه كان قائدًا محنكًا ومنظمًا بارعًا ولبقًا إلى أقصى حد ، كما أن لنظام مخابراته الأثر الكبير في متابعة تحركات العدو ورفض الدخول معه في المعارك عندما لايكون متأكدًا من النصر بالإضافة إلى وجود جهاز من الرجال الأقوياء حوله لمساعدته على القيام بالأعمال العسكرية ومكافحة التجسس .

وكان عمر المختار يتمتع بمعرفة كاملة بالأراضى وطبيعتها كمنطقة الأحراش الشاسعة ، وكهوف ومنعرجات الجبل الأخضر مما يجعل حركته مع أنصاره سهلة ومأمونة[3].

ونظرًا لانسحاب المجاهدين مع قطعان الماشية الخاصة بهم إلى المناطق الوسطى والجنوبية من الجبل الأخضر في سنة 1925 م فإن القيادة الإيطالية بادرت في سنة 1926 باحتلال الجغبوب ، والتى كانت تمثل موردًا لدعم المجاهدين بالسلاح والتموين والرجال القادمين من الواحات الوسطى والجنوبية كالكفرة أو القادمين من مصر .

---

(1) خليفة محمد التليسى ، معارك الجهاد الليبى من خلال الخطط الإيطالية ، المرجع السابق، ص 69 .

(2) جراتسيانى ، برقة الهادئة ، المرجع السابق ، ص 93 .

(3) رفعت عبدالعزيز ، المرجع السابق ، ص 202 .

وبعد أن اتفقت إيطاليا مع مصر في السادس من ديسمبر 1925 حول تبعية واحة الجغبوب إلى الأراضى الليبية لموقع هذه الواحة قرب الحدود الليبية المصرية. بدأت القوات الإيطالية تستعد لاحتلال الجغبوب بواسطة حملة تضم 91 ضابطًا و731 جنديًا إيطاليًا و1646 جنديًا أريتريًا، وصوماليًا وليبيًا و36 مدرعة آلية، و205 ناقلة للجنود ميكانيكية، و115 دابة من إبل وخيول وبغال، و4 مدافع جبلية و60 مدفعًا رشاشًا، تحت قيادة الجنرال رونكى كما سبقت الإشارة ، وقسمت فيه خطة الاحتلال إلى ثلاث مراحل تتحرك فيها الحملة: من البردية ومن مساعد الواقعيتين إلى الشمال من الجغوب قرب الحدود المصرية في الوقت الذى تقوم فيه أربع كتائب بمراقبة حركة المجاهدين داخل الجبل الأخضر لمنع الشيخ عمر المختار من الزحف مع المجاهدين للدفاع عن الجغبوب وإجباره للبقاء في وضع دفاعى عن معسكرات المجاهدين بالجبل الأخضر مثل معسكرات: البراعصة، والحاسة، والعبيد[1].

وتحركت الحملة الإيطالية باتجاه الجغبوب من إمساعد، ثم تجمعت في منطقة قرن والقرين ليلة الخامس من فبراير 1926 م في الوقت الذى كانت فيه خمس طائرات استكشاف إيطالية تقوم بالتحليق في سماء واحة الجغبوب وتلقى في المناشير على السكان تحثهم على عدم القيام بالمقاومة للجيش الإيطالي القادم إلى الواحة .

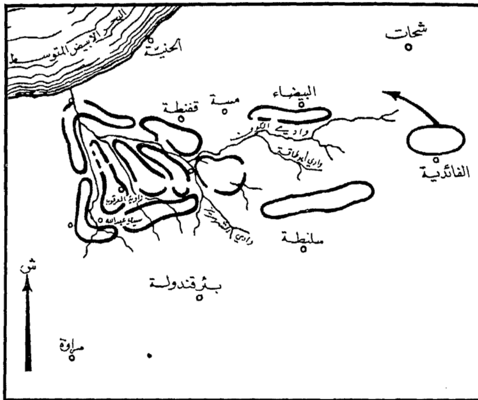
وفي يوم 7 من فبراير 1926 ، دخلت القوات الإيطالية إلى واحة الجغبوب دون معارك ورفع العلم الإيطالي على مبنى الزاوية السنوسية في حضور الشيخ الشارف الغريانى، وهلال السنوسى وتم تعيين الشيخ الشارف الغريانى الموالي لإيطاليا منذ عدة سنوات شيخًا لزاوية الجغبوب بدلاً من الشيخ حسين المراكشى[2].

وكانت إيطاليا ترمى من وراء احتلال الجغبوب تحقيق عدة مكاسب منها منع وصول الإمدادات المادية إلى الشيخ عمر المختار داخل الجبل الأخضر، ومنع عبور المهاجرين الليبيين من الجغبوب إلى مصر: مما دفع بالقوات الإيطالية إلى فرض المزيد من الرقابة على الحدود الليبية المصرية ، وهى إجراءات لم تؤثر على استمرار الاتصالات بين المجاهدين والمصريين اقتصاديًا ولم يجد منه عدا وضع الأسلاك الشائكة على طول الحدود الواقعة بين آم مساعد والجغبوب كما سوف يتم الإشارة إليه .

وفي أعقاب سقوط الجغبوب وجدت القوات الإيطالية المتمركزة بمناطق الجبل الأخضر استمرار شن هجمات على المعسكرات الإيطالية لذا بدأت الحكومة الإيطالية في إتباع سياسة الخداع ضد الشيخ عمر المختار وأنصاره بإرسال بعض الأشخاص إليه؛ لأجل استمالته

(1) جراتسيانى، برقة الهادئة، المرجع السابق، ص 37، خليفة محمد التليسى، معجم معارك الجهاد، المرجع السابق، ص77.

(2) الطاهر احمد الزاوى ، عمر المختار ، المرجع السابق ، ص 27 .



عمليات ومعارك وادي الكوف (٢٦ يوليو - ١ أغسطس ١٩٢٧)
وتمثل الدوائر تحركات القوات المعادية ضد مواقع المجاهدين

بالأموال والوعود التى تحقق له حياة رغدة، ولكن الشيخ عمر المختار رفض هذه الإغراءات فاتجهت إيطاليا للاتصال برؤساء القبائل العربية الذين كانوا يساندون حركة الجهاد مثل: قبائل الحاسة والعبيدات ، والبراعصة ، والدرسة ، والعبيد والعرفة الذين رفضوا دعوة إيطاليا الموجهة إليهم والهادفة إلى الاستسلام غير أن الإدارة الإيطالية ظلت تواصل دعوة زعماء قبائل الجبل الأخضر إلى الأستانة عن الشيخ عمر المختار بإلقاء المنشورات بواسطة الطائرات ، وإرسال الرسل المزودين بالرسائل تدعوهم فيها إلى تسليم أنفسهم إلى إيطاليا ، وعدم استمرار التحالف مع الشيخ عمر المختار حيث وصل مندوب إيطاليا المدعو عبد النبى القبائلى في شهر أكتوبر 1926 إلى قبيلة العبيدات وكان رد العبيدات رفض المطالب الإيطالية ، وأنهم لايخشون التهديد؛ الأمر الذى أدى إلى اندلاع المعارك بين الطرفين تمكن فيها العبيدات من رد القوات الإيطالية على أعقابها بعد أن ألحقوا بها الخسائر الفادحة[1].

وعاودت إيطاليا محاولة استمالة زعماء المجاهدين ظنًا منها بأن البعض منهم على الأقل قد لانت قناعتهم في أعقاب المعركة التى نشبت بين الطرفين.

فقد وصلت وفود إيطالية جديدة محملة بالوعود الكاذبة البراقة والتى أجزلوا فيها العطاءات لمدة ثلاثة أشهر أنتهت بالفشل[2].

وواصل المجاهدون عدم القبول بالدخول في مفاوضات الاستسلام في ظل التهديدات الإيطالية؛ الأمر الذى أدى إلى تصاعد المعارك خلال سنة 1927 ، حقق المجاهدون انتصارات حاسمة في البعض منها كمعركة الرحيبة بالجبل الأخضر التى اندلعت حينما كان المجاهدون قد تحولوا في شهر يناير 1927م إلى المناطق الواقعة في جبل العبيد وهى منطقة خصبة تخوف الإيطاليون من سيطرة المجاهدين عليها، و كانت أعدادهم تزيد على 350 مجاهدًا تحت قيادة الشيخ عمر المختار .

وفي 27 من مارس 1927 ، تحركت قوة إيطالية مكونة من 12 ضابطًا 744 جنديًا تحت قيادة الرائد "باسى" الذى وصل مع رجال حملته إلى منطقة جردس العبيد في صباح اليوم التالى ، ثم واصل زحفه عبر الغابات التى تنتشر بالمنطقة، حيث تصدى المجاهدون لأفراد الحملة الإيطالية عندما أخذت تقترب من أم الجوابى، ثم أخذت تواجه بمقاومة أشد على طول الطريق التى كانت تسلكها القوة الإيطالية حتى بلغت منخفض الرحيبة الذى دارت فيه المعركة الطاحنة والتى نجحت في بدايتهاقوات العدو في احتلال بعض المواقع المرتفعة إلا أن المجاهدين عاودوا شن

---

(1) الطاهر أحمد الزاوى ، المرجع السابق ، ص 85 ، 86 ، رفعت عبدالعزيز ، المرجع السابق ، ص 219 – 220 .

(2) أمين السعيد ، الدولة العربية المتحدة، المرجع السابق، ص 282 – 283 : الطاهر أحمدالزاوى، المرجع السابق، ص85، والذى يشير إلى أسماء الوفود الإيطالية مثل : عبدالقادر بوريدان ، ومحمود بوحامد ، وشعيب بو عزاق في الوفد الأول ، والعلمى لبفارى في الوفد الثانى ، وموسى الفحاصث في الوفد الثالث .

هجومهم المضاد في اتجاه أمامى مع حركة التفاف مما أجبر القوات الإيطالية على الانسحاب، ولكن المجاهدين تصدوا لعملية الانسحاب ، وقاموا بتطويق القوات الإيطالية وعزل بعضها عن بعض وسط حالة من الاضطراب عمت صفوف جنودها الذين ألحقت بهم الهزيمة الساحقة بمقتل ستة ضباط و 306 من الجنود وهو ما يقرب نصف أفراد الحملة[1] .

وبرر الإيطاليون أسباب هزيمة قواتهم في معركة الرحيبة إلى التقدير الخاطئ لقوات المجاهدين تحت قيادة الشيخ عمر المختار الذى قاد هذه المعركة بنفسه ، وإلى المبالغة في تقدير قوة المجندين الليبيين إلى جانب الإيطاليين ، وإلى التردد ، وعدم الوضوح ، والخطأ في اتخاذ قرار الانسحاب فى أثناء المعركة.

وقد اعترف الوالي "تروتسى" بأن معركة الرحيبة كانت تمثل هزيمة نكراء لأفراد القوات الإيطالية التى أنهارت معنوياتها على إثر هذه المعركة[2].

ودفعت معركة الرحيبة بالوالي "تروتسى" إلى إصدار أوامره لأفراد قواته بشن المزيد من الهجمات على المجاهدين للانتقام من الهزيمة التى لحقت بهم بالرحيبة حيث دارت معركة قبر الظاهر يومى 27 و 28 من أبريل 1927 والتى اشتركت فيها أعداد كبيرة من الطائرات الإيطالية مما ألحق الكثير من الخسائر بالمجاهدين[3] ، ومعركة بئر عناقة بوادى الكوف بين يومي 2 و 11 مايو 1927م ، والتى تصدى فيها المجاهدون لقوات ميتزتى الزاحفة من مراوة.

وقد استشهد في هذه المعركة أكثر من 30 مجاهدًا بالإضافة إلى استلاء القوات الإيطالية على مئات الرؤوس من الماشية .

ثم حدثت معركة رأس الجلاد يوم 13 يوليو 1927 ومعركة بئر الزيتونة بالمنطقة الواقعة إلى الجنوب من شحات، حينما خرجت قوة إيطالية تحت قيادة الجنرال ميتزتى قائد هذه القوات بالجبل الأخضر لأجل ملاحقة المجاهدين الذين بادروا بإطلاق النار على أفراد الحملة الإيطالية؛ فنشبت معركة عنيفة استمرت بضع ساعات قتل الإيطاليون فيها من المجاهدين نحو 70 شخصًا ، واستولوا على 300 رأس من الإبل بكل أحمالها مع قتل أكثر من 300 رأس من الإبل في ذلك اليوم بالإضافة إلى جمع بعض البنادق التى كانت بحوزة المجاهدين دليلاً على شدة معركة رأس الجلاد[4].

وبصفة عامة فإن قوات المجاهدين قد تصدت للقوات الإيطالية خلال 1927م في أكثر من

---

(1) خليفة محمد التليسى،معجم معارك الجهاد ، المرجع السابق،ص 79 – 245 – 247.

(2) المرجع نفسه ، ص 246 – 247 .

(3) المرجع نفسه ، ص 405 والذى يشير إليها باسم رأس الظهر بدلاً من الظاهر ، محمد شكرى ، المرجع السابق ، ص279: رفعت عبد العزيز المرجع السابق ، ص226 .

(4) المرجع نفسه ، ص 405 والذى يشير إليها باسم رأس الظهر بدلاً من الظاهر ، محمد شكرى ، المرجع السابق ، ص279: رفعت عبد العزيز المرجع السابق ، ص226 .

ست عشرة معركة وهى :

الرحيبة في 28 مارس ، وأم الجوابى في الشهر نفسه وبئر الزيتون في 27 من أبريل، وحلوق الجير في التاريخ المذكور، وآبار بالتبن في الثانى من مايو، وبئر عافية في 11 مايو، ورأس الجلاد في 13 يوليو ، وبئر الكويفات في 19يوليو وقادرة العدس في 29 يوليو، ووادى الكوف من 26 يوليو إلى الأول من أغسطس، وتاكنس في 11 أغسطس، ووادى سمالوس والخولان في 28 أغسطس، وبلطة الزلق في 13 سبتمبر، وغوط الساس في 13 ديسمبر 1927 (1).

وكانت خسائر الإيطاليين والمجاهدين مرتفعة خلال معارك 1927 م ، ففي الوقت الذى خسرت فيه القوات الإيطالية أكثر من نصف عدد أفراد قواتها الإيطالية التى اشتركت في معركة الرحيبة يوم 28 مارس 1927 م حيث كانت قوات العدو تضم 12 ضابطًا و 744 جنديًا قتل منهم أكثر من 6 ضباط و306 من الجنود بالإضافة إلى الخسائر الأخرى التى لحقت بالقوات الإيطالية فإن قوات المجاهدين تعرضت إلى شن الغارات الجوية، ومن القصف بالمدفعية والدبابات والسيارات المتحركة التى كانت تحمل المدافع الرشاشة؛ مما أدى لإرتفاع الخسائر بين صفوف المجاهدين الذين قدرت أعداد من استشهد منهم خلال سنة 1927 بنحو 1100 مجاهد حيث تم استشهاد200 مجاهد في معركة الخولان بعد أن تصدوا لحوالي سبعة آلاف إيطالي بينما استشهد 70 مجاهدا في معركة بلطة الزلق وخمسة مجاهدين نالوا الشهادة في معركة غوط الساس مع جرح سبعة آخرين منهم في نفس المعركة المذكورة ، وكان من بين شهداء معركة الزوزات حسن الجويفي من قبيلة البراعصة في يوم 13 أغسطس 1927.

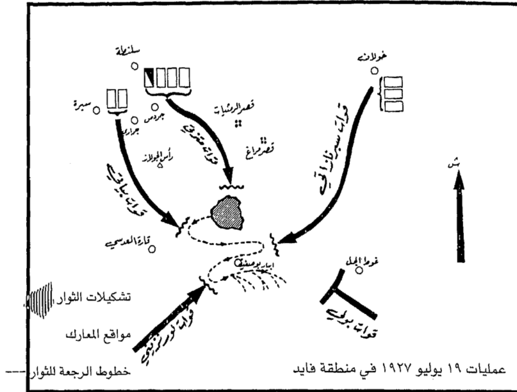
كما قتل 200 مجاهد في معركة الهيرة والعقابة يوم 11 أغسطس 1927م، بالإضافة إلى استشهاد 70 مجاهدًا في معركة الجلاد ، يوم 13 يوليو و30 شهيدا في معركة بئر الزيتون .

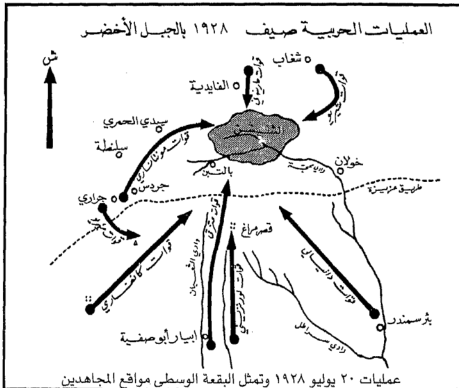
وتمثل معركة الرحيبة أهم المعارك التى لحقت فيها أكبر الخسائر بأفراد القوات الإيطالية العاملة بمناطق الجبل الأخضر سنة 1927، والتى ترتب عنها وقف تحرك القوات الإيطالية لمدة شهر وعزل " باسى" أحد القادة الكبار في الجبل الأخضر خلال 1927 ، كما ترتب عن معركة الرحيبة عمليات انتقام واسعة ، قامت بها القوات الإيطالية ضد المجاهدين وأفراد أسرهم باستخدام الطائرات التى قامت بتعقب نجوع البادية ، ورؤوس الماشية الخاصة بهم بمراعى الجبل الأخضر.

وتواصلت معارك الجهاد خلال سنة 1928 بين المجاهدين تحت قيادة الشيخ عمر المختار في الجبل الأخضر وبين القوات الإيطالية التى كانت تهدف إلى إنهاء حركة المقاومة بالقضاء

---

(1) انظر خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 93 ، 95 ، 111 - 112 ، 156، 163، 187، 212، 226، 235، 245، 363 ، 404 ، 463 ، 516 .


تشكيلات الثوار
مواقع المعارك
خطوط الرجعة للثوار
عمليات ١٩ يوليو ١٩٢٧ في منطقة فايد


العمليات الحربية صيف ١٩٢٨ بالجبل الأخضر
ش
شغاب
الفايدية
سيدي الحمري
سلنطة
خولان
بالتبن
جردس
جراوي
قصر مراغ
بئر سمندر
ابيار أبو صفية
عمليات ٢٠ يوليو ١٩٢٨ وتمثل البقعة الوسطى مواقع المجاهدين

على آدوار المجاهدين ونجوعهم وعدم تمكين هؤلاء المجاهدين من التجمع بناء على أوامر والي برقة الجنرال " تروتسى" وتطبيقًا لسياسة الزعيم "موسولينى" في روما الذى أمر بأن تكون مناطق الجبل الأخضر المخضرة بأشجارها حمراء بالدماء المسفوحة على أرضها[1].

ويصف الجنرال " تروتسى " الإجراءات التى اتخذتها القيادة الإيطالية في سنة 1928م بأنها تميزت بالاستخدام المنسق لجميع القوات المتحركة بالإضافة إلى استخدام القوات المتمركزة في قطاعات قورينا ، والمرجع وغيرها ، وتوزيع البعض منها على حاميات بطريقة يمكن جمعها في طوابير خفيفة ذات قوة كافية لضرب قوات المجاهدين بالإضافة إلى تشكيل قوتين متحركتين في جردس العبي ومراوة في الوقت الذى تم فيه توفير الحماية التامة للمواقع الإيطالية في أبى غسال وقصور المجاهير ، وبئر القندولة التى كان المجاهدون قد اتخذوا من هذه المواقع مراكز هجومية لهم .

وعمل والى برقة الجنرال " تروتسى " على إثارة المذابح الدموية، والتى أطلق عليها فجوة الدم بين المجاهدين من جهة والسكان الخاضعين للقوات الإيطالية ، من جهة أخرى للقضاء على ظاهرة التعايش بينهما ، كما حدث في يوم 29 من نوفمبر 1928 م ، حينما قام المجاهدون بمحاصرة أهالي البراعصة الخاضعين للقوات الإيطالية ، بمنطقة سلنطة ومهاجمتهم بكل قوة مما أدى إلى قتل 33 شخصًا وجرح 35 شخصًا آخرين مع فقد معظم حيواناتهم[2].

ويعترف الجنرال " تروتسى " باستمرار حركة مقاومة المجاهدين بمناطق الجبل الأخضر وخارجه خلال سنة 1928 ، وأسفرت عن عدة معارك مثل: معركة الحسيات في الأول من فبراير 1928 م ، والتى استهدفت إيطاليا منها ضمان وصل ولاية طرابلس الغرب بولاية برقة، وأسفرت هذه المعركة عن استشهاد 27 مجاهدًا ، وأسر امرأة ، والاستلاء على خمسين جملاً و300 رأس من الماشية ، وثمانى بنادق كانت بحوزة المجاهدين[3].

وفي 14 فبراير 1928 اندلعت معركة بين قوة من المجاهدين والقوات الإيطالية قرب بلدة إمساعد الكائنة بجوار الحدود المصرية ولم تشر المصادر الإيطالية إلى أية خسائر تذكر[4].

وخاضت القوات الإيطالية معركة حامية يوم 14 مايو 1928 م بمنطقة "رأس الزوى" في جنوب الفايدية بالجبل الأخضر على إثر خروج الكتيبة الأريترية العاشرة في عملية ملاحقة

---

(1) أتيليو تروتسى . برقة الخضراء ، المرجع المذكور ، ص 15. والذى قام بينيتو موسيليني بكتابة المقدمة له أعرب فيها عن سروره باستعراض العمليات العسكرية التى جرت فى الجبل إلى جانب الإشارة إلى المشروعات الأخرى التى تمت فى عهده.

(2) تروتسى . المرجع السابق ، ص 234 .

(3) خليفة محمد التليسى ، معجم معارك الجهاد . المرجع السابق ، ص 229 . والذى يشير إلى ان معركة الحسيات قد وقعت إلى الشرق من إجدابيا .

(4) المرجع نفسه ، ص 508 .

لعناصر حركة المقاومة بالمنطقة الواقعة بين وادى محجة وغابة الشنيشن ولكن المجاهدين تصدوا لهذه القوة في محاولة منهم لتطويقها والالتفاف حولها ، ولم تتمكن القوة الإيطالية من فك الطوق إلا بعد معركة حامية استمرت خمس ساعات تكبدت فيها قوات الطرفين أفدح الخسائر في الأرواح[1].

ثم كانت معركة " بئر جين" التى جرت يوم 28 من مايو 1928 في شرقى طبرق قرب الحدود المصرية، حيث اصطدم المجاهدون بالقوات الإيطالية في معركة بالسلاح الأبيض، استمرت أكثر من ساعة بين الفريقين كان فيها المجاهدون يتولون حراسة قافلة قادمة من مصر ، وتتكون من مائة جمل تحت حراسة ثمانين، مسلحًا قُتل منهم في هذه المعركة اربعون مجاهدًا ، وخسر المجاهدون أحدى عشرة بندقية ، وقُتل خمسين جملاً ، واستلاء الإيطاليين على عشرين رأسًا من الإبل ، وعلى ثمانين قنطارًا من السكر مقابل جنديين قناصين، وجنديين آخرين من القمصان السود الخاصة[2].

وفي قصر أبى حسان الذى يقع إلى الجنوب الشرقى من خولان في الجبل الأخضر خاض المجاهدون معركة طاحنة يوم الثانى من يوليو 1928م في أعقاب معركة معطن الشنيشن ، ووادى محجة وأسفرت هذه المعركة عن استشهاد 16 مجاهدًا ، ونهب كل حيوانات الأهالي القاطنين بالمنطقة[3].

كما خاض المجاهدون معركة طاحنة أخرى في اليوم الرابع من يوليو بمنطقة عين الغزالة فى أثناء قيام قوة إيطالية بتفقد المنطقة الواقعة بين عكرمة والبحر إلى الغرب من طبرق .

وقد اصطدمت القوة الإيطالية المكونة من 23 شخصًا بين جنود إيطاليين ومجندين ليبيين مع قوة من المجاهدين تتكون من 15 شخصًا ، ودارت معركة عنيفة أسفرت عن مقتل عدة أشخاص من بينهم 10 مجاهدين.

وجرت معركة أخرى بمنطقة بئر قراصة بالقرب من الحدود الليبية الشرقية ضمن العمليات العسكرية التى تهدف القوات الإيطالية من ورائها منع وصول الإمدادات إلى المجاهدين عن طريق مصر؛ ففي يوم 16 يوليو 1928 حدثت هذه المعركة التى لم تسفر عن خسائر تذكر[4].

وكانت معركة " قندولة " التى تقع بنحو 15 كيلو مترًا إلى الجنوب الغربى من سلنطة قد

---

(1) المرجع نفسه ، ص 239 ؛ تروتسى ، المرجع السابق ، ص 238 والذى يعترف بأن خسائر القوات الإيطالية كانت مقتل ثلاثة عشر جنديًا وجرح خمسة وخمسين جنديًا آخرين ، بينما خسر المجاهدون نحو 100 مجاهد بين شهيد وجريح .

(2) المرجع ، نفسه ، ص 151 : تروتسى ، المرجع السابق ، ص 239.

(3) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 414 .

(4) المرجع نفسه ، ص 170 .

جرت في الحادى عشر من آغسطس 1928م ، على إثر قيام القوات الإيطالية بمهاجمة المجاهدين وأفراد عائلاتهم باستخدام الغارات الجوية والقوات البرية في مطاردة المجاهدين الذين تعرضوا لإلقاء القنابل بكل وحشية في الوقت الذى كانت تجرى فيه معركة قبر الظهر بالمنطقة الواقعة شمال شرق مراوة يوم 11 أغسطس 1928 ، على إثر قيام القوات الإيطالية بملاحقة تجمعات المجاهدين في المنطقة[1] .

واستمرت المعارك بين المجاهدين والإيطاليين سنة 1928 م سواء داخل مناطق الجبل الأخضر أو في خارجه كما حدث في الثالث من أكتوبر عندما تمكنت القوات الإيطالية من تطويق قافلة البراعصة بينما كانت تحاول الدخول إلى مصر ، وآسفرت المعركة عن استشهاد 31 شخصًا من رجال القافلة بالإضافةإلى أسر 21 شخصًا آخرين مع استلاء الإيطاليين على 50 جملاً و4 بنادق وقعت غنائم بأيدى العدو الذى تعمد عدم ذكر خسائره[2].

وفي 13 ديسمبر 1928 تعرضت قوة إيطالية بمنطقة المرج تضم 34 جنديًا من أفراد القمصان السود إلى هجوم عنيف من المجاهدين فى آثناء إجتيازها لغابات الوادى الذى يربط بين غوط الساس وبين جردس العبيد مما أدى إلى سقوط عدد من الجنود الإيطاليين بين قتيل وجريح ، بينما أخذ الناجون بأنفسهم من رصاص المجاهدين بالرد على النار لمدة أربعين دقيقة مما آدى إلى استشهاد 7 مجاهدين ، وقتل 5 إيطاليين وجرح 12 جنديًا آخرين[3].

وهاجمت القوات الإيطالية ، مجموعات كبيرة من أفراد عائلات المجاهدين عندما توقفوا في منطقة البلط جنوبى الجشة فى آثناء حضور اجتماع موسع مع الشيخ عمر المختار الذى حضر إلى الموقع المذكور رفقة 200 مجاهد ولكن الطائرات الإيطالية تمكنت من رصد تجمعاتهم، وأعطت معلومات إلى قيادة الجيش بوجود التجمع الكبير الذى إنطلقت إليه ثلاثة طوابير من الشمال بالتحول نحو منطقة البلط بينما وصلت قوات إيطالية من الجشة وأخرى إلى زاوية المسوس تحت قيادة " لورنزينى " كما تمكنت المصفحات الإيطالية بتوجيه من الطائرات من مفاجأة المجاهدين بين غدير آبى عسكر وبلطة الزلق بمهاجمتهم وارغامهم على الانسحاب باتجاه عقيرة الشعفة .

ونتج عن هذه المعركة الخاطفة مقتل 4 جنود إيطاليين واستشهاد 200 مجاهد ، واستولى الإيطاليون على نحو 2000 جمل وجمع ما يقرب من 60 بندقية .

ويدعى الوالي " تروتسى " أن عدد الأشخاص الذين ماتوا متأثرين بجراحهم في معركة

---

(1) المرجع نفسه ، ص 172 - 405 .

(2) تروتسى ،المرجع السابق ، ص 234 .

(3) المرجع نفسه ، ص. 235 ، 236 .

عقيرة الشعفة قد بلغوا فيما بعد حوالي 400 شخص وهو رقم لايخلوا من المبالغة والتى جعل منها هذا الوالي دعاية كبيرة لأعماله في برقة خلال وجوده بين سنتى 1926 و 1929م .

وكان الوالي "تروتسى" قد أعطى إشارات هامة لعدد من المعارك والاشتباكات التى حدثت في سنة 1928 دون أن تتم الإشارة إليها في معجم معارك الجهاد في ليبيا[1].

وقال "تروتسى" إن القوات الإيطالية تحركت باتجاه غابة معطن شنيشن يوم 12 يونيو 1928 م ، ولكن المجاهدين الذين قدرت أعدادهم بحوالي ثلاثمائة مجاهد تصدوا للقوات الإيطالية في معركة عنيفة تعرض فيها الطرفان للخسائر الفادحة ، وقام المجاهدون بإجلاء أفراد عائلاتهم من المنطقة بالتحول إلى مصر أو إلى المناطق الشرقية من الجبل الأخضر بينما تحصن المجاهدون داخل المناطق الواقعة بين غابة الشنيشن ، والقطة ، ووادى محجة ، وعقدوا العزم على القيام بمقاومة عنيفة[2].

وكانت المعركة التى دارت يوم 30 من يونيو 1928م ، تمثل أكبر المعارك التى دفعت فيها القوات الإيطالية بأعداد كبيرة من أفرادها؛ لأجل شن هجمات على مواقع المجاهدين وملاحقتهم في منطقة غابات الشنيشن ، وفي خارجها حيث تمكنت من اللحاق بجماعة منهم قرب قصر بوحسن بمنطقة العبيدات رفقة حيواناتهم؛ مما أدى إلى استشهاد 16 مجاهدًا، كما تمكنت القوات الإيطالية في يوم 16 من يوليو 1928 م من ملاحقة جماعة البراعصة قرب إمساعد مما أدى إلى إطلاق المدافع الرشاشة عليها وقتل 9 أفراد من الليبيين الذين كانوا يتحركون باتجاه الحدود المصرية[3].

وتعرضت قافلة من المجاهدين في الثامن من أغسطس 1928 م إلى هجوم من القوات الإيطالية المصفحة بين بلدتى مسوس والمخيلى، وقد شاركت الطائرات في المعركة التى ساهمت في تعرض القافلة إلى التدمير وقتل 11 شخصًا من أفرادها وإلي مقتل ما يقرب من 400 جمل .

ثم قامت قوات "بيانى" بمباغتة قوة من المجاهدين قرب بئر قندولة يوم 11 من أغسطس 1928 ، وقتل ثمانية من المجاهدين في الوقت الذى قامت فيه قوات "كانيفارى" و"مورماركو" و"توريلى" بشن هجمات على مجاهدى دور العبيد يوم 13 من أغسطس 1928 م؛ مما أدى إلى استشهاد تسعة مجاهدين والاستلاء على 8 بنادق، وقتل 180 جملاً[4].

وتمكنت القوات الإيطالية ، من خلال معارك سنتى 1927 و 1928 ، من استكمال احتلال

---

(1) تروتسى ، المرجع السابق ، ص 235 ، 236 .

(2) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، والذى اعتمدنا عليه كثيرًا في تتبع حركة المقاومة .

(3) المرجع نفسه ، ص 244 .

(4) المرجع نفسه ، ص 245 .

مواقع هامة بمناطق الجبل الأخضر مثل : الهيرة والعقابة ، وتاكيس ، وقصر مراغ خلال شهر آكتوبر 1928 م .

وأن هذه المواقع لاتبعد كثيرًا عن المواقع الإيطالية الآخرى في زاوية الخروبة ، وزاوية النيان بالإضافة إلى قصر مراغ ، وجردس الجرارى ، وبلقس، وخولان ، والتى تحيط بغابة الشنيشن مقر الشيخ عمر المختار ، والمجاهدين لعدم قدرة القوات الإيطالية على دخولها حتى ذلك الوقت[1] .

أما عن حركة الجهاد خلال سنة 1929 م بمنطقة الجبل الأخضر فإنها كانت محدودة لأسباب منها:

أولاً : شدة الهجمات التى تعرض لها المجاهدون وأفراد قبائلهم وثروتهم الحيوانية دون تمييز ، وهى كانت ضربات مؤثرة .

ثانيًا: لجوء القوات الإيطالية إلى محاصرة مواقع المجاهدين، وحصرهم داخل مناطق الغابات مثل غابة الشنيشن .

ثالثًا: تضييق الخناق على قوافل المجاهدين المتجهة إلى مصربضرب هذه القوافل بواسطة الطائرات والمدافع الرشاشة .

رابعًا: بدء الاتصالات بين الإيطاليين والمجاهدين تحت قيادة الشيخ عمر المختار من أجل الوصول إلى صلح قد ساعد على الحد من الهجمات في أعقاب التطورات التى شهدتها مناطق الجبل الأخضر والتى تعرضت فيها مراكز المجاهدين ونجوع البادية إلى هجمات إيطالية انتقامية باستخدام الآلة الحربية المتطورة .

خامسًا: اشتداد المعارك التى كان يدور رحاها داخل المناطق الوسطى والجنوبية من الأراضي الليبية مثل معارك: بئر علاق، وكاف المتكية ، ومعركة بئر الشويرف، وأبو آثلة قرب أوجلة، وآم الخيل / وأم الريش، وأم العبيد ، وأم ملاح ،وبئر آبى جدارية ، وبئر الزيدن ،وبئر العلقة ، وبئر العياط ، وعين زقوط، وقارة تسلمت ، وقيرة وغيرها من المعارك الأخرى التى تمت الإشارة إليها والتى حالت دون وصول المساعدة إلى مجاهدى الجبل الأخضر .

وتتمثل معركة بئر كتيتات والجشة والفائدية، ووادى النغار ، وعقيرة الشعفة، وقدر بن قدم، ووادى مراغ آهم المعارك التى دارت في سنة 1929 م قبل وبعد مؤتمر سيدى رحومة .

ففي التاسع من يناير قامت قوة إيطالية تحت قيادة الجنرال " ميتزتى " بشن هجوم على

---

(1) المرجع نفسه ، ص 245 ، 246 ، والذى يشير إلى معارك أخرى جرت بالجبل الأخضر كالتى تمت من 12 إلى 15 ديسمبر بمنطقة العبيد والتى تسببت في استشهاد أحد عشر مجاهدًا واستيلاء القوات الإيطالية على 30 رأسًا من الأبقار ، و50 جملاً ، و1700 راس من الماشية .

مواقع المجاهدين بمنطقة بئر كتيتات اسشتهد فيه 38 مجاهدًا بالإضافة إلى أسر بعض النساء والأطفال والاستلاء على مئات من رؤوس الإبل والأغنام ، كما تعرض المجاهدون المتمركزون بمنطقتى الجشة والفائدية إلى هجوم خاطف من طرف القوات الإيطالية بين 7 و20 من يناير 1929 . مما أدى إلى استشهاد 80 مجاهدًا واستلاء قوات العدو على 27 بندقية، و140 جملاً و26 رأسًا من الأبقار ، و9 خيول مقابل مقتل جنديين إيطاليين وجرح أحد عشر جنديًا آخرين[1].

ثم خاض المجاهدون معركة وادى النغار يوم 13 مارس 1929 م والذى يقع إلى الجنوب الشرقي من مرادة بحوالي 35 كم ، ومعركة عقيرة الشعفة في يوم 31 من مارس 1929 ، والتى استخدم فيها الإيطاليون الطيران على نطاق واسع لضرب مضارب المجاهدين في شكل 194 عملية جوية آسفرت عن سقوط 300 شهيد .

وقتل 6000 رأس من الإبل ، و14,000 رأس من الماشية ، وحرق 500 خيمة مع قتل 65 رأس من الخيول ، واستلاء الإيطاليين على 110 من قطع الأسلحة التى كانت في حوزة المجاهدين ، وأسروا نحو 80 شخصًا[2].

وأن هذه الخسائر المرتفعة في الأرواح البشرية والحيوانات تدل على مشاركة سلاح الطيران الإيطالي بكل قوة في قصف نجوع البادية دون التفريق بينهم وبين مراكز المجاهدين التى تكون محمية بأنواع من الأسلحة المضادة للطائرات تكون في بعض الأحيان قادرة على إسقاطها أو إجبارها على الفرار من سماء المنطقة كما حدث في وادى المراغ يوم السادس من سبتمبر 1929 م عندما آسقط المجاهدون طائرة إيطالية من نوع (SAV) عندما كانت تقوم بمهمة استكشاف في سماء المنطقة القريبة من الحدود المصرية .

وساعدت نتائج معركة عقيرة الشعفة ذات الخسائر الفادحة بين صفوف المجاهدين وسكان البادية دون تمييز إلى موافقة الشيخ عمر المختار على طلب السلطات الإيطالية المتعلق بإجراء المفاوضات السلمية معه.

مفاوضات صلح سيدى رحومة 1929 م:

كانت إيطاليا قد أخذت ترفض الدخول في مفاوضات مع زعماء المجاهدين منذ بدء حرب إعادة الاحتلال في سنة 1922 م بل أنها قامت بالقبض على الكثير منهم، وإعدامهم كما حدث للهادى كعبار وابنه محمد اللذين تم القبض عليهما في غريان سنة 1922م وإعدامهما بمصراتة سنة 1923 م ومثل غيرهما من زعماء الجهاد الآخرين الذين غدر الولاة الإيطاليون بهم؛ بعد أن

---

(1) تروتسى ، المرجع السابق ، ص 254 : خليفة محمد التلسيى ، المرجع السابق ، ص 173 .

(2) خليفة محمد التليسى، المرجع السابق ، ، ص 362 ، 525 .

كانوا قد وقعوا مع السلطات الإيطالية على عدة اتفاقات للصلح مثل : الزويتينة 1916، وعكرمة 1917 م ، وصلح بنى آدم1919م ، والرجمة 1920 ، وأبو مريم 1921م ، وفندق الشريف 1922 م والتى سبق الإشارة إليها في حينها.

وتمثلت السياسة الإيطالية فى أثناء الحرب لإعادة الاحتلال في رفع شعار : لا مع الزعماء ولاضد الزعماء ولكن بدون الزعماء في تطبيق سياسة فرق تسد ، واستخدام القوة العسكرية لأجل القضاء على المجاهدين[1].

ولكن لماذا دخلت إيطاليا في مفاوضات مباشرة مع الشيخ عمر المختار في سيدى رحومة؟

إن إيطاليا كانت تهدف من وراء عقد اجتماعات مؤتمر الصلح في سيدى رحومة بالجبل الأخضر إلى كسب الوقت في أعقاب تعيين الجنرال "بادوليو" كحاكم عام على ليبيا مع بداية سنة 1929 م والذى كان يعمل من أجل القضاء على حركة المقاومة نهائيًا في الأراضي الليبية، وإقناع الرأي العام العالمى والإيطالي باستنفاذ الوسائل السلمية ولم يبق إلا الحل العسكرى الذى كان يؤمن به قادة الحزب الفاشستى .

وكان الشيخ عمر المختار يمثل أبرز زعماء حركة الجهاد خلال سنة 1929م ، سواء داخل مناطق الجبل الأخضر أو في غيرها من المناطق الليبية الأخرى؛ حيث كان هذا الشيخ قد التحق بصفوف المجاهدين منذ بداية الغزو الإيطالي في 29 من سبتمبر 1911 م بانضمامه إلى المدافعين عن بنغازى ، والمساهمة في تأسيس معسكر (دور) بنينة القريب من بنغازى ، وبرزت شخصية الشيخ عمر المختار أكثر في نهاية 1922 م عندما تولى قيادة الجهاد بالجبل الأخضر في أعقاب مغادرة محمد إدريس للأراضي الليبية باتجاه مصر بحجة العلاج[2].

وصمم الشيخ عمر المختار على مواصلة الجهاد بالرغم من التغيرات الساسية الهامة في إيطاليا بتولية الحزب الفاشستى السلطة في روما الذى قرر إخماد حركة المقاومة الليبية بمختلف وسائل العنف والإرهاب .

وقام الشيخ عمر المختار بتنظيم معسكرات (أدوار) المجاهدين وجعل لكل منطقة معسكر خاص بها، وخصص له قائد، ومجلس للقيادة، وإدارة مدنية تخضع كلها لقيادة الشيخ عمر المختار.

وسافر الشيخ عمر المختار إلى مصر في أوائل سنة 1923م بهدف جمع المساعدات المالية والعسكرية ، واجتمع بإدريس السنوسى في الخصوص ولكنه لم يتحصل منه على شئ وهو ما آكدته الرسالة الموجهة من الشيخ عمر المختار، ويوسف بو رحيل المسمارى ، وعلى العبيدى

---

(1) خليفة محمد التليسى ، بعد القرضابية ، المرجع السابق ، ص238 .

(2) عقيل البربار وآخرون ، عمر المختار ، المرجع السابق ، ص 66 – 67 .

بتاريخ 15 رجب 1342 هـ إلى الشيخ أحمد الشريف[1].

وأشار الشيخ عمر المختار ومرافقيه في رسالتهم إلى الشيخ أحمد الشريف بأنهم بالرغم من عدم حصولهم على يد المساعدة فإنهم رجعوا إلى الوطن، وقطعوا على أنفسهم عهدًا بعدم الاستسلام للعدو وقالوا: "سوف ندافع عن أنفسنا وديننا ووطننا إلى آخر قطرة من دمائنا ، ولكن نحتاج إلى المساعدة بكل شئ :بالسلاح والعتاد ، والنقود ، والأرزاق والكساوى .. فالله الله " الغوث الغوث .. العجل العجل .. بما تستطيعون بقليل أو كثير[2].

ومنذ عودة الشيخ عمر المختار من مصر في شهر أبريل 1923 م تعرض إلى الكثير من المؤامرات الإيطالية سواء في شكل شن هجمات غادرة كما حدث في 23 من أبريل 1923 عندما كان راجعًا إلى وطنه من مصر نصبت له القوات الإيطالية كمينًا بمنطقة " بئر الغبى" تمكن فيها الشيخ عمر المختار مع المجاهدين من هزيمة القوة الإيطالية ، كما نجح الشيخ عمر المختار في مقاومة الإغراءات الإيطالية الموجهة له بفرض مبالغ مالية له؛ لأجل أن يتخلى عن الجهاد والمتمثلة في إصدار مرسوم بتاريخ 15 أغسطس 1923م تعترف فيه الحكومة الإيطالية بالشيخ عمر المختار شيخًا لزاوية القصور بمرتب 900 فرنك شهريا، ولكن الشيخ المذكور رفض العرض الإيطالي كما رفض غيره من العروض الأخرى ، كما قامت السلطات الإيطالية بعرض مبلغ وقدره خمسون ألف ليرة إيطالية كمرتب شهرى للشيخ عمر المختار الذى قام برفض العرض من جديد، ثم للمرة الثالثة يقوم الشيخ المذكور بالامتناع عن قبول ظرف مملوء بالنقود سلمه له أحد عملاء إيطاليا في 19 يونيو 1929 [3].

ولما لم تفلح السلطات الإيطالية في استمالة الشيخ عمر المختار بالمال؛ فإنها قامت بدعوته إلى حضور المباحثات المباشرة وغير المباشرة بعد أن تعرض لعدة ضغوط من طرف بعض الزعماء المحليين الذين نجح الإيطاليون في استدراجهم بهدف تشتيت وحدة صف المجاهدين الأمر الذى دفع بالشيخ عمر المختار إلى حضور الاجتماعات التى عقدت مع الإيطاليين في منزل " على العبيدى " يوم 8 من شوال 1347 هـ ، ويوم 18 من شوال من الشهر نفسه ، ثم الاجتماع الذى عقد بمنطقة الشليوني ، يوم 25 من شوال من الشهر ذاته ، والاجتماع الرابع الذى عقد في قندولة يوم الثامن من ذى الحجة 1347 هـ ،والاجتماع الخامس في 20 من الشهر

---

(1) انظر نص الرسالة الهامة التى أوردها إدريس الحريرى ، في كتاب عمر المختار نشأته وجهاده ، ص 68 – 69 والذى جاء فيها : ذهبنا إلى مصر ولحقنا بالأمير إدريس وطلبنا منه إغاثتنا ومساعدتنا بأي صفة كانت ، فقال لنا : "والله ما نقدر مساعدتكم بشئ ودبروا أنفسكم وعندكم أخونا الرضا روحو عنده ، فرجعنا من عنده ودموعنا على خدودنا تتعثر في طريقنا إنّا لله وإنّا اليه راجعون .

(2) المرجع نفسه ، ص 69 .

(3) المرجع نفسه ، ص 70 – 72 .

نفسه ، والاجتماع السادس في 28 من الشهر المذكور ، والاجتماع السابع الذى حضره حاكم ليبيا العام بمنطقة سيدى رحومة[1].

وآن أهم هذه الاجتماعات هى التى عقدت بجوار الولى سيدى رحومة بالجبل الأخضر والتى بدآت عندما كلف متصرف المرج الكولونيل " باريلا " من طرف الوالي " بادوليو " بأن يتصل بالشيخ عمر المختار ويطلب منه تحديد موعد للتباحث معه بشأن وقف القتال خلال شهر مارس 1929م ، حيث حُمِّل المتصرف المذكور "موسى المسمارى" برسالة سلمها إلى الشيخ عمر المختار يوم 30 من رمضان 1347 هـ[2].

ثم تسلم الشيخ عمر المختار في يوم 3 شوال 1347 هـ رسالة من "دود ياتشى" متصرف درنة . يدعوه فيها إلى عقد اجتماع معه بمنزل على باشا العبيدى الذى قبل بأن يكون بيته مكاناً للاجتماع عقد في الثامن من الشهر المذكور وحضره إلى جانب المتصرف، دود ياتشى "السنيور لوبلو" وعرض المتصرف على الشيخ عمر المختار تقديم رواتب شهرية له ولأتباعه مقابل تسليم الأسلحة والقبول بالحكم الإيطالي ، وهو ما رفضه الشيخ عمر المختار ، وانفض الاجتماع دون نتيجة مما جعل المتصرف المذكور يطلب عقد اجتماع جديد يوم 25 من شوال 1347هـ في الشليونى ، وقد استجاب الشيخ عمر المختار لدعوة " باريلا " الذى جاء لجس النبض ومحاولة القيام بإقناع الشيخ عمر المختار بقبول رغبة إيطاليا في مشاورته فيما يتعلق ببعض القضايا العربية مقابل راتب قدره خمسون ألف ليرة إيطالية، ولكن الشيخ عمر المختار رفض العرض الإيطالي قائلاً: إن البحث يجب أن يكون حول قضيتنا الوطنية كاملة غير منقوصة[3].

واجتمع الشيخ عمر المختار يوم الثامن من ذى الحجة 1347 هـ مع السنيور " سيشليانى " نائب الجنرال " بادوليو" الوالي العام في ليبيا بمنطقة قندولة قرب سيدى رويفع الأنصارى ، وحضر الاجتماع من الجانب الإيطالي إلى جانب "بادوليو" كل من " باريلا " و " كابنانى " وعدد من الضباط وبعض المتعاونين من الأعيان مع إيطاليا ، وقام كل طرف بتقديم مطالبه إلى الطرف الآخر ، ولم تطل مدة الاجتماع لخوف المجاهدين من الإيقاع بالشيخ عمر المختار على إثر مشاهدتهم للقوة الكبيرة التى كانت ترافق الوفد الإيطالي[4].

ثم عقد اجتماع آخر يوم 20 من ذى الحجة 1347 هـ وحضره " دودياتشى "و"لوبالو " " وقد شرح الشيخ عمر المختار مطالب المجاهدين وحمل إيطاليا مسئولية فشل المفاوضات السابقة .

---

(1) عقيل البربار وآخرون ، المرجع السابق ، ص 298، 299 .

(2) الطاهر أحمد الزاوى ، عمر المختار ، المرجع السابق ، ص 125 / محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية بين الأمس واليوم ، المرجع السابق ، ص463 .

(3) محمد الأشهب ، المرجع السابق ، ص 463 .

(4) الطاهر أحمد الزاوى ، المرجع السابق ، 462 – 463 .

وفي 28 من الشهر نفسه اجتمع الشيخ عمر المختار مع الجنرال "شيشلياني" نائب الوالي ومعه "دودياتشي" و"باريلا" حيث قام الشيخ عمر المختار بتقديم مطالب المجاهدين والمتمثلة في النقاط العشرة التالية :

أولاً : أن يحضر مندوب من طرف الحكومة المصرية، ومندوب من طرف الحكومة التونسية ليشهدا الشروط التى تتفق عليها ، ويكون ناقض العهد منا مسؤولاً أمام العالم بشهادتهما.

ثانيـًا: لاتتدخل الحكومة الإيطالية في أمور ديننا كما أن لنا الحق في تأديب كل من يخرج عن الدين أو يهزأ بتعاليمه ، أو يتهاون في القيام بواجباته .

ثالثـًا: أن تكون اللغة العربية معترفًا بها رسميًا في دوائر الحكومة الإيطالية .

رابعـًا: أن يكون الموظفون من الوطنيين والإيطاليين .

خامسًا: أن تفتح مدارس خاصة يدرس فيها التوحيد والتفسير والحديث ، والفقه، وسائر علوم الدين .

سادسًا: أن تفتح مدارس لتعليم اللغة العربية والإيطالية على السواء وإلا يحرم المواطنون من التعليم العالى، ويلغى القانون الذى وضعتموه في السنة نفسها بعدم المساواة في الحقوق بين الوطنى والإيطالي إلا إذا تجنس بالجنسية الإيطالية

سابعًا: آن تكون إدارة الأوقاف تحت تصرف هيئة مسلمة بإشراف رئيس مسلم ويكون لها نظار مسلمون .

ثامنـًا: أن ترجع الحكومة جميع الأملاك التى تم اغتصابها من الأهالي.

تاسعًا: أن يكون للأمة رئيس منها تختاره بنفسها ، ويكون لهذا الرئيس مجلسًا من كبار الأمة له حق الإشراف على مصالحها ، كما يكون للقاضى القول الفصل بين الوطنيين .

عاشرًا: أن نكون أحرارًا في حمل السلاح على اختلاف أنواعه كما يكون لنا حق جلبه من الخارج إذا امتنعت الحكومة الإيطالية عن بيعه لنا(1).

وآثارت مطالب المجاهدين تحت قيادة الشيخ عمر المختار بمناطق الجبل الأخضر مخاوف السلطات الإيطالية، التى رأت فيها تقويض لجهودها الرامية إلى فرض السيطرة الاستعمارية الكاملة على الأراضى الليبية، وخاصة آن القوات الإيطالية تخوض في أعنف المعارك داخل المناطق الوسطى والجنوبية من ليبيا خلال سنة 1929 م.

---

(1) الطاهر أحمد الزاوى،المرجع السابق ، ص 130؛رفعت عبد العزيز، المرجع السابق، ص 418 - 419 64 : جراتسيانى، برقة الهادئة ، المرجع السابق ، ص 45 .

وعملت مطالب إيطاليا على القيام بخلق بذور الانقسام بين صفوف المجاهدين بالإفراج عن الرضا السنوسى الذى كان منفيًا إلى جزيرة أوستيكا في جنوب إيطاليا بعد أن تم دعوته لإجراء مفاوضات بمدينة بنغازى مع الوالي "تروتسى " وكان لوصول محمد الرضا السنوسى إلى بنغازى يوم 31 من ديسمبر 1929 م بأمر من الحكومة الإيطالية الأثر المباشر في استمرار سياسة التضليل والخداع الإيطالية لأجل نشر البيانات الكاذبة بين المجاهدين.

ونظرًا لأهمية المفاوضات التى كانت تدور بين الشيخ عمر المختار والإيطاليين فإن المارشال "بادوليو" قام بحضور الاجتماع الذى جرى بمنطقة سيدى رحومة يوم الخامس من محرم 1348 هـ، (19 من يونيو 1929 م) وهو موقع اختاره الشيخ عمر المختار ويقع بمتصرفية المرج التى يسيطر عليها المجاهدون.

وحضر إلى جانب الشيخ عمر المختار الشيخ الفضيل بو عمر قائد منطقة درنة ، وحسن محمد الرضا السنوسى ، الذى كان يمثل المفتش العام للمجاهدين في حين كان يمثل الشيخ عمر المختار نائب الوكيل العام محمد الرضا السنوسى الذى سبق نفيه إلى إيطاليا .

كما حضر الاجتماع من المجاهدين شخص يمثل كل قبيلة من قبائل الحرابى كمستشار بينما كان الوفد الإيطالي برئاسة المرشال " بادوليو " الحاكم العام لليبيا، وعضوية الجنرال "سيشليانى" نائب الحاكم العام في برقة ، والسنيور دودياتشى والسنيور "باريلا" إلى جانب الشارف الغرياني الموالي لإيطاليا مع بعض الزعماء الآخرين .

وتحدث في بداية الاجتماع المارشال "بادوليو" الذى لم يشر قط إلى شروط المجاهدين المقدمة في الجلسة السابقة ، بل أنه أدعى أنه قد أتى للاتفاق مع المجاهدين على ما يكفل راحة البلاد ولتضع حدًا لهذه الحروب التى منعت البلاد من العمران ، وقد أدرك الشيخ عمر المختار أن المرشال يوجه الاتهام إليه فرد عليه بقوله : إن البلاد لولا هذه الحرب لما رأيت فيها عربيًا، ولرأيت فيها الإيطاليين دون الوطنيين ، وطالب الشيخ عمر المختار من الوالي آن يوافق على حضور مندوب من مصر وآخر من تونس لأجل أن يتم التوقيع على الشروط المقدمة إلى الجنرال "سيشليانى" ، في الجلسة السابق ، وردًا على مطلب الشيخ عمر المختار قال الوالي " بادوليو " سوف يتم حضور مندوبى الدول ، ولكن الشيخ الفضيل بو عمر نهض بإشارة من الشيخ عمر المختار وآخذ يقرآ الشروط العشرة المقدمة من طرف المجاهدين، وتم تسليمها إلى المرشال بادوليو الذى وعد بوصول مندوبى الدول على آن يحدد لذلك موعدًا فيما بعد[1] .

ونتج عن اجتماع سيدى رحومة وقف المعارك في شكل هدنة مؤقتة لحين وصول وفدى مصر وتونس ، ولكن المرشال " بادوليو " انتهز فرصة الهدنة وآعلن آن الشيخ عمر المختار وافق

---

(1) الطاهر آحمد الزاوى ، عمر المختار ، ص133 .

على طلب الاستسلام ، وطالب مع المجاهدين العفو من ملك إيطاليا؛ مما أثار غضب الشيخ عمر المختار الذى طال انتظاره للرد الإيطالي لمدة شهر دون أن يعاود الجانب الإيطالي الاتصال به مما دفع به إلى مراسلة " دومينيكو سيشليانى " نائب المارشال "بادوليو " في برقة يذكره فيها بالوعد الذى تعهد به الحاكم العام ، فأجابه سيشليانى بأنه سوف يجتمع معه يوم 12 صفر 1348 هـ بمنطقة سيدى رويفع الأنصارى[1] .

والتقى الشيخ عمر المختار مع الجنرال سيشليانى في المكان والموعد المحددين، وأخبر الوفد الإيطالي المجاهدين بأن التوقيع على البنود السابقة لايتم إلا في بنغازى الأمر الذى دفع الشيخ عمر المختار على تكليف الحسن الرضا السنوسى الذى كان حاضرًا الاجتماع بمرافقة الوفد الإيطالي إلى بنغازى والتوقيع على شروط الاتفاق السابق[2].

انضمام الحسن الرضا إلى الإيطاليين:

كان الجنرال جراتسيانى قد أشار إلى أن الشيخ عمر المختار قد اتفق مع المرشال بادليو حاكم ليبيا العام فى أثناء الاجتماع الذى عقد بينهما بمنطقة سيدى رحومة على الهدنة وفق الشروط التالية :

1- صدور العفو العام على المتهمين بجرائم سياسية سواء كانوا في الداخل أو في الخارج مع الإفراج عن السياسيين .
2- سحب الحاميات الإيطالية المتمركزة منذ سنة 1923 بالمواقع الأمامية كالجغبوب وجالو.
3- من حق المجاهدين تحت قيادة الشيخ عمر المختار جمع الضرائب المستحقة من الأهالي المقيمين داخل مناطق الجبل الأخضر والمناطق الساحلية[3].

وأن هذه المطالب قد أكدها الشيخ عمر المختار بالإضافة إلى جملة من الشروط العادلة مثل: تعيين الأشخاص من ذوى الكفاءة الإدارية والسياسية سواء في طرابس أو برقة .

ولكن الحسن الرضا وقع مع الإيطاليين في بنغازى على شروط أخرى أثارت غضب الشيخ عمر المختار الذى قال للحسن الرضا فور إطلاعه على هذه الشروط الموقعة مع الإيطاليين:" غروك يابنى بمتاع الدنيا الفانى ورضيت بهذه الشروط المزرية[4].

والشروط المزرية التى وافق عليها الحسن الرضا هى :

1- تعتبر الحكومة الإيطالية عساكر عمر المختار دورية وطنية .

---

(1) المرجع نفسه ، ص 137 .

(2) المرجع نفسه ، ص 137- 138 .

(3) جراتسيانى، برقة الهادئة ، المرجع السابق ، ص 77 .

(4) الطاهر أحمد الزاوى ، عمر المختار ، المرجع السابق ، ص137 - 138.

2- أن تقيم عساكر عمر المختار بمنطقة جردس العبيد .

3- تعترف الحكومة الإيطالية برتب الضباط ،وتصرف لهم رواتب مع جنودهم .

4- يكون جميع ضباط وعساكر عمر المختار تحت إمرة ضابط إيطالي .

5- يكون للحكومة الإيطالية الحق في نقل عساكر عمر المختار لأي جهة تشاء.

6- يكون للحكومة الإيطالية الحق في تغييرالسلاح الذى بأيدى عساكر عمر المختار بأى سلاح.

7- يكون للحكومة الإيطالية الحق في تسريح بعض عساكر عمر المختار إذا رأت ذلك .

8- للحكومة الحق في معاقبة من ارتكب جريمة قبل هذا الصلح من عساكر عمر المختار ، وليس لعمر المختار حق الاعتراض على ذلك .

9- يكون للحكومة الإيطالية الحق في رفض الضباط الذين لايعرفون اللغة الإيطالية .

10- تتولى الحكومة الإيطالية أمر العرب الذين تحت قيادة عمر المختار الآن على ألا تكون للشيخ عمر المختار أى سيطرة عليهم .

11- تتعهد الحكومة الإيطالية للحسن الرضا براتب قدره خمسون ألف فرنك في الشهر ، وتبنى قصرًا فخمًا في مدينة بنغازى له .

12- تتعهد الحكومة الإيطالية براتب قدره خمسون ألف فرنك في الشهر للشيخ عمر المختار وتصلح زاوية القصور وتبنى له فيها مسجدًا ، ومئذنة ، وبيتًا يليق بمقامه ، وتأتى له بمعلمين يعلمون الأولاد ، ولاتمنع الأهالي من الاتصال به[1].

وبالرغم من اعتراض الشيخ عمر المختار على الشروط المقدمة من الحسن الرضا إلا آن هذا الأخير رفض التراجع عنها وقال : لقد اتفقت مع الحكومة الإيطالية على هذه الشروط ولايمكننى أن أنقضها الأمر الذى دفع بالشيخ عمر المختار إلى دعوة المجاهدين إلى الاجتماع ليعلمهم ويستفتيهم على الشروط المقدمة من طرف الحسن الرضا؛ حيث أعلن الشيخ عمر المختار وسط الحاضرين رفضه الكامل لهذه الشروط، وقد سانده معظم الحاضرين وعند ذلك خرج الحسن غاضبًا من الاجتماع رفقة 300 رجل إلى منطقة مراوة التى أقامت لهم إيطاليا فيها معسكرًا عند بئر يبعد ساعتين عن النقطة الإيطالية، وقد زودته - إيطاليا - بالتموين وخصصت له ضابطًا للاتصال.

وبعد انقطاع العلاقة بين الشيخ عمر المختار وحسن الرضا أطلق اسم " جيش الدقيق " على المعسكر التابع للحسن الرضا إمعانًا في السخرية من المواطنين لاعتماد قوات الحسن على ما يتلقاه من الدقيق والسكر والشاى الوارد من الإيطاليين بعد أن كانت هذه القوات تتلقى سائر تموينها من مخازن المجاهدين[2] .

---

(1) المرجع نفسه . والصفحة؛ رفعت عبدالعزيز . المرجع السابق . 428 . 429 .

(2) الطاهر أحمد الزاوى ، المرجع السابق . والصفحة .

ومما زاد من حالة الانشقاق بين الشيخ عمر المختار والحسن الرضا، رفض سيشليانى وكيل الوالي في بنغازى الرد على المطالب المقدمة من الشيخ عمر المختار ، والمتعلقة بالتوقيع على الشروط التى سبق له أن اتفق عليها مع المارشال بادوليو ، واكتفي الجنرال سيشليانى بإرسال الشيخ الشارف الغريانى ليشعر الشيخ عمر المختار أن إيطاليا مستعدة في كل وقت لمواجهة رجال حركة المقاومة بمناطق الجبل الأخضر؛ خاصة بعد أن اطمأن إلى انضمام الحسن الرضا مع والده إلى الاستسلام لمطالبها ودعوتهما إلى المجاهدين بالانسحاب من صفوف رجال الشيخ عمر المختار الذى وجه نداء إلى أبناء الوطن؛ أوضح لهم فيه أن السلطات الإيطالية طلبت منه وقف المعارك والدخول معها في مفاوضات مباشرة قام بتحديد مكانها في سيدى رحومة الذى تم الاتفاق فيه على هدنة لمدة شهرين قابلة للتجديد .

وأوضح الشيخ عمر المختار في نداء إلى أبناء وطنه أن غرض الحكومة الإيطالية هو بث الفتن والدسائس لتمزيق الشمل ، وتفكيك أواصر الاتحاد بين أبناء الوطن؛ ليتم لها الغلبة عليهم، واغتصاب كل حق مشروع ، وليعلم العالم أن نوايانا شريفة نحو الحكومة الإيطالية وما قصدناه إلا المطالبة بالحرية ، وأن مقاصد إيطاليا ترمى إلى القضاء على كل حركة قومية تدعو إلى النهوض بالشعب الليبى، وتقدمه[1] .

ونجحت إيطاليا في احداث تصدع خطير بين المجاهدين بانشقاق الحسن الرضا مع مجموعة من أنصاره لمدة ستة أشهر، ولكنها لم تنجح في كامله في القضاء على المجاهدين تحت قيادة الشيخ عمر المختار بالرغم من المصروفات التى لحقت بها من جراء تموين معسكر الحسن الرضا بالدقيق الأمر الذى دفع بالإيطاليين إلى اتخاذ قرار هام يقضى بالقبض على الحسن الرضا، وتشتيت أفراد معسكره منتهزين فرصة تغيب أفراد حرسه لقضاء ما يلزم، وذلك بالهجوم على المعسكر المذكور بواسطة قوة إيطالية توجهت صوب مقر الحسن الرضا وحاصرته عدا الخيمة التى كان يقيم فيها الحسن نفسه حيث دخل عليه ضابط الاتصال الإيطالي، وطلب منه أن يخرج معه لملاقاة الشيخ عمر المختار لأجل عرض أمور هامة عليه[2].

ولم يثر مرافقة ضابط الاتصال الإيطالي الشك لدى الحسن الرضا الذى كان معتادًا على مثل هذه الزيارات ، ولكن بعد خروج المذكور من خيمته داهم أفراد القوة الإيطالية خيام المجاهدين الخاضعين لقيادة الحسن الرضا بإطلاق النار عليهم ، وقتل كل من أظهر المقاومة ضدهم ، وأسر من لم يتمكن من الفرار بينما قام الجنود الإيطاليون بالقبض على الحسن

(1) الطاهر أحمد الزاوى ، المرجع السابق، ص 51 - 155 .

(2) محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص 173 .

الرضا واقتياده إلى بنغازى تحت الحراسة التى ظلت مفروضة عليه حتى بعد وصوله إلى البركة إحدى أحياء بنغازى[1].

استئناف معارك الجهاد بالجبل الأخضر:

قرر الشيخ عمر المختار إعادة تنظيم أفراد رجال حركة المقاومة، بالرغم ممّا أصابها من تعب خلال فترة قيام االحسن الرضا بالاستسلام للإيطاليين والذى لم يأخذ العبرة من وراء القبض على والده محمد الرضا بأمر الوالي تروتسى .

وقام الشيخ عمر المختار في أعقاب فشل المفاوضات فى سيدى رحومة بإعادة تنظيم صفوف المجاهدين، وإعادة توزيعها داخل مواقعها الجديدة استعدادًا لشن الهجمات على أفراد القوات الإيطالية.

وكانت معركة قصر المقدم بمنطقة وادى الكوف بالجبل الأخضر من أولى هذه المعارك التى جرت في الثامن من نوفمبر 1929 م بمثابة إعلان انتهاء الهدنة المعقودة منذ يونيو 1929م ، واستئناف للمعارك من جديد .

وتولى الشيخ عمر المختار قيادة هذه المعركة بنفسه عندما هاجم على رأس قوة من المجاهدين قوة إيطالية كانت تشرف على إصلاح خطوط البرق والبريد والهاتف التى قطعها المجاهدون من قبل .

وأسفر هجوم المجاهدين عن قتل جميع أفراد القوة الإيطالية؛ مما أثار غضب القوات الإيطالية التى قامت بالقبض على الأشخاص الذين عثرت عليهم بالمنطقة وحكمت عليهم بالإعدام فورًا[2].

وأحدث الهجوم الخاطف الذى تولى قيادته الشيخ عمر المختار في معركة قصر المقدم رد فعل عنيف من طرف السلطات الإيطالية حيث أرسل " دى بونو " وزير المستعمرات الإيطالية ببرقية في العاشر من نوفمبر 1929 م إلى الحاكم الإيطالي في ليبيا طالبًا منه فيها :

أن يقوم بقطع التفاوض مع المجاهدين ، وأن تشن على مواقعهم الهجمات المركزة بدون رحمة ولا هوادة ، وفرض الرقابة على الزعماء الليبيين الخاضعين للإدارة الإيطالية بدون إبداء أى احترام لهم مع شنق الزعماء الليبيين الذين يتم إلقاء القبض عليهم[3].

وفي سنة 1930 واصل الشيخ عمر المختار خوض المعارك البطولية ضد الوجود الإيطالي في الجبل الأخضر والتى كان من أهمها ما يلى :

---

(1) المرجع نفسه ، والصفحة : رفعت عبد العزيز المرجع نفسه ، 435 .

(2) جراتسيانى ، برقة الهادئة ، المرجع السابق ، ص 7 .

(3) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 423 .

معركة في يوم 11 من آبريل 1930 بمنطقة جنوب شرقى زاوية الفايدية فبعد أن اطمأنت القوات الإيطالية إلى خلو هذه المنطقة من قوات المجاهدين تعرضت إلى هجوم اشترك فيه حوالي مائتى مجاهد . ولم تفلح القوة الإيطالية في صد الهجوم مما اضطرها إلى الانسحاب من أراضى المعركة بعد أن هبت لنجدتها قوات أخرى من شحات مدعمة بالمدفعية والسيارات والمصفحات[1].

كثف الشيخ عمر المختار من شن الهجمات على المواقع الإيطالية في أعقاب المعركة السابقة في شكل ضربات خاطفة على المراكز الإيطالية يظهر فيها استبسال المجاهدين وخاصة تلك الهجمات التى كانت تشن على القلاع الإيطالية ، وعلى الدوريات التى كانت تقوم بحراسة العمال المكلفين بإنشاء الطرق وغيرها كما حدث في الثامن من أغسطس 1930 م حينما تصدى المجاهدون إلى قوة إيطالية كانت تعبر وادى السانية الواقع إلى الشمال الغربى من الجبل الأخضر.

وتمكن المجاهدون من الدخول في معركة خاطفة مع القوات الإيطالية الأخرى التى كانت قادمة إلى أرض المعركة من العرقوب، وتاكنس، ولم تذكر المراجع الإيطالية شيئًا عن خسائر هذه المعركة[2].

وفي مرتوبة الواقعة إلى الجنوب الشرقى من درنة قام المجاهدون في يوم 6 أكتوبر 1930م بمهاجمة قافلة عسكرية إيطالية كانت في طريقها من درنة إلى مرتوبة .

وتمكنت القوة الإيطالية تحت قيادة الكولونيل "مالتا" التى سارعت إلى نجدة القافلة من ملاحقة قوة المجاهدين المقدرة بنحو مائة وخمسين مجاهدًا بعد أن تمكنوا من إلحاق بعض الخسائر بأفراد القافلة الإيطالية[3].

وقد أشار الجنرال جراتسيانى إلى عملية نجاح المجاهدين في الاستلاء على ما كانت تنقله القافلة العسكرية الإيطالية من تموين بواسطة الإبل والعربات المجرورة بالحيوانات مع بعض السيارات ، وآكد الجنرال المذكور آن المجاهدين تمكنوا من قتل حراس القافلة والذين قدرت أعدادهم بنصف الكتيبة الأريترية الرابعة عشرة ، وقد فشلت القوة الإيطالية التى خرجت لاسترداد القافلة في ملاحقة المجاهدين الذين استولوا على القافلة وعلى أسلحة حراسها والتى كانت غنيمة كبيرة[4].

---

(1) جراتسيانى ، برقة الهادئة ، المرجع السابق ، ص 174 .

(2) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 508 .

(3) المرجع نفسه ، ص 262 .

(4) جراتسيانى ، برقة الهادئة ، المرجع السابق ، ص 268 – 269 .

ثم حقق المجاهدون انتصارًا آخر اعترف به الجنرال جراتسياني ، والذى يتمثل في الاستلاء على قافلة إيطالية أخرى استولى عليها 150 مجاهدًا بعد إطلاق النار ورغم تدخل قوة إيطالية مدرعة في المعركة الطاحنة التى قتل فيها عدد كبير من الطرفين.

ويعلل الجنرال جراتسياني أسباب هزيمة أفراد القوة المدرعة إلى تمركز المجاهدين على الضفة العليا من وادى المخلق بينما تمركزت القوة المدرعة على الضفة المقابلة من الوادى مما جعل عملية الاقتحام صعبة أمامها ، الأمر الذى ساعد المجاهدين على الصمود لمدة من الزمن إستطاعوا خلالها من إبعاد القافلة عن الخطر ، وأوصلوها إلى مقر قيادتهم بأمان .

وأمام اشتداد شن هجمات المجاهدين بمناطق الجبل الأخضر تحت قيادة الشيخ عمر المختار أمرت القيادة الإيطالية بتغيير وضع القوات غير النظامية المكونة من المجندين الليبيين إلى قوات نظامية وضمها إلى قوات الرائد "رغاتزى" التى كانت تحركت نحو وادى بدهاش لمهاجمة المجاهدين في وادى الإثرون بالزحف عليه من الشمال ليلة 19 من سبتمبر 1930 م، وكانت القوات الغير نظامية المكونة من 200 مجند قد جندوا من قبيلة الحاسة لتعزيز القوات الإيطالية ولكن مشاركة هؤلاء المجندين كان ضعيفًا وفاشلاً أمام قوات المجاهدين[1].

ثم شنت القوات الإيطالية في يوم 20 من سبتمبر 1930 هجومًا واسع النطاق على مقر قيادة المجاهدين بالجبل الأخضر والذى تحركت على إثره قوات إيطالية؛ لتضييق الخناق عليها في وادى السقية من جهة اليسار، في الوقت الذى قامت فيه الكتيبة الأريترية الرابعة عشرة بمهاجمة المجاهدين من جهة اليمين ، غير أن المجاهدين بالرغم من عملية التطويق استطاعوا الانسحاب من هذه الكماشة بعد أن لحقت بهم خسائر فادحة في الأرواح كان من بين الشهداء الفضيل بو عمر الذى عرف بالشجاعة والخبرة العسكرية الواسعة والذى تمكن بواسطة رجاله من فتح الثغرة التى خرج منها الشيخ عمر المختار والمجاهدون معه ، وقد وصف الجنرال جراتسياني عملية فتح الثغرة : بأنها كانت خطة محكمة ، وضربة قاسية في كياننا بالرغم من الحركة التكتيكية العسكرية التى قامت بها القوات الإيطالية .

وبعد أن فشلت القوات الإيطالية في إلقاء القبض على الشيخ عمر المختار في معركة وادى السقية أمرت القيادة الإيطالية بشن هجوم آخر داخل المناطق الشرقية من الجبل الأخضر بواسطة ثلاث فرق عسكرية تولى قيادتها كل من : بياتى، ومارونى، وروللى، غير أن هذا الهجوم، لم يحقق أية نتائج تذكر بعد قتال دام خمسة عشر يومًا انتهى بالفشل شبه الكامل .

حاولت القوات الإيطالية تعويض الهزائم التى لحقت بها بأن تعمل على شن هجوم خلال يومي 5 – 6 أكتوبر على وادى الغريب الذى كان يضم أكبر دور لمجاهدى الشيخ عمر المختار

(1) المرجع نفسه ، ص 170 – 171 .

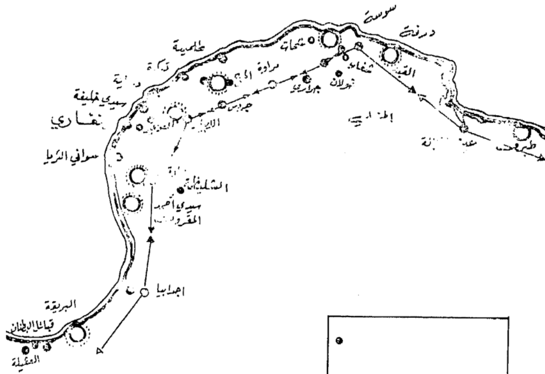
ومحل إقامته، ولكن المجاهدين فوتوا على قوات العدو هذه الفرصة فبعد مقاومة عنيفة ، انسحبوا باتجاه الغابات الكثيفة والأمكنة الوعرة التى لاتستطيع القوات الإيطالية اجتيازها وملاحقة المجاهدين داخلها الأمر الذى دفع بالقوات الإيطالية إلى متابعة قوات المجاهدين بالمناطق المجاورة لهذه المناطق الوعرة، كما حدث في يوم 15 أكتوبر 1930 م عندما هاجمت القوات الإيطالية مواقع المجاهدين وألحقت بهم بعض الخسائر ، كما اشتبكت بهم في يوم 21 من أكتوبر 1930 بمنطقة سيدى "إحميدة" ، وفي منطقة شحات ، وكانت معركة "بو أصفية" في الثانى من نوفمبر 1930 من أهم معارك هذه الفترة والتى تمكنت فيها القوات الإيطالية الغير نظامية من الاستلاء على 300 جمل[1].

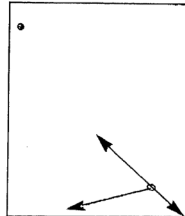
وعلى إثر معركة وادى الغريب في شمال شرق المرج ، ومعركة سيدى إحميدة في شمال مراوة يوم 21 من أكتوبر 1930م ، ومعركة أبو حشيشة " في 30 من أكتوبر ، ومعركة أبار بالصفية في الثانى من نوفمبر في شمال غرب المرج ، ومعركة "كاف الثلج" بالجبل الأخضر في التاريخ نفسه والتى تقول المصادر الإيطالية أنه استشهد فيها 32 مجاهدًا فإن القوات الإيطالية خاضت خلال الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر 1930م معارك طاحنة اشتركت فيها قوات "بيانى" وقوات مارونى ، وقوات " رغاتزى " ضد قوات شومر حيث خرجت هذه القوات من مراوة، والمرج ، وشحات ، ودخلت في المعارك الطاحنة التى ظلت دائرة إلى 30 من ديسمبر 1930 م مني فيها الطران بخسائر فادحة خاصة بعدأن اتفق الشيخ عمر المختار مع سكان بعض المعتقلات مثل : معتقل عين الغزالة الذى انضم ما يقارب الخمسمائة شخص مع جمالهم المحملة بالقمح والشعير والذين قاموا بتدبير خدعة ناجحة، تتمثل في: خروج المذكورين مع جمالهم وبذور الشعير والقمح من المعتقل بدعوى حرث الأراضي لكى يتحصلوا على مؤونة مخيماتهم ولكن هؤلاء المعتقلين ما إن خرجوا من المعتقل في عين الغزالة حتى قاموا بشن هجوم على الجنود المرافقين لهم والذى وصفه جراتسيانى بأنه كلفه خسارة فادحة ، ودفعه إلى القيام بأعمال انتقامية والمتمثلة في نقل سكان عين الغزالة بالجبل الأخضر إلى منطقة سرت على بعد 1100 كيلومتر ، وإقامة محكمة عسكرية خاصة لمحاكمة المشائخ المسؤولين عن حركة الكمين الذى حدث في عين الغزالة[2].

وقام الجنرال جراتسيانى بإجراء انتقامى ضد سكان معتقل عين الغزالة بمهاجمة دور العبيدات، ونقل هؤلاء السكان إلى سرت ، وإصدار إحكام جائرة على المشائخ والأعيان كالحكم

---

(1) خليفة محمد التلسيى ، المرجع السابق ، ص 93 ، 398 .
جراتسيانى ، برقة الهادئة ، 172 – 173 .
(2) المرجع نفسه ، ص173 – 175.


سوسة
درنة
شحات
القبة
مراوة
طلميثة
سيدي خليفة
بنغازي
جردس
توكرة
الأبيار
الرجمة
المخيلي
سواني الترية
سيدي أحمد المقرون
اجدابيا
البريقة
قباب البطنان
العقيلة


مرادة
جالو

بالإعدام الذى نفذ فورًا على حبل المشنقة في نهاية 1930م[1].

وفي سنة 1931 م خاض المجاهدون معركة وادى الرملة الذى يقع بين الخولان والمخيلى يوم 30 من مارس ومعركة سيدى حميدة الذى يقع شمال مراوة في الثالث من مايو 1931م ، ومعركة وادى المراغ يوم السبت العاشر من أغسطس 1931 م قرب الحدود الليبية المصرية[2].

القبض على الشيخ عمر المختار في 11 سبتمبر 1931م

تمكنت القوات الإيطالية من عزل مجاهدى الجبل الأخضر مع الشيخ عمر المختار عن قبائل المنطقة بوضعهم في معتقلات خاصة، ومنع وصول الإمدادات من مصر وخاصة التموين، ووضع الأسلاك الشائكة على الحدود المصرية الليبية الواقعة بين إمساعد والجغبوب بالإضافي إلى وضع الإدارة الإيطالية مكافأة قدرها مائتي ألف فرنك لمن يتعاون معها في القبض على الشيخ عمر المختار ويأتى به حيًا أو ميتًا ، كما عملت القيادة الإيطالية على اتباع سياسة التضليل لأجل تشتيت تجمعات المجاهدين، ومنعهم من مهاجمة المراكز الإيطالية حتى يتم بالتالى إخراج هؤلاء المجاهدين من مواقعهم إلى العراء لكى يتم تسديد الضربات القاتلة لهم[3].

وكان الجنرال جراتسيانى منذ عثور أفراد قواته على نظارات الشيخ عمر المختار ذات الأجنحة الذهبية مع جرابها الفضى في أعقاب معركة السانية أدرك الجنرال المذكور أن الأمر أصبح من المحقق وهو القبض على الشيخ عمر المختار.

وتمكنت القوات الإيطالية في إطار تشديد الحصار على المجاهدين من الاستلاء على معظم مناطق الجبل الأخضر واستكمال احتلال المرج، وجردس العبيد، ويلقس، ونزع السلاح من أيدى الأهالي الخاضعين لإيطاليا وكانت أعدادها 3175 بندقية و 60000 طلقة خلال يوم 14 يونيو 1930 م في الوقت الذى قامت فيه القوات الإيطالية بتخفيض ثلث عدد أفراد الوحدات الليبية العاملة في الجيش الإيطالي ، وتوزيع بنادق ذات سبطانة مختلفة عن البنادق التى كانت بأيديهم من قبل بهدف منع تسرب الذخيرة إلى أيدى المجاهدين[4] .

ورغم هذه الإجراءات الصارمة فإن الشيخ عمر المختار ظل مستمرًا في مقاومة الغزو الإيطالي حتى يوم 11 سبتمبر 1931م عندما أرسل الشيخ عمر المختار إثر الاجتماع الموسع الذى عقد في عين القطار بمنطقة خولان ، وحضره نحو 25 فارسًا عهد إليهم بملاقة قافلة تموين قادمة إلى المجاهدين من سلوق كمعونة كان الشيخ عمر المختار قد علم بأنها معسكرة

---

(1) خليفة محمد التليسى ، المرجع السابق ، ص 370 - 171 .
(2) المرجع نفسه ، ص 508 - 298 - 519 .
(3) جراتسيانى ، برقة الهادئة ، ص 160 .
(4) إيفانز بريتشارد ، المرجع السابق ، ص 370 .

بمنطقة تميلو جنوب سلنطة التى اتجهت غربًا بعد أن أعطى القافلة موعدًا لهؤلاء الفرسان . بأن يحضروا مع القافلة إلى نفس المكان الذى عقد به الاجتماع وذلك بعدأن يؤدى مع بعض رفاقه زيارة لضريح الولى رفيع الأنصارى بمدينة البيضاء .

أما مراحل معركة وادى أبى طاقة التى أسر فيها الشيخ عمر المختار فإن الرواة المعاصرين لأحداث هذه المعركة أكدوا أن الشيخ عمر المختار كان قد عسكر مع رفاقه الذين لايتجاوز عددهم السبعين فارسًا في كهف الداقوش الواقع إلى الغرب من مدينة البيضاء، ولكن هؤلاء الفرسان شعروا في حوالي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل بأن هناك تحركات غريبة تحيط بمنطقة الكهف؛ فأمرهم القائد الشيخ عمر المختار أن يمتطوا صهوات جيادهم ويسرعوا إلى اتخاذ طريق عبر المسالك الجبلية الوعرة نحو الجنوب، ولكن ما إن وصلت مقدمة كوكبة الفرسان نحو حافة الوادى قبل بزوغ فجر يوم 27 من ربيع الآخرة 1350 هـ الموافق 11 نوفمبر 1931، حتى حلقت إحدى الطائرات الحربية الإيطالية، وقامت أفراد القوات الإيطالية بتطويق المنطقة وبأعداد كبيرة الأمر الذى دفع بالشيخ عمر المختار إلى إصدار أوامره إلى رفاق السلاح بأن يشقوا طريقهم وسط صفوف الأعداء المتراصة ومهما كلف ذلك من ثمن .

وقد نفذ المجاهدون الأمر بكل شجاعة وإقدام وسقط مَنْ سقط شهيدًا في ساحة الوغى ، واستطاعوا أن يكسروا طوق الحصار ، ويقتلوا عددًا من جنود الأعداء حتى تمكنوا من نقل المعركة من الوادى المحاصر إلى الفضاء الممتدة صوب قندولة وسلنطة[1] .

وذكر هؤلاء الرواة الذين رافقوا الشيخ عمر المختار في المعركة الأخيرة : آن الشيخ المذكور قسم أفراد المجموعة إلى قسمين كان من بين أفراد المجموعة الأولى على سبيل المثال لا الحصر : عثمان الأمين ، ومحمد المختار ، ويوسف أبو خديدة ، وأبو شديدة العوام وعبد العاطى بو هبو ، وحسين بو صالح ، وحماد بو ذهب ، ومفتاح أبو القويرش ، وأحمد الغويل وصالح بو مطير ، والتواتى العرباى ، ومحمد المسوح وغيرهم من المجاهدين الذين كان لهم شرف المشاركة في هذه المعركة الفاصلة في تاريخ معارك الجهاد الكبرى ؛ حيث ظل الشيخ عمر المختار يقاتل بكل شجاعة إلى أن جرح وسقط جواده قتيلاً . واستشهد ، وجرح معظم رفاقه المحيطين به ، بالنيران الحامية حتى نفذت ذخيرته ، وأحاطت به قوات العدو من كل جانب وأخذوه أسيرًا[2] .

ويصف الجنرال جراتسيانى عملية القبض على الشيخ عمر المختار بشئ من الاختصار إذ

---

(1) انظر : نص المقابلة في جريدة الفجر الجديد الصادرة في يوم الخميس ، 26 من ربيع الثانى 1395 هـ الموافق 8 مارس 1975 م ، العدد 834 .

(2) المرجع نفسه .

يشير وصول برقية في صباح يوم الحادى عشر من سبتمبر 1931 م إلى الحكومة الإيطالية من متصرف الجبل الكومندتور داودياتشى يقول فيها: بالقرب من سلنطة قبضت فرقة الفرسان على وطنى (ليبى) وقع من على جواده ، وقد تعرف عليه عساكرنا بأنه عمر المختار، ونظرًا للخبر المهم، ومن أجل التأكد والتحقق أمرت الحكومة متصرف الجبل الكومندتور الوجيه داودياتشى فجهزت طائرة خاصة لنقله إلى سلنطة على الفور للتعرف على شخصية الأسير؛ لأنه التقى به عدة مرات فى أثناء المفاوضات السابقة[1].

وسرى خبر أسر الشيخ عمر المختار سريان البرق ، وصدرت الأوامر بنقله إلى بلدة سوسة تحت حراسة مشددة والتى وصل إليها عند الساعة السابعة عشرة من مساء نفس اليوم 11 سبتمبر 1931 دون أى عائق حيث مكث هناك بانتظار الطراد الحربى " أورسينى " الذى تحرك من بنغازى لينقل الشيخ عمر المختار إلى بنغازى التى وصل إليها في يوم 12 سبتمبر 1931 عند الساعة السابعة عشرة وكان يرافقه المتصرف داودياتشى وبعض الضباط .

وعند وصول الشيخ عمر المختار إلى مدينة بنغازى تم نقله داخل سيارة السجن تحت حراسة قوة مسلحة بالمدافع الرشاشة إلى زنزانة صغيرة خاصة منعزلة عن كافة السجناء السياسيين وتحت حراسة شديدة .

وأكد الشيخ عمر المختار للإيطاليين فى أثناء نقله من سوسة إلى بنغازى أو في أعقاب ضرب جواده وسقوطه على الأرض الأمر الذى أدى إلى جرح يده اليمنى مما تسبب له في بعض التشقق بعظام ذراعه والذى لم يمنعه من المحاولة في الابتعاد والاختفاء داخل شجيرات الغابة ولكن الجنود الإيطاليين حالوا دون ذلك، وألقوا القبض عليه بعد أن دافع عنه رفاقه دفاعًا مستميتًا نال الكثير منهم الشهادة ، وأكد الشيخ عمر المختار أن وقوعه في الأسر لا يغير وقف حركة الجهاد التى سوف تستمر تحت قيادة أربعة قادة سوف يحلون بدلاً منه وهم: الشيخ أحمد بو دبوس وعثمان الشامى عبدالحميد العبار ،ويوسف بو رحيل والذين سوف يتولون قيادة أفراد الدور المكون من 500 مجاهد من المشاة و400 فارس[2].

وابتهج الجنرال جراتسيانى بعملية القبض على الشيخ عمر المختار إذ يقول جاءنى الخبر بإلقاء القبض على الشيخ عمر المختار في مساء 12 سبتمبر 1931 م عندما كنت متهيئًا لركوب القطار للسفر إلى باريس لحضور افتتاح معارض المستعمرات ، وفي صباح يوم 13 سبتمبر 1931 سافرت بالطائرة إلى "آستيا" ثم إلى "طرابلس" وفي يوم 14 سبتمبر 1931 سافرت من طرابلس إلى بنغازى حيث وصلتها في المساء بعد محادثتي مع وزير المستعمرات دى بونو

(1) جراتسيانى ، برقى الهادئة ، المرجع السابق ، ص 273 .
(2) المرجع نفسه ، ص 175 – 176 .

والمارشال بادليو بخصوص انعقاد المحكمة الخاصة مساء يوم 15 سبتمبر 1931 م ، وفي صباح هذا اليوم آمرت بإحضارالشيخ عمر المختار إلى قصر الحكومة رغبة منى للتحدث معه قبل المحكمة " . وفعلاً أُتى بالشيخ المذكور إلى الجنرال "جراتسيانى" العدو اللدود للشيخ "عمر المختار" والذى يصفه بأنه كانت يداه مكبلتين بالسلاسل رغم الكسور والجروح التى آصيبت بها فى آثناء المعركة وكان وجهه مضغوطًا لأنه كان مغطيًا رأسه بالجرد ، ويجر نفسه بصعوبة، ويعترف الجنرال " جراتسيانى " بأنه شاهد أمامه رجلاً ليس كالرجال، له منظره وهيبته[1].

ثم آجرى الجنرال جراتسيانى محادثة مع الشيخ عمر المختار تتعلق بالأسباب التى دفعت به إلى المقاومة ، وهل كان يأمل في طرد الإيطاليين ؟ ولماذا الهدنة الموقعة مع الإيطاليين ؟ ومَنْ أمر بقتل الطيارين الإيطاليين ؟. وغيرها من الأسئلة الأخرى التى كان الشيخ عمر المختار يقوم بالإجابة عليها بكل صراحة مما زاد من إعجاب الجنرال به والذى يصف نهاية المقابلة بقوله: عندما وقف الشيخ عمر المختار ليتهيأ للانصراف كان جبينه وضاء كأن هالة من نور تحيط به فارتعش قلبى من جلالة الموقف فقد كانت شفتاى ترتعشان ، ولم أستطع أن أنبس بحرف واحد فانتهت المقابلة وأمرت بإرجاعه إلى السجن لتقديمه إلى المحاكمة في المساء ، وعند وقوفه حاول أن يمد يده لمصافحتى ولكنه لم يتمكن لأن يديه كانتا مكبلتين بالحديد . لقد خرج من مكتبى كما دخل على وأنا أنظر إليه بكل إعجاب وتقدير"[2].

إعدام الشيخ عمر المختار في 16 سبتمبر 1931م

أصدر الجنرال جراتسيانى بوصفه نائب الحاكم العام في ليبيا أمره بتشكيل المحكمة العسكرية الخاصة التى عهد إليها بمحاكمة الشيخ عمر المختار في يوم 15 من سبتمبر 1931م، حيث انعقدت هذه المحكمة في الساعة الخامسة مساء بمدينة بنغازى .

وبعد أن استجوب القاضى الإيطالي الشيخ عمر المختار بتوجيه حوالي عشرين سؤالاً آجاب عليها بكل صراحة طالب على إثرها المدعى العام الإيطالي بإصدار حكم الإعدام ، حاول خلالها الكابتن لونتانو المكلف بالدفاع أن يطالب بحكم عادل وهو السجن مدى الحياة نظرًا لكبر سنه وشيخوخته ولكن المدعى العام الكولونيل بودندو طالب بوقف الدفاع من مواصلة الحديث بحجة خروجه عن الموضوع .

واكتفت المحكمة بذلك وأعلن رئيسها : الحكم بإعدام الشيخ "عمرالمختار" الذى قال : إنًّا لله وإنا إليه راجعون [3].(سورة يس: الآية 52)

(1) المرجع نفسه ، ص 176- 179 .

(2) المرجع نفسه ، ص 284 - 285 .

(3) الطاهر أحمد الزاوى،عمر المختار، المرجع السابق، ص 135 ؛ نقولا زيادة، المرجع السابق ، ص 118.

وفي صباح 16 من سبتمبر 1931 وعند الساعة التاسعة صباحًا نقل الشيخ "عمر المختار" إلى سلوق ونفذ فيه حكم الإعدام أمام عدد كبير من الأهالي الذين قدر الجنرال "جراتسيانى" أعدادهم بما يزيد عن عشرين ألف نسمة في وسط جو من التأثر حضره إلى جانب فئات المجتمع المختلفة السجناء السياسيون .

وبعد تنفيذ الحكم دفنت جثة الشيخ عمر المختار بمقبرة "سيدى إعبيد بالصابرى" في مدينة "بنغازى" ووضعت عليه حراسة دائمة دون أن تسمح بدفنه ببلدة سلوق[1].

ويصف المجاهد عمر المهشهش أحد أبناء مناطق الجبل الأخضر والذى شاهد عملية إعدام الشيخ عمر المختار، أن المتصرف الإيطالي أصدر أوامره للمواطنين المعتقلين في معتقل سلوق بالخروج جميعًا من بيوتهم حتى كبار السن، والنساء الذين تم تجميعهم في الساحة دون أن يدركوا أى شئ حتى جاء عدد من الشيوخ المسجونين في بنينة وبنغازى إلى سلوق ، وحاصرت القوات الإيطالية المعتقلين بالسيارات والمدافع من الأمام والخلف دون أن يعلموا بالأمر ومنعوهم من الحركة والكلام حتى توقعوا اقتراب نهايتهم، ولكن الأمر تغير بوصول الشيخ عمر المختار في سيارة عسكرية كانت قد أوصلته من القطار الذى جاء به بنغازى، وكان الشيخ عمر المختار يرتدى قميصًا أبيض ، وبدعية ، وطاقية بيضاء ، وبلغة شركسى ، وجورب ، وقام الإيطاليون بخلع ملابسه ، وتبين من خلال الرباط الملفوف على ذراعه بأنه مصاب ، ثم تقدموا به إلى حبل المشنقة فى أثناء قراءته لسورة يس . وماآن وقفت على قوله تعالى : ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾[*] ، حتى كان حبل المشنقة في عنقه، ولحظات وفارق الحياة .

وكان يومًا كئيبًا سقط عدد كبير من المواطنين منهم من فارق الحياة على الفور ، ومنهم من أصيب بمرض.

وأصدر الحاكم العسكرى أوامره بعدم الحزن على شيخ الشهداء عمر المختار، والبكاء عليه، وفى أثناء نقل جثمانه لجامع سلوق لإجراء مراسم الدفن جاءت الأوامر بعدم دفنه في سلوق ونقله إلى بنغازى التى دفن بها ووضع الإيطاليون حراسة مشددة على قبره [2].

وإن استشهاد الشيخ عمر المختار يجسد روح التضحية والفداء عن الوطن ، والعرض ، والدين سوف تبقى ذكرياتها حية في نفوس أبناء ليبيا بصفة خاصة، وأبناء الوطن العربى بصفة عامة والذين قاموا بإنشاء العديد من القصائد سواء في مصر أو العراق ، أو الشام ،

---

(1) جراتسيانى ، المرجع السابق ، ص 288 .

(*) سورة يس ، الآية 52.

(2) جريدة الجهاد ، بنغازى ، العدد 288 بتاريخ 9 ابريل 1976 م .

وفي المغرب العربى الكبير.

ولكن ما العوامل التى ساعدت على استمرار المقاومة تحت قيادة الشيخ عمر المختار في الجبل الأخضر لمدة ثمانى سنوات ثم انتهاء الحركة خلال سنة 1931؟.

لم تستمر حركة المقاومة في أعقاب استشهاد الشيخ عمر المختار رغم اختيار "يوسف بو رحيل" ليخلف شيخ الشهداء في قيادة المعارك والذى كان الشيخ عمر المختار قد عينه نائبًا عنه فى أثناء غيابه ، ولكن يوسف بو رحيل لم يتمكن من ملء الفراغ الكبير الذى وجده أمامه؛ لأنه لم يكن الشخصية المؤهلة في هذه المرحلة الصعبة على إثر اشتداد الهجمات الإيطالية ، وكانت معركة سيرة الزليعاية في جنوب المرج وشمال شرقى الأبيار في الجبل الأخضر يوم العاشرمن نوفمبر 1931 م من المعارك التى دارت في غياب الشيخ عمر المختار ، كما خاض المجاهدون معركة زاوية أم الرقبة في 19 ديسمبر بالقرب من الحدود الليبية المصرية بعد إعدام الشيخ عمر المختار، حيث قام الإيطاليون بحشد قوات كبيرة على الحدود لتترصد للنازحين من الليبيين إلى مصر ، وقطع طريق الهجرة خاصة على الأشخاص الذين خلفوا الشيخ عمر المختار .

وكان يوسف بو رحيل قد يئس من استمرار حركة المقاومة مع رفاقه مثل : عبد الحميد العبار، وعصمان الشامي فاتجه يوسف بو رحيل مع قلة من رفاقه صوب الحدود الليبية المصرية بينماقام عصمان الشامى بتسليم نفسه للإيطاليين في "عين الغزالة" ولكن الحراسة الإيطالية كانت مشددة حول الحدود في شكل دوريات مسلحة ، وأسلاك شائكة ، وكشافات قوية جعلت من المستحيل نجاح الاجتياز و لذا طلب عبد الحميد العبار أن يتم تقسيم مجموعة المجاهدين إلى أقسام صغيرة لتشاغل أفراد قوات الحراسة؛ ريثما يتم فتح منفذًا ولو باستشهاد البعض منهم.

وحاول يوسف بو رحيل مع ثلاثة من المجاهدين في يوم التاسع من ديسمبر 1931 العبورغير أن الفشل كان قد حال دون دخولهم مصر فاتجه الجميع إلى مراقبة المنطقة ولكن قوات العدو اكتشفت وجودهم في مغارة قرب زاوية "أم الرقبة" فتصدى لها المجاهدون الأربعة في معركة طاحنة استشهد فيها جميع أفراد مجموعة "يوسف بو رحيل" دون أن يستسلموا للغزاة.

وتعتبر هذه المعركة من المعارك التى اتسمت بالبطولة والدفاع المستميت ، وخاتمة المعارك التى جرت ضد قوات الغزو الإيطالي بين 1911 - 1931 م حيث أعلن المارشال "بادوليو" الحاكم العام على ليبيا في يوم 24 من يناير1932م: أنه للمرة الأولى وبعد عشرين سنة من نزولنا بهذه الأراضي تم احتلال المستعمرين طرابلس الغرب وبرقة وتهدئتهما.

العوامل التى ساعدت الشيخ عمر المختار على الاستمرار في المعارك:

لقد تعددت العوامل التى ساعدت الشيخ عمر المختار على الاستمرار في قيادة المعارك بالجبل الأخضر بين سنتى 1923 و 1931 م والتى منها :

أولاً : القيادة الموحدة تحت زعامة الشيخ عمر المختار الذى ارتفع فوق الخلافات القبلية والشخصية مما أعطى لحركة الجهاد صفة الاستمرار لمدة أطول داخل المناطق الغربية الوسطى والجنوبية التى فقدت وجود مثل هذه الشخصية، حيث كان الشيخ عمر المختار يتمتع بثقافة دينية عالية وبمعرفة واسعة بنظام الأدوار، وأنساب القبائل بالإضافة إلى موهبته الكبيرة في الحكم، وخبرته الهامة في حل المشاكل بين الناس، والحزم في اتخاذ القرارات الحاسمة مما جعل خصومه ومؤيديه يقدمون له كل احترام[1].

ثانيًا: نظام الأدوار أو المحلات والذى يمثل المعسكرات التى يلتقى فيها المجاهدون استعدادًا لخوض معارك الجهاد ، واقتصرت كلمة الأدوار على المعسكرات التى كانت موجودة بمناطق الجبل الأخضر في حين كان سكان المناطق الغربية من ليبيا يطلقون اسم المحلات على هذه المعسكرات ، ولعل التسمية جاءت من المحل أو المكان الذى يتجمع فيه المجاهدون والذى اشتقت منه التسمية (محلة) بينما اسم الدور يعبر عن المكان الذى يتجمع فيه المجاهدون الذين يتناوبون الدور في خوض المعارك، والإقامة لمدة معلومة بالمعسكرات والتى كانت تضم الرتب المختلفة ولها نظام داخلى ، ووقت مناسب في التدريب على السلاح للمتطوعين ، وتزويد المجاهدين بالذخيرة والتموين والتطبيب عند وجود هذه الأشياء .

ومن أهم هذه الأدوار التى كانت موجودة في الجبل الأخضر تحت قيادة الشيخ عمر المختار: دور البراغيث الذى يضم المتطوعين من قبائل البراعصة ، والعواقير ، والعبيد ، وأولاد الشيخ ، والعوامة ، والشهيبات ، والمنفة ، والمسامير ، والعرفة ، وكان قائمقام الدور يوسف بو خديده (بو رحيل) وآدوار أم الذويل ، وعبدالرزاق العوامى حيث كان كل واحد من هؤلاء بدرجة قائد قومندان[2]. ودور شحات والذى يضم قبائل الدرسة ، والبراعصة تحت قيادة حسن الجويفى ، وعصمان الشامى القومندان لهذا الدور ، ودور درنة الذى يضم قبائل الحاسة والعبيدات وغيرهم تحت قيادة الفضيل بو عمر ، وصالح بو هبوب . ودور المعية الذى يضم

---

(1) عقيل البربار ، بحوث ودراسات ، المرجع السابق ، ص 284 ، 285 .

(2) المرجع نفسه ، 288 - 289 .

المتطوعين من المناطق المختلفة ويتبع هذا الدور لقيادة الشيخ عمر المختار من قبائل مباشرة حيث كان أغلب المتطوعين فيه من قبائل المنطقة الوسطى مثل: المغاربة ، وزوية ، وأولاد سليمان ، وسرت ، وإجدابيا بالإضافة إلى المجاهدين القادمين من تشاد مثل: عبدالله قجة ، والمجاهدين الذين كانوا رفقة إبراهيم السويحلى[1].

وبصفة عامة فإن الشيخ عمر المختار قد تمكن من تنظيم حركة الجهاد بالجبل الأخضر في تشكيل عدة أدوار مثل: دور العبيد والذى كان يشمل 800 مجاهد ، ودور البراعصة قرب جردس الجرارى ، وعدد أفراده (450) مجاهدًا ، ودور العواقير بمنطقة الشعفة ، ودور الحاسة ويضم 150 مجاهدًا بالقرب من مراوة ، دور المرج والذى كان يمثل دورية مستقلة من الدرسة تضم 150 مجاهدًا ، ودور المغاربة بمنطقة برقة البيضاء الواقعة بين مجاهدى إجدابيا وسلوق ، وكان الدور يمثل النظام الإدارى والعسكرى ، والسياسى ، والاجتماعى إذ تنضوى جميع الأدوار تحت إشراف مجلس عسكرى برئاسة عمر المختار ، ويضم يوسف بو رحيل ، وحسين الجويفي، والفضيل بو عمر ، ومحمد الشركسى ، وموسى غيضان ، ومحمد مازق ، ومحمد العلوانى وجربوع بو بكر، وقطيط الحاسى ورواق دومان في الوقت الذى كان فيه لكل دور مجلس إدارى يحدد السياسة العسكرية ، والاقتصادية للدور في ضوء الإستراتيجية العامة لحركة الجهاد ، وكانت تصدر الترقية بناء على صدور أمر كتابى من الشيخ عمر المختار نفسه.

وكان كل دور يعمل على تعويض الشهداء من كل أفراده بآخرين من قبائلهم، كما يلتزم الدور بتوفير التموين لأفراده[2].

ثالثًا: التموين: والذى يرجع إليه الفضل في استقرار حركة المقاومة بمناطق الجبل الأخضر حيث كانت الزكاة من أهم مصادره بالإضافة إلى الغنائم والمكوس من الأسواق، بالإضافة إلى ما كان يرد من مصر وغيرها .

لقد كانت الزكاة والأعشار من المصادر الهامة في تزويد المجاهدين بالتموين وفق الشريعة الإسلامية، ويتولى تحصيل الزكاة مأمور صحبة بعض الأشخاص الممثلين عن كل قبيلة بواسطة ايصالات رسمية موقعة من طرف الشيخ عمر المختار .

وكثيرًا ماكانت الزكاة والأعشار تجمع من سكان المدن والقرى الخاضعة للاستعمار الإيطالي أو الغير خاضعة مثل: بنغازى ، والمرج ، ودرنة ، وطبرق، وكانت الأسلحة والتموين والأموال التى

---

(1) المرجع نفسه ، ص 289 – 290 والذى أشار إلى بعض الأشخاص الذين انضموا إلى هذا الدور بعد أن كانوا صحبة إبراهيم السويحلى كل من : محمد الرملى ، وسليمان الطالب ، ويوسف مليطان ، والمهدى إنبيض / وأحمد الشغافي ، والهادى الزليطنى ، وسالم فرحات ، وسالم الجهانى .

(2) جراتسيانى ، برقة الهادئة ، ص 34 ، 36 ، 153 ، عقيل البربار،المرجع السابق ، ص 292 – 295.

تصل إلى معسكرات المجاهدين يتعرض أصحابها المتواجدين في المناطق المحتلة إلى عقوبة الإعدام كما حدث للمواطن محمد الحداد من بنغازى الذى أعدم مع ابنه في سنة 1931 (1).

ومثلت الغنائم المصدر العام لرجال حركة المقاومة بالجبل الأخضر من خلال المعارك التى يتم القيام بها على قوافل التموين الإيطالية، وعلى المعسكرات التى كان يتحصل على إثرها المجاهدون على الأسلحة والذخيرة، والتموين، والماشية .

كما مثلت خزينة المكوس على الأسواق موردًا هامًا لحركة الجهاد وهى المبلغ الذى كان يجبى عن البضاعة المباعة داخل الأسواق ، والعابرة للحدود الليبية المصرية في شكل ضرائب جمركية.

وسهلت هذه الموارد المالية ذات المصادر المختلفة على الشيخ عمر المختار مهمة شراء حاجات المجاهدين الضرورية من الأسواق المحلية والخارجية بالرغم من متابعة السلطات الإيطالية لهم والذى لم يحد من هذه المصادر عدا إغلاق الحدود المصرية وتهجير الأهالي من قراهم بمناطق الجبل الأخضر ووضعهم في معتقلات جماعية مثل: معتقل عين الغزالة، والعقيلة ، والبريقة ، وسلوق ، والمقرون حيث تشير الإحصائيات إلى أن معتقل سلوق قد ضم 36 ألف معتقل ، والمقرون 18 ألف معتقل ، والبريقة والعقيلة 72 ألف معتقل، ويكون المجموع الإجمإلى 126 ألف معتقـلاً قتل من بينهم ما يقارب 90 ألف شخص ، ورجع 36 ألف شخص إلى مواقع اعتقال جديدة وهم في شكل عجز وعاهات مستديمة، وأمراض سوء التغذية ،والعيون .

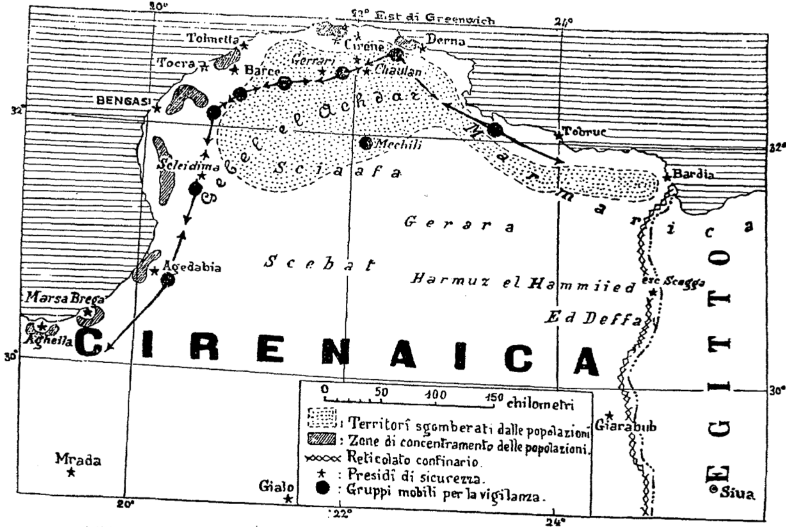
وساهمت عمليات المعتقلات الواسعة لقبائل الجبل بين سنتى 1930 م و1934 م في أضرار بشرية بلغت 250 ألف نسمة هاجروا من مناطق استقرارهم إلى المناطق المختلفة بالإضافة إلى مقتل 90 ألف نسمة داخل المعتقلات مع القضاء على 60 ألف رأس من الماشية المصاحبة للمعتقلين بصحراء سرت لندرة المياه وسوء المراعى ، حيث انخفضت أعداد رؤوس الأغنام والماعز ، والجمال ، والأبقار ، والخيول في سنة 1933 م إلى 135,300 رأس في حين كانت الأعداد خلال سنة 1910 م حوالي 1,293,200 رأس(2) .

وحتى تتمكن القوات الإيطالية من تشديد الحصار على المجاهدين بمناطق الجبل الأخضر في أعقاب اعتقال أفراد القبائل في وسط مخيمات خاصة وتحت الحراسة المشددة فإن إيطاليا قامت بمد خط من الأسلاك الشائكة على طول الحدود المصرية بداية من البردية شمالاً وحتى واحة الجغبوب جنوبًا بما يزيد عن 300 كيلومتر في شكل خط ثابت ومتين لايمكن

---

(1) عقيل البربار ، المرجع السابق ، 294 .

(2) يوسف البرغثى ، بحوث ودراسات في التاريخ الليبى ، المرجع السابق ، ص 315- 316 .



خريطة توضح خط سير المعتقلين من مواطنهم الأصلية إلى معسكرات الاعتقال، والمناطق التي أخليت من سكانها

لأحد آن ينفذ منه دون أن يتعرض للخطر الداهم للمراقبة الشديدة والمستمرة .

ويصف الجنرال جراتسيانى صاحب فكرة خط الأسلاك الشائكة، أن هذا الخط قد بدأ من آبار الرملة حتى خليج السلوم في شكل شريط عريض مترام على طول الحدود الليبية المصرية ، مارًا بمرتفعات ومنخفضات منطقة البطنان إلى ما بعد الجغبوب بمسافة تزيد عن 270 كيلومترًا في شكل ثلاثة مراكز دفاعية هي :

إمساعد – الشقة الجغبوب ، وستة مخافر أخرى إضافية هى : الرملة و سيدى عمر وقرن القرين و العمارة ، مع وجود ثلاثة مطارات في إمساعد ، الشقة و الجغبوب وقاعدة جوية أخرى تسع لعدد أربع طائرات[1].

وكانت جملة تكلفة المشروع 17,737,173,80 فرنكًا إيطاليا (سبعة عشر مليونًا وسبع مائة وسبعة وثلاثون ألفًا ومائة وثلاثة وسبعون فرنكًا وثمانون سنتيمًا) ، وقام بتنفيذ المشروع 2500 عامل فنى وعادى، و7200 رجل مسلح للحماية ، و200 مركبة آلية ، و18 باخرة قامت بنقل حمولتها إلى ميناء البردية، واستغرقت مدة العمل ستة أشهر تحت إشراف العقيد ، "ناسى" الحاكم العسكرى للمنطقة الشرقية والذى وصل إلى برقة في شهر فبراير 1931م والذى يصفه الجنرال جراتسيانى بأنه: المعلم الأول في الفنون العسكرية بالمستعمرات كالمولد للطاقة الحربية، متقد و نشيط وحازم ومخلص في أعماله، وإليه يرجع الفضل في تنظيم التحركات والإشراف التام على مد خط الأسلاك الشائكة على طول الحدود المصرية[2].

وعلى إثر هذه الأعمال الإرهابية والمتمثلة في وضع سكان مناطق الجبل الأخضر في المعتقلات ، وإغلاق الحدود الليبية المصرية بواسطة وضع خط من الأسلاك الشائكة ، مع تطويق الجبل الأخضر من الجنوب والغرب ، وتشكيل المحكمة الخاصة التى كانت تنتقل بواسطة طائرة من بلدة إلى آخرى وكانت أحكامها جائرة وتنفذ فورًا وعرفت بالمحكمة الطائرة، فإن هذه الأعمال جعلت حركة الجهاد تحت قيادة الشيخ عمر المختار تمر بمرحلة صعبة أدت إلى القبض عليه ، وإعدامه أمام سكان معتقل سلوق يوم الإربعاء 16 من سبتمبر 1931 م ، ثم سقوط كبار رفاقه شهداء مثل : يوسف بورحيل مع ثلاثة من القادة الآخرين يوم 19 من ديسمبر 1931 م بينما تمكن عبد الحميد العبار من اجتياز الحدود إلى مصر ، وبرفقته خمسين مجاهدًا بوضع الخيام على الأسلاك الشائكة والعبور عليها.

---

(1) جراتسيانى برقة الهادئة ، المرجع السابق ، ص 236 .

(2) المرجع نفسه ، ص 235- 238 .

خريطة لقسم من الأسلاك الشائكة على الحدود المصرية الليبية لمنع وصول الإمدادات للمجاهدين

الخاتمة

تؤكد حركة التاريخ أن الغزو الاستعمارى لبلد من البلدان لايأتى ولايتأكد بسهولة إلا إذا كان هذا البلد يملك رصيدًا من الوعى النضالى ،والقدرة، والإرادة، والتحدى لمواجهة هذا الغزو.

ويمكن أن نصل في خاتمة هذا الكتاب إلى مجموعة من الاستنتاجات العامة التى يمكن أن تكون سمة تاريخية لمثل هذه الظروف التى مرت بها ليبيا في مواجهة الغزو الإيطالي ، إلى جانب بعض الصفات الخاصة بالشعب الليبى ، التى أعطته القدرة على مواجهة هذا الغزو الذى عجز عن السيطرة على كامل الأراضي الليبية ، وتحقيق أهدافه إلاً بعد عشرين عامًا من القتال .

اولاً : كان للعقيدة دور كبير في جهاد الليبيين ونجاحهم في مقاومة الغزو الإيطالي ، ورغم فوراق السلاح والفارق الاجتماعى ، استطاع الليبيون الصمود أمام جحافل الجيوش الإيطالية بسبب تأثير العقيدة والتى كان جوهرها الإسلام ؛ وذلك من منطلق آن الحملة الإيطالية ما هى إلا الاستمرار للهجمة الاستعمارية الصليبية التى ما فتئت تشنها أوربا على العالم الإسلامى كما كان الدافع الوطنى هو الآخر وراء جهاد الليبيين ، ذلك أن أى إنسان على وجه الأراض لديه الدافع الذى يجعله يهب لحماية الأراضي التى يقيم عليها، والدفاع عن شكل الحياة التى يحياها حتى ولو كان يعيش في البادية أو في الصحراء أو حتى على الجبال .

ثانيًا: أكدت المرحة الأولى من الغزو أن ليبيا جزء من الأراضي العربية بدليل تحمس عناصر عربية كثيرة للدفاع عنها ، ومشاركة عزيز على المصرى وصالح حرب وعبد الرحمن عزام وجعفر العسكري لدليل على ذلك .

كما آن التضامن الإسلامى قد أدى هو أيضًا إلى مساهمة عناصر اسلامية من الشرق والغرب في مقاومة الغزو الإيطالي لليبيا بالمال والسلاح . فلقد أرسلت مساهمات هامة من المسلمين وغيرهم .

ثالثًا: كشفت الحملة الإيطالية على ليبيا حقيقة الدولة العثمانية ومدى إيمانها بالدفاع عن الوطن العربى، بحيث يمكن أن يقال: إن الاحتلال الإيطالي أكد الاتجاه لدى تركيا

بأن مصلحتها قبل مصلحة الأمة العربية بل والأمة الإسلامية، وأن مصلحة جماعة الاتحاد والترقى قبل مصلحة الدولة.

ومن خلال هذا الاستنتاج يمكن أن نوضح بداية انفصال المصلحة التركية عن المصلحة العربية حين وقّعت تركيا معاهدة الصلح مع إيطاليا وتخلّت بموجبها عن مسئوليتها، وتركت الليبيين يواجهون المصير بمفردهم في مواجهة الغزو الإيطالي عام 1912 م، وحدث نفس الشئ في عام 1918 على إثر معاهدة موندروس.

رابعًا: إن أى نظام استعمارى بمجرد أن يمتلك القوة والقدرة لايحفظ عهوده قط، بدليل أن النظام الفاشستى بقيادة " بنيوتى موسولينى " قام بتمزيق كل الاتفاقات والعهود التى وقّعها أسلافه مع الليبيين، ووجه آلافًا أخرى من الجنود، وأطنانًا من العتاد ووسائل الدمار والهلاك إلى أرض ليبيا ، وأعاد غزوها من جديد متّبعًا في ذلك أسلوب الإبادة الجماعية التى شهد الأعداء أنفسهم بقسوتها ، وثبت أن عهد الاسترداد هو أسوأ عهود الاستعمار الأوربى قاطبة وسبة في جبين الإيطاليين لم يشهد العالم له مثيلاً .

خامسًا: يتضح من خلال أى صراع بين الوطنيين والمستعمرين أن توجد فئة قليلة تدعو إلى الاستسلام واستخدام أسلوب التفاوض، وهذه الفئة بلا شك بعض منها قد يكون عميلاً للاستعمار، ولكن البعض الآخر يمكن أن يقال عنه أنه يفعل ذلك من خلال نظرته الواقعية والعملية للأمور ومن فهمه للحقائق التاريخية التى تجعل المواجهة تعنى الانتحار. إلا أن البطء في المقاومة والاستهانة في حمل السلاح أيًا كان الموقع والموضع لكفيل بضياع الكثير من حقوق الوطن والسيادة .

سادسًا: لم يكن أسلوب حكم الإيطاليين لليبيا أسلوبًا حضاريًا بل اتبع أسلوب الإبادة والخداع، وسرق الإيطاليون الأراضى الليبية ونهبوها بدون حق، كما نهبوا تراثها من آثار وغيرها.

سابعًا: أثبتت الأحداث أن الغزو الإيطالى لليبيا كان سببًا من أسباب التخلف الذى أحاط بهذا القطرالعربى .

ثامنًا: تسبب الاستعمار الإيطالي في أن يجعل الليبى مواطنًا من الدرجة الثانية بعد أن كان سيدًا في بلاده رغم السيطرة العثمانية الصورية .

تاسعًا: بدأ المستعمر الإيطالي حملة تبشيرية عنيفة في مواجهة الإسلام؛ حيث انتشرت الكنائس وهدمت الجوامع ، وكان ذلك سببًا في هجرة ألاف الليبيين عن أرضهم إلى الصحراء بما يمكن أن يقال معه أن الاستعمار الإيطالي تسبب في خراب المدن وفي زيادة عدد من لا مأوى لهم .

عاشرًا: نتج عن الاستعمار الإيطالي أن نقص عدد السكان بما يقرب من النصف؛ نتيجة لحرب الإبادة التى مارسها الإيطاليون قبل الشعب الليبى .

الحادى عشر: أن المجاهد الليبى برئ كل البراءة مما أوقعه فيه الزعماء أو بعض القادة الذين قادوه أحيانًا لكى يقاتل أخاه المسلم بسبب إقناعه بأن ذلك في مصلحة البلاد، ويكون السبب الحقيقى طمع هذا القائد في مركز لدى الطليان أو للانتقام من زعيم آخر منافس له، أو بسبب خلاف قديم على بئر ماء أو ثأر أو أغراض شخصية أخرى.

لقد أعلن الإيطاليون أنهم استفادوا إلى حد كبير من تغذيتهم للخلافات بين الزعماء وبين القبائل وبعضها بالتالى ، وكان سلاحهم الأمضى هو سلاح " فرق تسد " وكان العنصر التركى قد سبق الإيطاليين في الاستفادة من الخلاف بين القبائل، بل أنهم شاركوا في تأجيج الخلافات عندما إستمالوا قبائل معينة وأعفوها من دفع الضرائب في حالة مخالفتهم ضد قبائل بعينها .

الثانى عشر: لقد ثبت من خلال بعض المعارك مثل القرضابية والتى تعتبر أعظم المعارك في ملحمة الجهاد الليبى ، أن الوحدة الوطنية تعتبر عنصرًا هامًا في نجاح المعارك ضد آى غاز أو محتل .

الثالث عشر: لقد كانت إيطاليا تعلم مسبقًا أنها لن تواجه بمعارضة أولية ، وإن كانت قد حرصت على آن تحصل على موافقة ضمنية على غزو ليبيا من معظم الدول الأوربية، وعلى عكس ما كان يتصوره الإيطاليون من أن غزو ليبيا ما هو إلا نزهة بحرية ينتقلون فيها من موقع إلى آخر ، وأن تركيا الضعيفة لن تستطيع مواصلة القتال ؛ فوجئ الإيطاليون بالمواجهة الشعبية التى بدت أقوى من مقاومة الجيش التركى بكثير وهو جيش نظامى .

فالأتراك عقدوا صلحًا مع الإيطاليين ورضوا بالسيادة الدينية ، وتركوا البلاد فريسة للطليان، ولكن الشعب الليبى رفض هذه الانهزامية وقاوم قدر جهده وظل يقاوم عشرين عامًا، وعند ما دب دبيب الخلاف بين زعمائه بدأ يخسر مكاسبه ، وبدأت قوى الاحتلال تتغلغل في أرضه.

بقى آن نقول: إن الكثير من المعارك العسكرية رغم بدائية السلاح الليبى ، أثبتت صدق المجاهدين؛ بحيث يمكن آن يقال دائمًا: إن الإنسان آقوى من السلاح، وأن العقيدة أقوى من آى قوة، وان الوحدة الوطنية طريق النصر .وآن العدو إذا استولى على قطعة من الأرض فيكفي أن تكون لدينا قوة الإرادة ليمكن أن نناضل من أجل النجاح في تحقيق الهدف؛ وهو طرد المغتصب.

إن الإيطاليين احتاجوا إلى سنوات طوال حتى يتمكنوا من السيطرة على الساحل وإلى المزيد

من السنوات حتى تمكنوا من الدواخل، و رغم تواجدهم إلا أن سياستهم الرعناء كانت سببًا في عدم استقرارهم، و بالكراهية الطبيعية التى ولدتها ظروف اختلاف الحضارتين المتصارعتين. وسوف تحتاج إيطاليا رغم كل سلاحها وجبروتها وقوتها وأساطيلها وطائراتها وجيوشها إلى أساليب في الحكم؛ لتضمن سيطرتها على ليبيا وهذا هو ما فعلته بعد الثلاثينات.

لانستطيع القول بأن: منطقة في ليبيا قد جاهدت فترة أقل من منطقة أخرى ، لأن القضية بالنسبة للاحتلال كانت قضية مراحل: قسم على أساسها ميدان العمليات إلى قطاعات ، بحيث تؤدى كل مرحلة إلى المرحلة التالية لها ويؤدى احتلال قطاع إلى قطاع آخر: ذلك أن العدو لم يكن لديه القدرة على أن يشعل الحرب في كل القطاعات في وقت واحد . وقد أخذوا دروسًا من الحرب في المرحلة الأولى التى بدأت من عام 1911م ، وحاربوا فيها في كل من طرابلس وبرقة وفزان في وقت واحد حتى هزموا.

لقد كانت أشكال الاضطهاد الإيطالي للشعب الليبى كثيرة ومتنوعة ، لم يلجأ لمثلها استعمار آخر فقد قاموا بإعدام الآلاف من المجاهدين بالجملة، وأمام عائلاتهم كما أعدموا النساء وعلقوهم عراة أمام الناس .

كما قاموا بنفي الآلاف للجزر الإيطالية التى لا تقوم عليها حياة آدمية خاصة خلال عامى 1911 م و1915. ووضعوا آلاف الليبيين في المعتقلات الجماعية المكشوفة وسط الشمس المحرقة، وتحت الأمطار، وفي خيام مهلهلة تقذف بها الرياح، وخالية من الخدمات الإنسانية ليموت العشرات منهم يوميًا .

كما قامت القوات الإيطالية بعمل مذابح جماعية في مناطق كثيرة ، مثل: مذبحة المنشية بطرابلس وضواحيها يوم 23 / 10 / 1911 م.

وكان الإعدام تقوم بتنفيذه محاكم عسكرية أطلق عليها " المحاكم الطائرة "؛ لأنها تنتقل من مكان إلى آخر بالطائرة؛ لكى تنفذ في اللحظة بعد أن تصدر حكم الإعدام نتيجة لمحاكمات صورية : والهدف هو أن يكون الإعدام في نفس المكان الذى يعيش فيه من ألقيت عليه التهمة وسط أهله للتخويف ، كما تم مصادرة عشرات من الهكتارات الزراعية وطرد أصحابها منها وتسليمها إلى الأسر الإيطالية التى جلبت من إيطاليا خصيصًا لذلك، بداية من عام 1937 م .

كما فرضت إيطاليا الجنسية الإيطالية على الليبيين، وجندتهم رغمًا عنهم للدفاع عن الجيش الإيطالي خارج ليبيا ، كما حدث في الحبشة حيث حارب الليبيون هناك من أجل الاستعمار الإيطالي عام 1935 م ، 1936م ولقد حارب الإيطاليون الثقافة العربية بالإكثار من إنشاء المدارس الإيطالية في ليبيا، وتسمية الشوارع بأعلام إيطالية، وحاربوا العادات والتقاليد العربية والإسلامية؛ وأصبحوا يحلون مكانها عادات أوربية: كشرب الخمر والتعامل بالربا

وغيرها من الأمراض الاجتماعية التى لم يعرفها المجتمع الليبى من قبل.

لقد كانت إيطاليا وراء تفريغ ليبيا من معظم سكانها بالهجرة، بعد آن حطمت الاستقرار النفسى لليبيين: وكان هدفها من ذلك آن تفرغ البلاد من سكانها: لإحلال الإيطاليين مكانهم: مستخدمة في ذلك شتى أنواع الإرهاب: كالقتل والسجن والنفي والتجويع والاعتداء على الحرمات.

أهم المصادر والمراجع العربية والمترجمة

1- محمد لطفي المصرى، **تاريخ حرب طرابلس** ، مطبعة الأمير فاروق، بنها - مصر ، 1946.

2- الطاهر أحمد الزاوى ، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب** ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الثقافة - دار الفتح ، 1973 م .

3- الطاهر أحمد الزاوى ، **أعلام ليبيا** ، مكتبة الفرجانى ، طرابلس - ليبيا ، 1961 م .

4- محمود الشنيطى ، **قضية ليبيا** ، القاهرة -مصر ، مكتبة النهضة ، 1951 م.

5- أحمد صدقى الدجانى ، **ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي 1881 - 1911 م** ، بنغازى ، المطبعة الفنية ، 1971 م .

6- محمد المرزوقى **دماء على الحدود** ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، 1975 م .

7- محمد الطيب الأشهب ، **برقة بين الأمس واليوم** ، القاهرة ، مطبعة الدوار ، 1975 م .

8- خليفة محمد التليسى، **معارك الجهاد الليبى من خلال الخطط الإيطالية** ، طرابلس ، دار المجاهدين للنشر، 1980 م .

9- خليفة محمد التليسى، **معجم معارك الجهاد الليبى**، بيروت - لبنان ، 1977م.

10- زعيمة سليمان البارونى ، **صفحات خالدة من الجهاد الليبى للمجاهد سليمان البارونى** ، مطابع الإستقلال، بيروت ، 1964 م .

11- محمد بازامة ، **العدوان أو الحرب بين إيطاليا وتركيا في ليبيا** ، مكتبة الفرجانى، طرابلس- ليبيا ، 1960م.

12- محمد بازامة ، **بداية المأساة أو التهديد للاحتلال** ، بنغازى ، المكتبة الأهلية ، 1961 م.

13- آمين سعيد ، **الدولة العربية المتحدة**، 3 أجزاء ، مصر ، 1976 م .

14- محمد فؤاد شكرى ، **السنوسية دين ودولة** ، دار الفكر العربى ، مصر ، 1948 م .

15- مجيد خذورى، **ليبيا الحديثة ودراسة تطورها** ، مؤسسة فرانكلين ، 1966م .

16- **مذكرات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا**، ترجمة وجدى كدك ، منشورات مركز بحوث جهاد الليبيين ، طرابلس ، 1979 م .

17- مصطفي حامد رحومة ، **المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي من أكتوبر 1911 م ، إلى أكتوبر 1912 م،** مركز دراسة الجهاد الليبى 1995.

18- صلاح السورى وآخرون ، **بحوث ودراسات في التاريخ الليبى ،الجزء الثانى** ، 1984م.

19- منصور عمر الشتيوى ، **الغزو الإيطالي لليبيا**، مكتبة الفرجانى،طرابلس ليبيا، 1970 م

20- محمد إمحمد الطوير ، **من معارك جهاد الزاوية** ، 1917 - 1922 م ، مركز دراسة جهاد الليبيين ، 1988 م.

21- عمرو بغنى وآخرون، **معركة تقرفت**، مركز دراسة جهاد الليبيين ، 1979م .

22- عقيل محمد البربار، وآخرون، **عمر المختار نشأته وجهاده (1867 ، 1931)**، مركز دراسة جهاد الليبيين، 1981 م .

23- إبراهيم أحمد أبو القاسم ، **المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية ، 1911 - 1957 م** ، تونس، بدون تاريخ .

24- تيسير بن موسى ، **كفاح الليبيين السياسى في بلاد الشام ، 1925 - 1950 م** ، مركز دراسة جهاد الليبيين ، 1983 م .

25- الطاهر أحمد الزاوي . **جهاد الليبيين في ديار الهجرة 1924 - 1952 م** . دار الفرجاني طرابلس - ليبيا. 1976 م .

26- خليفة محمد التليسي . **بعد القرضابية** ، دار الثقافة ، بيروت ، 1973 .

27- أحمد العياط ، مدلل .**المقاومة الليبية ضد الغزوالإيطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها 1914 - 1915 م**. مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، طرابلس. ليبيا 1984م.

28- محمد صالح الجابري ، **يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية ، 1912 - 1932 م** ليبيا - تونس، 1982 م .

29- صالح عوض السويحلي . **رمضان السويحلي حياة وجهاد ، 1974 م** .

30- محمد فؤاد شكري . **ميلاد دولة ليبيا الحديثة** ، القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، 1957 م .

31- محمد الأخضر العيساوي ، **رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار** ، القاهرة ، مطبعة حجازي 1936م .

32- محمد سعيد القشاط . **معارك الدفاع عن الجبل الغربي، 1922 - 1925 م**، دار الجماهيرية (طرابلس - ليبيا) ، 1983 م .

33- محمد مسعود فشيكة . **رمضان السويحلي** ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس - ليبيا، 1974م.

34- مصطفي على هويدي ، **الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى** ، مركز دراسة جهاد الليبيين . 1988 م .

35- سامي حكيم . **حقيقة ليبيا** . مكتبة الأنجلو مصرية ، مصر ، 1970 م .

36- رفعت عبد العزيز . **عشر سنوات في الجهاد الليبي (1911 - 1921)** رسالة ماجستير غير منشورة . القاهرة ، 1982 .

37- محمد إمحمد الطوير ، **الشيخ محمد فرحات أحد قادة الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي** ، دار المجاهدين، طرابلس - ليبيا 1993م.

38- محمد عبد الكريم الوافي، **الطريق إلى لوزان** . مكتبة الفرجاني ، 1977 م.

39- **المنفيون الليبيون إلى سجون الجزر الإيطالية** ، وثائق وأرقام وقوائم وصور، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين - 1989 م .

40- مالجيري . ف . **الحرب الليبية 1911 - 1912 م** ، ترجمة وهبي البوري ، الدار العربية - ليبيا - تونس. 1978 م .

41- إيفانز بريتشارد . **السنوسيون في برقة** ، ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني . طرابلس - ليبيا . بدون تاريخ .

42- جيوليتي ، المذكرات : **الأسرار العسكرية والسياسة لحرب ليبيا ، 1911 م- 1912 م** ، ترجمة خليفة محمد التليسي . دار المجاهدين . 1976 م .

43- آرسي . **مع الإيطاليين في حرب طرابلس** . ترجمة منصور الشتيوي مكتبة الفرجاني 1972م .

44- رفعت عبد العزيز . **عشر سنوات في الجهاد الليبي (1922 -1932)** رسالة دكتوراة غير منشورة القاهرة . 1986 .

45- جاك بيشون . **المسألة الليبية في تسوية السلام** ، ترجمة على ضوي ، مراجعة د. صالح المخزوم . مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس ، 1991م.

46- فرانسيس ما كولا . **حرب إيطاليا من أجل الصحراء** . ترجمة د. عبد المولى صالح الحرير، مراجعة د. محمود حسن صالح منسي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، 1991.

47- كارلوفوتى بورشينارى. **العلاقات العربية الليبية الإيطالية 1902 – 1930** . من مذكرات إنساباتو. ترجمة عمرو البارونى. مركز دراسات جهاد الليبيين 1980م.

الكتب الايطالية

* Bollati A. (Enciclopedia) dei Nostri Compattimenti Coloniali, Torino, 1936.
* Gabelli O. "La Tripolitania della fine della querra mondiale all" avvento del fascismo intra, "A. Airoli,1937".
* Gabelli, "Laserussia- le sue origini it suo svill uppo-la sua azione rivista delle colonia edell ` Oriente` 1924-1925.
* Gaibi, "Storia della coloni italiana. Sintesi politico militare" Torino,1934.
* Graziani Rodolfo, "Cirenaica Pacificata",mondadori, Milano. 1932.
* Graziani Rodolfo, "Verso il fezzan, Tripoli, 1929,x.
* Graziani Rodolfo, " Libia redenta", Torella,Napoli,1948.
* Graziani Rodolfo "La reiconquista del fezzan", Milano 1934.
* Mezzetti O. ," Guerra in libia esporienze ericordi" Roma,1933.
* Ralz O., " Le operazioni Libiche sul 29 Parallelo nord, Roma, 1938.
* Rapex R., "Laffermazione della sovranita" Italiana in Tripolitania, 1921-1925, Zientsun, Chihli press,1937.
* Salerno Eric, " Genocidion in Libia, Le atrocita nascoste dell' avventura coloniale (19911-1931), Sugar co sedizioni, Milano 1979.

كتب أوربية غير إيطالية

* Agil al-Barbar, " Economics of Colonialism : Ph.D dissertation, University of Wisconsin Madison, 1980.
* Asad Muhammad, le cheman de la mecque, Fayard, Parigi, 1976.
* Ashuirakis Ahmed M., A concise history of the Libian struggle for freedom, the general publishing distributing & advertising Co. first Edition, Tripoli 1976.
* Pritchard E.E Evens.The sanusi of Cyrenaica, Calarendon press, Oxford,1949.
* Segr Clsaudio G., Forth Shore: The Italian Colonization of Libia, Studies ir imperialism . Robin W. Winks, Series Editor, The University of Chicago Press, Chicago and London. 1974.
* Smith, Denis Mack, Musulini's Roma Empire, Italy and her colonies (1922-1932) . Longman, London and New york, 1975.

الملاحق

Anno 36 — Num. 277 Milano — Sabato 7 Ottobre 1911 Edizione del pomeriggio

CORRIERE DELLA SERA

Tripoli occupata militarmente

Gli ambasciatori a Costantinopoli deplorano il contegno dei Giovani Turchi - Chiamata di riservisti alle armi - Gli effetti del bombardamento a Tripoli - Rappresaglie turche a Salonicco

(Servizio particolare del " Corriere della Sera ")

Sulla via dell'avvenire

Le operazioni della flotta

nelle acque della Tripolitania e della Cirenaica

Come sono stati bombardati i forti di Tripoli

Anche i porti della Cirenaica sarebbero già occupati

I Giovani Turchi organizzano

The influential Italian newspaper published in Milano, the "Corriere della Sera" of 7/10/1911 reports the landing of naval forces and the taking over of Tripoli. The same paper had said on 27/9/1911 that "the Arabs were looking forward with confidence for the arrival of the Italians, and that there was nothing to make one feel afraid of a real threat of an outbreak of a religious war in Tripolitania."

الصحيفة الايطالية الواسعة الانتشار (كوريري ديلا سيرا) التي تصدر في ميلانو تنشر يوم ١٩١١/١٠/٧ خبر انزال القوات البحرية واحتلال مدينة طرابلس. وكانت هذه الصحيفة قد نشرت في ١٩١١/٩/٢٧ «ان العرب ينتظرون قدوم الايطاليين بثقة وليس ثمة ما يدعو الى التخوف من خطر حقيقي لاندلاع حرب دينية في طرابلس الغرب».

ANNO XLVI MATTINO — TORINO, Mercoledì 16 Ottobre 1912 — MATTINO

LA STAMPA

La pace tra Italia e Turchia conclusa

(Per telefono e per telegrafo alla STAMPA)

Roma, 15. (Ufficiale).

Oggi ad Ouchy, alle ore 18, è stato firmato l'accordo preliminare per la pace tra l'Italia e la Turchia.

(Agenzia Stefani).

La giornata decisiva ad Ouchy

La ritardata liberazione della missione Sanfilippo Sforza

La rottura diplomatica tra la Porta e gli Stati balcanici

Lo scopo conseguito

L'impressione a Roma

La soddisfazione di Pio X per la conclusione della pace

ملحق المربعة وثيقة رقم "١٩"

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة تاريخية من حياة المغفور له : أحمد المريض

ولد المرحوم أحمد المريّض في بلدة ترهونة سنة ١٢٩٢هـ . وهو أحمد بن علي بن محمد بن الحاج احمد المريض
وكما يذكر انه ورث لقب المريض عن جده الاول الحاج أحمد المريض . وقد جاء هذا اللقب نتيجة افتتح جدّه بين
قبائل ترهونة وكانت مثار للهرج والمرج فساهم بإخمادها ، ورأب الناس وهدأت الفتنة ولذلك لقب بالمريض
من التمريض . هذا هو المتواتر بين افراد العشيرة
والمريض هذا ينحدر من عشيرة اولاد مسلم قبيلة عواسه بترهونة . وقد كان في مستهل حياته مثالا حيا لحسن
السمعة ومعالجة الامور بين افراد العشيرة بالحكمة والتروي حتى صار محط آمال الجميع وكان منفعة ترهونة . فأحاطوه
جميعا بمودتهم واخلاصهم وصاروا يرجعون اليه في جميع شؤونهم السياسية والاجتماعية ولا يبتون في امر دون
الرجوع اليه فيما يتعلق بهم من حوادث سواء كانت خارجهم ام داخلهم بالنسبة لمنطقة ترهونة
ونظرا لبعد نظره وحكمته تكسب وتجميع سكان المنطقة بهذه الطريقة السياسية المثلى . والده : علي بن محمد بن
الحاج أحمد المريض تقلد مناصب شعبية وادارية في عهد الدولة العثمانية أولا كشيخ مشائخ ترهونة . ثم بعد ذلك
تولى قائمقام ترهونة عدة مرات وكان قدوة حسنة للتواضع الكريم ونكران الذات . وجده الاول أحمد المريض الذي
كان زعيما شعبيا لمنطقة ترهونة شارك في كثير من الحركات التي حصلت بين المواطنين ومقاومات الاستبداد سواء كانت
في عهد القره مانلية - او في عهد الدولة العثمانية كما هو مدرج في سجلات التاريخ بين سنة ١٢٢٠ و ١٢٥٨هـ مع غيره
من الزعماء الذين اثارهم الاستبداد
ثقافته أي : أحمد المريض بن علي . كان تعليمه عن طريق الكتّاب وقد حفظ نصيب وافر من سور القرآن الكريم و كما
الماما جيدا بحسن الخط والاملاء . وفي كتابته بلاغة وفي تعبيره ضبطا دقيقا للمعاني
حياته السياسية : بدأت منذ بدء الاحتلال الايطالي لطرابلس سنة ١٩١١ ، فبمجرد اعلان الغزو الايطالي لبى نداء
الواجب واعلن النفير العام بين قبائله وحرضهم على الجهاد ومكافحة الغزاة وقد قام بتشكيل محلة برئاسة شقيقه
«محمد التمام المريض» وقد رابطت هذه المحلة مع جملة مجاهدي الولاية وامتدت بين «عين زارة وسواني بني آدم»
واشتركت في معارك عين زارة والهاني والاكواشي . وقد استشهد في هذه المعارك الكثير من المجاهدين اذكر منهم
على سبيل المثل وليس الحصر . الخادم الذي برفقة محمد التمام واسمه (فرج) واستشهد بعده محمد التمام نفسه و
دفن بمنطقة «بئر الاسطى ميلاد»
وبعد توقيع معاهدة الصلح التي سلمت بموجبها الدولة العثمانية : «معاهدة أوشي» صدرت الاوامر للضباط العثمانيين
من دولتهم بالانسحاب من الميدان تطبيقا للمعاهدة الآنفة الذكر فانسحبوا وبقيت البلاد تواصل الجهاد ضد
المغيرين بامكانياتها الخاصة وبعد حوالي سنتين من الحرب كتب للمغيرين الاستيلاء على جميع مناطق البلاد .
وفي هذه الفترة بالذات وبعد ان استتب لها الامر احتجزت الحكومة الايطالية «أحمد المريض» في مدينة طرابلس و ذلك
نظرا لما لمسته فيه من محنكة وشخصية لامعة تنحدر من ماضي تاريخي أقل ما يوصف به ان له جذور تاريخية

من الصراعات العنيفة مع الدولة العثمانية في الماضية كما أشرنا آنفا. وقد بقي في مركز الولاية رجال الجيش
حتى الإقامة الجبرية إلى [illegible] سنة ١٩١٥م. وابتدأت الهزيمة التي منيت بها إيطاليا في موقعة القرضابية
التي انهزم فيها الإيطاليون هزيمة منكرة، ثم أخذت الهزائم تتوالى عليهم في جميع الأماكن التي احتلوها وقد حوصرت قوات
إيطاليا التي بترهونة والتي تقدر على حوالي [illegible] من جميع [illegible]
الإيطاليين لفك الحصار عليها وتحريرها فلم تفلح ثم خرجت قوة من العزيزية لنجدتهم وأبيدت.

ثم خرجت قوة إيطالية أخرى من جهة الخمس لنجدتهم ولفك الحصار عليهم فأبيدت هي الأخرى. ثم حاولت القوة المحاصرة
نفسها الخروج من الطوق عنوة والالتحاق بمنطقة العزيزية فاصطدمت بهم قوات مجاهدي ترهونة رام ملتهم بالرجانية
بوادي «سرط» «والشقيقة» وسحقت فلول تلك القوة فوقع نحو أسير ... من بينهم خمسة وعشرون ضابطا
من مختلف الرتب كما غنم المجاهدون الكثير من المعدات الحربية والذخيرة بعد تصفية تلك القوة.

وقد كانت هذه المعدات التي غنمها الثوار أعطت المجاهدين عونا كبيرا لمواصلة الكفاح ضد الغزاة الغادرين. وبعد هذه الهزائم
المتلاحقة لم يبق للإيطاليين مكان في أقاليم طرابلس سوى مدينة طرابلس ومدينة الخمس لا غير. وبفضل هذه المعدات
التي تحصل عليها مجاهدو ترهونة سواء إن كانت في موقعة القرضابية أو في موقعة ترهونة، ولذلك فقد أصبحت تمثل
المكانة المرموقة بين سكان هذه الولاية بما لديها من قوة عددية وتضامن بين قادتها وزعمائها البارزين.

وقد أهلتها هذه العوامل للصدارة والتصدي للأعمال الجهادية حتى شاركت بعد ذلك في جميع المعارك التي دارت وتواصلت بين
الغزاة والمجاهدين منها على سبيل المثال لا الحصر معركة زوارة - والجديدة - وجنان بالنخيب - وسواني المشاشية
وترينه - والزاوية - والرأس الأحمر - وكانت تواريخ هذه المعارك التاريخية من سنة ١٩١٦ الى سنة ١٩١٧م
ثم قصبة صفيف - والجبلاية من سنة ١٩٢٠ الى ١٩٢٢م وكذلك سيدي السايح. ثم توالت المعارك والقتال بعد فشل
صلح «سواني بني آدم» الى آخر معركة الأكوام بترهونة سنة ١٩٢٤م

هذا وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م أصبحت إيطاليا ضمن الدول المنتصرة في الحرب. ولذلك انعقد مؤتمر
طرابلس وطني بمدينة «مسلاتة» «القصبات» وضم جميع القادة والزعماء في الوطن وكان من ضمن قراراته تشكيل
«الجمهورية الطرابلسية» وقد انتخب لها أربعة أعضاء لمجلس الجمهورية وهم: سليمان الباروني - أحمد المريض - رمضان
السويحلي - عبد النبي بلخير - على أن يكون مقرها الرسمي مدينة العزيزية لمواصلة الحرب وإدارة شؤون البلاد
وهذه الجمهورية هي التي واصلت المفاوضات وأبرمت مع الإيطاليين الاتفاقية التي تسمى «بصلح سواني بني آدم»
وتم بموجبها اعتراف إيطاليا بالحقوق السياسية والمدنية لليبيين كما نص على ذلك القانون الأساسي الذي وقعه الطرفان
المتفاوضان وتعهد الطرفان باحترامه وذلك بتاريخ ١٩١٩م

ولم يكن مراد هذه الاتفاقية إلا أن إيطاليا قد نكثت بوعدها ولم تنفذ ما وعدت به فما كان من الوطنيين إلا أن
قرروا الاجتماع في هيئة مؤتمر يعقد في غريان. وقد تم اجتماع هذا المؤتمر وانبثق عن مقرراته تأسيس هيئة
الإصلاح المركزية برئاسة أحمد المريض لمواصلة التفاوض مع الإيطاليين ومطالبتهم بتنفيذ القانون الأساسي
وإعطاء الحقوق التي كفلها هذا القانون

فما كان من الحكومة الإيطالية إلا التنكر والمراوغة وعدم احترام الكلمة والقانون، وفي أثناء هذه المطالبة والأخذ والرد
بين الطرفين فلم يشعر المواطنون إلا وقد فاجأهم العدو بالنزول في مرسى قصر أحمد بمصراتة، وبالتالي المبادئ

على خط ترهونة، الذي يمتد من سيدي الساعح والجبالي ووقعت معارك في سيدي الساعح المشهورة وكان قائدها
من المعركة رئيس لجنة الإصلاح المركزية بالنائب [illegible] والمجاهدين [illegible]
وينقل الجرحى إلى أماكن معالجتهم في المؤخرة على الرغم من [illegible] خسائر جسيمة
من الطرفين وكان رئيس هيئة الإصلاح [illegible] لأنه أبا أن يكون عبد العزيز [illegible]
[illegible] شديد من قادة المجاهدين ومن أشهرهم المجاهد [illegible].

واصل العدو الهجوم على مرتفعات الجبل الغربي وأصبحت [illegible] معارك عنيفة ومنها [illegible] احتلال غريان وتم
احتلال هذه المدن بعد مقاومة [illegible] الإيطالية إلى
احتلال بلاد غريان [illegible] من الإيطاليين والمليشيات
المرتزقة سنة ١٩٢٢م [illegible] ترهونة
تقع في سلسلة جبلية [illegible]
النظر الحربية بالنسبة لتلك العمليات.

ولذلك تجمع المجاهدون بين غريان وترهونة واشتبكوا مع العدو في معركة بوادي [illegible] (قولوم في [illegible]) الجماعة
إلى احتلال ترهونة، ثم التحمت قوات العدو مع المجاهدين في وادي [illegible] على مشارف ترهونة ودارت معركة تكبد
فيها الطرفان خسائر فادحة. ونظراً لخطورة الموقف من الناحية العسكرية والجغرافية قد تعذر على المجاهدين الدفاع
عن ترهونة. ثم قرروا الانسحاب إلى جنوب ترهونة حتى يتسنى لهم تجميع قواتهم لإعادة الكرة من جديد وقد أتيح
لهم ذلك بعد أن تجمعت القيادة السياسية بوادي السرادة بأرض [illegible] ورفلة، وعادوا إلى ترهونة برئاسة أحمد المريض
لاستئناف القتال من جديد وتمركز المجاهدون في الأماكن التي بالقرب من مدينة ترهونة في خط يمتد من الأكوام إلى
الداوون. وبئر الفرجان والتحموا مع العدو في معركة كبيرة تكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة في الأرواح وتقدر خسائر المجاهدين
في هذه المعركة المعروفة بمعركة الأكوام حوالي (٥٠٠) شهيد ومن الإيطاليين والملونيين والمرتزقة عدد كبير.

وبعد هذه المعركة انتهت المقاومة في ترهونة وفي الساحات التي تقع إلى الشرق منها بسبب نضوب الإمكانيات بأ
نواعها. ومن هنا وجب على رؤساء المجاهدين في الجبهات أو الساحات المشار إليها آنفاً الهجرة فاتجه رئيس لجنة
الإصلاح المركزية مع حوالي أربعمائة من المجاهدين من بينهم القادة أمثال: محمد [illegible] المريض - المبروك المنتصر -
عبد الصمد النعاس - الحاج صالح بن سلطان..

وقد حطت بنا الترحال بهذه المجموعة في الأراضي المصرية في شهر ديسمبر من سنة ١٩٢٤م واتخذت محافظة الفيوم
موطناً لها واستقرت هناك ما شاء الله لها البقاء حتى وافى بعضهم الأجل المحتوم ومن بين هؤلاء رئيس لجنة الإصلاح
المركزية وكبير قبائل ترهونة [illegible] الذي وافاه الأجل المقدر في عام الحاكم الأكبر بتاريخ ٧ فبراير ١٩٤٠م
عن عمر يناهز السابعة والستين قضاها في الكفاح والنضال وعمل البر والتقوى وكان مداوماً على الصلوات
وحج بيت الله الحرام. رحم الله الفقيد برحمته الواسعة وأسكنه جنته وكرمه جزاء أعماله

سري
٥

ملف [illegible]
وثيقة رقم
٢٣٠

حضرات المحترمين ذوي السيادة والأثر المحمود في الجهاد سيدي ابوبكر وسيدي محمد البشير
وعموم اعيان اولاد بوسيف

تحية الله وسلامنا الى جميعكم المباركة . وبعد فقد شرفنا خطابكم وسرنا
ما أشرتم اليه في شأن أحمد العياط وغيره وما اجتمع عليه رأيكم ضد
المفسدين والجانحين الى البغي وذلك مشهور عندكم ومعروف في نخوتكم
أما ما أكدتم علينا به من الدفاع عن الحوزة والذب عن الدين والوطن فنسأل
تعالى ان يرشدنا اليه وان يعيننا عليه وبهمتكم وهمة المسلمين يكون ما تؤملون
ثم أنه لا شك ان اجتماعنا في غريان كان فاتحة لاتفاق الكلمة واجتماع
الرأي وحصول الظفر وقد تقرر في ذلك المؤتمر انه لا صلاح للأمة
المسلمين مع ولاية الكافرين وان حكومة طرابلس لا تكون نافعة لأهلها
ونزلائها الا اذا كانت تحت زعامة رجل مسلم برضاه جميع المسلمين
وقد انتخب للمطالبة بهذا الأمر اربع ذوات محترمين ليحاجوا دولة الطاليان
بالتي هي أحسن وهم الآن عندنا مع الهيئة بسلامة وغدا متوجهين
بعد ان زاروا جميع الجهات الشرقية وزاروا (...) واستقبلوا فيها بالحفاوة والإكرام
نرجو الله التوفيق انه على ما يشاء قدير
هذا وقد بلغ الهيئة أن مقصدكم السديد الى غريان وزجر المنافقين
ولا شك ان مساعيكم محمودة وسعيكم في كل الجهات مشكورا
وهذا وتقبلوا سلام جميع الأعضاء خصوصا عمربك بودبوس والمختار بك كعبار
والشيخ علي بن حسين والأعضاء الوفد فرحات بك والصادق بك بالحاج
والنوري بك السعداوي ودمتم منصورين وبرعاية محفوظين

رئيس هيئة الإصلاح المركزية
أحمد المريض

سلام كثير [illegible]

ملف
المرتضى
وثيقة رقم
=٢=

سعادة المحترم رئيس الهيئة المركزية جناب ابراهيم احمد بك [illegible]

تحية وسلاما :

وبعد فقد يفهم من نتائج الانتخابات العمومية ان الهيئة الغربية حالتها ضعيفة جدا وان
من ان يتم السوارى والعساكر الذى هنالك بجبهة كلها يقاومه
وضعيفة العدد اقوى وقد نخشى
انه تقع لهم المضايقة والحصار من ثلاثة [illegible] الجهة الغربية والجوية والبحرية . فعلا
يجب من قيادتكم الوطنية ابتداء الحالة بقوة جبهة مركبة من بيادة مشكلة
[illegible] الهجانة بغربية حيث القدم والاوطة حتى
من الفصائل بان تقوم مسرعا [illegible] ومطالبه المشروعة وعكس هذا ينافى لكل
تتامن الجهة الغربية وكذلك للوطنية الوفاء عن [illegible] وكتيبة المناب ان يستهل طاقته
مصلحة وطنية والعاقبة وخيم لا سامح الله [illegible] واتحاد فالفرد احتياجات لا بحقده
حفظ البلاد وصلوح البلاد وموجه الجميع لماتيه وجاه [illegible]

[illegible]

نعم . انه لم يكتفي ارسال قوة بيادة فقط تتدارك الولاية
ثم السوارى والعساكر الذى يعقبه ونقله وتدبرهم بالقرية
الزي [illegible] وتجهيز المسالة العمومية والتدريب والسلاح [illegible]

ملف
سالم عبد الغني
وثيقة رقم
٢١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

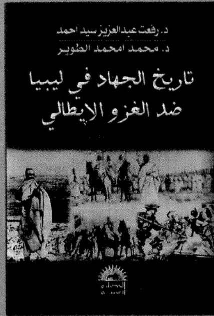
الى من عبد ربه حماه الله السيد محمد العابد ابن السيد محمد الشريف السنوسي الخطابي الحسني
الادريسي الى الاجل الابر الاعز الاسمى غاية الامال ونهاية الكمال اخينا الشيخ سالم بن عبد النبي
الزنتاني حفظه الله ورعاه ومن كل سوء وقاه، امين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته
ومرضاته وبعد فموجبه الاهم السؤال عنكم وعن احوالكم لا زلتم بخير انعم وسرور اتم وان سألتم
عنا فانا ولله الحمد ومن معنا من الاخوان والمحبين بخير وعافية ونعم سابغة وافية نرجو الله
تعالى ان لا [illegible] الكريم افخم المرسلين على الدوام بجاه سيد الانام عليه افضل الصلاة و[illegible]
وان جيش الطليان [illegible] بعد الاعلام [illegible] سوى الجبال والافعال وانتم في جماعة من الابطال و[illegible]
ولكم وليا ونصيرا في جميع الامور انه على كل شيء قدير ولا زلنا ان شاء الله [illegible] لكم مصالح الدعوة
والله ولي القبول والاجابات وبلغوا منا السلام الى كافة الاخوان والمحبين ومن معنا مسلم
عليكم اجمعين ودمتم في رعاية الله محفوظين والسلام

تحريرا في اواخر حجة ١٣٣٣ سنة

امير الجيش الاسلامي
عبده

الحال خير وزوال كل هم وكدر ونحن نرجو الله انكم بخير وعافية وصلنا مكتوبكم
ومعنا [illegible] وبارك الله فيكم ومع ما حملتموه من الهدية مع [illegible] هو
مرادنا وامرنا الله ان شاء الله بعد ذلك وان النصارى الثلاثة [illegible] مع الخمسة [illegible]
[illegible] الله بارسالهم [illegible] حتى [illegible]
و[illegible] اسارى [illegible] انتظارهم ليلا ونهارا
ان شاء الله بعد ذلك وها نحن نوينا الوصول هناك وتوجهنا والله [illegible]
كل [illegible] والاسارى [illegible] هذا
ولعل [illegible] لاجل ذلك حررنا هذا بسرعة صحبة رفقائكم وجعلناه [illegible]
ووصلنا ما معه [illegible] خطير [illegible] واوصوا [illegible]
الناس على ضبط كل ما بيدهم حتى نأتيهم هناك وعزتكم [illegible]
نقبل منكم عذرا بعد ذلك ابدا ونخبركم [illegible]
والله [illegible] الشيخ [illegible] الموفق [illegible]
[illegible]
والرفقاء وان الله معنا ومعكم على الدوام

المحتويات



اعتقدت إيطاليا أن غزو ليبيا لن يكون أكثر من نزهة بحرية، معتمدة في ذلك على سوء العلاقة بين الليبيين وحكامهم الأتراك، وضعف الحامية العثمانية في مواجهة أي جيش أوربي حديث...

لكن معارك الجهاد الأولى - كمعركة الهاني - قلبت جميع مخططات إيطاليا فلقد واجهت شعبًا مجاهدًا يقبل على الموت والشهادة وكأنه ذاهب إلى عرس.

لقد كان جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي مثار دهشة العالم أجمع، وخاصة الإسلامي والعربي، وبعث فيها روح الأمل والثقة بعد أن كاد اليأس يتسرب إليها.

ولسوف يدهش الإنسان كيف أن القبائل ذات التاريخ في المنازعات القبلية قد تجاوزت خلافاتها وتعاونت ضد العدو الذي هاجم أرضها وقطعان ماشيتها وداس على مقدساتها.

إن هذا الشعب العربي الأصيل يعطي بكفاحه المثل الأعلى للأمة العربية كلما أرادت أن تعيد للذاكرة صفحة من صفحات تاريخها البطولي.

